

ديوان المعتمداني

للإمام البغوي الأديب أبي هلال العسكري

عن نسخنا لأمامين العظمين: الشيخ محمد عبده والشيخ محمد محمود الشنقيطي
مع مقابلة المشكل بنسخة المتحف البريطاني

الجزء الأول

عالم الكتب

﴿ كلمة عن حياة المؤلف ﴾

عن معجم الأدباء لياقوت وعيون التواريخ لابن شاكر
وشذرات الذهب لابن العماد، وغيرها

هو أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران اللغوى
العسكرى .

قال أبو طاهر السلفى : سألت الرئيس أبا المظفر محمد بن أبى العباس الأيوبرى
رحمه الله بهمدان عنه فأثنى عليه ووصفه بالعلم والفقہ^(١) ، وقال كان يتبرز احترازاً
من الطمع والدناءة والتبذل - وذكر فيه فصلاً هو فى سؤاله عن - وكان الغالب عليه
الأدب والشعر ، وله فى اللغة كتاب وسمه بالتلخيص كتاب مفيد ، وكتاب الصنائع
صنائع النظم والنثر وهو أيضاً كتاب مفيد جداً^(٢) .

ومن جملة من روى عنه : أبو سعد السمان الحافظ بالرى ، وأبو الفنائم بن حماد
المقرئ إملاء . وأنشدنى أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكرى لنفسه :

قد تعاطاك شبابٌ وتفشاك مشيبٌ
فأنى مالىس يعضى ومضى مالا يؤوبُ
فتأهبُّ لسقامٍ ليس يشفيه طيبٌ
لاتوهه بعيداً إنما الآتى قريبٌ

ومما أنشدنا القاضى أبو أحمد الموحّد بن محمد بن عبد الواحد الحنفى بتستر قال
أنشدنا أبو حكيم أحمد بن إسماعيل العسكرى أنشدنا أبو هلال الحسن بن عبد الله
ابن سهل اللغوى لنفسه بالعسكر :

(١) فى نسخة « المفة » مكان « الفقہ » . (٢) سيذكر باقى مصنفاته بعد .

إذا كان مالى مالٌ من يلقطُ المعجم وحالى فيكم حالٌ من حاكٍ أو حجم
فأين انتفاعى بالاصالة والحجا وما ربحت كفى على العلم والحكم
ومن ذا الذى فى الناس^(١) يصصرُ حالتي فلا يلعنُ القرطاسَ والخبرَ والقلم
ومما أنشدنا القاضى أبو أحمد الحنفى بتستر قال أنشدنى أبو حكيم اللغوى قال
أنشدنا أبو هلال العسكري لنفسه :

جلوسى فى سوقٍ أبيعُ وأشتري دليلٌ على أن الأثامَ قرودُ
ولا خيرَ فى قومٍ تذلُّ كرامهم ويعظمُ فيهم نذلهم ويسودُ
وتهجوهم غنى رثائهُ كسوتى^(٢) هجاءٌ قبيحاً ما عليه مزيدُ
ومما أنشدناه أبو غالب الحسين بن أحمد بن الحسين القاضى بالسوس قال أنشدنا
المظفر بن طاهر بن الجراح الاسترأباذى قال أنشدنى أبو هلال الحسن بن عبد الله
ابن سهل اللغوى العسكري لنفسه :

يا هلالاً من القصورِ تدلّى صامَ وجهى لمقلتيه وصَلّى
لست أدري أطلّ ليلى أم لا كيف يدري بذاك من يتقلّى
لو تفرّغت لاستطالة ليلى ولرعى النجوم كنتُ مخلى
هذا آخر ما ذكره السلفى من حال أبى هلال .

قال ياقوت : وهذه الأبيات الأخيرة التى منها * لست أدري أطلّ ليلى أم لا *
والبيت الذى بعده رأيت فى بعض الكتب منسوباً إلى خالد الكاتب والله أعلم^(٣) .
هذا عن السلفى . وذكر غيره أن أباه هلال كان ابن أخت أبى أحمد العسكري .
وله من الكتب بعد ما ذكره السلفى : كتاب ديوان المعانى وهو من أحسن الكتب^(٤)

(١) فى عيون التواريخ (فى الدهر) . (٢) فى عيون التواريخ (رثائى لمبسى)

(٣) لعل القلط من الزاوى لأن أباه هلال نفسه ذكر الأبيات فى الجزء

الأول من هذا الكتاب فى الصفحة ٣٥٠ منسوبة لخالد الكاتب .

(٤) يثنى ابن شاكر فى عيون التواريخ على (ديوان المعانى) فلمله اطلع عليه .

وكتاب جهرة الأمثال . كتاب معاني الأدب . كتاب من احتكم من الخلفاء
إلى القضاة . كتاب التبصرة وهو كتاب مفيد . كتاب شرح الحماسة . كتاب
مفاخرة الدرهم والدينار . كتاب المحاسن في تفسير القرآن خمس مجلدات . كتاب
العمدة . كتاب فضل العطاء على السر . كتاب مائلحن فيه الخاصة . كتاب
أعلام المعاني في معاني الشعر . كتاب الأوائل . كتاب ديوان شعره . كتاب
الفرق بين المعاني . كتاب نواذر الواحد والجمع . كتاب الفروق .

قال ياقوت : وأما وفاته فلم يبلغني فيها شيء ، غير أنني وجدت في آخر كتاب
الأوائل من تصنيفه : وفرغنا من إملاء هذا الكتاب يوم الأربعاء لعشر خلت
من شعبان سنة ٣٩٥ ، ولبعضهم :

وأحسن ما قرأتُ على كتاب بخطُ العسكري أبي هلالٍ
فلو أني جُعلتُ أميرَ جيشٍ لما قاتلتُ إلا بالسؤال
فإنَّ الناسَ ينهزمونَ منه وقد ثبتوا لأطرافِ العوالي
وقال أبو هلال العسكري في تفضيل الشتاء على غيره من الأزمنة :
فترتُ صبوتي وأقصرَ شجوى وأتاني السرورُ من كلِّ نحوٍ
إنَّ رَوْحَ الشتاءِ خلصَ رُوحى من حرورٍ تشوى الوجوه وتكوى
بردَ الماءِ والهواءُ كأنَّ قد سرقَ البردُ من جوانحِ خلوى
ريحه تلمسُ الصدورَ فتشقى وغماماته تصوبُ فتزوى
لستُ أنسى منه دُمَانَةَ دجنٍ ثمَّ من بعده نَضَارَةُ صحوٍ
وجنوباً تبشرُ الأرضَ بالقطرِ كما بُشِّرَ العليلُ ببروٍ
وغيوماً مطرِزاتِ الحواشي بوميضٍ من البروقِ وخفويٍ
كلما أرختِ السماءُ عُراها جمعَ القطرُ بينَ مُسفلٍ وعلوٍ
وهي تعطيكِ حينَ هبتِ شمالاً بردَ ماءٍ فيها ورقَّةٌ جَووٍ
وترى الأرضَ في ملاءةٍ تلج مثلَ ريطٍ لبسته فوقَ فروٍ

فاستعارَ العراءُ^(١) منها لباساً
 فكانَ الكافورَ موضعَ ترب
 ولِبالٍ أَطْلَبَ مُدَّةَ درسي
 مرّاً لى بمضها ببقه وبمض
 وحديثِ كانهُ عقدُ رِيّا
 في حديثِ الرّجالِ رَوْضَةُ أنسٍ
 ومن شعره في ارتفاع السفل :
 لا يفرنكمُ علوُّ لثيمٍ
 فارتفاعُ الغريقِ فيه فضوحٌ
 سوفَ يَمْنى من الرّياحِ بنضو
 وكانَ الجانَ موضعَ قرو
 مثلما قد مددَنَ في عمرِ لهوى
 بينَ شعرٍ أخذتُ فيه ونحو
 بتُ أرويه للرّجالِ وتروى
 باتَ يرعى بأهلِ نبلٍ وسرو^(٢)
 فملوْهُ لا يُستحقُّ سَفالُ
 وارتفاعُ المصلوبِ فيه نكالُ

(١) في الأصل « العراء » . (٢) أكثر هذه الأبيات غير موجود في ديوان
 المعاني ، مما يدل على كثرة نظم أبي هلال وسعة ديوانه رحمه الله .

ما تعدت فيه طورك عندي ففخر منه يا بئر طير
 وحدثني ابو احمد عن ابيه عن احمد قال حدثني ابو د عامه الشاعر
 قال كتبت العنابي الى مالك بن طوق يستزيده ويستبد به ويدعوه
 الى صلته الرحم والقراية بينه وبينه وكان ما كتبت ان ورائك من
 قُرب منك خيرُه وان ابن عمك من عم تقعه وان عبيدك من
 احسن معاشرتك وان احب الناس اليك اهدام بالمنفعة
 عليك وان اهدام الى مودة فك من هدي اليك ولذا لا قول
 ولقد بلوت الناس ثم سبوتهم ووصلت ما قطعوا من الاسباب
 فاذا القراية لا تقرب قاطعا واذا المودة اقرب الانساب
قال ابو هذا رحمه الله

هذا اخر ما راينا نفعه هذا الخاب وبانه التوفيق
 والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله على جلائل نعمه وفواضل آلائه وقسمه والرغبة اليه فيما يزلف لديه ويمهد المنزلة عنده ويوجب الخطوة قبله والصلاة على خير بريته محمد وعترته . قال الشيخ أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل رحمه الله تعالى : جمعت في هذا الكتاب أبلغ ما جاء في كل فن وأبداع ما روى في كل نوع من أعلام المعاني وأعيانها إلى عواد بها وشذاها ، وتخيرت من ذلك ما كان جيد النظم محكم الرصف غير مهمل رخو ولا متجمد فج ، وهذا نوع من الكلام لا يزال الأديب يسأل عنه في المجالس الحافلة والمشاهد الجامعة إذا أريد الوقوف على مبلغ علمه ومقدار حفظه فإن سبق إليه بالجواب جل قدره وفخم أمره ، وإن نكص عن ميدانه وشال في ميزانه قلت الرغبة فيه وانصرفت القلوب عنه ، وذلك مثل ما أخبرنا به أبو أحمد الحسن ابن عبد الله بن سعيد رحمه الله تعالى ^(١) قال : كان بعض من ينتحل الأدب يريد الدخول في جملة أبي الفضل محمد بن الحسن بن العميد ^(٢) لمنادمته ، وشفع له في

(١) هو شيخ المصنف وسميه اللغوي العلامة ، يروى عنه في هذا الكتاب كثيراً ، ولد سنة ثلاث وتسعين ومائتين ، وكان من الأئمة المذكورين بالتصرف في أنواع العلوم والتحقيق في التأليف ، توفي سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة . وقد اختلط السنيان على صاحب الأعلام وهما في الإمامة علان .

(٢) الملقب بالجاحظ الثاني ، كان متوسعاً في علوم الفلسفة والنجوم ، وأما

ذلك جماعة من بطائنه فأحضره يوماً وفاوضه ليقف على مقداره في المعرفة فقال له
 فيما قال : ما أحسن ما قيل في صفة شعر ؟ فبقى ملياً يتفكر فقال أبو الفضل : فند عند
 خاطرك مُحداجة ، ثم قال هات أيها الشيخ فقلت أحسن ما قاله قديم في ذلك قول الشاعر :
 فان أهلك فقد أبقيتُ بعدى قوافي تُعجبُ الممثلينا
 لذيدات المقاطع محكمات لو أن الشعر يُلبسُ لارتدبنا
 وأحسن ما قاله محدث قول أبي تمام ^(١) :

ووالله لا أنفكُ أهدي شوارداً إليك يحملن الثناء المنخلا
 تحالُ به بُرداً عليك محبراً ونحسبها عقداً عليك مُفصلاً
 ألدَّ من السلوى وأطيب نفحةً من المسك مفتوقاً وأيسر محملاً
 أخفَّ على رُوحٍ وأقلَّ قيمةً وأقصرَ في سماعِ المجلس وأطولاً
 ويُزهي به قومٌ ولم يمدحوا بها إذا مثل الراوى بها أو تمثلاً

الأدب والترسل فلم يقاربه فيه أحد ، كان كامل الرياسة جليل القدر ، من بعض
 أتباعه الصاحب بن عباد ، ولأجل صحبته له قيل له الصاحب ، وكان له في الرسائل اليد
 البيضاء . قال الثعالبي : كان يقال بدئت الكتابة بمبدأ الحميد وختمت بابن العميد ..
 وكان الصاحب بن عباد قد سافر إلى بغداد فلما رجع إليه قال له كيف وجدت بها ؟ فقال
 بغداد في البلاد كالاستاذ في العباد ، وكان يقال له الاستاذ . وكان سائساً مدبراً
 للملك قائماً بحقوقه ، وله شعر رقيق ، وقصده جماعة من مشهري الشعراء من
 البلاد الشاسعة ومدحوه بأحسن المدائح ، منهم أبو الطيب المتنبي ، توفي سنة ٣٢٠ .
 (١) هو حبيب بن أوس الطائي الشاعر المشهور ، ولد بسورية وجاب البلاد
 ومدح الخلفاء وغيرهم ، قال ابن الأثير : أما أبو تمام فرب معان وصيقل ألباب
 وأذهان ، وقد شهد له بكل معنى مبتكر لم يمش فيه على أثر ، فن حفظ شعر الرجل
 وكشف عن غامضه وراض فكره برائضه أطاعته أعنة الكلام وكان قوله في
 البلاغة ما قالت حزام ، مات سنة ٢٣١ - كما في شذرات الذهب وغيره .

وقوله : إن القوافي والمساعى لم تزل
 هي جوهرٌ ثرٌّ فان ألفته
 في كل معترك وكل مقامة
 فاذا القصائد لم تكن خفراءها
 من أجل ذلك كانت العرب الألى
 وتند عندهم العلا الأعلى التي
 جعلت لها مُرَرُ القريض ^(٣) قيودا
 قال وبقي الرجل لا يفيض بكلمة ثم خرج ولم يعد . قوله فند يعني أن خطره بطيء ،
 وفند هذا مخنث كان بالمدينة مولى لعائشة بنت أبي وقاص ^(٤) ، وكانت بعثته
 ليقبس ناراً فأتى مصر وأقام بها سنة ثم جاء بنار وهو يعدو فعثر فتبدد الجر فقال
 تعست العجلة فقالت فيه :

بمشتك قابساً فلبثت حولاً متى يأتي غيائك من تغيث
 وقال الشاعر : مارأينا لغراب ^(٥) مثلاً إذ بعثناه لحل المشملة ^(٦)
 غير فند أرسلوه قابساً فشوى حولاً وسب العجلة
 فتمثلت العرب به فقالت أبطأ من فند . وحداجة رجل يضرب به المثل في
 السرعة فقيل أسرع من حداجة ^(٧) .

ومن سبق إلى الجواب عن هذا النوع فخطي النضر بن شميل ^(٨) أخبرنا أبو

(١) في ديوان أبي تمام المطبوع « مثل الجمان » وهو اللؤلؤ . (٢) في الديوان
 المطبوع « يدعون هذا » . (٣) في الديوان « مرر القصيد » . (٤) في مجمع الأمثال :
 بنت سعد بن أبي وقاص . (٥) غراب إسم رجل . (٦) المشملة كساء تجمع فيه
 المقدحة بالآلاتها ، وقيل ثوب يشتمل به وقيل غير ذلك . (٧) وهو رجل من عبس .
 (٨) وهو النضر بن شميل المازني البصري كان رأساً في الحديث رأساً في اللغة
 والنحو ثقة صاحب سنة ، ضاقت معيشته بالبصرة فرحل الى خراسان فشيعة من
 البصرة نحو من ثلاثمائة عالم ، توفي سنة ٢٠٣ كما في شذرات الذهب وغيره .

أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد قال حدثني أبي قال حدثنا إبراهيم بن حامد قال حدثنا أبو بشر محمد بن ناصح الاصبهاني عن النضر بن شميل المازني قال : كنت أدخل على المأمون في سمره فدخلت عليه ذات ليلة وعلى قميص مرقوع فقال يا نضر ماهذا القشف ^(١) فقلت يا أمير المؤمنين أنا شيخ ضعيف وحر مر وشديد فأتبرد بهذه الخلقان، قال لا ولكنك قشف فأجرينا الحديث إلى أن أخذ المأمون في ذكر النساء فقال : حدثنا هشيم عن مجالد عن الشعبي عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ « إذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها كان فيها سدادٌ من عَوَزٍ » فقلت صدق يا أمير المؤمنين هشيم حدثنا عوف بن أبي جميلة عن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال « إذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها كان فيها سداد من عَوَزٍ » قال وكان متكئاً فاستوى جالساً فقال يا نضر كيف قلت سداد قلت يا أمير المؤمنين السداد ههنا نحن قال ويحك أتلتحني قلت إنما نحن هشيم وكان لحانة فتبع أمير المؤمنين لفظه ، قال فما الفرق بينهما ؟ قلت السداد القصد في الدين والسبيل ، والسداد البلغة وكل ماسددت به شيئاً فهو سداد ، قال وتعرف العرب هذا ؟ قلت نعم العرجي ^(٢) يقول :

أضاعوني وأى فتى أضاعوا ليوم كريمة وسداد تغر
قال قبيح الله من لأدب له ، ثم أطرق ملياً ثم قال : أنشدني أخلب بيت قائمه العرب
قلت حمزة بن ببيض ^(٣) يقول في الحكم بن مروان :

(١) القشف : رثاءة الهيئة . (٢) هو الشاعر المشهور ، منسوب الى العرج منزلة بين مكة والمدينة ، وكان حبسه محمد بن هشام الخزومي أمير مكة لما شب بأمه فأقام بالحبس سبع سنين ومات فيه عن ثمانين سنة ، وبعد البيت المذكور :
وصبر عند معترك المنايا وقد شرعت أسنتها بنحري

(٣) شاعر مجيد من أهل الكوفة ، كان منقطعاً إلى المهلب بن أبي صفرة وولده ثم الى بلال بن أبي بردة . توفي سنة ١٢٠ هـ و « ببيض » بكسر الباء الموحدة وسكون

يقولون لي والعيون هازغة أقم علينا يوماً فلم أقم
أى الوجوه اتجعت قلت لها وأى وجه إلا الى الحكم
متى يقل صاحباً سرادقه هذا ابن بيض بالباب يتسم
قد كنت أسلمت فيك مقبلاً فها أذحل أو قى سلمى
فقال أحسن ماشاء ، أنشدنى أنصف بيت قالته العرب قلت ابن غزوية المدنى

حيث بقول :

إني وإن كان ابن عمي واغراً لمزاحم من خلفه وورائه
وميمده بصري وإن كان امراً مستزحزحاً في أرضه وسماؤه
وأكون والى سره فأصونه حتى يحين على وقت أدائه
وإذا الحوادث أجحفت بسوامه ^(١) فترنت صحيحتنا الى جربائه
وإذا دعا باسمي لتترك مركبا صعباً قعدت له على سيسائه ^(٢)
وإذا رأيت له رداءً ناضراً لم يلفني متمنياً لردائه
فقال أحسن ماشاء ، أنشدنى أقنع بيت للعرب قلت الراعي ^(٣) حيث يقول :
أطلب ما يطلب الكريم من الرزق لنفسي فأجمل الطلب
وأحلب الذرة الصفاء ولا أجهد أخلاف غيرها حلباً
إني رأيت الفتى الكريم إذا رغبته في صنعة رغباً
والنذل لا يطلب العلاء ولا يعطيك شيئاً إلا إذا رهبا
مثل الحار الموقع السولا يحسن شيئاً إلا إذا ضرباً
ولم أجده غرة الخلائق الا الدين لما اعتبرت والحسب

الياء آخر الحروف وآخرها ضاد معجمة ، على مانص عليه في الوافي بالوفيات
والتاج ، ويضبطه كثيرون بالفتح وهو خطأ . (١) السوام : الابل . (٢) السيساء
بالكسر : منتظم فقار الظهر ، ومن الفرس حاركه ، ومن الحمار ظهره . القاموس .
(٣) هو الشاعر عبيد بن حصين الراعي النيزي ، من معاصري جرير والفرزدق .

قَدْ مُرِّزَقُ الْخَافِقِ الْمُقِمُّ وَمَا شَدَّ بَعِيْشٍ رَحْلًا وَلَا قَبَا
وَيُحْجَرُ الرِّزْقُ ذُو الطَّيَةِ وَالسَّرْحُ وَمَنْ لَا يَزَالُ مُخْتَرِبًا
فَقَالَ أَحْسَنُ مَا شَاءَ ، مَا مَالِكَ يَا نَضْر ؟ فَقُلْتُ أَرَيْضَ لِي بِمَرِّ أَنْصَابِهَا وَأَمْدَدِهَا قَالَ
أَلَا ^(١) نَفِيدُكَ مَعَ ذَلِكَ مَالًا ؟ قُلْتُ إِنِّي إِلَى ذَلِكَ مُحْتَاجٌ قَالَ فَأَخَذَ الْقِرَاطَاسَ وَكَتَبَ
وَلَا أَدْرِي مَا كَتَبَ ، قَالَ كَيْفَ تَقُولُ مِنَ التَّرَابِ إِذَا أَمَرْتُ أَنْ تَتَرَبَّ ؟ قُلْتُ أَتَرَبُّهُ ،
قَالَ فَهُوَ مَاذَا ؟ قُلْتُ مَتَرَبُّ ، قَالَ فَمِنْ الطِّينِ ؟ قُلْتُ طِنُهُ ، قَالَ فَهُوَ مَاذَا ؟ قُلْتُ مَطِينٌ ،
قَالَ هَذِهِ أَحْسَنُ مِنَ الْأُولَى ثُمَّ قَالَ يَا غُلَامُ أَتَرَبُّهُ وَطِنُهُ ، ثُمَّ صَلَّى بَنَّا الْعِشَاءَ ثُمَّ قَالَ
لِحَادِمِهِ تَبْلُغْ مَعِيَ إِلَى الْفَضْلِ بْنِ سَهْلٍ . فَأَتَيْتُهُ فَلَمَّا قَرَأَ الْكِتَابَ قَالَ يَا نَضْرُ إِنَّ أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ أَمَرَ لَكَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ فَمَا كَانَ السَّبَبُ فَأَخْبَرْتَهُ وَلَمْ أَكْذِبْهُ فَقَالَ
لَحَنْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَقُلْتُ كَلَّا إِنَّمَ الْخَنَ هَشِيمٌ وَكَانَ لِحَانَةُ قَتِيعِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ لَفْظُهُ
وَقَدْ تَتَبَعَ الْفُقَهَاءُ ، فَأَمَرَ لِي الْفَضْلُ بِثَلَاثِينَ أَلْفًا فَأَخَذْتُ ثَمَانِينَ أَلْفًا بِحَرْفِ اسْتِفَادَةٍ مِنِّي .
وَأَخْبَرْنَا أَبُو أَحْمَدَ قَالَ أَخْبَرْنَا الصُّوْلِيُّ قَالَ أَخْبَرْنَا أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى الْمُهَلَّبِيُّ قَالَ
حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ جَرَى فِي مَجْلِسِ الْوَائِقِ بِاللَّهِ تَعَالَى ذِكْرُ مَا قِيلَ فِي أَصْحَابِ النَّبِيِّ
فَأَمَرْتُ أَنْ يُسْأَلَ أَبُو حَكِيمٍ عَنْ أَحْسَنِ مَا قِيلَ فِي ذَلِكَ فَسُئِلَ بَعْدَ أَنْ أَحْضَرَ فَقَالَ أَحْسَنُهُ
قَوْلُ حَكِيمٍ وَهُوَ شَاعِرُ عَصْرِهِ النَّزَمُ بْنُ تَوَلْبِ الْعَمَكِيِّ ^(٢) :

وَفِيهِ كَالسِّيُوفِ أَحْصَرَهُمْ لَا حَصَرَ فِيهِمْ وَلَا بَحْلَ
بَيْضٍ مَسَامِيحٍ فِي الشِّتَاءِ وَإِنْ أَخْلَفَ نَجْمٌ عَنْ وَبَلِّهِ وَبَلَّوْا ^(٣)
لَا يَتَأَرَوْنَ ^(٤) فِي الْمَضِيقِ وَإِنْ نَادَى مُنَادٌ أَنْ أَنْزِلُوا نَزَلُوا
لَا يَبْتَرِي شَرِبْنَا اللَّجَاءَ وَقَدْ تُوْهِبُ فِينَا الْقِيَانُ وَالْحُلَلُ

فَاسْتَحْسَنَ الْوَائِقُ الْأَيَّاتِ وَوُهِبَ ^(٥) أَبَا حَكِيمٍ .

(١) فِي نَسْخَةِ « أَفْلَا » . (٢) مِنْ شُعْرَاءِ الْجَاهِلِيَةِ أَدْرَكَ الْإِسْلَامَ كَبِيرًا ،

وَكَانَ وَجِيهًا جَوَادًا . (٣) الْوَبْلُ : الْمَطَرُ الشَّدِيدُ . (٤) تَأْرَى بِالْمَكَانِ : احْتَبَسَ .

(٥) فِي نَسْخَةِ « وَوَصَلَ » .

فحاجة الأديب إلى هذا الفن شديدة وفاقه اليه عتيدة ، وأولى ما يصنف ويؤلف
ويقرب مأخذه ويسهل ما كانت الحاجة اليه هذه الحاجة فوقت العناية عليه وانصرفت
بالاهتمام اليه حتى تهذب وتنقف وتشذب وتدانت شعبه وتقاربت سبله ولم أبال
مألني فيه من زيادة تعب وفضل كد ونصب إذ لم يكن الانسان يبلغ ما يريد وينال
ما يرغب ^(١) إلا بتكلفة لغوب ^(٢) ومواصلة دؤوب لاسيما إذا كان الغرض الذي
ينزع اليه جسيما يكسبه حسن الذكر ويمنحه طيب النشر من علم يتقنه أو بصنفة
ويدونه أورياسة أرادها فارتادها وسيادة طلب اقتيادها وليس ذلك للمتواني المتهاون
ولا المتواكل المتواهن ، وقد قيل :

سَهَرَتْ عُيُونُهُمْ وَأَنْتَ عَنِ الَّذِي قَاسَوْهُ حَالِمٌ
وقيل : وإنَّ سِيَادَةَ الْأَقْوَامِ فَأَعْلَمَ لَهَا صَعْدَاءُ مَطْلَعُهَا طَوِيلٌ
وقيل : إن السِّيَادَةَ وَالرِّيَاسَةَ وَالْعُلَى أَعْبَاؤُهَا كَمَا عَلِمْتَ ثَقَالٌ
وقيل : وإنَّ جَسِيَمَاتِ الْأُمُورِ مَنْوُطَةٌ بِمُسْتَوْدَعَاتِ بَطُونِ الْأَسَاوِدِ
وقلت : * إن الأمور مريحها في المتعب * وفي المثل « عند الصباح يحمد القوم
السرى » وقيل * ما لمن لم يركب الأهوال حظ * وقلت :

وَلَمْ يَتَسَهَّلْ لِلْفَتَى دَرَكُ الْعُلَا إِذَا هُوَ لَمْ يَصْبِرْ عَلَى الْمُتَصَعَّبِ
ومن كانت له حاجة في الشيء اشتغل به وفرغ له واستندب التعب فيه حتى بلغ
مراده منه وقيل :

طَوَامِسُ لِي مِنْ دُونِهِنَّ عَدَاوَةٌ وَلِي مِنْ وَرَاءِ الطَّامِسَاتِ حَبِيبٌ
بميدتي على من ليس يطلب حاجة وأما على ذي حاجة فقريب
والذي حداني على جمع هذا النوع أيضا اني لم أجد فيه كتابا مؤلفا ولا كلاما مصنفًا
يجمع فنونه ويحوى ضروبه ، ورأيت ما تفرق منه في أثناء الكتب وتضاعف
الصحف غير مقنع يشفي الراغب ويكفي الطالب فجعمته ههنا وأضفت إلى كل نوع منه

(١) أراغ : أراد وطلب . (٢) أي متعبة أشد تعب كما في القاموس .

ما يقاربه من أمثاله وما يجري معه من أشكاله ليكون مادة للمناقضة وقوة للمفاوضة ،
وجعلته نظماً ونثراً وخبراً وشعراً لأبعث به نشاط الناظر وأجلى به صداء الخاطر
لأن الخروج من ضرب إلى ضرب أنقى لللال وأعدى على السكّال من لزوم نهج
لا يعتمد والاقتصار على أمر لا يتوخى سواه .

وجعلته إثني عشر باباً : الباب الأول : في التهانى والمديح والافتخار .
الباب الثانى : فى الحصل .

الباب الثالث : فى المعاتبات والهجاء والاعتذار .

الباب الرابع : فى الغزل وأوصاف الحسان .

الباب الخامس : فى ذكر النار والطبخ وأنواع الطعام وصفات الشراب
وما يجرى مع ذلك .

الباب السادس : فى ذكر السماء والنجوم والشمس والقمر وما يجرى مع ذلك .

الباب السابع : فى ذكر السحاب والمطر والثلوج والمياه وصفات البساتين
والرياض والأشجار والثمار والرياحين والنسيم وما يجرى مع ذلك .

الباب الثامن : فى ذكر السلاح والحرب وما يشبه ذلك .

الباب التاسع : فى ذكر القلم والخط والكتاب وصفة البلاغة وما يجرى مع ذلك .

الباب العاشر : فى ذكر الخيل والابل والسير والغلوات والسرّاب وصفة
سائر الحيوانات .

الباب الحادى عشر : فى ذكر الشباب والمشيّب والعلل والموت والمرأى
والتعازى والزهد .

الباب الثانى عشر : فى صفات أشياء مختلفة .

ثم رأيت أصحابنا يشكون طوله وكبر حجمه وبعد غايته فجعلت كل باب منه
ينفرد بنفسه ويتميز من جنسه ليخف محمله ويقرب مأخذه ، على أن فوائد الكتاب
على قدره فى صغره وكبره ولكن ينبغى أن يحمل على كل بقدر طاقته ويكلف

على حسب مقدرته ويحدث بما ينشط لاسماعه ويتسع لوعيه ، وتقريب الحكمة
حكمة ثانية وبكسوها المحبة ويوجد اليها الرغبة ، وأرجو أن أوافق الصواب في
جميع ماضمت هذه الأبواب ، وإن وجد في بعض فصوله خطأ أو تعرض فيه زلل
أو تخلله خلل فغير بديع ولا قبيح شنيع لأن النقصان منوط بالانسان لا يسلم منه
خلقه وخلقه وقوله وفعله وقد شمل العيب كل شيء حتى صارت في وجنة القمر
سفعة ، وقد قلت :

وفي كل شيء حينَ تَحْضُرُ أمرَه معائبُ حتى البدر أكلَفُ أسْفَعُ
والشيء إذا سلم جله فقد حسن كله وبالله التوفيق :

﴿ كتاب المبالغة ﴾

في المديح والتهاني والافتخار وهو الباب الأول
من كتاب ديوان المعاني وهو ثلاثة فصول

﴿ الفصل الأول في المديح ﴾

سمعت أبا أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد رحمه الله تعالى يقول أمدح بيت
قائه العرب قول النابغة الذبياني ^(١) .
ألم تر أن الله أعطاك سورةً ترى كل ملكٍ دونها يتذبذب ^(٢)

(١) هو زياد بن معاوية ، لقب بالنابغة لنبغه في الشعر ، كان يعرض عليه
الشعراء قصائدهم في سوق عكاظ ، وهو أحد أصحاب المعلقات ، كان حظي باقبال
النعمان بن المنذر ، ثم هرب خيفة من بطشه بعد أن شرب بزوجه ، ثم عفا عنه
ورجع إليه ، مات سنة ١٨ قبل الهجرة . وقيل لقب بالنابغة ببعض شعره .
(٢) السورة : المقام والمكانة ، والملك : الملك ، ويتذبذب : يضطرب .

بأنك شمسٌ والملكُ^(١) كواكبٌ إذا طلعت لم يَبْدُ منهم كوكب
ثم قال أخبرنا أبو بكر محمد بن يحيى بن العباس قال حدثني أبو ذكوان قال : أدخلت
إلى إبراهيم بن العباس وهو بالأهواز لخدمته فقال ما تقول في شعر النابغة * ألم تر أن
الله أعطاك سورة - البيتين فقلت ما عندي فيه إلا الظاهر المشهور يقول فضلك على
الملك كفضل الشمس على الكواكب فقال نفهم معناه قبل هذا إنما يعتذر إلى
النعمان من مدحه آل جفنة الفسائين وتركه له ويريد أن له في مدحه لهم عذراً
ألا ترى إلى قوله :

ولكنني كنتُ امرأً لى جانب من الأرض فيه مُستِرادٌ ومَذْهَبٌ
مُذْكَوكٌ^(٢) وإخوان إذا ما أتيتهم أَحَكَّم في أموالهم وأقرب
لِحَكْمك في قوم أراك اصطفيتهم^(٣) فلم ترهم في مُشْكِر ذلك أذنبوا
يقول لانتفى على شكري وقد أحسنوا إلى إذ لجأت إليهم وإن كانوا أعداءك كما
أحسنتم إلى قوم فشكروك عند أعدائك فقد أحسنوا ولم يذنبوا ، ثم قال اعمل على أني
أذنبت فمن أين تجد من لا يذنب فقال :

ولست بمُستَبْقٍ أخاً لآله على شعث أي الرجال المهذب
فإن أكُ مظلوماً فبب ظلمته وإن يك ذا عتبي فمثلك يُعتب
يقول مثلك ينفو ويحسن وإن كان عاتياً وفي كرمك ما يفعل ذلك ولك

العتبي والرجوع إلى ما يجب ، ثم فضله عليهم فقال :
ألم تر أن الله أعطاك سورة ترى كل ملك دونها يتذبذب
بأنك شمسٌ والملك كواكب إذا طلعت لم يَبْدُ منهم كوكب
يقول ما صلحت لى أنت فافى لا أريد غـيرك من الملك كما أن من طلعت عليه

(١) في الأصل هنا «النجوم» مكان «الملك» الموجودة في ديوان النابغة
المطبوع ، وفي الأصل بعد أسطر كذلك . (٢) وهم ملوك غسان . (٣) الذي في
ديوان النابغة المطبوع « كفعلك في قوم أراك اصطنعتهم » .

الشمس لم يحتاج الى النجوم . قال أبو ذكوان وما رأيت أعلم بالشعر منه . ثم قال
لو أراد كاتب بليغ أن يثر من هذه المعاني ما نظمه النابغة ما جاء به في أضعاف
كلامه ، وكان يفضل هذا الشعر على جميع أشعار الناس . وقد سبق بعض شعراء
كندة النابغة الى هذا المعنى فقال يمدح عمرو بن هند :

تَكَادُ تَمِيدُ الْأَرْضُ بِالنَّاسِ إِنْ رَأَوْا لِعَمْرٍو بْنِ هِنْدٍ عُصْبَةً وَهُوَ طَائِبٌ
هو الشمس وافت يوم سعد فأفضلت على كل ضوءٍ والملوك كواكب
وقالت صفيه الباهلية :

أَخْبَنِي عَلَى مَالِكٍ رَيْبُ الزَّمَانِ وَلَا يُبْقِي الزَّمَانُ عَلَى شَيْءٍ وَلَا يَذَرُ
كُنَّا كَأَنْجُمٍ لَيْلَ يَتَنَنَّا قَمَرٌ يَجْلُو الدُّجَى فهُوَ مِنْ يَدِنَا الْقَمَرُ
ومن ههنا أخذ أبو تمام :

كَانَ بَنِي نَبَهَانَ يَوْمَ وَفَاتِهِ نَجُومُ سَمَاءٍ خَرَّ مِنْ يَدِنَا الْبَدْرُ

وقال نصيب في معنى النابغة :

هُوَ الْبَدْرُ وَالنَّاسُ الْكُوَاكِبُ حَوْلَهُ وَهَلْ يَشْبَهُ الْبَدْرَ الْمَضِيءَ الْكُوَاكِبُ
ومثل قول النابغة * احكم في أموالهم وأقرب * قول الأشجع^(١) :

لَا تَعْدِلُونِي فِي مَدِيحِي مَعْشَرًا خَطَبُوا الْمَدِيحَ إِلَى الْأَمْوَالِ
يتزحزون إذا رأوني مقبلا عن كل مُتَكَا مِنَ الْأَجْلَالِ

وسمعت أبا أحمد يقول : أبرع بيت قيل في المديح قول النابغة :

فَانْكَ كَاللَّيْلِ الَّذِي هُوَ مُدْرِكِي وَإِنْ خِلْتُ أَنْ الْمَتَأَى عَنْكَ وَاسِعِ

ثم قال أخبرني محمد بن يحيى قال أخبرنا عون بن محمد الكندي أخبرنا قعنب بن
محرز قال سمعت الأصمعي قال سمعت أبا عمرو يقول كان زهير يمدح السوقة ولو
ضرب أسفل قدميه مائة على أن يقول مثل قول النابغة * فانك كالليل الذي هو مدركي *

(١) هو أشجع بن عمرو السلمي من نخول الشعراء ، مدح البرامكة ، وتقرب

من الرشيد ، ومات بعده .

ماقاله فما لا يقول مثله زهير كان غيره أبعد منه .

أخبرنا أبو أحمد أخبرنا أبو بكر بن دريد عن السكن بن سعيد عن محمد بن عباد قال سمعت أبا عبد الله نفظويه يذكر عن الفراء . قال قال الكسائي حضرت مجلساً للخليل بن أحمد وقد جمع بينه وبين يونس بن حبيب ^(١) عند العباس بن محمد في مفاتحة اللغات ومجاريها ونوادير الأعراب ومذاهب العرب ومجازها وأخبارها فكان الخليل كالسابق قرن به ذوا الزوائد الحطيم في حلبة المضمار إلى أن تذاكروا ^(٢) الاشعار والشعراء فأكثر يونس من ذكر زهير وتقديمه وذكر الخليل النابغة وقدمه وعظم أمره فقال العباس للخليل بم تذكر النابغة ؟ قال كان النابغة أعذب على أفواه الملوك وأبسط قوافي شعر كأن الشعر ثمرات تدانين من خلد فهو يجتنيهن اختياراً ، له سهولة السبق وبراعة اللسان ونقاية الفطن لا يتوعر عليه الكلام لعذوبة مخرجه وسهولة مطابقه . أخبرنا شيخ لباهلة يكنى أبا جحار أن النابغة وفد على النعمان معتذراً من تلك البلاغات ومعه اعتذاره الذي يقول فيه :

* فانك كالليل الذي هو مدركي * فقال النعمان أقبل منك عنرك وأصفح لتدرك هنك ثم أمر فخلع عليه خلع الرضا وكنَّ حبرات خضر مطرفة بالدر في قضب الذهب وانصرف إلى منزله . قال الباهلي وإن النابغة جاء يوماً مستأذناً معتذراً فقال له الحاجب الملك على شرا به قال فهو وقت الملوك والشعر تقبله الأئمة عند السكر فان يبلغ لي فلق المجد عن غرر مواهبه فانت قسيم ما أفدت . فقال الحاجب والله ماتني عنايتي بك بدون شكرك لي فكيف أرغب فيما تصف ودون ما ترغب رهبة التحدى فهل من سبب يمكن الاستئذان . فقال النابغة فعلت ما يجب عليك في الأدب وقضاؤها معقود

(١) هو الأديب النحوي ، أخذ الأدب عن أبي عمرو بن العلاء وغيره ،

وهو في الطبقة الخامسة في الأدب بعد علي كرم الله وجهه ، اختلف إليه أبو عبيد أربعين سنة وخلف الأحمر عشرين سنة ، وله عدة تصانيف ، توفي سنة ١٨٢

(٢) في الأصل « تذاكر »

بشكره فمن عنده ؟ قال خالد بن جعفر الكلبي فقال أين أنت عنه بما أقول لك قال قل قال تقول له خاليا إن زياداً يقول إن قدرك فوق الغمام ووفاءك وفاء الكرام - وقال الفراء تقول له خاليا إن زياداً يقول إن من قدرك نيل الدرك بك - وزكاة الجاه رفد المستعين ، وناحيته من الشكر ما علمت وحاجتي ملاطة الأسباب حتى يحرك ذكراً يمكن بمثله الاستئذان - وقال الفراء يجري ذكراً - فلما صار خالد إلى بعض ما يبعث موارد الشراب نهض فاعترضه الحاجب فقال ليهنك أبا البسام حدث النعم قال خالد ههناك عيشك كل ما نحن فيه تجديد للتفضيل وإتمام للشرف وكل ذلك ببقاء الملك وحسن مواده فاذاك فأخبره بما قال النابغة فقال آذنه بالطاعة وانتظار المراجعة وكان خالد رفيقا يتأني الأمور ^(١) والأسباب لطفاً وحسن بصيرة في الارتياح فدخل متبسماً وهو يقول :

ألا لمثلك أو من أنت سابقه سبق الجواد إذا استولى على الامد
ثم قال واللات والعزى لكأني أنظر إلى أملاك ذي رعين ^(٢) وذى فابش ^(٣)
وقد مدت لهم قصبات المجد إلى معالي الاحساب ومناكب الانساب في حلية أنت -
أيت اللعن - غرتها فجئت سابقاً متمم - لا وجاؤا لم يتم لهم سعى ، وجاء زياد
فقال النعمان والله لأنت في وصفك أبلغ احساناً من إحسان النابغة فينا في نظم
قوافيه ، فقال خالد أيها الملك واللات ما أبلغ فيك حسناً إلا غمره قدرك استحقاقاً
للشرف الباهر ولو كان النابغة حاضراً لقال وقلنا ، فقال النعمان النابغة يا غلام فخرج
الحاجب فقال النابغة ما وراءك قال رفع الحجاب وأذن في السيادة والافضال فدخل
فاتصّب بين يدي النعمان وحياه بتحية امك ثم قال أيا فارك - أيت اللعن - ابن
جفنة وأنت سانس العرب وغرة الحسب واللات لا أمسك أبهى من يومه وليلته .

(١) في نسخة « يتأني للأمور » . (٢) ذو رعين : لقب ملك من أدواء اليمن

كما في المرصع لابن الأثير . (٣) ذوفائش . أحد أدواء اليمن ، اسمه يزيد ، من بني
يحصب ، وهو أبو سلامة الذي مدحه الأعشى ، على مافي المرصع لابن الأثير .

أحسن من وجهه وليسارك أجمع من يمينه وأبعدك أكثر من قومه ولنفسك أكبر
من جده وليومك أشرف من دهره ولوعدك أنجز من رفته ولهزلك أصوب من
جده ولغترك أبسط من شبره ولأملك خير من أبيه ، ثم أنشأ :

أَخْلَاقُ مَجْدِكَ جَلَّتْ مَا لَهَا حَصْرٌ فِي الْبَاسِ وَالْجُودِ بَيْنَ الْبَدْوِ وَالْحَضَرِ
مُتَوَجِّهُ بِالْمَالِ فَوْقَ مَقَرِّهِ فِي الْوَغَى ضَيْغَمٌ فِي صُورَةِ الْقَمَرِ
قَالَ فَتَهْلِلُ وَجْهَ النِّعْمَانِ بِالسُّرُورِ وَأَمْرٌ لِحِشْيِ فَمِهِ دَرًّا ، وَقَالَ لِمَثَلِ هَذَا تَرْتَاحُ الْقُلُوبُ
وَيُمَثِّلُهُ تَمْدَحُ الْمُلُوكَ ، ثُمَّ قَالَ الْخَلِيلُ أَفِيحَسَنُ زَهِيرٌ أَنْ يَقُولَ مِثْلَ هَذَا ؟ فَقَالَ يُونُسُ
لِلْعَبَّاسِ إِنِّي لَا تُعْجِبُ مَا حَدَّثَ عَنْ قِصَّةِ النَّابِغَةِ وَشَعْرَةِ قَوْلِهِ :

* وَفِي الْوَغَى ضَيْغَمٌ فِي صُورَةِ الْقَمَرِ *

أَجُودُ شَيْءٌ قِيلَ فِي الْحَسَنِ مَعَ الشَّجَاعَةِ مِنْ شَعْرِ الْمُتَقَدِّمِينَ وَمِنْ شَعْرِ الْمُحَدِّثِينَ
قَوْلُ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ ^(١) يَمْدَحُ الرَّشِيدَ وَوَلَدَهُ :

بَنُو الْمُصْطَفَى هَارُونَ بَيْنَ سَرِيرِهِ فَبَخِيرَ قِيَامَ حَوْلِهِ وَقُعُودَ
يُقَلِّبُ الْحَاضِرَ الْمَهَابَةَ يَبْنِيهِمْ عُيُونَ ظُبَاءَ فِي قُلُوبِ أَسُودِ
وَأَخَذَهُ مُسْلِمُ بْنُ الْوَلِيدِ فَقَالَ * كَأَنَّ فِي سَرَجِهِ بَدْرًا وَضُرْغَامًا *
وَقُلْتُ : فَتَى عَلَى نَفْسِهِ مِنْ نَفْسِهِ رَصْدٌ يَصْدَهُ أَنْ نَطَقَ الشَّيْنُ وَالذَّامُ ^(٢)
مَازَالَ يَفْتَنُ مَا لَا تَمُومُ بِفَرْمِهِ مَازَالَ لِلْمَسَالِ غَنَمًا وَغَرَامًا
أَغْرَ أَرْبَعٌ يَحْكِي الْغَيْثَ مَكْرُمَةً وَالنَّجْمَ مَنْزِلَةً وَالطُّودَ أَحْلَامًا
تَجَلَّه ^(٣) حِينَ يَبْدُو أَنْ يَقُولَ لَهُ كَأَنَّ فِي سَرَجِهِ بَدْرًا وَضُرْغَامًا
وَقَدْ تَدَاوَلَ النَّاسُ مَعْنَى قَوْلِهِ * كَأَنَّكَ كَلَالِيلُ الَّذِي هُوَ مَدْرَكِي *

(١) غلب عليه هذا اللقب لعتوه ، وهو من مقدمي المولدين من طبقة بشار
وأبي نواس ، كان يبيع الفخار قبل أن يقول الشعر ويبرع فيه ، يقال أطبع الناس
بالشعر بشار والسيد الحميري وأبو العتاهية ، توفي سنة ٢١١ .

(٢) الذام : العيب . (٣) في الأصل « يحله » .

فقال الفرزدق :

ولو حملتني الريحُ ثم طلبتني لكنت كشيء أدر كته مفادره
وهو دون قول النابغة لأن الليل أعم من الريح والريح أيضاً يمتنع منه
بأشياء ، والليل لا يمتنع منه بشيء . وأخذ الأخطل ^(١) قول الفرزدق ^(٢) فقال :
فأنت كالدهر مَبْتَوًّا حَبَائِلُهُ والدهرُ لَامِلَجًا مِنْهُ وَلَا هَرَبَ
ولو ملكْتَ عِنانَ الرِّيحِ أَصْرِفُهُ في كل ناحية مافاتك الطلب
وأخذ مسلم البيت الأول من الأخطل فقال :
وإنَّ أميرَ المؤمنينَ وفِعْلُهُ لسكالِّدَهرٍ لاغاد بما فَعَلَ الدهرُ
وهو أيضاً مأخوذ من قول النابغة : وأخذه أبو تمام فقال :
خَسَمُوا لَصَوْلَتِكَ الَّتِي هِيَ عِنْدَهُمْ كَالْمَوْتِ يَأْتِي لَيْسَ فِيهِ عَادَ
فَالْقَوْلُ هَمْسٌ وَالنَّدَاءُ إِشَارَةٌ خَوْفَ اتِّقَامِكَ وَالْحَدِيثُ سَرَادُ
وأخذه علي بن جبلة ^(٣) فقال :
وَمَا لِمَرَى حَاولَتَهُ مِنْكَ مَهْرَبٌ وَلَوْ رَفَعْتَهُ فِي السَّمَاءِ الْمَطَالِمُ
يَلِي هَارِبَ لَا يَهْتَدِي لِمَكَانِهِ ظِلَامٌ وَلَا ضَوْءٌ مِنَ الصَّبْحِ لَامِجُ
وقال البحتري ^(٤) :

(١) هو غياث بن غوث التغلبي ، نشأ في العراق ، ودخل الشام ومدح
الملوك الأمويين ، كان لا يظهر من شعره إلا المتخير : مات سنة ٩٠ .
(٢) يقول ابن خلكان : أجمعت العلماء على أنه ليس في شعراء الإسلام مثل
ثلاثة : جرير والفرزدق والأخطل ، وكان بينهم مهاجرة وتفاخر ، يقال لولا شعر
الفرزدق لذهب ثلث اللغة ونصف أخبار الناس ، كان لا ينشد عند الخلفاء إلا قاعداً
توفي في البصرة سنة ١١٠ . (٣) هو العكوك الآتي .

(٤) هو الوليد بن عبيد الطائي البحتري - نسبة إلى جد اسم بحتري - قال المبرد :
أنشدنا شاعر دهره ونسيج وحده البحتري ، عرض أول شعره على أبي تمام فقال له

ولوانهم ركبوا الكواكب لم يكن لهم
وقلت في قريب منه :

ويدنو له المطلوب حتى كأنما يواكب ضوء الصبح في كل مطلب
وقالوا أمدح بيت قائمه العرب قول أبي الطمحان ^(١) :

أضأت لهم أحسابهم ووجوههم دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه
نجوم سماء كلما انقض كوكب بدا كوكب تأوى إليه كواكبه
وما زال منهم حيث كان مسود تسير المنايا حيث سارت كتابته
ومثله قول الخطيئة ^(٢) :

نمشى على قول أحساب أضأت لنا كما أضأت نجوم الليل للشارى
ومثله قول الآخر :

وجوه لو أن المدلجين اعتشوا ^(٣) بها صدعن الدجى حتى يرى الليل ينجلي
وقال بعض الاعراب في رجل : مادفعته في سواد إلا محاء ولا قابلت به مدأ

إلا كفاه . ومثل قوله * صدعن الدجى * قول بعض المحدثين :
ومصباحنا قمر زاهر كقوس لجين يشق الدجى
وقلت : وانشق ثوب الظلام عن قمر يضحك في أوجه الدجيات

أنت أشعر من أنشدنى وكتب له بذلك فمظم وبجل ، وقال له أبو تمام : نعت
إلى نفسى فقال أعيدك بالله فقال ان عمرى ليس بطويل وقد نشأ لطفى مثلك ،
فمات بعدها بسنة . وكانت وفاة للبحترى سنة ٢٨٤ (١) هو حنظلة بن الشرقى
القينى من الشعراء الجاهليين ، أدرك الاسلام ، ومات قبيل الهجرة .

(٢) هو جرول بن أوس العبسى من الشعراء المخضرمين ، اشتهر بالهجو
حتى هجا والديه ونفسه . ولعل في البيت تحريفاً فى رواية الأغانى :

نمشى على ضوء إحسان أضاء لنا ماضوات ليلة القمر للشارى
(٣) الدجى : السير من أول الليل . واعتشوا : استضاءوا .

كَأَنَّمَا النِّجْمُ حِينَ قَابَلَهُ قَبِيْعَةٌ ^(١) فِي نَصَابِ مِرَاةٍ
وَقُلْتُ: بَلِيلٌ كَأَن تَرَفُو الْغَزَالَهٗ أُسْوَدَ
كَوَاكِبُهُ زَهْرٌ وَصُفْرُ كَأَنَّمَا
وَقُلْتُ: وَذِي غَنْجٍ يَأْوِي إِلَى فِرْعَهِ الدُّجَى
فَفِيهِ ظَلَامٌ بِالصَّبَاحِ مُقْنَعٌ
وَقَوْلُ أَبِي الطَّمْحَانِ مَوْلَى ابْنِ أَبِي السَّمْطِ:

فَتَى لَا يُبَالِي الْمَدْلُجُونَ بِنُورِهِ
لَهُ حَاجِبٌ عَنْ كُلِّ أَمْرٍ يَشِينُهُ
إِلَى مَا بِهِ إِلَّا تَضَى الْكَوَاكِبُ
وَلَيْسَ لَهُ عَنْ طَالِبِ الْعَرَفِ حَاجِبٌ
وَقَوْلُ الْآخَرِ:

مَنْ الْبَيْضِ الْوُجُوهُ بَنَى سَنَانٍ
لَوْ أَنَّكَ تَسْتَضَى بِهِمْ أَضَاؤَا
وَقَوْلُ الْآخَرِ:

غِلَامٌ رَمَاهُ اللَّهُ بِالْحَبِيبِ يَافِعَا
كَأَن الثَّرِيَا عُلِقَتْ فِي جَبِينِهِ
وَلَمَّا رَأَى الْمَجْدَ اسْتَعْمِرَتْ ثِيَابُهُ
إِذَا قِيلَتِ الْعَوْرَاءُ غَضُّ كَأَنَّهُ
وَقَوْلُ الْآخَرِ ^(٢):

إِخْتَرُ فَنَاءَ بَنَى عَمَّرُوا فَانْهَمُ
إِنْ يَسْأَلُوا الْخَيْرَ يُعْطَوْهُ وَإِنْ جَهِدُوا
وَإِنْ تَوَدَّدْتَهُمْ لَا نَوَا وَإِنْ شَتَمُوا
هَيِّنُونَ لَيْسَنُونَ أَيْسَارُهُ ذُووُ يُسْرِ
مَنْ تَلَقَّ مِنْهُمْ تَقْلٌ لَا قَيْتُ سَيْدَهُمْ
أَوْ لَوْ فَضُولٍ وَأَقْدَارٍ وَأَخْطَارٍ
فَالْجَهْدُ يُخْرِجُ مِنْهُمْ طَيْبَ أَخْبَارٍ
كَشَفَتْ أَذْمَارَ سِرٍّ غَيْرِ اسْرَارٍ
أَرْبَابُ مَكْرُمَةٍ أَبْنَاءُ إِسَارٍ
مِثْلَ النُّجُومِ الَّتِي يُهْدَى بِهَا السَّارَى

(١) قَبِيْعَةُ السِّيفِ كَسْفِيْنَةٌ: مَا عَلَى طَرَفٍ مَقْبُضَةٍ مِنْ فِضَّةٍ أَوْ حَدِيدٍ.

(٢) تَرَوِي هَذِهِ الْآيَاتِ عَنِ الْجَاهِظِ كَمَا سَبَقَتْ.

وهذا عندي أمدح شيء قيل في وصف جماعة .

وأنشدنا أبو أحمد لميسى بن أوس في الجنيد بن عبد الرحمن ^(١) :

إلى مُستنيرِ الوجهِ طالَ بسؤدد تقاصرَ عنه الشاهقُ المتطاوُلُ
مدَحْتُكَ بالحق الذي أنتَ أهله ومن مدَحِ الأقوامِ حقَّ وباطل
يعيشُ النَّدى مادمتَ حيًّا فإنَّ تمت فليس لحيٍّ بعد موتك طائل
وما لأمريءٍ عندي مُخيِّلةٌ نعمة سواكَ وقد جادتْ عليَّ مخايل
وقالوا أمدح بيت قالته العرب قول الأعشى :

فَتَى لو ينادي الشمسَ أَلقتَ قناعها أو القمرَ الساري لأتقى المقالدا

وهذا وقول أبي الطمحان من الغلو ، والغلو عند بعضهم مذموم وليس كذلك ولو كان مذموماً لما جعلوا هذين البيتين من أمدح ما قالت العرب وهما من الغلو على ما هما عليه ، ومثل هذا الغلو قول طريح بن اسماعيل ^(٢) :

أنتَ ابنُ مُسلَّطِجِ البطاحِ ولم يضرب عليك الحنَى والولج
لو قلت للسيل دع طريقك والـموج عليه كالهضب يعتلج
لا رتدَّ أوساخٌ أو لكانَ له في جانبِ الأرضِ عنك مُنعرَج
وهذا من أعلى الغلو لأن السيل لا ترد وجهته هية ولا مخافة ، والعرب تقول أجزأ من السيل فيهمز ولا يهمز والهمز من الجراء وتترك الهمز من الجري ، ويقال في المثل لأفعل كذا حتى يرد وجه السيل ، وليس هذا الشعر بمختار الرصف واللفظ وإنما جئت به لمكان غلوه ، ومن الغلو المشهور المستفيض الذي قبله الناس واستحسنوه ورووه بكل لسان قول أبي تمام في المعتصم :

يُسمِنُ أبي اسحقَ طالَتْ يَدُ العَلاءِ وقامتْ قَناءُ الدِّينِ واشتدَّ كاهِلُهُ

(١) هو الجنيد بن عبد الرحمن المري الأمير ولي خراسان وغيرها وكان

أجود الأجواد ، توفي سنة ١١٥ . (٢) هو طريح بن اسماعيل الثقفي الشاعر ،

لزم الوليد بن يزيد الأموي وبالع في مدحه .

هو البحر من أي النواحي أتتته قلبته المعروف والجود ساحله
 تعود بسط الكف حتى لو انه أراد انقباضاً لم تطعه أنامله
 ولو لم يكن في كفه غير نفسه لجاد بها فليتنق الله سائله
 وقلت في قريب منه :

وكيف يبيت الجار منك على صدى وكفك بحر لجة البحر ساحله
 أخبرنا أبو أحمد قال سمعت أبا بكر - يعني ابن دريد - يحكي عن أبي حاتم قال
 قال الأصمعي سمعت أعرابياً يقول : انكم معاشر أهل الحضرة تخطئون المعنى ان
 أحدكم ليصف الرجل بالشجاعة فيقول كأنه الأسد ويصف المرأة بالحسن فيقول
 كأنها الشمس ، لم لا يجمعون هذه الأشياء بهم أشبه ثم قال لانشدك شعراً يكون
 لك اماما ثم أنشدني :

إذا سألت الوردى عن كل مكرمه لم تلف نسيبتها إلا الى الهول
 فتى جواداً أعاد النيل نائله فالنيل يشكر منه كثرة النيل
 وليس هذا الشعر مختاراً عندي :

والموت يرهب أن يلقى منيته في شدة عندل الخليل بالليل
 لو عارض الشمس ألقى الشمس ظلمة أو زاحم الغيم أجاها الى الميل
 أو بارز الليل غطته قوادمه دون القوافي كمثل الليل بالليل
 أمضي من النجم ان نابته نائبة وعند أعدائه أجرى من السيل

ومن الجيد في هذا المعنى قول الآخر :

علم الفيت الندى حتى إذا ما حكاه علم البأس الأسد
 فله الفيت مقر بالندى وله الليث مقر بالجلد

وقد أنكر عبد الملك ما أنكره الأعرابي من تشبيه المدوح بالأسد والصخر
 والبحر فأخبرنا أبو أحمد قال أخبرنا أبو بكر أخبرنا عبد الأول بن مزيد - أحد
 بني أنف الناقة - عن ابن طائفة عن أبيه قال قال عبد الملك يوماً وقد اجتمع

الشعراء عنده : تشبهوننا بالأسد والأسد أبخر وبالبحر والبحر أجاج وبالجبل
والجبل أوعر ألا قلت كما قال أيمن بن خزيم في فائق في بني هاشم :
نهاركم مكابدةٌ وصومٌ وليدكم صلاةٌ واقتراءٌ
أجلكم وأقواماً سواءً وبينكم وبينهم الهواء
وهم أرض لا رجلكم وأنتم لا عينهم وأرؤسهم سماء
وهذا من قول أمية بن أبي الصلت ^(١) وهو أول من أتى به قوله في عبد الله
ابن جدعان ^(٢) :

أذكرُ حاجتي أم قد كفاني حياؤك ان شيمتك الحياءُ
كريم لا يُغيره صباحٌ عن الخلق الكريم ولا المساءُ
وأرضك أرض مكرمة بنتها بنو تميم وأنت لهم سماء
ونحوه قوله :

لكل قبيلة شرفٌ وعزٌّ وأنت الرأس يُقدم كل هادي
وتصرف فيه المحدثون فقال ابن الرومي ^(٣) :

قومٌ يحلون من مجد ومن شرفٍ ومن غناء محلّ البيض واليلب ^(٤)
حلوا محلّهما من كل ججمة نفعاً ورفعاً وإطلالاً على الرتب

(١) شاعر جاهلي ، ورد أن النبي ﷺ قال « كاد أن يُسلم في شعره » عاش
إلى أن أدرك وقعة بدر ورثي من مات بها من الكفار .

(٢) هو التيمى القرشي من أجواد الجاهلية ، أدرك النبي ﷺ قبل البعثة ،
يروى أنه كانت له جفنة يأكل منها القائم والراكب ، وقع فيها صبي ففرق .

(٣) واسمه علي بن العباس صاحب النظم العجيب ، كان شعره غير مرتب
فرتبه أبو بكر الصولي على الحروف ، والمطبوع هو مختصر ديوانه ، وكان سبب
موته أن الوزير أبا الحسن بن عبيد الله وزير المعتضد كان يخاف من هجوه فدرس
عليه ما كلاً مسموماً في مجلسه وذلك سنة ٢٨٣ (٤) أي السيوف والدروع .

قوم هم الرأس إذ حسادهم ذنب ومن يُمَثِّلُ بينَ الرأسِ والذَّنْبِ
ومنه قول الخطيئة :

قوم هم الأنف والأذنان غيرهم ومن يسوي بأنف الناقة الذنبا
وقال غيره : الناس أرض بكل أرض وأنت من فوقهم سماء
وقلت : أبشر فأنك رأس والعلاجسد والمجد وجه وأنت السمع والبصر
لولاك لم يك للأيام منقبة تسمو اليها ولا للدهر مفتخر

وأخبرنا أبو حامد قال أخبرنا أبو بكر باسناد ذكره عن الهيثم بن عدي قال
دخل الأخطل على عبد الملك بن مروان فقال يا أمير المؤمنين قد امتدحتك فاستمع
منى فقال ان كنت شبيهتني باللصقر والأسد فلا حاجة لي بمدحك وان كنت قلت
كما قالت أخت بني الشريد لأخيها صخر فهاه فقال الأخطل وما قالت يا أمير
المؤمنين قال هي التي تقول :

فما بلغت كفى امرئ متناول بها المجد إلا حيث ما نلت أطول
ولا تبلغ المهدون في القول مدحة ولو أطنبوا إلا الذي فيك أفضل
فقال الأخطل والله لقد أحسنت القول ولقد قلت فيك بيتين ما هما بدون
قولها قال هات فأنشد :

إذا مت مات العرف وانقطع الندى من الناس إلا في قليل مصرد^(١)
وردت أكف السائلين ولمسكوا من الدين والدنيا بخلاف مجد
وليس بحسن عندي أن يقال للسدوح إذا مت فان استماع ذلك مكروه وإن
كانت الشعراء قد استعملته في كثير من مقاماتها أنشدنا أبو أحمد عن ابن دريد :
إذا مت لم توصل بعرف قرابة ولم يبق في الدنيا رجاء لنايل
وهو من قول النابغة :

فان يهلك أبو قابوس يهلك ربيع الناس والشهر الحرام

وَيُمْسِكُ بَعْدَهُ بِذَنَابِ عَيْشٍ أَجَبَ الظَّهْرَ لَيْسَ لَهُ سَنَامٌ
وهذا أجود من الأول لأنه لم يخاطب به الممدوح ولو قيل لولا فلان لكان كذا
وكذا لكان كما قال علي بن جبلة ^(١) :

لولا أبو دلف لم تحي عارفةٌ ولم يتوثر مأمول بآمال
يا ابن الأكرام من عدنان قد علموا وتالدُ المجد بين العم والخال
وناقِلُ الناس من عدم إلى جِدة وصارفُ الدهر من حالٍ إلى حال
أنت الذي تُنزلُ الأيامَ منزِلَهَا وتُمْسِكُ الأرضَ عن خسف وزلزال
وما مَدَدْتَ مَدَى طرفٍ إلى أحدٍ إلا قضيتَ بآجال وآمال ^(٢)
تزور سخطاً تَمْسِي البيضَ راضيةً وتَسْتَهْلُ قَبْكَى أَوْجُهُ المَالِ

وأخبرنا أبو أحمد في كتاب الورقة عن ابن داود قال قال أبو هفان اجتمع
الشعراء بباب المعتصم فقدم لهم محمد بن عبد الملك الزيات فقال ان أمير المؤمنين
يقرأ عليكم السلام ويقول لكم من كان يحسن أن يقول مثل قول النمرى في الرشيد :
خليفةُ الله إنَّ الجودَ أوديةٌ أحلكَ الله منها حيثُ تجتمعُ ^(٣)
إن أخلفَ القطرُ لم يُخلفْ مخايله أو ضاقَ أمرٌ ذكرناه فَيَسْتَسِيعُ
فقال ابن وهب فينا من يقول مثله :

ثَلَاثَةٌ تَشْرُقُ الدُّنْيَا بِبَهْجَتِهَا تَمْسُ الضُّحَى وَأَبُو إِسْحَقَ وَالْقَمَرُ
تَحْكِي أَفَاعِيلَهُ فِي كُلِّ نَائِبَةٍ الْغَيْثُ وَاللَيْثُ وَالصَّمْصَامَةُ الذِّكْرُ

قال فأجازه وفضل ابن وهب . ولبعض الشعراء في المهلب :

أَمْسَى الْعِرَاقُ سَلِيماً لِأَنْ يَسَّ لَهُ إِلَّا الْمَهْلَبُ بَعْدَ اللَّهِ وَالْمَطَرُ

(١) هو العكوك أحد المبرزين في الشعر ، عامة شعره في مدح أبي دلف

العجلي ، كان أعمى ، قيل ان المأمون قتله لمبالغته في مدح أبي دلف سنة ٢١٣ .

(٢) في شذرات الذهب « إلاقضيت بأرزاق وآجال » .

(٣) سياتي هذا البيت بصدر « ان المكارم والمعروف أودية » .

هذا يجود ويحيى عن ذمارهم وذا تعيش به الأنعام والشجر
ومنه أخذ ابن وهب . وقلت في معناه :

لم تزل للورى ثلاث شمس وجهك المستضى والقمران
وقالوا أمدح بيت قالته العرب قول زهير^(١) :

تراه إذا ما جئته مُتهللاً كأنك تُعطيه الذي أنت سائله
وعاب بعضهم هذا البيت فقال جمل الممدوح فرحاً بعرض يناله وليس هذا شأن
الكبير الهمة ، والجيد قول أبي نوفل عمرو بن محمد الثقفي :

ولئن فرحت بما يُبذلُك إنه لما يُبذلُك من نداءه أفرح
ما زال يُعطى ناطقاً أو ساكتاً حتى ظننت أبا عقيل يمزح
فجعله يفرح بما ينيل . ومثله قول أبي تمام :

أسائل نصر لا تسله فانه أحن إلى الأرفاد منك إلى الرشد
وقال بعض الأعراب : ما زال فلان يعطينى حتى حسبت أنه يودعنى ، ونحو
ذلك أن الحجاج قال لآياس بن معاوية أى الناس أحب إليك ؟ قال من أعطانى
قال ثم من ؟ قال من أعطيته . وقال أبو السمع الطائى فى خلاف ما قال زهير :
فتى لا يرى سوق المهور غرابة ولا غاليات المال حلياً على نصر
فتى كان مكرماً لنفس كريمة مُهيناً لدنيا غير مأمونة القدر
وعندى أن بيت زهير أجود ما قيل من الشعر القديم ، ومن أبدع فى ذلك
البحترى فى قوله :

سلام وإن كان السلام تحية قوجهك دون الرد يكفى المسلما
ومن الجيد فى ذلك قول ابن الرومي :

(١) هو صاحب المعلقة المشهورة زهير بن أبى سلمى المضرى ، قال ابن
الأعرابي : كان زهير فى الشعر ما لم يكن لغيره : كان أبوه شاعراً وخاله شاعراً
وأخته سلمى شاعرة وإبنه كعب وبجير شاعرين وأخيه الخنساء شاعرة .

كأَنَّمَا القطرُ من ندى يده
وقول أبي الأسد :

ولأَجَّةٍ لَا مَتَكَ يَا فَيْضُ فِي النَّدَى
أَرَادَتْ لِتُنْثِيَ الْقَبْضَ عَنْ عَادَةِ النَّدَى
إِذَا مَا أَنَاهُ السَّائِلُونَ تَوَقَّعَتْ
لَهُ فِي بَنِي الْحَاجَاتِ أَيْدٍ كَأَنَّمَا
وقريب منه قول أبي تمام :

عَمِيدِي بِهِمْ تَسْتَنْيرُ الْأَرْضُ إِنْ زَلُّوا
وَيَضْحَكُ الدَّهْرُ مِنْهُمْ عَنْ غَطَارِقَةٍ
وقلت : إِذَا عَبَسَ الزَّمَانُ فَعَلَّ إِلَيْهِ
وقلت : كَأَنَّكَ فِي خَدِّ الزَّمَانِ تورد
فَنِّكَ يَكُمُّ مَمْدُوحًا يَنْظُمُ يَصُوغُهُ
وقال البحتري :

وَتَوَاضَعُ لَوْلَا التَّكْرُّمُ حَاقَهُ
وَقُتِّتَتْ جَمْعُ التَّقَى أَطْرَافَهَا
وَشَبِيهَةٌ فِيهَا النَّهْيُ فَإِذَا بَدَتْ
طَلَقُ الْيَدَيْنِ إِذَا تَفَرَّقَ مَالُهُ (٣)
جَذْلَانُ (٤) يَطْرَبُ لِسُؤَالِ كَأَنَّمَا
وقال ابن الرومي :

(١) كذلك في الديوان المطبوع ، وفي الأصل « ويدي أحاطهما بجماء السوداء ».

وهو تحريف (٢) في الأصل « التبس فهو » (٣) كذا في النسخ ، والذي في

الديوان المطبوع « خضل اليدين إذا تفرق في الندى » (٤) في الديوان

المطبوع « نشوان » مكان « جذلان ».

أغرَّ أبلج يكسو نفسه حُللاً من المحامد لا تبلى على الحقب
تلقاه من نهضة للمجد في صعد ومن تواضعه للحق في صلب
كأنه وهو مسئولٌ وممدَحٌ غناه إسحقُ والأوتار في صخب
يهترُّ عطفاه عند الحمد بسمعه من هزة المجد لامن هزة الطرب

وهذا الصراع من قول أبي تمام :

موكل ^(١) ييفاع الأرض يشرفه من خفة الخوف لامن خفة الطرب
وقلت : وقد يؤنسُ الزوار منك إذا التفتوا سخاء عليه للطلاقة شاهدٌ

وقلت زهير قول بعضهم فقال :

تراه إذا ماجتته متعباً كانك بالمنقاش تنفثُ شاربِه
وقد أحسن خطة في هذا المعنى أنشدناه أبو أحمد عنه :

قومٌ أحاول نيلهم فكأنني حاولت تنف الشعر من أنا فيهم
قم فاسقنيها بالكبير وغنني ذهب الذين يُعاش في أكنافهم
وقالوا أمدح بيت قائله العرب قول جرير ^(٢) :

أَلَسْتُ خَيْرَ مَنْ رَكَبَ الْمَطَايَا وَأَنْدَى الْعَالَمِينَ بَطُونَ رَاحٍ
وليس هذا الاستفهام للشك وفي القرآن الشريف (أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي
الْإِقْدَامِ) (أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ) (أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ)
وسئل بعض العرب عن أشعر الناس فقال جرير وذلك أن بيوت الشعر أربعة
المدح والهجاء والافتخار والغزل وفي كلها سبق جرير : قال في المديح :

أَلَسْتُ خَيْرَ مَنْ رَكَبَ الْمَطَايَا وَأَنْدَى الْعَالَمِينَ بَطُونِ رَاحٍ

(١) في الديولن المطبوع « موكلًا » . (٢) هو جرير بن عطية الخطمي ، قال
ابن خلكان أجمعوا على أنه ليس في شعراء الأسلام مثله ومثل الفرزدق والأخطل ،
وكن عمر بن عبد العزيز لا يأذن لأحد من الشعراء غير جرير ، ولما مات الفرزدق
بكى جرير وقال اني لا أعلم أني قليل البقاء بعده ، مات سنة ١١٠ وقد قارب المائة .

وقال في الهجاء :

فَفُضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ تُمِيمٍ فلا كُعبًا بَلغتَ ولا كِلابًا

وقال في الافتخار :

إِذَا غَضِبْتَ عَلَيْكَ بَنُو تَمِيمٍ حَسِبْتَ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ غَضَابَا

وقال في الغزل :

إِنَّ الْعَيُونَ الَّتِي فِي طَرْفِهَا حَوَرٌ قَتَلْنَا ثُمَّ لَمْ يُحْيَيْنَا قَتْلَانَا

يَصْرُ عَنْ ذَا اللَّبِّ حَتَّى لَا حَرَكَ بِهِ وَهَنْ أَوْعَفُ خَلْقِ اللَّهِ أَرْكَانَا

وقال التنوخي^(١) في هذا المعنى :

فَكَلِمَا أَزْدَادَتِ قُوَى أَجْفَانِهَا ضَعْفًا تَقْوِينَ عَلَى ضَعْفِ الْقَوَى

وأمثال هذا كثيرة نوردها فيما بعد ، ونقض بعضهم قوله :

* إِذَا غَضِبْتَ عَلَيْكَ بَنُو تَمِيمٍ * فقال :

لَقَدْ غَضِبْتَ عَلَيْكَ بَنُو تَمِيمٍ فَمَا نَكَاتَ بِيغْضَتِهَا ذُبَابَا

وقالوا امدح بيت قاله العرب قول حسان^(٢) :

يَفْشُونَ حَتَّى مَاتِهِمْ كَلَابُهُمْ لَا يَسْأَلُونَ عَنِ السَّوَادِ الْمَقْبَلِ

يقول قد أنست كلابهم بالزوار فهي لا تتبعهم وهم من شجاعتهم لا يسألون

(١) هو أبو القاسم علي بن محمد القاضي التنوخي ، له ديوان شعر ، منه

مقصوفة طارض بها الدريدية ، كما حكاها ابن خلكان وغيره .

(٢) هو حسان بن ثابت الانصارى شاعر النبي ﷺ قال أبو عبيدة : فضل

حسان الشعراء بثلاثة : كان شاعر الانصار في الجاهلية ، وشاعر النبي صلى الله

عليه وسلم في النبوة ، وشاعر اليمانيين في الاسلام ، مات عن مائة وعشرين سنة

مناصفة في الجاهلية والاسلام ، وكان لسانه يصل إلى جبهته ، ومن قوله مخاطباً

لأبي سفيان بن الحارث :

اتَّهَجَوْهُ وَلَسْتَ لَهُ بِكَفٍّ فَشَرَّكَ الْخَيْرَ كَمَا الْفِدَاءَ

عن جيش يقبل فحوم لقلّة أكثرائهم بهم ولثقتهم بيسالة أنفسهم وشدتهم على أعدائهم .
ومثله ما أنشد أبو تمام :

إذا استنجدوا لم يسألوا من دَعَاهُمْ لَأَيَّةِ حَرْبٍ أَوْلَايَ مَكَانٍ
وقال ابن هرمة ^(١) في أثر الكلب بالضيف :

وَمُسْتَبْنَحٌ تَسْتَكْشِطُ الرِّيحُ تَوْبَهُ لَيْسَقُطُ عَنْهُمْ وَهُوَ بِالثُّوبِ مَعْصَمٌ
عَوَى فِي سَوَادِ اللَّيْلِ بَعْدَ اعْتِسَافِهِ لِيَنْبَحَ كَلْبٌ أَوْ لِيَفْرَعَ نُومٌ
فَجَاوَبَهُ مُسْتَمِعُ الصَّوْتِ لِلْقَرَى لَهُ عِنْدَ أَقْيَانِ الْمُهَيِّينِ مَطْعَمٌ
يَكَادُ إِذَا مَا أَبْصَرَ الضَّيْفَ مُقْبِلًا يَكْلُمُهُ مِنْ حُبِّهِ وَهُوَ أَعْجَمٌ

وقال عمران بن عصام ، ويروى لنصيب :

لِعَبْدِ الْعَزِيزِ عَلَى قَوْمِهِ وَغَيْرِهِمْ مِثْنٌ غَامِرَةٌ
فَبَابُكَ الْإِنُّ أَبْوَابِهِمْ وَدَارُكَ مَاهُولَةٌ طَامِرَةٌ
وَكَلْبُكَ آآَسُ بِالْمُعْتَفِينَ مِنَ الْأُمِّ بَابَتِهَا الزَّائِرَةُ
وَكَفْتُكَ حِينَ تَرَى السَّائِلِينَ أُنْدَى مِنَ اللَّيْلَةِ الْمُطْمَرَةِ
فَمَكَ الْعَطَاءُ وَمَنْكَ الْبِنَاءُ لِكُلِّ مُخْبِرَةٍ سَائِرَةٍ

وقال الخطيئة في خلاف ذلك :

مَلَوْا قِرَاهُ وَهَرَّتْهُ كَلَابُهُمْ وَضُرَّ سَوْهُ بِأَنْيَابٍ وَأَضْرَاسُ

وقال بشار في قريب من المعنى الأول :

سَقَى اللَّهُ الْقَبَابَ وَتَلَّ عَيْدِي وَبِالشَّرْفَيْنِ أَيَّامَ الْقَبَابِ
وَأَيَّامٌ لَنَا قَصُرَتْ وَطَالَتْ عَلَى فِرْعَانَ نَائِمَةُ الْكَلَابِ
وقال آخر : وَمَا يَكُ فِيَّ مِنْ عَيْبٍ فَانِي جِبَانُ الْكَلْبِ مَهْزُولُ الْفَصِيلِ

معناه أن الكلب يضرب إذا نباح الضيف فهو جبان ويؤثر الضيف باللبن والفصيل

(١) هو إبراهيم بن علي الكناني القرشي سكن المدينة ورحل الى دمشق

ومدح الوليد الاموي .

مهزول . وقالوا أمدح بيت قالته العرب قول النابغة الجعدي :
 فتى تم فيه مايسرُ صديقه على أن فيه مايسوءُ الاعاديا
 وهذا غاية المدح لأن الرجل إذا قدر على النفع والضرر فقد كل ، ولهذا
 قيل في البرامكة :

عند الملوك مضره ومنافع وأرى البرامك لا تضرُ وتنفعُ
 لا يعرف أهجاءم أم مدحهم لأنه إذا نفي عنهم أن يضر وافقد قصرهم ، وقد قيل :
 إذا أنت لم تنفع فضرر فأنما يُراد الفتى كما يضرُ وينفع
 وقد تداول الناس معنى النابغة فقال بعضهم وهو من أحسن ما يروى عنه :
 متى تهز بنى قطن تجدهم سيوفاً في عواتقهم سيوف
 جلوس في مجالسهم رزان وإن ضيف ألم فهم وقوف
 إذا نزلوا حسبهم بدوراً وإن ركبوا فاتهم حتوف
 وقال آخر : فذلل أعناق الصعاب بيأسه وأعناق طلاب الندى بالقواضل
 فما انقبضت كفاه إلا بصارم ولا انبسطت كفاه إلا بنائل
 وقال محمد بن بشر الأزدى :

فتى وقف الأيام بالعتب والرضا على بذل مال أو على حد منصل
 وما إن له من نظرة ليس تحتها غمامة غيث أو ضبابه قصطل
 وقال آخر : فتى دهره شطران فيما ينوبه فنى بأسه شطر وفي جوده شطر
 فلامن بغاة الخير في عينه قذى ولا من زئير الأسد في أذنه وقر

وقد أحسن البحترى في هذا المعنى وهو قوله :

هو العارضُ الثجاجُ أخضل جوده وطارت حواشى برقه فتلبها
 إذا ماتلظى في غي أضعق العدى وإن فاض في أكرم (١) غمر الربا
 رزين إذا ما القوم خفت حلومهم وقور إذا ما حادث الدهر أجلبا

(١) في الديوان المطبوع « خاض في أكرم »

حياتك أن يلقاك بالجود راضيا وموتك أن يلقاك بالبأس مفضيا
 حرون إذا طاززته في مله فان جئته من جانب الذل أصحبا
 إذا هم لم يقعد به المعجز مقعداً وان كف لم يذهب به الحزن مذهبا^(١)
 وقال الأسدي في نفي الخبر والشر عن المذكور وهو من أشد الهجاء وأدله
 على الخول :

فحسبك في القوم أن يعلموا بأنك فيهم غنى مضر
 وأنت لميح كلحم الحوار فلا أنت حلوه ولا أنت مر
 وقال غيره : شيخ من بني الجارو د لاخير ولا شر
 وقال آخر : ولقد نزلت على زياد مرة فظننته شيخاً يضر وينفع
 فاذا زياد في الدبار كأنه مشط يقبله خصي أصلع

وقد أحسن البحتری في المعنى الأول وهو قوله :

هو الملك الموهوب للبأس والتقى^(٢) فله تقواه والمجد سائره
 له البأس يخشى والسماحة ترتجى فلا النيث ثانيه ولا الليث طائره

كأنه من قول منصور وهو من المعنى الذي نحن فيه :

هو الملك المملوك للمجد والتقى وصولته لا استطاع خطارها
 لقد نشأت للشام منك سحابة يؤمل جدواها ويخشى زمارها
 فطوبى لأهل الشام أم ويل أمها أتاها حياها أم أتاها بوارها
 فان سلموا كانت غمامة نعمة وخير وإلا فالدماء قطارها
 أبوك أبو الأملاك يحيى بن خالد أخو الجود والنعمى الباب صغارها
 وكائن ترى في البرمكيين من به ومن سابقات لا يشق غبارها

(١) في الأصل : إذا كف لم يقعد به المعجز مقعداً وان هم لم يذهب به الهم مذهبا

والتصحيح من الديوان المطبوع .

(٢) في الديوان المطبوع « هو الملك الموهوب للدين والعلا » .

طبيب^١ بأخبار الأمور إذا التوت من الدهر أعناق^٢ فأنت قصارها
وبعد بيت النابغة الجعدي^(١) قوله :

فتى كملت أخلاقه غير أنه جواد^٣ فما يبق من المسال باقيا
أشم طوال الساعدين شمر دل^(٢) إذا لم يرح للمجد أصبح غاديا
أخبرنا أبو أحمد أخبرنا محمد بن علي الأجرى ببغداد حدثنا أبو العيناء قال قال
الأصمعي أنشدت الرشيد أبيات النابغة الجعدي حتى انتهت إلى قوله :
أشم طوال الساعدين شمر دل إذا لم يرح للمجد أصبح غاديا
فقال الرشيد ويله ولم لم يروحه للمجد ألا قال * إذا راح المعروف أصبح غاديا *
فقلت وأنت والله يا أمير المؤمنين أعلم منه بالشعر ، وكان الرشيد جيد المعرفة ثاقب
الفتنة ، قال لأبي نواس لم وثب بك أهل مصر قال لقولي :
فان يك باقي أفك فرعون فيكم^٤ فان عصا موسى بكف^٥ خصيب
قال فوثبوا بي وأرادوا قتلي وقالوا جعلت معجزة موسى لخصيب فقال له الرشيد
ألا قلت :

فان كن باقي أفك فرعون فيكم فباقي عصا موسى بكف^٦ خصيب
فيكون شعرك أحسن ويكون سالماً من التبعة فقال والله يا أمير
المؤمنين إنك لا تشعر مني وإني لم أفطن لذلك ، وأنشده العمانى الراجز في
صفة الفرس :

كأن^٧ أذنيه إذا تشوفاً قادمة أو قلماً محرفاً
فقال له الرشيد دع « كأن » وقل « تخال » حتى يستوى شعرك ، وكان قد لحن العمانى

(١) لقب بالنابغة لأنه لبث ثلاثين سنة لا يقول الشعر ثم نبغ فقال ، وكان
من هجر الاوثان ونهى عن الخمر قبل الاسلام ، وفد على النبي ﷺ فأسلم ، مات في
منتصف القرن الاول الهجرى وقد جاوز المائة .

(٢) الشمر دل : الفتى السريع من الابل ، وغيره الحسن الخلق . كما في القاموس .

ولم يعرف ولم يظن له أهل المجلس حتى قال له الرشيد ذلك فتمجبوا من علمه وفطنته .
وقالوا أمدح بيت قائته العرب قول حسان :

بيض الوجوه كريمةٌ أحسابهم شم الأنوفِ من الطراز الأولِ
يفشونَ حتى ماتهُرُّ كلابُهم لا يسألون عن السوادِ المقبلِ
وقبله : لله در عصابة نادمتهم يوماً بجلقٍ في الزمانِ الأولِ
أولاد جفنةٍ حولَ قبرايبهم قبر ابن ماريةَ الكريمِ المفضلِ
ثم قال : فلبثتُ أزماناً طويلاً فيهم ثم ادكرتُ كأنني لم أفعلِ
وفتي يحب المجدَ يجمل ماله من دون والده وإن لم يسألِ

قوله « بيض الوجوه » معناه مشهورون بيهاء ولم يعن بهم البياض وقد تضمن هذا اللفظ معنى البأس والجدود وغيرها من خلال الخير لأن الانسان لا يكون نبياً مشهوراً حتى يقال عنه أبيض الوجه وأغر ووضاح إلا إذا جمعها وما يجري معها قال الراجز : * فهن يحملن فتى وضاحاً * وقال أبو طالب في النبي ﷺ :
وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمالُ اليتامى عصمةٌ للأرامل^(١)
وقال السموءل : وأيا من مشهورة في عدونا لها غررٌ معروفةٌ وحجولُ
أراد بالغة والحجول الشهرة . وقلب بعض أهل البصرة قول حسان :

* بيض الوجوه كريمة أحسابهم * فقال :
سودُ الوجوه لثيمةٌ أحسابهم فطسُ الأنوفِ من الطراز الآخرِ
كما قلب بعضهم بيت أبي نواس :

ياقمرأ أبصرت في ماتم يندب شجواً بين أترابِ
ييكى فيندرى الدر من نرجس ويلطم الوجه^(٢) بعنابِ
فقال : وأعور أبصرت في ماتم يندبُ شجواً بتخاليطِ

(١) من لاميته المشهورة في مدح ابن أخيه النبي ﷺ والدفاع عنه .

(٢) في نسخة « الورد » مكان « الوجه » :

يسكى فينرى البعر من كوة ويلطم الشوك يسلوط
وأخذ حسان قوله * ثم ادكرت كأننى لم أفعل * من قول أبى كبير :
فأذن . وذلك ليس إلا حينه وإذا مضى شئ كأن لم يفعل
وقال ابن شبرمة أمدج ما قالت العرب قول الخطيئة :

أولئك قوم أن بنوا أحسنوا البنا وإن عاهدوا وفعوا وإن عقدوا شدوا
وإن كانت النماء فيهم جزوا بها وإن أنعموا لا كدروها ولا كدوا
أقلوا عليهم لا أبأ لا ييكم من اللوم لو سدوا المكان الذى سدوا
ويعدلنى أبناء سعد عليهم وما قلت إلا بالذى علمت سعد
يسوسون أحلاماً بعيداً أناتها وإن غضبوا جاء الحفيظة والحد
ولعمري إن معانى هذه الأبيات أبكار ليس للعرب مثلها وكل من تناولها فأنما
استعارها من الخطيئة وهي جامعة لخصال المدح كلها ، وقوله * جاء الحفيظة والحد *
- وروى الجدد - ولحد من قولك حد السيف وحد السنان ، والجدد خلاف
الهرل والمختار الحد بالحاء . يقول الخطيئة فى بنى لأمى بن شماس من قريع ، وكان
الزبرقان بن بدر لقى الخطيئة فى سفر فقال من أنت فقال أنا حسب موضع أبو مليكة
فقال له الزبرقان أنى أريد وجهاً فصر إلى منزلى وكن هناك حتى أرجع فصار الخطيئة
إلى امرأة الزبرقان فأنزلته وأكرمه فحسده بنو عمه وهم بنو لأمى فهدسوا إلى الخطيئة
وقالوا له إن تحولت إلينا أعطيناك مائة ناقة ونشد إلى كل طنب من أطناب بيتك
حيلة محبرة وقالوا لامرأة الزبرقان إن الزبرقان إنما قدم هذا الشيخ ليتزوج بنته
فقدح ذلك فى نفسها فلما أراد القوم النجعة تخلف الخطيئة وتغافلت امرأة الزبرقان
عنه فاحتمله القريعيون ووفوا له بما قالوا فأخذ فى مدحهم وهجا الزبرقان فقال :

أزمتُ ياساً مبيناً من نوالكم ولا ترى طارداً للحر كالإياس
دع المسكرم لا ترحل لبغيتها واقعد فانك أنت الطاعم الكاسى
من يفعل الخير لا يعدم جوازيه لا يذهب العرف بين الله والناس

فاستعدى الزبرقان عليه فحكم عمر حسان فقال حسان ما هجاء ولكن سلع
عليه ثم حبس عمر الخطيئة فقال يستعطفه :

ماذا تقول لأفراخ بنى مرخ حمر الحواصل^(١) لأماء ولا شجر
ألقيت كاسبهم في قعر مظلمة فاغفر عليك سلام الله يا عمر
ما أثروك بها إذ قدموك لها لكن لأنفسهم كانت بك الأثر
فأخرجه عمر وأجلسه على كرسي وأخذ شفرة وأوهه أنه يريد قطع لسانه
فضج وقال أنى والله يا أمير المؤمنين قد هجوت أمي وأبي ونفسي فتبسم عمر وقال
مالذي قلت قال قلت لأبي وأمي :

ولقد رأيتك في النساء فسؤتني وأبا بنيك فساءني في المجلس
وقلت لأبي خاصة :

فبئس الشيخ أنت لدى نعيم وبئس الشيخ أنت لدى المعالي
وقلت لأمي خاصة :

تنحى فاجلسى منى بعيداً أراح الله منك العالمينا
أغربالاً إذا استودعت سرّاً وكانوا على المتحدثينا
وقلت لامراتى خاصة :

أطوف ما طوف ثم آوى الى بيت قعيدته لسكاع
وقلت لنفسي :

أبت شفتاي اليوم إلا تكلاماً بسوء فلا أدري لمن أنا قائلة
أرى لى وجهاً قبح^(٢) الله خلقه فقبح من وجهه وقبح حامله
وقد هجا أيضاً من أحسن اليه فقال :

منحت ولم تبخل ولم تمط طائلاً فسيان لا ذم عليك ولا حمد
ثم خلى سبيله عمر وأخذ عليه ألا يهجو أحداً وجعل له ثلاثة آلاف درهم

(١) وفي رواية « زغب الحواصل » . (٢) في رواية « شوه الله » .

اشترى بها من أعراض المسلمين فقال يذكر نهيه إياه عن الهجاء ويتأسف :
 وأخذتَ اطرار الكلام فلم تدع شتاً يضرُّ ولا مديحاً ينفع
 ومنعتني عرضَ البخل فلم يخف شتئى وأصبح آمناً لا يجزع
 وكان الخطيئة يذم البخل كما ترى وهو ^(١) أنجل الناس اعترضه رجل وهو
 يرعى غنماً له فقال له ياراعى الغنم وكان بيد الخطيئة عصاً يزجر بها الغنم فرفعها وقال
 عجاء من سلم فقال الرجل انما أنا ضيف فقال : للأضياف أعددتها فتمثلت به العرب
 وقالوا أنجل من الخطيئة ، وكان أحد الحمقى أوصى عند موته بأن يحمل على حمار
 وقال لعلى ان حملت عليه لا أموت فأنى مارأيت كريماً مات عليه قط وقال :
 لكل جديد لذةٌ غيرَ أننى رأيتُ جديدَ الموتِ غيرَ لذيد
 وقيل له اوص فقال أوصى ان مالى للذكور دون الاناث قالوا فان الله لا يقوله
 قال لكنى أقوله ، وقالوا له قل لا إله إلا الله قال أشهد أن الشياخ أشعر غطفان .
 وأخذ قوله : * أغربالا إذا استودعت سرا* من قول كعب بن زهير حيث يقول :
 ولا تَمسكُ بالعمدِ الذى عهدتُ إلا كما يمسك الماء الغرايلُ
 أخبرنا أبو أحمد عن الصولى عن أبي خليفة عن دماذا عن أبي على القداح
 وعباد بن سليم الحضرمى قال أنشد الخطيئة عمر :

مهريس يروى رسلها صيف أهلها إذا النار أبدت أوجه الحضرات
 عظام مقيل الهام غلب رقابها تبا كرورد الماء فى السبرات
 يزبل القتاد جذبها عن أصوله إذا ما غدت مقورة ^(٢) خرصات
 وكان هجا قومه فلما بلغ إلى قوله :

فان يصطنعنى الله لا أصطنعكم ولا أعطكم مالى على العثرات
 لستم دفرٌ مثل التيوس ونسوةٌ مماجين ^(٣) مثل الآتن الثعرات

(١) فى نسخة « وكان » بدل « وهو » . (٢) فى الأصل « مقورة » .

(٣) فى الأصل « لماجر » وفى ديوان الخطيئة « مماجين » .

قال عمر بن الخطاب أنت تمدح إبلتك وتهجو قومك فخرج وقال :
 رأيت ابن خطاب تجاهل بعدما رأيت له عقلاً وما كان جاهلاً
 ألا قد علمنا أن ما قال هكذا ومن قال حقاً غير ما قال باطلاً
 وقالوا أمدح أبيات قيلت ما أنشدناه أبو أحمد عن مهلهل بن يموت عن أبيه عن الجاحظ :
 اختر فناء^(١) بني عمرو فانهم أولو فضول وأقدار وأخطار
 إن يسألوا الخير يعطوه وإن جهلوا فالجهد يخرج منهم طيب أخبار
 وإن توددتهم لانوا وإن شتموا كشفت أذمار سر غير أسرار^(٢)
 هينون لينون أيسار ذوو يسر أبناء مكرمة أبناء إيسار
 من تلق منهم نفل لا قيت سيدهم مثل النجوم التي يسرى بها السارى
 وهى على الحقيقة أمدح أبيات قيلت . وقالوا أمدح بيت قيل قول الخنساء فى أخيها :
 أغر أبلج تأتم الهداة به كأنه علم فى رأسه نار
 أخبرنا أبو أحمد حدثنا الأنبارى عن ابن عكرمة الضبي أخبرنا أبو دطامة
 عن صالح بن محمد بن المسيب قال سمعت المفضل الضبي يقول أتانى رسول المهدي
 فقال أجب فها إلى ذلك فضيت معه حتى دخلت وعنده على بن يقطين وعمر بن
 بزيع والمعلّى مولاه فسلمت فرد وقال اجلس فجلست فقال أخبرني بأمدح بيت
 قالته العرب فتحيرت ثم جرى على لساني قول الخنساء :

وإن صخرًا لمولانا وسيدنا وإن صخرًا إذا يشتو لنحار
 أغر أبلج تأتم الهداة به كأنه علم فى رأسه نار
 فقال أخبرت هؤلاء فأبوا على قللت يأمر المؤمنين كنت أحق بالصواب
 فقال يا مفضل أسهرتني أبيات ابن مطير الأسدي :

وقد تغدر الدنيا فيضحي غنيها فقيراً ويفنى بعد بؤس فقيرها

(١) فى النسخ « فناء » مكان « فناء » . (٢) بعض المعجز غير موجود
 هنا فاستدر كناه مما سبق حيث ذكرت هذه الأبيات باختلاف يسير عما هنا .

وكم قد رأينا من تسكدر عيشه وأخرى صفا بعد اكدرار غدیرها
 فلا تقرب الامر الحرام فانه حلاوتها تقى ويبقى مريرها
 ثم قال حدثني يا مفضل فقلت أى الأحاديث يشتهى أمير المؤمنين قال أحاديث
 الاعراب فحدثته حتى كاد النهار ينتصف فقال كيف حالك فقلت كيف حال رجل
 مأخوذ بمشرة آلاف درهم فقال يا عمر بن بزيع أعطه عشرة آلاف درهم لقضاء دينه
 وعشرة آلاف درهم لنفقة عياله فانصرفت بها . وكانوا يقولون قاتل الله الخنساء
 مارضيت ان جعلت أباها جبلاً حتى جعلت فى رأسه ناراً فبالغت أشد المبالغة .
 واعترض ابن الرومي قولها فقال :

هذا أبو الصقر فرداً فى مكارمه من نسل شيبان بين الطلح والسلام
 كأنه الشمس فى البرج المنيف به على البرية لا ناراً على علم
 وتبعته فقلت :

خير الأورى لخيار الناس كلهم وشهرم لشرار الناس سوار
 منبه الذكر معروف طرائقه كالشمس لا علم فى رأسه نار
 ومن جيد ما قيل فى النباهة قول الأول أنشده أبو تمام :

إني إذا خفي الرجال وجدتي وقال بشار : أنا المرء لا أخفي على أحد
 وقلت : أنا أمل أن تنال ندى كريم نداء أول والغيث ثانی
 ويجرى والحجرة فى عنان فلا يخفى على ناء ودان
 تصور فى القلوب فليس يئى على نأى المحلة والمكان
 إذا عبس الزمان فل اليه تجده البشر فى وجه الزمان
 وقلت : تريدون أن أخشى وأخضع للأذى وجار ابن عيسى كيف يخشى ويخضع
 فتى بأسه كالدهر مأمن ملجأ ولا فيه إقصاء ولا عنه مرجع
 أغر شهرته فى البلاد كأنما به البدر يعلو أوسنى الصبح بسطع

ومثله قول القاسم بن حنبل رحمه الله تعالى :

من البيض الوجوه بنى سنان لو انك تستضيء بهم أضوا
لهم شمسُ النهار إذا استقلت ونور لا يفنيه العماء
هم حلوا من الشرفِ المعلى ومن حسب العشرة حيث شاؤا
فلو أن السماء دنت لمجد ومكرمة دنت لهم السماء
وقالوا أمدح بيت قائته العرب قول الخطيئة :

متى تأته تَعشُو الى ضوءِ ناره تجد خيرَ نار عندها خيرُ موقد
وقالوا أمدح المدح ما يكون بالفضل وهو أن يقول فلان خير من فلان وفلان
أكرم من فلان ، ومن أجود ما جاء في ذلك قول أبي تمام :

كم من وساع الخطو في طلب الندى لما جرى وجريت كنت قطوفا (١)
أحسنتما صفدى ولكن كنت لي مثل الربيع حيا وكان خريفا
وكلاهما اقتعد العلاء فركبتها في الذروة العليا وكان (٢) رديفا
وقال : كواكبُ مجدٍ يعلمُ المجدُ أنها إذا طلعتْ بأتْ بصفر كواكبها
وقال ابن الرومي :

تلوح في دولة الأيام دولتهم كأنها ميلة الاسلام في الملل
وقلت: نصرت على الاعداء فليهنك النصر ودانت لك الدنيا وذَلَّ لك الدهرُ
فأنت كاقبال الشبيبة والصبا تطيبُ بك الدنيا وينعمرُ العمرُ
وليس كرامُ الناس إلا كواكبا على صفحتي ليل وأنت لهم بدرُ
وفي الناس أجوادٌ كثيرٌ وإنما أولئك أمماد وأنت لهم بحرُ
فان أظلم الأحداث واسودَّ ليلها فهم شفقٌ فيها وأنت بها فجرُ

(١) في ديوان أبي تمام المطبوع :

كم من وساع الجود عندى والندى لما جرى وجريت كان قطوفا
(٢) في الديوان «وجاء» مكان «وكان» .

أبا قاسم فخرًا على المجد والملا فان الملا روض^ه وأنت به زهر
غدت أرضنا منكم سماء مظلة^ة لها أنجم^ه من زهر أخلاقكم زهر^ه
وبعد بيت الخطيئة :

وأنت امرؤ^ه من تعطه اليوم نائلًا بكفيك لم يمنعك من نائل الغد
ترى الجود لا يدنى من المرء حتفه كما البخل للانسان ليس بمخلد
ومثله قول ليلي الاخيلية في توبة (١) :

فلا يبعدنك الله ياتوب إنها لقاء المنايا دارعًا مثل حامر
فنعم فتى الدنيا وان كان فاجرًا وفوق الفتى ان كان ليس بفاجر
فتى كان أحياء من فتاة خريدة وأشجع من ليث بخفاق خادر
فتى ينهل الحاجات ثم يُعلها فيظلمها عنه ثنايا المصادر
يقول لا يمنعه قضاء الحاجة الاولى عن قضاء الأخرى كما قال الآخر :
وأرضع^ه حاجة^ه بلبان^ه أخرى كذاك الحاج^ه ترضع^ه باللبان
يقول فبرفعها المشنون عليه حتى كأنها ثنية رجع :
فأقسم^ه أبكى بعد توبة هالكًا وأفعل من نالت مصروف^ه المقادر
وكان بيت الأعشى :

تشب^ه لمقرورين بصطليانها وبات على النار الندى والمخلق^ه
يستحسن حتى قال الخطيئة * متى تأتته تعشوا إلى ضوء ناره * على أن قول الأعشى
* وبات على النار الندى والمخلق * من أجود الكلام وأبلغه ، والمخلق المدوح ،
ومثله قول حماس بن مائل :

فقلت^ه له أقبل فانك^ه راشد^ه وإن^ه على النار الندى وابن مائل
وأخبرنا أبو أحمد أخبرنا أبو الحسن الأخفش أخبرنا ثعلب قال اجتمعنا

(١) كانت ليلي الاخيلية شاعرة فصيحة ذكية ، تعد في الشعر بمدائح النساء .

وتوبة هو ابن الخير العقيلي من شعراء العرب المشهورين .

عند أحمد بن إبراهيم فأنشد رجل :

أمر مالك قاصر^١ فقره على نفسه ومشيح^٢ غناه
فقال أحمد قد جاء مثل هذا كثيراً فأنشد :

فتى إذا عدت تميم معاً سادتها عدوه بالخنصر
ألْبسه الله ثيابَ العِلا فلم تَطل عنه ولم تقصر
فقال أحمد وقد جاء مثل هذا فأنشد الرجل :

أعدد ثلاثَ خلالٍ قد عُرفنَ له هل سب من أحد أو سُبَّ أو بخلًا
فقال أحمد وقد جاء مثل هذا ففاظني فقلت هات فقال نعم المدح الغريب
الذي لم يؤت مثله :

لله درُّ أبي المغيث فانه حسنُ الفعلِ ضعيفُ خبطِ الدرهم
وقريب من هذا قول أبي البحتري * حتى توهمناه مخروق اليد * وفي خلاف قوله
* فلم تَطل عنه ولم تقصر * قول ابن الرومي :

مدحتُ سليمانَ المقلبَ مدحةً تجاوزَ حدَّ الحسنِ لو كان يشكرُ
فعمى عنها ناظرَاهُ كأنما بعوراءٍ عيني جده كان ينظر
سبقت عليه حلية ليس عيبها سوى أنها ظلت تطول وتقصّر
يهجو سليمان بن عبد الله بن طاهر .

وسمعت عم أبي يقول أمدح شيء قيل قول الأول :

قوم سنان أبوهم^(١) حينَ تنسبهم طابوا وطابَ من الأولاد ما ولدوا
لو كان يقعدُ فوقَ الشمسِ من كرمٍ قومٌ بعزهم أو مجدهم قعدوا
محسدونَ على ما كانَ من نعمٍ لا ينزعُ اللهُ عنهم ماله حسدوا
فأخذ جماعة قوله * محسدون على ما كان من نعم * فصرفوه فيه وحده .

ومنها قول أبي تمام :

(١) في بلوغ الأرب « أبوهم سنان » .

لولا التخوفُ للعواقبِ لم يزل
لولا اشتعالُ النارِ فيما جاورتُ
للحاسدِ النعمى على المحسود
ما كان يُعرفُ طيبُ عرفِ العود
وقال البحتري :

ولن يستبين الدهر موضع نعمة
وقال : محسدون كأن المسكراتِ أبت
إذا أنت لم تدل عليها بحاسد
أن توجد الدهر إلا عند محسود
وقال غيره : محسدون وشرُّ الناس منزلةً
من عاش في الناس يوماً غير محسود
وصحته يقول من أوائل المدح الجيد الذي لا نظير له قول أمية بن أبي الصلت في
عبد الله بن جدهان ^(١) :

عطاؤك زينٌ لا مريءٍ أن حبوته
وليس بشينٍ لا مريءٍ بذلٌ وجهه
يبذل ^(٢) وما كلُّ العطاء يزينُ
إليك كما بعضُ السؤال يشين
وقال زهير :

من يلق يوماً على عِلاتِه هَرَمًا
لو نال حىً من الدنيا بمكرمة ^(٣)
يلق الساحة منه والندى خلقة
أفق السماء لتالت كفه الاقفا
قد جعل المبتغون الخير في هَرَمٍ
والسائلون إلى أبوابه طرقا
وروى بعض الرواة للناطقة وروى لسعيد :

والله والله لنعمَ الفتى إلا عرجُ لا النكس ^(٤) ولا الخامل
الحاربُ الوافرُ والجابر السمحروب والمرجل والجمال ^(٥)
والطاعنُ الطمئة يومَ الوغى ينهل منها الاسلُ الناهل

(١) تقدم أنه كان من الأجواد . (٢) كذا في ديوانه المطبوع ، وفي

النسخ « بشيب » . (٣) وفي رواية « بمنزلة » .

(٤) النكس : الضعيف . (٥) في الأصل « المرحل والحامل » بمهمات .

والقائل القول الذي مثله
والغافر الذنب لأهل الحجا
وقال بعض الاسلاميين وأحسن :

خُلقتُ أنا ملةً لقايمٍ مُرهَفٍ
يلقى الرماحَ بوجهٍ ويصلده
ويقول للطرفِ اضطبر لشبا القنا
واذا تأملَ شخصَ ضيفٍ مُقبلٍ
أوما إلى الكرماءِ هذا طارقٌ
وَسَمِعْتُ الشَّيْخَ أَبَا أَحْمَدَ يَقُولُ أَمْدَحُ شَيْءًا قَالَهُ مُحَمَّدٌ قَوْلَ مَرْوَانَ بْنِ أَبِي

حفصة ^(٢) في معن بن زائدة الشيباني ^(٣) :

بنو مطرٍ يومَ اللقاء كأنهم
هم المانعونَ الجارَ حتى كأنما
بهاليلٌ في الاسلام سادرا ولم يكن
هم القومُ ان قالوا أصابوا وان دُعوا
ثلاثٌ بأمثال الجبال حياءهم
ولا يَستطيعُ الفاعلونَ فعالمهم
أسودٌ لها في غيل خفان أشبلُ
لجارهم بين السماكين منزلُ
كأوهم في الجاهلية أول
أجابوا وان أعطوا أطابوا وأجزلوا
وأحلامهم منها لدى الوزن أثقلُ
وإن أحسنوا في الثائبات وأجلوا

ثم أخبرنا المفجع أخبرنا أبو العباس محمد بن يزيد قال بلغني أن يحيى بن خالد
البرمكي قال لشراحيل بن معن بن زائدة أي شعر قاله ابن أبي حفصة في أبيك
أشعر قال قوله :

(١) مرع الوادي مثله الرأ مراعة : أكلاء ، والمرع : الخصيب - القاموس .

(٢) هو الشاعر اليمامي الذي أعطاه الرشيد سبعين ألف درهم لما مدحه بقصيدته

السبعين التي مطلعها * إليك قصرنا النصف من صلواتنا *

(٣) هو الأمير البطل الجواد المشهور .

نعم المناخُ لراغبٍ أوراها
معن بن زائدة الذي زيدت به
مطر أبوك أبو الاهلة والذي
نفسى فداء أبي الوليد إذا علا
فقال يحيى أنت لا تعلم ما قيل في أيك أين أنت عن قوله :

بنو مطر يوم اللقاء كأنهم
أسودُّ لها في غيل خفان اشبل
وأنشد الأبيات المتقدمة وزاد :

تشابه يوماء علينا فأشكلا
أيوم نداه الغمر أم يوم بأسه
وما منهما إلا أغرُّ محجل

وأخبرنا قال أخبرنا محمد بن يحيى بن علي عن أبيه عن اسحق الموصلي أخبرنا
أبو يوسف القاضي - وكان عديل الرشيد في طريق الحج - قال اعترضه اعرابي فأنشد
أبيات فزبره ^(١) وقال ألم أنحكم عن قول مثل هذا الشعر ألم أقل لكم امدحوني
بمثل قول القائل بنو مطر يوم اللقاء كأنهم وذكر الأبيات المتقدمة ، قال أبو
يوسف فقلت له فيمن قلت ؟ قال في أب هذا الشاب الذي يسير في ظل القبة
فقلت للشاب من أنت فقال شراحيل بن معن بن زائدة قال اسحق فسمعت
شراحيل يقول : ذلك اليوم آثر عندي من الدنيا بخذا فبرها .

وأنشد بعض أهل الأدب قول ابن أبي طاهر ^(٢) وقال لو استعمل الانصاف
لكان هذا أحسن مدح قاله متقدم ومتأخر :

إذا أبو أحمد جادت لنا يده لم يُحمد الاجودان البحر والمطر
وإن أضاءت لنا أنوار غرته تضاءل لليران الشمس والقمر
وإن مضى رأيه أو حذو غرته تأخر الماضيان السيف والقدر

(١) الزبر : الانتهاز والمنع والتهني . (٢) هو أحمد بن أبي طاهر ، قال هذا

الشعر في عبيد الله بن عبد الله بن طاهر على مافي جنى الجنتين في تمييز نوعى المثنيين للمحبي .

من لم يكن حذراً من حدّ صوته لم يدرك المزعجان الخوف والحذر
 حلوا إذا أنت لم تبعث مرارته فان أمرّ فخلو عنه الصبر
 سهل الخلاق إلا أنه خشن كين المهزة إلا أنه حجير
 لاحية ذكر في مثل صوته ان صال يوماً ولا الصمصامة الذكر
 إذا الرجال طغت أراؤهم وعموا بالأمر ردّ إليه الرأي والنظر
 الجود منه عيان لا ارتياب به إذ جود كل جواد عنده خبر

ومن المديح القليل النظير قول علي بن محمد بن الأفره :

أوفوا من المجد والعملاء في قلل شيم قواعدهنّ البأس والجود
 سبط اللقاء إذا شمت مخائيلهم بسل اللقاء إذا صيد الصناديد
 محسدون ومن يعلق بجبلهم من البرية يصبح وهو محسود
 وقال الفرزدق وهو أجود ما قيل في الجود عوداً على بدء :

له راحة يضاء يندى بنانها قليل إذا اعتل البخیل اعتلاها
 جواد إذا أعطتك يوماً يمينه وعت غداً عادت عليك شمالها

ونحوه قول الأعرابي في عبد الملك :

ولقد ضربنا في البلاد فلم نجد أحداً سواك إلى المكازم ينسب
 فاصبر لعادتنا التي عودتنا أولاً فأرشدنا إلى من نذهب

وقول الآخر وهو من أجود ما قيل في حمد الرجل مكانه من قومه :

رأيتكم بقية حبّ قيس وهضبتة التي فوق الهضاب
 تبارون الرياح إذا تبارت وتمثلون أفعال السحاب
 يذكركم مقامي في ذراكم مقامي أمس في ظل الشباب

ومن عادة الناس أن يتكروها ما هم فيه من العيش وما هم عليه من الأحوال ،
 وقد حمد هذا حاله معهم وعيشه فيهم حتى شبهه بعيشه في ظل الشباب وهو من
 أجود ما قيل في هذا المعنى .

وقالوا أمدح بيت قاله محدث قول علي بن جبلة المعروف بالمكوك في أبي دلف :

إنما الدنيا أبو دلف بين مبداه ومحتضره

فاذا ولي أبو دلف وولت الدنيا على أثره

قال بعض من حضر : لا يجوز أن يكون مثل هذا الشعر لهذا ، وإنما ازدراء
لدمامته وعمسه فقال له أبو دلف أما تسمع ما يقول الناس فيك ان الشعر لغيرك لأن
ألفاظه ألفاظ كاتب متأدب قال الامتحان يزيل الظنة غنى وما أظلم من استبرأ
فكيف رأى الأمير في الامتحان قال نعطيك صدوراً لتردفاً بأعجاز قال ما اشتطت
ولا كلفت إلا الذي من نكب عنه حق عليه القول فدماء أبو دلف بدؤاة وقرطاس وكتب :

ريعت لمنشور على مفرقه ذم له عهد الصبا حين انتسب

اهدام شيب جدد في رأسه مكروهة الجدة انضاء العقب

ثم ناوله الدرج فقال كم لي في ذلك من الأجل قال شهر قال فأنطلق بهما إلى
رحلى قال ليس الامتحان للشاعر في بيته بمزيل للظنة عنه ولكن تبوأ حجرة من
القصر قال فليأمر الأمير بها ففعل وركب إلى دار المأمون فأبطأت كرتة فلما رجع
دخل عليه على الدرج بيده قال قد أجزت البيتين بقصيدة قال لقد خشيت عليك
النقص من الاعمال قال اليك تساق الرفاق ثم أنشدني بيتي أبي دلف ^(١) ثم قال :

أشرقن في أسود أزرين به كان دُجاء لهوى البيض سبب ^(٢)

فاعتضن أيام الغواني والصبا عن ميت مطلبه فن الأدب

فنازل لم يتهيج نزوله وراحل أبقى جوى حين ذهب

لم أر كالشيب وقاراً يُحتوى وكالشباب الفضى ظلاً يُستلب

كان الشباب لمة أزهي بها وصاحباً حرّاً عزيز المصطحب

إذ أنا أجري واثباً في غيه لا أعتب الدهر إذا الدهر عتب

(١) في نسخة «ثم أنشد يمرني بيتي» .

(٢) روى صاحب الأغاني هذه القصيدة باختلاف كثير عما هنا .

وأذعر الربّ عن أطفاله بأعوجى دمي المنسب
مطر د يرتج في أقطاره كلاء جالت فيه ريح فاضطرب
تحسبه أقعد في استقباله حتى إذا استدبرته قلت أ كـ
وهو على إرهاقه وطيه يقصر عنه الخزمان واللبب
تقول فيه جنب إذا انثنى وهو كمثل القدح مافيه جنب
يخطو على عوج ينهاين الثرى لم يتواكل عن شظا ولا عصب
تحسبها ناتئة حين خطا كأنها واطئة على نكب
يرتاد بالصيد فعارضنا به أو ابد الوحش فأجدى واكتسب
لا يبلغ الجهد به راكبه ويبلغ الريح به حين طلب
إذا تظنينا به صدقنا وإن تظني فوته الطرف لزب
ثم انقضى ذاك كأن لم تبغه وكل بقيا فالى يوم عطب
وخلف الدهر على أعقابها في القدح فيه وارتجاع ماوهب
فحمل الدهر ابن عيسى قاسما ينهض به فراج هم وكرب
كرونى السيف انبلاجا بالندى أو كغراريه على أهل الريب
لاوسنت عينه رأت غرته واستيقظت نبوته من النوب
لولا الأمير لغدونا هلا لم يمثل مجد ولم يرع حسب^(١)
ولم يقم بيأس يوم وندى ولا تلاق سبب إلى سبب
تكاد تبدى الارض ماأضمه إذا تداعى خيله هلا وهب
ويستهل أملا وخيفة إذا استهل وجهه وإن قطب
وهو وإن كان ابن فرعى وائل فبسماعيه ترقى في الحسب
وبملاه وعلا آباءه تحوى غداة السبق أخطار القصب
يا واحد الدنيا وباب الندى وباحجر الزعب في يوم الزهب

(١) في نسخة زيادة «أونسب» ولعلها إشارة لنسخة فيها كذلك .

لولاك ما كان سدى ولا ندى ولا قریشٌ عُرِفَتْ ولا العرب
 خذها امتحاناً من ملئ بالحجا لكنه غير ملئ بالنشب
 وقرّ بالأرض أو استقر بها أنت عليها الرأس والناس ذنب
 قال فجعل ينشد وأبو دلف يرجف ^(١) إليه حتى مست ركبناه ركبته فلما
 بلغ قوله * لكنه غير ملئ بالنشب * قال لا ملائى الله إن لم أملاك يا غلام كم فى
 يدت المال ؟ قال ما قبضته من حامل الجبل وهو مائة ألف درهم قال أعطه إياها وقليل
 له ذلك ، قال فأقبل عليه عقيل أخوه يعنله ويقول له أنت على باب أمير المؤمنين وبين
 ظهرانى قواده وأمرائه ولا وجه لما لا يرد عليك من الجبل فادفع إليه البعض قال
 إليك عني والله لو شاطرته عمرى لكان ذلك دون ما يستحقه على .

ومن المديح الجيد قول مروان بن أبى حفصة :

كفى القبائل معن كل معضلة يحمى بها الدين أو يُرعى بها الحسب
 كنز المحامد والتقوى ذخائره وليس من كنزه ^(٢) الاوراق والذهب
 أنت الشهاب الذى يرمى العدو به فيستنير وتخبو عنده الشهب
 بنو شريك هم القوم الذين لهم في كل يوم رهان تحرز القصب
 ان الفوارس من شيطان قد عرفوا بالصدق ان نزلوا والموت ان ركبوا
 قد جرب الناس قبل اليوم أنهم أهل الحلو وأهل الشغب ان شغبوا
 قل للجواد الذى يسعى ليدركه أقصر فمالك إلا الفت والطلب
 قوله فمالك إلا الفت والطلب من أحسن معنى وأجوده وأبينه بياناً وأشدّه
 اختصاراً وهو من قول زهير :

سعى بدمهم قوم لكى يُدركوهم فلم يفعلوا أولم يلاموا فلم يألوا
 وقال طريح ^(٣) :

(١) عله « يزحف » وكلاهما صحيح . (٢) فى الاصل (كنزة) (٣) هو طريح
 بن اسماعيل الثقفى ، أكثر شعره فى مدح خليفه الوليد بن يزيد الأموى .

قد طلب الناس ما طلبت فما نالوا ولا قاربوا وقد جهدوا
يرفك الله بالتركهم والتقوى فعملوا وأنت مقتصد

وقلت في قريب منه :

إذا عنَّ مجدٌ أو تعرضَ سُودٌ تسامى له ضخمُ الهومِ مُهمام
إذا اهتزَّ للهباءِ فهو مُهندٌ أواهتزَّ للافضالِ فهو غمام
تواضعَ وهو النجمُ عزاً ورفعةً وخفَّ على الأرواحِ وهو شام^(١)
ارجيه يوماً أو الأقبية ساعةً فيخصب لي طمٌ ويمرء عام
يريدون منه أن يرضنَّ وإنما أرادوا مجودَ الغيمِ وهو رُكام
ولا عيبَ فيه غير أن ذوى الندى خساسٌ إذا قيسوا به ولثام
باغت من العلياءِ مافاتهم معاً كأن لم يروموا ما بلغت وراموا
فن مُبلغ عني الاكلامَ انهم اذا استيقظوا للمكرمات نيام
وأجمع بيت قيل في المديح قول أبي العميتل^(٢) في عبد الله بن طاهر^(٣)
قالت ركمتَ فقلتُ إن وراءكم ان قد كبرت ومن يعمر يركع
وعهدتني أمضى لشأني مطلقاً فبليتُ بعدك بالنسا والأجدع
يا من يؤملُ أن تكون خِلاله كخلال عبد الله أنصت واسمع
فلا نصحنك في المشورة والذى حجَّ الحجيجُ اليه فاقبل أودع
أصدق وعفَّ وجدوا نصت واحتمل واصفح وكاف ودار واحلم واشجع

(١) جبل . (٢) هو عبد الله بن خليلد شاعر مؤدب . (٣) عبد الله بن طاهر

الخراعي الأمير الشجاع العاقل الجواد ، وفيه يقول أبو تمام وقد قصده من العراق
قصيدته المشهورة التي مطلعها :

أمطلع الشمس تبغى أن تؤم بنا فقلت كلا ولكن مطلع الجود
وفي سفره أبي تمام هذه ألف الحماسة فإنه حكم عليه البرد هناك ووقع على خزانة
كتب فاختر منها الحماسة .

وقد جمع هذا البيت جميع خصال المدح ، وسمعه المتنبي فأراد أن يعيب على
قالبه ^(١) فأتى بما لا ينطق ^(٢) به اللسان ولا ينطوى عليه الجنان .

ومن الأبيات الجامعة في المديح قول ابن الرومي :
هو الغرة البيضاء من آل هاشم وهم بعده التحجيل والناس أدهم
ومن الأبيات الجامعة للمعاني الحسن قول البحتري :
ذات حسن لو استزادت من الحُسن اليه لما أصابت مَزِيداً
فهى الشمسُ بهجةً والقضيبُ اللدن ^(٣) ليناً والريمُ طرْقاً وجيدا
وقال في هذه القصيدة :

واذا ما عددت يحبي وعمرا وإياساً ^(٤) وطامراً ووليداً
وعبيداً ومسهرأ ^(٥) وجدياً وثدولاً وبحترأ وعثوداً
لم أدع من مناقب المجد ما يمنع من هم أن يكون مجيداً
وقلت في المديح :

حليفٌ علاءٌ ومجدٌ وفخرٌ وبأسٌ وجودٌ وخيرٌ وخيرٌ
أضاء فاطرق ضوء الشمس وتم فأغضي تمام البدور
وقلت في المديح أيضاً :

من الغرِّ لآحوا شمساً ومضوا ظي وصالوا أسوداً واستهلوا سوارياً
ومن المديح البليغ قول الأوَّل :
متبذل في الحَيِّ وهو مُبجل متواضعٌ في القوم وهو مُعظم
وما أحسن في ذكر التواضع أحد كاحسان أبي تمام في قوله :

(١) لعله «قائله» . (٢) في نسخة «ينطلق» . (٣) في النسخة المطبوعة من
ديوان البحتري «الفض» مكان «اللدن» . (٤) في النسخة المطبوعة من البحتري
«أباناً» مكان «إياساً» . (٥) في الأصل «طامراً» مكان «مسهرأ» والتصحيح
من ديوان البحتري المطبوع .

إذا أحسن الاقوامُ أن يتناولوا بلا مِنة أحسنت أن تتطولا
فظمّت عن ذاك التعظم منهم وأوصاك نبيل القدر أن تتنبلا
وقال البحترى في التواضع مع علو الرتبة :
دنوت تواضعا^(١) وعلوت قدرا فإلاك انحدار^(٢) وارتفاع^(٣)
كذلك الشمس تبعد أن تسامى ويدنو الضوء منها والشعاع
فأتيت بهذا المعنى في بيت :

تواضع إذا العلاء بضيمه ؟ كما انحط ضوء البدر وارتفع البدر
وأجود ما قيل في صفة الرجل الحازم الجلد من قديم الشعر قول لقيط بن يمم^(٣) :
فقلدوا أمركم لله دركم رحب الذراع بأمر الحق^(٤) مضطلما
لا مترفاً أن رخاء العيش ساعده ولا إذا عض مكروه به خشما
ما انفك يجلب هذا الدهر أشطره يكون متبعا طوراً ومتبعا
لا يطمع النوم إلا يرث بيعته^(٥) هم يكاد حشاه يحطم الضلعا
حتى استمر على شذر مريرته مستحكم الرأي لا قهما ولا ضرعا
ومن هنا أخذ الشاعر قوله :

ولست بمفراح إذا الدهر سرفى ولا جازع من صرفه المتقلب
وقول دريد بن الصمة^(٦)

يتازل اخدان الرجال وانه لمجد ثناء ثم يزد^(٧)
ويخرج من العزاء الشدة مصدقا^(٨) وطول السرى درى غضب مهند

- (١) في النسختين «وضوعاً» وهو خطأ (٢) الذى في الديوان المطبوع :
دنوت تواضعا وبعدت قدرا فشأنك انحدار وارتفاع
(٣) الايادى شاعر جاهلى ، ومطلع هذه القصيدة «يادار عمرة من محتلتها الجرعا» .
(٤) وفي رواية «بأمر الحرب» . (٥) في النسخ تصحيف . (٦) أصله
من هوأزن ، كان شجاعاً من الأبطال الشعراء ، أدرك الاسلام ولم يسلم .
(٧) كذا (٨) كذا وفي غيره « ونخرج منه صرة القر جرزة » .

هذا البيت أجود ما قيل في سعة الخلق من قديم الشعر :

كيشُ الأزار خارجُ نصفُ ساقه ضبورٌ على المزاء^(١) طلاعُ انجد
 قليلُ التشكى للمصيباتِ حافظُ من اليوم أعقابُ الأحاديثِ في غد
 إذا سارَ بالارضِ الفضاءِ ترينت لرؤيته كالماتم المتبدد
 فلا يبعدنك اللهُ حياً وميتاً ومن يعلمه ركنٌ من الارضِ يبعد
 موضع هذه الايات من باب المراثي وإنما أوردتها هنا لأن قوله فيها « قليل التشكى
 للمصيبات » شبيه بما تقدم من قول الآخر : * ولا جازع من صرفه المتقلب *
 ومن شعر المحدثين قول أبي تمام :

وعززت بالسبع الذي بزئيره أمسّت وأصبحت الثغورُ عريفا
 قطب الخشونة والليان بنفسه^(٢) فقدأ جليلاً في العيونِ لطيفا
 هزته معضلةُ الأمورِ وهزها وأخيفَ في ذات الآله وخيفا
 يقظان أحصدت التجاربِ جزمه^(٣) شزراً وثقف عزمه تثقيفا
 وسلكن من أترابه الشعل التي^(٤) لو أنهن طبعن كن سيوفا
 وإنما أخذ وصف هذا البيت من ديك الجن وكان أبو تمام كثير الاناخة
 عليه وهو قوله في مراثيته :

ماء من العبرات حدى أرضه لو كان من مطر لكان هزيماً
 وبلايل لو أنهن ما كل لم تخطيء الغسلين والزقوما
 وكرمي بر وعسى لو أنه ظل لكان الحر واليحموما
 ونقل البيت الأول أنو تمام الي موضع آخر فقال :
 مطر من العبرات حدى أرضه حتى الصباح ومقتلای سماؤه

(١) له « الضراء » . (٢) وفي ديوان أبي تمام المطبوع :

قطب الخشونة بالليان معاقباً فقدأ جليلاً في القلوب لطيفا

(٣) في الديوان « عقده » . (٤) في الديوان « واستل من آرائه الشعل التي » .

ومن ذلك قول أبي تمام :

وإذا رأيت أبا يزيد في ندى ووغى ومبدي غارة ومعيدا
أيقنت أن من السماح شجاعة تدمى وان من السباحة جوداً
ومكارماً عتق النجار تليدة إن كان هضب عميتين تليدا
متوقدً منه الزمان وربما كان الزمانُ بآخرين بليدا

وقال البحرى :

أغر لنا من جوده وسماحه ظهر^ه عليه ماخيـب وشافـم^ه
ولما جرى للمجد والقوم خلفه تغول أقصى جهدهم وهو وادع
وهل يتسكفا الناس شتى خـلالهم وما يتسكفى في الـيدين الأصابع
إذا ارتد صمتم فالرؤس نواكس^ه وإن قال فالأعناق صور خواضع
وأغلب ماينفك من يقظاته ربـايا على أعدائه وطلائع
جنان^ه على ما جرت الحرب جامع^ه وصدر^ه لما باتى من^(١) الدهر واسع
جدير^ه بأن ينشق عن صـوء وجهه ضـبابه^ه تقع تحته الموت نافع
تذود الدنيا عنه نفس^ه أبيـة وعزم كصدر^(٢) الهندوانى قاطع
بعيد مـقيل السر لا يدرك^ه التى يحاولها منه الأريب المخادع
ومنكم^ه التدبير ليس بظاهر على طرف الرائي الذى هو تابع
ولا يعلم الأعداء من فرط عزمه متى هو مصبوب^ه عليهم فواقع
لم يبق وجه من وجوه المدح فى الجود والشجاعة وتصوب الرأى ومضاء العزيمة
والدهاء وشدة الفكر إلا قد اجتمع ذكره فى هذه الآيات ولا أعرف أحداً
يستوفى مثل هذه المعاني فى أكثر مدائحهم إلا البحرى .

وقال بعضهم أجود ما قيل فى صفة الرجل الحازم قول زينب بنت الطرية :
إذا جدَّ عند الجد أرضاك جدُّه وذو باطلٍ إن شئت أهلك باطله^ه

(١) فى الديوان (به) . (٢) فى الديوان (كحد) .

يَسْرُكُ مَظْلُومًا وَيُرْضِيكَ ظَالِمًا وَكُلَ الَّذِي حَمَلْتَهُ فَهُوَ حَامِلُهُ
ومثله قول الآخر :

أَخُو الْجَدِّ إِنْ جَدَّ الرِّجَالُ وَشَمَرُوا وَذُو بَاطِلٍ إِنْ كَانَ فِي النَّاسِ بَاطِلٌ
ومن المديح المفردة قول منصور النمرى في هارون :
إِذَا مَا عَدَدْتَ النَّاسَ بَعْدَ مُحَمَّدٍ فَلَيْسَ لِهَارُونَ إِلَّا مَامَ نَظِيرُ
فضله على أبي بكر وعمر وعثمان وعلى وغيرهم من الصحابة رضى الله تعالى
عنهم ، وهذا مكروه جداً وأكره منه قول أبي نواس :
تَنَازَعَ الْأَحْمَدَانِ الشَّبَهَ فَاشْتَبَهَا خَلْقًا وَخُلُقًا كَمَا قُدَّ الشَّرَاكِنُ
فجعل النبي ﷺ ومحمد بن هارون سواء في الخلق والخلق .
وبعد بيت النمرى أبيات جياذ منها قوله :

مَنِيْعُ الْحَى لَكِنَّ أَعْنَاقَ مَالِهِ بَظَلِ النَّدى يَسْطُو بِهَا وَيَسُورُ
كأنه من قول كثير :

عُرِّ الرِّدَاءِ إِذَا تَبَسَّمَ ضَاحِكًا غَلَقْتَ لِضَحَكْتِهِ رِقَابُ الْمَالِ
وهذا من قول الأخطل :

وَقَفْتُ عَلَى حَالِكُمَا فَذَا النَّدى عَلَيْكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَمِيرُ
خَرَجْتُ أَجْرُ الذَّيْلِ حَتَّى كَأَنَّنِي عَلَيْكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَمِيرُ
بِرُوحٍ وَيَغْدُو سَاجِدًا فِي وَقَارِهِ عَلَى أَنَّهُ يَوْمَ الْمَرَامِ ذَكِيرُ
وَلَيْسَ لِأَعْبَاءِ الْأُمُورِ إِذَا عُرَتْ بِمَكْتَرِثٍ لَكِنْ لَهْنٌ قَهُورُ
يَرَى سَاكِنَ الْأَوْصَالِ بِاسْطِجْهَدِهِ يَرِيكَ الْهُوَيْنَا وَالْأُمُورُ تَطِيرُ
ولا أعرف في هذا المعنى أجود من هذا البيت :

وَقَالُوا أَمْدَحْ بَيْتَ قَالِهِ مَحْدَثُ قَوْلِ النَّمْرِى فِي هَارُونَ :

إِنَّ الْمُسْكَرَمَ وَالْمَعْرُوفَ أَوْدِيَّةٌ أَحْلَكَ اللَّهُ مِنْهَا حَيْثُ تَجْتَمِعُ ^(١)

(١) تقدم هذا البيت بصدر «خليفة الله إن الجود أودية» .

أخذه من قول أبي وجزة السعدي ^(١) :
 أتاك المجدُّ من ههنا وهنا وأنتَ لهُ بمجتمع السيول
 وأخذه ابن أمية الكاتب فقال في غزل :
 تركت فيك التي ؟ وأنتَ منها بمجمع الطرق
 ونقلته إلى الهجاء فقلت :

أنفسدو بمستن العيون مخيما وأنتَ بعيب العالمين موكل
 وفي قصيدة النمرى أبيات قليلة النظير منها قوله :

مستحكم الرأي مُستغن بوحده عن الرجال برب الدهر مضطلعُ
 يقرى العدو المنايا والقناة ندى من كل ذاك القرى أحواضه ترع
 إذا بلغنا جمال الأرض لم ترنا للحادثات بحمد الله نخشع
 لما أخذتُ بكفى جبل طاعته أيقنت أنى من الأحداث ممتنع
 ان الخليفة هارون الذي امتلأت منه القلوب وجارت تحته ترع
 ان أخلف الغيث لم تخلف مخائله أوضاع أمرٌ ذكرناه فيتسع

أخبرنا أبو أحمد رحمه الله تعالى عن الصولى عن المبرد وغيره قال شكنا منصور
 إلى العتابي طلقاً استمر بأمراته ثلاثة أيام تخوف عليها منه فقال العتابي دواؤه معك
 أقرب منها وقل «هارون» فان أمرها يسهل فغضب منصور فقال له لا تغضب فأنت
 قضيت بذلك في قولك :

ان أخلف الغيث لم تخلف مخائله أوضاع أمرٌ ذكرناه فيتسع
 فأسكت منصور . ومن المديح البارع قول بشار :

ألا أيها الطالب المبتغى نجوم السماء بسعى أمم
 سمعت بمكرمة ابن العلاء فأنشأت تطلبها لست تم
 إذا عرضَ الهمُّ في صدره لها بالعطاء وضرب البهم

(١) هوزيد بن عبيد أبو وجزة ، من التابعين

فقل للخليفة إن جثته
إذا أبقتك جسام الأمور
فتى لا يبيت على ريقه
يحب العطاء وسفك الدماء
وقال البحرى :

إذا المهتدى بالله عدت خلاله
وقلت : كم غاية لكم تقاصر دونها
يعلو كرام العالمين وإنما
وإذا تسامى الأكرمون إلى العلا
أمن المسكارم أن يُبدد شملها
ذلت له نوب الزمان وأصبحت
وقال البحرى :

إذا ذكرت أسلافه وتشوهرت
إذا ماتت الأرض ابتدوها كأنما
ودون علامهم للمسامين برزخ
بتدبير مأمون على الأمر رأيته
وذوها جسر لا يحجب الغيب دونه
أخبرنا أبو أحمد عن الصولى عن عبد الله بن الحسن عن البحرى قال سمعت ابراهيم
ابن الحسن بن سهل يقول : الأوائل حجة وهؤلاء أحسن تعريفا إلى أنه أنشده
يوماً عبد الله بن أبواب التيمى شعراً يمدحه فيه فلما بلغ إلى قوله :

ترى ظاهر المأمون أحسن ظاهر
يناجى له نفساً ترزع بهمة
وأحسن مما قد (١) أسر وأضرما
إلى كل معروف وقلبا مظهرما

ويخشع إجلالاً له كلُّ ناظرٍ ويأبى لخوف الله أن يتكبّرا
 طويلُ نجاد السيف مضطمر الحشا طراه طراد الجيش حتى تجسّرا
 رفل إذا ما السلمُ رفل ذيله وإن شمرت يوماً له الحرب شمرا
 فقال الفضل ما بعد هذا مدح وما أشبه فروع الاحسان بأصوله .

ومن المدح القليل النّظير قول أمانة بنت الجلاح الكلبيّة : أخبرنا
 أبو أحمد أخبرنا أبو الحسن البرمكي أحمد بن جعفر حدثني محمد بن ناجية
 الرصافي قال كنت أحد من وقعت عليه التهمة أيام الواقعة بمال مصر فطلبني
 السلطان طلباً شديداً حتى ضاقت على الأرض برحبها فخرجت إلى البلاد
 مرتاداً رجلاً عزيزاً منيع الدار أعوذ به وأنزل عليه حتى انتهيت إلى بني شيبان
 ابن ثعلبة فدفعني إلى بيت مشرف بظهر رابية منيعة وإلى جانبه فرس مربوط
 ورمح مركون يلعب سناناه فنزلت عن فرسي وتقدمت فسلمت على أهل الخباء فردّ
 على نساء من وراء السجف يرمقنني من خلل الستور بعيون كميون أخشاف
 الأطباء فقالت إحداهن اطمنن يا حضري فقلت وكيف يطمنن المطلوب أو يأمن
 المرعوب وقلما ينجو من السلطان طالبه والخوف غالبه دون أن يأوي إلى جبل
 يمصّبه أو معقل يمنعه فقالت يا حضري لقد ترجم لسانك عن قلب صغير وذنب
 كبير قد نزلت بفناء بيت لا يضام فيه أحد ولا يجوع فيه كبد مادام لهذا الحي
 سبد أو لبد هذا بيت الأسود بن قنان أخوانه كلب وأعمامه شيبان صعلوك الحي
 في ماله وسيدهم في فعاله لا يتنازع ولا يدافع له الجوار وموقد النار وطلب النار وبهذا
 وصفته أمانة بنت الجلاح الكلبيّة حيث تقول :

إذا شئت أن تلقى فتىً لو وزنته بكل معدى وكل يَماني
 وفي بهم حلماً وجوداً وسودداً وبأساً فهذا الأسود بن قنان
 فتى كالفتاة البكر يسفر وجهه كأن تلالى وجهه القمران
 أغر أبر ابني نزار ويعرب وأوثقهم عقداً بقول لسان

وأوفاهم عهداً وأطولهم يداً وأعلاهم فعلاً بكل مكان
وأضر بهم بالسيف من دون جاره وأطعمهم من دونه بسنان
كأن العطايا والمنايا بكفه سبحانه مقرونان مؤتلفان
فقلت الآن ذهبت غنى الوحشة وسكنت الروعة فأني لي به قالت يا جارية
أخرجي فنأدى مولاك نخرجت الجارية فما لبثت إلا هنيهة حتى جاءت وهو معها
في جمع من بني عمه فرأيت غلاماً حسناً ^(١) اخضر شاربه واختط عارضه
وخشن جانبه فقال أي المتعمين علينا أنت فبادرت المرأة فقالت يا أبا مرهف هذا
رجل نبت به أوطانه وأزعجه سلطانه وأوحشه زمانه وقد أحب جوارك ورغب في
ذمتك وقد ضمنا له ما يضمنه لمثله مثلك فقال بل الله فاك قال فأخذ يدي وجلس
وجلس ثم قال يا بني أبي وذوي رحى أشهدكم أن هذا الرجل في ذمتي وجواري
فن أراداه فقد أرادني ومن كاده فقد كادني وما يلزمني من أمره من حال إلا ويلزمكم
مثله فليسمع الرجل منكم ما يسكن إليه قلبه وتطمئن إليه نفسه . فما رأيت جواباً
قط أحسن من جوابهم اذ قالوا بأجمعهم ما هي أول منة مننت بها علينا ولا أول يد
بيضاء طوقتناها وما زال أبوك قبلك في بناء الشرف لنا ودفع الذم عنا فهذه أنفسنا
وأموالنا بين يديك . ثم ضرب لي قبة الى جانب بيته فلم أزل عزيزاً منيعاً حتى سنج
لي السلطان ما أملت فانصرفت الى أهلي .

ومن المديح البارع قوله الأخطل :
شمسُ العداوة حتى يستقاد لهم ^(٢) وأعظمُ الناسِ أحلاماً إذا قدروا
أخذه خارجة بن مليح المكي وأحسن :

آل الزبير نجومٌ يستضاء بهم إذا احتجب الليلُ في ظلماته زهروا
قومٌ إذا شومسوا لَجَّ الشَّماسُ بهم ذاتِ الآباءِ وإن يأسرتهم يسروا

(١) في الأصل « حين » .

(٢) في الأصل (بهم) والتصحيح من شعر الأخطل المطبوع .

ومنه قول كثير في عبد الملك :

أبوك الذي لما أتى مرجَ راهط
تسناً للأعداء حتى إذا أتوا

وقال البحرى :

حرونٌ إذا عاززته في مُلمة
ونحوه : كريمٌ يفضُّ الطرفَ فضلُ حياته
فإن جئته من جانب الذل أصحبا
ويدنو وأطرافُ الرماح دوانى
وكدالسيفِ ان لا ينثه لانَ مَتْنُهُ
ومثل قول خارجة * إذا احتبى الليل في ظلمائه زهروا * قول الأشجعم :
إذا غاب عنا الفجرُ خُضْنَا بوجهه
وقال خارجة أيضا :

ويسفر للسارى إذا جنَّ ليله
وقال ادريس بن أبي حفصة :

لما أتتك وقد كانت منازعة
لها أمامك نورٌ تستضيء به
وإني الرضا بين أيديها باقيا
ومن رجائك في أعقابها حادى
لها أحاديثٌ من ذكراك تشغلها
ولا أعرف في معناها مثلاً :

إذا أشرقت في جنح ليل وجوههم
وان ناب خطبٌ أو المِت مُلمة
كفى خابطَ الظلماءِ ضوءُ المصابيح
فكم ثمَّ من آسى جراحٍ وجراح
ومن أجود ما قيل في صفة الرجل الجواد قول أبي الأسد الدِّينورى :
ولأئمة لا أمك يا قيسُ في الندى
أرادت لتثنى الفيضَ عن عادة الندى
فقلتُ لها لن يقدحَ اللومُ في البحر
ومن ذا الذى يثنى السحابَ عن القطر

مواقع جود الفيض في كل بلدة مواقع ماء المزن في البلد القفر^(١)
ولا أعرف في معناها مثلها . وقلت :

تقضى مآربه من كل فائدة لكن من المجد ما تقضى مآربه
أفاده العز آباء ذوو كرم وزاده الخلق الخضر جانبه
لقد فضلت كرام الناس كلهم فهم مناسم مَجْد أنت غاربه
بأيت شعري هل يستطيع شكركم دهر مساعيك فيه مناقبه
وحين أرضيتم كنتم نوافله وأنتم حين أسخطم نوابه
منكم على الدهر عين لا تناومه وللحوادث قرن لا تغالبه
ومن أجود ما قيل في ذكر الجود قول الأشجع^(٢) في جعفر بن يحيى :

يرومُ الملوكُ جدى جعفر ولا يصنعون كما يصنعُ
وكيف ينالون غايته وهم يجمعون ولا يجمع
وليس بأوسعهم في الفنى ولكن معروفه أوسع
فما خلفه لامرئ مطمع ولا دونه لامرئ مقنع
إذا رفعت كفه معشراً أبى العز والفضل أن يوضعوا
ولا يرفع الناس من حطه ولا يضع الناس من يرفع
رأيت الملوك تغض العيون إذا ما بدا الملك الاتلع
بديته مثل تدبيره متى هجته فهو مستجمع

أخذ قوله « بأوسعهم في الفنى » من قول الأول :

له نار تشب بكل أرض إذا النيران جللت القناعا
وما ان كانا أكثرهم سواداً ولكن كان أرجبهم ذراعا

(١) يكرر المصنف بعض الأبيات في مواضع لمناسبات .

(٢) هو أبو الوليد أشجع بن عمرو السلمي ، مدح البرامكة وانقطع إلى جعفر بن يحيى فقربه من الرشيد فأثرى ، ورث الرشيد بعد موته .

وقال بعض المولدين :

وما رأيته في حال تكونُ بها أدنى إلى كل خير منك في العدم
ومن أجود ما قيل في الصلة على بعد الدار قول نهشل بن جرى :
جزى اللهُ خيراً والجزاء بكفه بنى الصلتِ إخوان السماحة والمجد
أتانى وأهلى بالعراق نداهمُ كما صاب غيثٌ من تهامة في نجد
فما يتغير من زمان وأهله فما غير الأيام مجدكم بمدى
فأخذه البحتري أخذاً ما رأيت أعجب منه وقد وجه إليه بنو السمط برمي
حصص إلى منبج فقال :

جزى اللهُ خيراً والجزاء بكفه بنى السمطِ إخوان السماحة والمجد
همُ حضروني والمهامهُ يبننا كما أرفض غيثٌ من تهامة في نجد
إلا أن قوله * هم حضروني والمهامه يبننا * أبداع وأحسن من قول
نهشل * أتانى وأهلى بالعراق نداهم * وأخذه ابن المولى فقال :
فرحتُ بجعفر لما أتانا كما سرَّ المسافرُ بالأياب
كمطورٍ ببلدته فأضحى غنياً عن مطالعة السحاب
وأخذه أبو السمط بن أبي حفصة فقال في عبد الله بن طاهر :

لعمري لنعم الغيثُ غيثٌ أصابنا يبعداد من أرض الجزيرة وأبله
ونعم الفتى والسدُّ بيني وبينه بسبعين ألفاً صبحتني رسائله
فكنا كحى صبح الغيث داره ولم يحتمل أظمانه وجائله
وأخذه أبو تمام فقال :

لم أستطع سيراً لِدحةِ خالدٍ فجعلتُ مدحتهُ إليه رسولا
فليرحلنَّ اليك نائلُ خالدٍ وليكفينَّ رواحلي الترحيلا

وأخذه أبو صفان فقال في أحمد بن محمد بن توبة :

نفسى فداءً أبى العباس من رجل لم ينسنى قط في نأى ولا كشب

يقرى وبالرقعة البيضاء منزله من بالعراقين^(١) من عجم ومن عرب
 أغنيتني عن رجال أنت فوقهم في المكرمات ودون القوم في النسب
 وأصل ذلك كله من قول جرير : أخبرنا أبو أحمد عن علي بن سليمان
 الأخفش عن ثعلب عن محمد بن سلام قال قال أبو العراف بمث عبد العزيز بن
 مروان إلى جرير بمال من الشام فتجهز يريد فأتاه نعيه فقال جرير يرثيه :
 بنفسي امرأة والشام بيني وبينه أتتني يبشرى برده ورسائله
 قال أبو أحمد قال أبو الحسن لا يجوز عندنا (إلا امرؤ) إلا أن الرواية
 هكذا ، معناه أفدى .

أتى زمن البيضاء بعدك فانتحى على العظم حتى مات قوم حوافله
 فيومان من عبد العزيز تفاضلا في أي يوميه تلوم عواذله
 فيوم تحيط المسلمين جياته ويوم عطاء ما بفرح نائله
 ومن المديح البارع قول إبراهيم بن العباس :
 أسد ضار إذا هيجته وأب بر إذا ما قدرا
 يعلم الأبعد إن أثرى ولا يعلم الأدنى إذا ما افتقرا
 ومن بليغ المديح ما أنشدناه أبو أحمد في جملة خبر أخبرناه عن أبيه عن أحمد
 ابن أبي طاهر النديم عن عبد الله بن السري عن أحمد بن سليمان قال قال عبد الله
 ابن زيد القسري كنت قائماً على رأس ابن هبيرة وعنده سمطان من وجوه الناس
 إذ أقبل شاب لم أر مثل جماله وكأله فقال أصلح الله الأمير إني امرؤ فدحت كربة
 وأوحشت غربة ونأت به الدار وأقلقه الأمعار وحل به عظيم خذله أخلاؤه وشمته
 به أعداؤه وفاه القريب وأسلمه البعيد فقامت مقاماً لا أرى فيه معولاً ولا جازي
 نعمه إلا رجاء الله تعالى وحسن عائدة الأمير وأنا أصلح الله الأمير ممن لا تهمل
 (٢) العراقان : السكوفة والبصرة ، وعراق العرب وعراق العجم . كما في
 جنى الجنتين في تمييز نوعي المثنيين للمحبي .

أسرته ولا تضع حرمة فان رأى الأمير أن يسد خلتي ويجبر خصاصتى فعل فقال
ابن هبيرة ممن الرجل ؟ قال من الذين يقول لهم القائل :

فزاره بيتُ المجد والعزِّ فيهم فزاره قيسٌ حسب قيس فعالها
لها العزة القعساءُ والشرفُ الذى بناه لقيس في القديم رجاؤها
وهل أحدٌ أن مدَّ يوماً بأنفه إلى الشمس في جَوْ السماء ينالها
لهيئات ما عيا القرون التى مضتْ ما ترُّ قيس واعتلاها خصالها

فقال ابن هبيرة إن هذا الأدب حسن مع ما أرى من جدانة سنك فكم
أتت لك ؟ قال تسع وعشرين - فلحن الفتى - فتبسم ابن هبيرة كالشامت به وقال
ألحن أيضاً مع جميل ما أتى عليه منطقك ، شبت به بأقبح عيب ^(١) فأبصر الفتى ما وقع
فيه فقال إن الأمير أصاحه الله تعالى عظم في عيني وملأت هيئته صدرى فنطق
لسانى بما لا يعرفه قلبي . فقال له ابن هبيرة : وما على أحدكم أن يتعلم العربية فيقيم
بها أوده ويحضر بها أسلطانه ويزين بها مشهده ويتبوأ بها على خصمه أو يرضى أحدكم
أن يكون لسانه مثل لسان مملوكه وأكاره ^(٢) وقد أمرنا لك بعشرة آلاف درهم
فان كان سببك لسانك وإلا فاستعن على اصلاحه ببعض ما أوصلناه اليك ولا
يستحي أحدكم من التعلم فانه لولا هذا اللسان لكان الانسان كالبهيمة المهمل
قاتل الله الشاعر حيث يقول :

ألم ترَ مفتاحَ الفؤادِ لسانه إذا هو أبدى ما يقول من الفيم
وكأن ترى من صامت لك معجب زيادته أو نقصه في التكلم
لسان الفتى نصف ونصف فؤاده فلم يبق إلا صورة اللحم والدِّم

ومن بارع المديح :

إلى منك موعودٌ طلبتُ نجاته وأنتَ امرؤٌ لا تخلف ^(٣) الدهرَ موعدا
وعودتني اب لا تزال تُظلني يدُ منك قد قدَّمتَ من قبلها يدا

(١) كذا والمعنى ظاهر . (٢) الاكار : الحراث . (٣) فى الأصل « يخلف » .

فلو أن مجداً أوندى أو فضيلةً تخذُ شيئاً كنتَ أنتَ المخلدُ
ومن بليغ المديح ما أنشدناه أبو أحمد عن الصُّولي عن أبي العيَّاء عن
الأصمعي للصموت الكلَّابي وقال مرة للصموت الكلَّابية امرأة :

لله دَرْكٌ أَىُّ جنةٍ خائفٌ ومتاع دُنْيَا أنتَ في الحدِّ ثَانِ
متخبط يَطَأُ الرجالَ غُلْبَةً (١) وطأ الفنيق (٢) دوارح القردان
وتفرج البابَ الشديدَ رتأجِهَ حتى يكونَ كأنه بابان
وتبعه أبو تمام فقال في ابن أبي داود :

فلتبك الاحسابُ أَى حَيَاةٍ وحيا أزمةٍ وحيةٍ واد
طائقٌ مُعتقٌ من اللومِ (٣) إلَّا من مقاساةٍ مغرِمٍ أو نجادٍ
ومن أجود ما قيل في صفة الكمال قول كشاجم :

ومذهبِ الألفاظِ مَنطقُهُ مافيه من خَطَلٍ ولا مَينِ
ما شئتَ من ظَرْفٍ ومن شيمٍ مافى محاسنهن من شين
ما كان أحوجَ ذا الكمالِ إني عيبٌ يوقيه من العين
قد أحسن وظرف ولم يقصر في تقليل الحز وإصابة المفصل . ومثله قوله :
يا كاملَ الآدابِ مُنفردَ العلا والمكرماتِ ويا كثيرَ الحاسدِ
شخصَ الانامِ إلى كمالكِ فاستعد من شرِّ أعينهم بعبٍ واحدٍ
وقال ابن الرومي يمدح بعض العمال وقد نكب :

لا يستطيعك بالتقصِ حادِثٌ وأبى لك التكميلُ أن تزيدا
وكأننى بك قد نفوتَ محمد في النائباتِ كما دعوتَ محمداً
ذالمت كالسيف الحسام مجرداً للحقِّ أو مثل الهلالِ مجدداً

(١) المتخبط : القهار الغلاب . والغلبة بضم التين بمعنى الغلبة والقهر .

(٢) الفنيق : الفحل المكرم لا يؤذى لكرامته على أهله ولا يركب .

(٣) في ديوان أبي تمام « الهون » .

شهد النهار وكشفه غمم الدجى ان الزمان مُبيضٌ ماسودا
ومثله قول الآخر :
فا كنت إلا السيف مُجَرَّدٌ في الوغي وأخذ في الهيجا وردَّ الى الفم
ومن أبلغ المديح :
بديته وفكرته سواءٌ إذا مانابه الخطبُ الكبيرُ
وصدره فيه لهم اتساعٌ إذا ضاقت من لهم الصدور
ومن أبلغ المديح قول البحترى :
أخذوا النبوة والخلافة وانثنوا بالمكرُماتِ كثيرِها وقليلِها
وإذا قریشٌ فاضلتك فضلتها بأبي خلائفها وعم رسولها
وجوادِها ابن جوادِها وكریمِها ابن كَریمِها^(١) ونيلِها ابن نيلِها
لو سارت الأيامُ في مسعاتهم لتناها لتقطع في طولها
رفعهمُ الآياتُ في تنزيلِها وقضت لهم بالفضل في تأويلِها
وإذا انشعبت أخذت خيرَ فروعها وأذا رجعت أخذت خيرَ أصولِها
وقلت : لئن قلَّ أربابُ المكارم والعلا ليحيي كثيرٌ في العلا والمكارم
يذكرني جودَ الغائم جوده وشكرى له شكرَ الثرى للغائم
تخال به بدرًا مع الليلِ باهرًا يلوحُ على عرف من الليلِ فاحم
يدبل من الأيام والدهر منصف بعزم على الأيام والدهر حاكم
ييزُّ من الانجاء كل مساور ويعلو من الاجداد كل مكارم
بخلق كتن الصخر في كف لاس وطور كجری الماء في عين حاتم
ورأى كصدر الراغية شارع وعزم كحدَّ المشرفة صارم
على بلدة يسقى الضراغم ماؤها ويسقى بها الى دماء الضراغم
ومن بارع المديح قول أبي تمام :

(١) في ديوان البحترى «وشريفها ابن شريفها» مكان «وكریمها ابن كَریمها» .

رأيت لعمياشٍ خلائفَ لم تكن له كرمٌ لو كان في الماء لم يغيض
 أخو عزّ مات بذله بذلٌ مُحسنٍ إلينا ولكن عُذْرُهُ عُذْرٌ مَذنب
 بهو لك أن تلقاه في صدرٍ مُحفلٍ وفي نحرٍ أعداءٍ وفي قلبٍ موكب
 وماضيقٍ أخطارٍ البلاد أضاقني اليك ولكن مذهبي فيك مذهبي
 وهذي ثيابُ المدح فاجرر ذبولها عليك وهذا مركبُ الحمدِ فاركب
 وقد أحسن التنبؤ في آيات له منها :

وفتية من حيرٍ حمرٍ الظبي بيض العطايا حين يسودُّ الأمل
 شموس مجد في سموات علا وأسد موت بين غابات أسل
 وقلت : ما المجدُ إلا ساءٌ أنت كوكبها والجود إلا غمامٌ أنت سلسله
 فكل سابقٍ قوم أنت سابقه وكل فاضلٍ حزب أنت تفضله
 بالعقد تحكّمه والأمر تيرمه والعرض تمنعه والمال تبذله

وللمحدثين آيات بارعة سائرة في المديح منها قول أبي تمام :

أيا مَنّا مصقولةً أطرافها بك واليالي كلها أسحارُ
 مأخوذ من قول عبد الملك بن صالح حدثنا أبو أحمد أخبرنا الصولي حدثنا شيخ
 ابن حاتم المكي حدثنا يعقوب بن جعفر قال لما دخل الرشيد منبج قال لعبد
 الملك أهذا البلد منزلك قال هو لك ولي بك قال كيف بناؤك فيه قال دون منازل
 أهلي وفوق منازل غيرهم قال فكيف صفة مدينتك هذه قال هي عذبة الماء باردة
 الهواء قليلة الأذواء قال كيف ليلها قال سحر كله قال صدقت إنها لطيفة قال لك
 طابت وبك كملت واين بها عن الطيب وهي تربة حمراء وسنبلة صفراء وشجرة
 خضراء فياف فيح بين قيصوم وشيخ . فقال الرشيد لجعفر بن يحيى هذا الكلام
 أحسن من الدر المنظوم فأخذه ابن المعتز فقال :

ياربَّ ليلٍ سحرٍ كله مفتضح البدر عليل النسيم

تلتقطُ الأنفاسُ بِرَدِّ الندى فيه فتهديه لنارِ الموم
 وقال ابن الرومي * كأن أيامهن كالسكر * وقلت :
 أيامنا في جواره بكرٌ وليلنا في فئانه سحر
 ومنها قول أبي نواس :

أنت الخصبُ وهذه مصرُ قد قفا فكلّا كما بحر
 وقوله : وليس على الله بمستنكرٍ أن يجمعَ العالمَ في واحد
 وقوله : قى يشتري حسنَ الثناءِ بماله ويعلمُ أن الدائراتِ تدورُ
 فما جازه جودٌ ولا حل دونه ولكن يصيرُ الجودُ حيث يصيرُ
 وقول أبي العتاهية :

أنته الخلافةُ منقادة اليه تجرُّ أذيالها
 ولم تك تصلحُ إلا له ولم يك يصلحُ إلا لها
 ولو رامها أحدٌ غيره لزلزلت الأرضُ زلزالها
 وقول مسلم إلا أنه مرثية :

وإني واسماعيل يومَ وفاته لكانم يد يوم الروع فارقهُ النصلُ
 فان أغش قومًا بعده أو أزورهم فكالوحش يدينها من الأنسِ المحل
 الأنس جمع مثل خدم . وقول بعض الأعراب في معن بن زائدة :
 أنت الجواد ومنك الجودُ أوله فان مُقدتَ فما جودٌ لموجود
 أضحت يمينك من جودٍ مصورة لا بل يمينك منها صورةُ الجود
 من نور وجهك تضحي الأرض مشرقةً ومن ثنائك يجري الماءُ في العود
 وقول البحتري :

وقد قلتُ للمعلّى إلى المجد طَرَفُهُ دَجَجَ المجدَ فالفتحُ بنُ خاقان شاغله
 صفت مثل ما تصفو المدامُ خلاله ورقت كما رَق النسيمُ شمائله
 والعرب تتمدح بطول القامة فمن أجود ما قيل فيه قول أبي تمام :

أناس^(١) إذا يدعى تزال إلى الوغى
من المطربين الأولى ليس ينجلي
جعلت نظام المكرمات فلم تدر
إذا افتخرت يوماً ربيعة أقبلت
ومن أجود ما قيل في قدم الشرف ووضوح النسب قول أبي تمام :

نسب^٢ كأن عليه من شمس الضحى
عريان لا يكبو دليل^٣ من عمى
شرف على أولى الزمان وإنما
لوم تكن من نبعة نجدية
مطر أبوك أبو أهلة وابل
ورثوا الابوة والحظوظ فأصبحوا
أكفأ تلد^٤ الرجال وإنما
أخذه السرى فقال في المهلبى :

نسب^٥ أضاء عموده في رفعه
وشمائل^٦ شهد العدو بفضلها
وهذا من قول البحترى :

لا أدعى لأبى العلاء فضيلة
وقلت : قد نلت بالرأي والتميز منزلة
وبالتكرم والافضال مرتبة
قالوا أيمطر^٧ من محل ألم^٨ به
مال^٩ يسدده في جمع مكرمة
كروضة أخذت بالغيث زخر^{١٠} قها

حتى يسلمها إليه عداه
مانالها أخواك البحر والمطر
لم يعطها خادماك السيف والقدر
فقلت قد تمطر الانهار والقدر
فالمجد^{١١} مجتمع^{١٢} والماء منتشر
فالروض منتظم^{١٣} والغيث منتشر^{١٤}

(١) في ديوان البحترى «كأية إذا» .
(٢) في نسخة «لرب» وهي الشدائد .

مناقبٌ ما يكادُ الدهرُ يهدمها كأنها اُصْلٌ للدهرِ أو بُكرٌ
 فابشر فانك رأسٌ والعلا جسد والمجدُ وجهٌ وأنت السمعُ والبصر
 لولاك لم تك للأيام منقبةٌ تسمو إليها ولا للدهر مفتخر
 وقلت : هل أنت إلا البدر تم تماؤه والغيث باكرٌ وبلهٌ وسجاءه
 والسيفُ أرهفَ المضاءِ غراره والرمح قوَمَ للقاءِ قوامه
 أنت الربيعُ الغضُّ رَقَّ نسيمه واخضرَّ روضته وصاب غمامه
 خُلق كنشِرِ الروضِ طل نباته أو مثل صرفِ الراحِ فُضَّ ختامه
 للأولياء رخاؤه ورخاؤه وعلى العداة سَمومه وسَمامه
 يامن أدل على الزمان زمانه وزرى على أيامه أيامه
 يدنو فيغمرُ كلَّ شَيْءٍ فضله كالخصب يُنبعث كل خلق عامه
 مان يزال من المآثر والعلا في موكب منشورة أعلامه
 عالٍ تَسَوَّرَ فوق قِمةِ سؤدد أوفى على قدم النجوم سَنامه
 يبدو فيبدى الصبحُ غُرةَ وجهه والدليل قد قبض العيونَ ظلامه
 سبق الجيادَ فما يُشقُّ غبارُه ودلا القربينَ فما يُرامَ مرامه
 ولئن أبرَّ على الحسام عزيمةً فكما أبرَّ على القضاءِ سَماه
 وكأما أقلامُه أسيافه وكأنما أسيافه أقلامه
 ما المجد إلا العقد جودك شذره ^(١) ونداك لؤلؤُه وأنت نظامه
 والجودُ في يدك اليمين عِنانُه والبأس في يدك الشمالِ خطامه
 مازال فوتك في اللواء موليا مولى الخشافة خلفه وأمامه
 فاعمرْ على زمنٍ أغر محجبل قد تمَّ فيك على الوردى إنعامه
 وقال آخر وأحسن :

(١) الشَّذْرُ : قطع من الذهب تلتقط من معدنه بلا إذابة ، أو خرزٌ يفصل

بها النظم ، أو هو اللؤلؤ الصغار - كما في القاموس .

كم صغروا منهم والله يكلوهم
وقال أبو يعقوب الخزيمي :

فلو لم يكن إلا بنفسك فخرها
جريت على مهل فأنعبت من جرى
ويسئل دنياه ويمنع دينه
وقلت : وقفت على يحيى رجائي وأنا
إذا ما الليالي أدركت ماسعت له
إذا غاب جاء المزن في الجود سابقا
إذا الغيث باراه ثنى الغيث مقصرا
فتى لم نزنه بالقوافي وإنما
من الغر لا حوا أشمسا ومضوا ظبي
رأيت جمال الدهر فيك مجددا
وقلت : في فتية أخلاقهم وفعالهم
حل السرور حباهم في مجلس
فهم إذا نظروا الصديق كواكب
أوقيل تلتف الجياد بمثلها
فالليل منهم شامس والصبح منهم دامس^١ والدهر منهم وارس
وأظن ابن الرومي سبق إلى معنى قوله :

نفائس ماله أدناه مجنى
كذلك فوارض الثمرات تدنو
وأخبرنا أبو أحمد عن العبشمي عن المبرد قال أتى شاعر أبا البختري وهب
ابن وهب وكان من أجود قریش كان إذا جمع المادح له ضحك وسرى السرور
بجوانحه وأعطى وزاد فأنشده هذا الشاعر :

لكل أخى فضيل نصيب من العلا ورأس العلا طراً عقيد الندى وهب
وما ضرَّ وهباً عيب من جحد الندى كإلا يضر البدرَ ينبجه الكلب
فتنى له الوسادة وهشَّ إليه ورفده وحمله وأضافه فلما أراد الرحيل وهو أشد
خلق الله اغتباطاً لم يخدمه أحد من غلمان أبى البخترى ولا عقب له ولا حل فانكر
ذلك مع جميل ما فعل به فعاتب بعضهم فقال إنما نعين النازل على الإقامة ولا نعين
المرتحل على الفراق فبلغ ذلك جليلاً من القرشيين فقال والله لفعل هؤلاء العبيد
أحسن من رقد سيدهم .

ومن بليغ المعانى في المديح قول ابن الرومي :

لما من عاثر لك يا ابن يحيى يموت الكاشحون وأنت تحيا
على أن الممات لكل حي وقيت به من الحدثنان محيا
وقال خلف بن خليفة :
إن استجهلوا لم يغرب الحلم عنهم وإن آثروا أن يجهلوا عظم الجهل
هم الجبل الأعلى إذا ماتنا كرت ملوك الرجال أوتخاطرت النزل
مواعيدهم فعل إذا ماتكموا بتلك التي أن سميت وجب الفعل
ألم تر أن القتل غال إذا رضوا وإن غضبوا في موطن رخص القتل
وقلت : لقد علمت يحيى موافية العلا فضائل آباء تلها فضائله
فأز طريف المجد بعد تليده رفيع يطول النجم حين يطاوله
فتى غرة الأيام حسن صنيعه وتيجانها أخلاقه وشمائله
وما هو إلا المزن تصفو خلاله ويملو ميواه ويكرهاطه

﴿ الفصل الثاني من الباب الأول في الافتخار ﴾

قلوا أنغر بيت قالته العرب قول جرير :

إذا غضبت عليك بنو تميم حسبت الناس كلهم غضابا
وقالوا قال عبد الملك بن مروان للفرزدق وجرير والآنطل من أتاني منكم
بصدر هذا البيت « والعود أحمد » فله عشرة آلاف درهم فما كان فيهم مجيب
فأدخل أعرابي من عذرة اليه فأنشده :

فان كان مني ما كرهت فاني أعود لما تهواه والعود أحمد
فقال عبد الملك أحسنت ولكن لم تصب ما أردت فأنشد :
جزينا بنى شيبان قدما بفعلهم وعدنا بمثل البدء والعود أحمد
قال لم تصب ما أردت فأنشد :

وأحسن عمرو في الذي كان بيننا فان عاد بالاحسان فالعود أحمد
فقال هذا طلبت . ثم قال أخبرني عن أهجى بيت قالته العرب قال قول جرير :
ففض الطرف انك من نعيم فلا كعبا بلغت ولا كلابا
ولو وضعت ققاع بنى نعيم على خبث الحديد إذا لذابا
قال فأخبرني عن أمدح بيت قالته العرب قال قول جرير :

ألستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين ببطون راح
قال فما أنغر بيت قالته العرب قال قول جرير :

إذا غضبت عليك بنو تميم حسبت الناس كلهم غضابا
قال فما أغزل بيت قالته العرب؟ قال قول جرير :

ان العيون التي في طرفها مرض ^(١) قتلنا ثم لم يحيين قتلانا
يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به وهن أضعف خلق الله أركانا ^(٢)

(١) وفي رواية « حور » . (٢) في هامش النسخ « انسانا » اشارة للنسخة .

قال فما أحسن بيت قيل ؟ قال قول جرير :

وطوى الطراد مع القياد بطونها طى التجار بحضرموت برودا

قال فما أقبح بيت قيل ؟ قال قول جرير :

ألم تر أن جعثن وسط سعد تسمى بعد قضتها الرحابا^(١)

تري برصاً بأسفل^(٢) إسكتيها كمنفقة الفرزدق حين شابا

قال فما أهجن بيت قيل قال قول جرير :

طرقك صائدة القلوب وليس ذا حين الزيارة فارجي بسلام

قال فهل تعرف جريراً ؟ قال لا ولكن ترد علينا أقوليل الشعراء فلم أر شعراً

أرق في الوزن ولا أملاً للغم من شعره فقام جرير فقبل رأسه وجعل جائزته في

هذا العام له وأضاف عبد الملك إليها مثلها وكتب إلى عامله باليامة أن ينصف

من خصم تظلم منه .

وقد قال عمار بن عقيل بن بلال بن جرير :

بدأتم فأحسنتم فأنتيتُ جاهدًا وان عدتمُ أنتيتُ والعودُ أحسن^(٣)

وقال ابن المعتز أو غيره :

خليلى قد طاب الشرابُ المبرّدُ وقد عدتُ بعد النسك والعودُ أحد

وقال ابن حبيب دخل رجل من بني سعد على عبد الملك بن مروان فقال له

ممن الرجل ؟ قال من الذين قال لهم الشاعر :

إذا غضبتُ عليك بنو نعيم حسبتُ الناس كلهم غضابا

قال فمن أيهم أنت ؟ قال من الذين يقول لهم القائل :

يزيد بنو سعد على عدد الحصى وأثقل من وزن الجبال حلومها

قال فمن أيها أنت ؟ قال من الذين يقول لهم الشاعر :

(١) سقط من النسخ بعض كلمات فاستدر كناها من النقائص .

(٢) في النقائص (بمجمّع) مكان (بأسفل) . (٣) لعله «أحد» .

ثياب بنى عوف طهارى نقيه وأوجههم عند المشاهد غران
 قال فمن أيهم أنت ؟ قال من الذين يقول لهم الشاعر :
 فلا وأبيك ماظلمت قريع بأن بينوا المكارم حيث شاؤا
 قال فمن أيهم أنت ؟ قال من الذين يقول لهم الشاعر :
 قوم هم الأنف والأذنان غيرهم ومن يسوى بأنف الناقة الدنيا
 قال اجلس لا جلست والله لقد خفت أن تفخر على .
 وقالوا أفخر بيت قالته العرب قول الفرزدق :
 ترى الناس ماسرنا يسرون خلفنا وإن نحن أومأنا إلى الناس وقفوا
 ورواه لنا أبو علي بن أبي حفص « أربأنا » قال والارباء الاشارة إلى خلف
 والاياء إلى قدام، والناس يحملون هذا البيت لجيل في قصيدته التي يقول فيها :
 وكانت تحيد الأسد عنا مخافة فهل يقتلني ذو بنان يطرف
 لقد أخلفت ظني وكانت مخيلة وكم من مخيل يرتجي ثم يخلف
 إذا انتهب الأقوام مجداً فانتا لنا مغرماً مجد وللناس مغرف
 وضعنا لهم صاع القصاص رهينة بما سوف تنوفيه إذا الناس طفقوا
 ترى الناس ماسرنا يسرون خلفنا وإن نحن أومأنا إلى الناس وقفوا
 وكان جميل جيد الافتخار قال :
 والشاعر المبتلى الشاعرون به كي يلمسوه ^(١) وأين اللمس من زحل
 وعند الناس قصيدته الفائية أحسن وألسن من قصيدة الفرزدق . وأخذ بعضهم
 قوله * وكم من مخيل يرتجي ثم يخلف * فقال وأحسن :
 ظننت به ظناً فقصر دونه فيارب مظنون به الخير يخلف
 وما الناس بالناس الذين عرفتهم وما الدار بالدار التي كنت أعرف
 وما كل من تهواه يهواك قلبه وما كل من أنصفتك لك منصف

أخبرنا أبو أحمد عن المبرمان عن أبي جعفر بن العيسى عن العيسى قال من أحسن مامدح به الرجل نفسه قول أعشى ربيعة :

وما أنا في نفسي ولا في عَشيرتي بمنهضم حقي ولا قارع سني
ولا مسلم مولايَ عند جنابة ولا خائف مولاي من شر ما أجنى
وإن فؤادي بينَ جنبيَّ عالمٌ بما أبصرت عيني وما سمعت أذني
وفضلي في الشعر واللُب أني أقولُ على عِلمٍ وأعلمُ ما أغني
فأصبحتُ إذ فضلت مروانَ وابنه على الناس قد فَضلت خير أب وابن

وأنشدنا أبو أحمد عن أبي بكر عن أبي حاتم عن الأصمعي قال وهو من أجود ما مدح به الرجل نفسه ، قال أبو هلال وهو لسكين الدارمي :

ورُبَّ أمورٍ قد برت لحالها وقومت من أصلاها ثم رشتها
أقيم بدار الحزم مالم آهن بها فان خفتُ من دار هوانا تركتها
وأصلحُ جل المال حتى حسبتني بخيلاً وإن حقُّ عراني أهنتها
ولستُ بولاج البيوتِ لفاقة ولكن إذا استغفيتُ عنها ولجتها
إذا قصرت أيدي الكرام عن العلا مددتُ لها باعاً طويلاً ففلتها
وعوراءُ من قيل امرئ ذي عداوة تصاممتُ عنها بعد أن قد سمعتها
رجاء غد أن يعطفَ الودُّ بيننا ومظلمة مني بجنبي عركتها
غيره : ومالي وجهٌ في اللثام ولا يدُّ ولكن وجهي في الكرام عريضُ
أصبحُ ^(١) إذا لاقيتهم وكأني إذا أنا لاقيتُ اللثامَ مريضُ

وقلت في معناه :

وخلَّ الجهولُ وبغضى له فاني لبيبٌ أحبُّ اللبيا
بصادفني الضيف طلقاً ضحوكا وإن كنتُ لم أرَ بدعاً عجيبا
وأستعملُ الحلم مالم أكن أصبتُ من الذلِّ فيه نصيبا

(١) في الأصل « أصبح » وهو تصحيف لافائدة في كثرة التنبيه على مثله .

من الحلم ضربٌ إذا رُمته لقيت من الذل فيه ضروبا
وأنشدنا أبو أحمد قول أبي هفان * فان تسألني عنا فانا حلي العلا * ثم قال
ليس لقوله * فانا حلي العلا * نظير ، وأنشدنا له :

لعمري لئن بيعت في دار غربية ثيابي^(١) إذ ضاقت على الماكِل
فما أنا إلا السيف يأكلُ جفنه له حليةٌ من نفسه وهو عاطل
وقد زاد في هذا البيت على النمر بن تولب في قوله وهو أول من أتى بهذا المعنى :
فان تكُ أثوابي تمزق عن بلي فاني كمثل السيف في خلق الغمد
ولا ثي هفان أيضاً :

تمجبت دُرٌّ من شبي قلْتُ لها لا تعجبي من يياض الصبح في السدف
وزادها عجباً ان رحتُ في سَمَلٍ^(٢) ومادرت دُرٌّ أن الدرَّ في الصدف
فرايت في هذا المعنى تكلفاً قلْتُ :
غيرتني ان رحتُ في سَمَلٍ والدرُّ لا تزدري به الصدف
وله أيضاً في هذا المعنى :

يُصيرني عربي رجالٌ سفاهةً فعزيتُ نفسي مصدراً ثم موردا
بأني مثل السيف أحسن ما يرى وأهيب ما يُلقى إذا هو مُجردا
في ألفاظه فضول لا يحتاج إليها . ومثله في المعنى قول علي بن الجهم أورده
في مصراع وهو * والسيِّف أهيب ما يرى مسلولاً *
ولا أعرف في الافتخار أحسن مما أنشده أبو تمام :

قل لزهير إن شمتَ سَرائنا فلسنا بشتامين * للمتشم
ولكننا نأبي الظلام ونعصى بكل رقيق الشفرتين مصمم
ونجهلُ أيدينا ويحلمُ رأينا ونشتمُ بالأفعال لا بالتكلم
هذا أحسن من كل شيء في الافتخار ، وقريب من هذا المعنى قول

(١) في النسخ « ثيابي إذا » . (٢) سمل الثوب سمولاً : أخلق فهو ثوب سمل .

لقيط بن زرارة :

أغرکم أنى بأحسن شیمۃ بصیرؑ وأنى بالفواحش أخرج
وانک قد سابتنا فغلبتنا هنیئاً مریئاً أنت بالفحش أخطق
أخبرنا أبو أحمد قال أخبرنا الجوهری عن عمر بن شبة قال یروی أنه قیل
للفرزدق أى بیت قالته الشعراء أفخر ؟ قال قول امرئ القیس :

فلو أن ما أسعی لأدنی معیشة کفانی ولم أطلب قلیلؑ من المال
ولکننى أسعی لمجد مؤنلؑ وقد یدرک المجد المؤنل أمثالی
قیل له فأیها أحکم قال قوله :

اللهُ أتجیحُ ما طلبتَ به والبرُّ خیرُ حقیمةِ الرجل
قال فأیها أرق قال قوله :

وما ذرفت عیناکِ إلا لتضربى بسهمیکِ فی أعشارِ قلبٍ مقتل
قال فأیها أحسن قال قوله :

کأن قلوبَ الطیرِ رطباً ویاساً لدى وکرها العنابُ والحشفُ البالی
وقالوا أفخر بیت قالته العرب قول کعب بن مالک الانصارى :
ویبثر بدرٍ اذ یردُّ وجوهکم جبریلُ تحتَ لوائنا ومحمد
ومن بلیغ^(١) الافتخار قول الحجاج :

صبرت سلیمؑ للطعان وطامرؑ واذا جَزِنا لم نجد من یصبرؑ
نحن الذین اذا علوا لم یضجروا یومَ اللقاء واذا علوا لم یفخروا
وقال ضمرة بن ضمرة :

أذیقُ الصدیقَ رأفتی واحاطتِ وقد یشتکی منی العداةُ الابعادُ
وذی ترۃٍ أوجعتهُ وسبقته فقصر عنی سَعیهُ وهو جاهدُ
(قصر وهو جاهد) بلیغ جداً ، ومنه أخذ المحدثون .

(١) فی نسخة (ومن أبلغ) .

ومن جيد الافتحار بالجود وطيب النفس به قول بعض العرب :
 تُسألُنِي هَوَازُنُ أَيْنَ مَالِي وَمَالِي غَيْرَ مَا نَفَقْتُ مَال
 فَقُلْتُ لَهَا هَوَازُنُ إِنَّ مَالِي أَضَرَّ بِهِ الْمَلَكُ الثَّقَالُ
 أَضَرَّ بِهِ نَعَمٌ وَنَعَمٌ قَدِيمًا عَلَى مَا كَانَ مِنْ مَالٍ وَبَالُ
 المعنى حسن جداً ، وفي الألفاظ تكرير شائن .

أبلغ ما افتخر به في كثرة العدد قول الأول :
 مَا تَطْلُعُ الشَّمْسُ إِلَّا عِنْدَ أَوَّلِنَا وَلَا تَغِيبُ إِلَّا عِنْدَ آخِرِنَا
 وقول أبي جندب :

فَلَوْ نَزَادَ أَلْفَ أَلْفٍ لَمْ تَزِدْ وَلَوْ فَقَدْنَا مِثْلَهُمْ لَمْ نَفْتَقِدْ
 وهو من أبيات أخبرنا بها أبو أحمد قال أخبرنا أبو بكر بن دريد عن عمه
 عن أبيه عن ابن الكلبي ، وأخبرنا به غيره فأوردنا أجود اللفظين وأصح الروايتين
 قال بلغني أن عبد الرحمن بن حسان كان يخبر عن أبيه قال خرجت حاجا في الجاهلية
 فاذا أنا بشاب حسن العينين وضياء وبشيخ يساهبه قال فسيبه الفتى ثم ان الشيخ
 غيره بأن أمه من بني الأصفر فخرى الفتى فبلغ ذلك أمه فأقبلت ترقل ارقال الناقة
 الصعبة حتى أخذت بمنكبى الشيخ وهزته وقالت :

سَائِلٌ وَخَلَلٌ فِي إِيَادِ بْنِ مَعْدٍ هَلْ كَانَتِ الرُّومُ عُبِيدًا لِأَحَدٍ
 هُمُ الرِّبِيعُ وَالسَّنَامُ الْمُعْتَمِدُ وَالذُّرُوءُ الْعُلَيَاءُ وَالرَّكْنُ الْأَشَدُّ
 وَأَنْتَ حَرَمِي لَثِيمُ الْمُسْتَنْدِ عُصَاةُ اللُّؤْمِ الَّتِي فِيهَا تَلْدُ
 فسألت عن الشيخ فقيل المغيرة بن عبد الله الخزومي وسألت عن الشاب فقيل
 ورقة بن نوفل ، ثم مررت من فوري حتى آتيت منى فاذا رجل على جبل عظيم لا يمر
 بقوم إلا هاجهم لأنه مر بالأوس والخزرج فهجاهم لاهجوته فنظر إلى قباب بيض
 في شرفي الجبل فقال لمن هذه فقيل لقرن بن تميم من هذيل فأما وقال :
 هَلْ هَهُنَا مِنْ وَلَدِ قُرْدٍ مِنْ أَحَدٍ أَعْطَاهُمْ مِنْ رَجَزِي الْيَوْمَ وَغَدٍ

نخرج أبو جندب وهو يقول :

نعم غلامٌ منهمُ جلدٌ عند
ينفرن من وقع العصي والقدد
واين هذيل واين أشباخ معد
فلو نرأ ألف ألف لم نزد
فارجع إلى ممزك تيساً ذاجيد
قال خلفت انى لا أهجو أحداً مادام أبو جندب حياً .

والعرب تفتخر بكثرة العدد وتذم قلته قال الأخطل * الاكثرين حمى
والاطيبين ثرى * واحتج السموأل لقلة العدد فأحسن :

نعميرنا أنا قليلٌ عديدنا فقلت لها إن الكرام قليلٌ
وما قل من كانت بقاياها مثلنا شبابٌ تسمى للعلا وكهولٌ
وما ضرنا أنا قليلٌ وجارنا عزيزٌ وجار الأكرين ذليل
وهذه قصيدة فى الافتخار ليس لها نظير وإنما تركت إيرادها كلها لشهرتها .

ومن أجود ما افتخر به محدث قول أبى تمام :

لنا جواهرٌ لو خالط الأرض أصبحت
مقاماتنا وقفٌ على الحليم والحجا
إذا زينة الدنيا من المال أعرضت
ليفتخر بجود من أراد فانه
جرى حاتمٌ في حلبة منه لو جرى
فتى ذخر الدنيا أناس ولم يزل
ومنها : كاةٌ إذا طل الكمة لدى الوغى
بخيل لزيد الخيل فيها فوارسٌ
طوى بطنها الآساد حتى لو انه
وبطنانها منه وظهرانها تبرٌ
وأمردنا كهلٌ وأشيننا خبرٌ
فأزبن منها عندنا الحمد والشكر
عوانٌ لهذا الخلق وهو لنا بكر
بها القطر يوماً قيل أيهما القطر
لها باذلاً فانظر لمن بقى الذخر
وأرماحهم حمرٌ وألوانهم صفر
إذا نطقوا في مسهب خرس الدهر
بدالك ماشككت فى أنه ظهر

صبيته ما أن تحدثُ نفسها
فإن ذمَّتِ الأعداءُ سوءَ صباحها
منساع يضل الشعر في طرق وصفها
وقوله: مضوا وكان المكرمات لديهم
بهاليل لو طابت فيض أكفهم
وأى يد في المجد مُدَّت فلم تكن
أصارت لهم أرض العدو قطائما
إذا ما أغاروا فاحتوا مال معشر
فيعطى الذى يعطيهم الجود والقنا
يمدون بالبيض القواطع أيديا

وقلما تجد في الافتخار شعراً يدانى هاتين القطعتين . وقلت :

خليلي باع الدهر بالعرف ضيقه
وواقع نعماء عن الحر طائر
متى ما يصبني بالقوارع طرفه
وهما مثل للخطوب جوابه
تريك اشتعالاً بالنجوم طواله
وتزرى على البيض الطوالع ان مضت
تحاقت الأيام فهي تخيفني
ولو كن في عيني لما قذيت بها
أطلع منها في ديارى طوالع
يقارع منى بأسلاً ذا حفيظة
فتى بآتم الفضل ليس بقانع
فما صحبته للأنام صنيعه

على كل ذى عقل وبالنكر واسع
وطائر بلواه على الحر واقع
أصابته همتى وهن قوارع
كما أنهن للخطوب دوافع
وهن إذا لاحت نجوم طوالع
وهن على العلات بيض قواطع
وللنكس تهديد إذا ريع رائع
فكيف ترى أنى إذا صلب خاشع
بسوء وهمتى عليها طلائع
يقوم أزاء النصر حين يقارع
ولكن بأذى ببلغة العيش قانع
ويصحبهم منه وفيه صنائع

ولم يتواضع في مصاداة منة
له شرف في آل ساسان باذخ
إلى أن قلت: تؤدبه الأيام حين تضره
وما ضاع مثلي حيث حلت ركابه
ومثلي مخضوع له غير أنه
ومثلي متبوع على كل حالة
وقال ديك الجن ^(١) يفتخر بكلب:

كلب قبيلي وكنب خير من ولدت
وعيرتنا وما ان طل را؟
غلاة موة والاشراك مكتهل
ان تعبسى لدم منا هريق بها
أقمده وقم طاماً ان لو تطوقها
أقام حصن عليهم حصن مكرمة
إذا غدت خيلهم تستنجد المطى؟
كم عرّضوا أيدياً ييضاً مكرمة
أسديرون الردى المفضى بأنفسهم
وقال الجاني:

ونحن سننا الصبر في كل موطن
وقال: بنا يستشار العز عن مستقره
وحطت مساعينا على حطط الفخر
وقال ابن المعتز:

فقرى فتى وشبابي كهل
وكل فضل لي عليه فضل
أشكى لجودي حين يشكى البخل

(١) هو عبد السلام بن رغبان الكلبي، من الشعراء المجيدين في العصر العباسي.

وقرأت لقابوس بن وشمكير ^(١) الخبلى ^(٢) رسالة في الافتخار والعتاب ليس لها نظير في علوها وإفراطها وهي : الانسان خلق ألوفا وطبع عطوفا فما بال الاصبهذ لا يحيل عوده ولا يرجى عوده ولا يحال لفيثه مخيلة ولا تحال عن تنكره محيلة أمن صخر تدمر قلبه فليس يلينه العتاب أم من الحديد جانبه فلا يميله الاعتاب أخلق ^(٣) من صفاقة الدهر حجر ^(٤) بنوه فقد نبا عليه غرب كل حجاج أو من قساوته إباء مزاج آبائه فقد أبى على كل علاج ما هذا الاختيار الذى بعد الوهم فهما وهذا التمييز الذى يحسب الجهل علما وهذا الرأى الذى يزين له قبح العقوق ويمقت اليه رعاية الحقوق وما هذا الاعراض الذى صار ضربة لازب والنسيان الذى أنساه كل واجب أين الطبع الذى هو للصدور صدود وللتألف ألوف ودود وأين الخلق الذى هو في وجه الدنيا البشر وفى مبسمها الثنايا الغر وأين الحياء الذى يجلى به الكرم وتحلى بمحاسنه الشيم كيف يزهد فى من ملك عنان الدهر فهو طوع قياده وتبع مراده ينتظر أمره ليمثل ويرتقب نهيه ليعتزل وكيف يهجر من تضاءلت الأرض تحت قدمه فصارت له فى الاتقياد كبعض خدمه إذا رأت منه هشاشة أعشبت وان أحست منه بجفوة أجذبت وكيف يستغنى عن خيله العزمات والأوهام وأنصاره الليالى والأيام من هرب منه أدركه بمكائدها ومن طلبه وجده فى مراصدها وكيف يعرض عن تعرض رفاة العيش باعراضه وتنقبض الأرزاق بانقباضه وأضاء نجم الاقبال إذا أقبل وأهل هلال المجد إذا تهلل وكيف يزهى على من تحقر فى عينه الدنيا وترى تحته السماء العليا وقد ركب عنق الفلك واستوى على ذات الحبك فتبرجت له البروج وتكوكبت لعبادته الكواكب واستجارت بعزته الحجرة وآثرت لمحاسنه أوضاع الثريا بل كيف يهون من لو شاء عقد الهواء وجسم الهباء وفصل ترا كيب الاشياء وألف بين النار والماء وأخذ ضياء الشمس والقمر وكفاهما غناء السير

(١) فى النسخ (وشمكير) . (٢) لعله (الخبلى) . وقابوس هو الملقب بشمس المعالي الأمير الأديب المنشئ . (٣) أعلمها مقحمة (٤) فى نسخته « مجن » .

والسفر وسد مناخر الرياح الزعازع وأطبق أجفان البروق اللوامع وقطع ألسنة
الرعود بسيف الوعيد ونظم صوب الغمام نظم الفريد ورفع عن الأرض سطوة
الزلازل وقضى ما يراه على القضاء النازل وعرض الشيطان بمرص الانسان وكل
العيون بصور الفيلان وأنبت العشب على البحار وألبس الليل ضوء النهار أو لم يعلم
أن مهاجرة من هذه قدرته ضلال ومنازمة من هذه صورته خيال وأن من له هذه
المعجزات يشتري رضاه بالنفس والحياة ومن يأتي بهذه الآيات يبتغي هواه
بالصوم والصلاة ومن لم يتعلق منه بحبل كان بهما لا شية به ومن لم يأو منه الى ظل
ظليل ظل صريحا لا عصمة له ولم لا يسترد عازب الرأى فيعلم أنه ما لم يعاود الصلة
مأفون ويستعيد غائب الفكر فيفهم أنه ان أقام على الفرقة مغبون أظنه يقدر أن
الاستغناء عنى هو الغناء والغنى ولا يظن أن الاتواء على هو البلاء والبلى ويخال
أنه مكتف بماله وعرضه و متمرز بسمائه وأرضه ولا يشعر أنى كل لبعض وطول في
عرض وأن قوة الجناح بالقوادم دون الخوافى وعمل الرماح بالأسنة دون العوالي،
ليس إلحاحى على سيدى مستعيدا وصاله ومستصلحا بالالحاف خصاله وعدى عليه
هذه المعائب لاستماتته من جانب الى جانب لا تفى بمن يرغب فى راغب عن وصلته
أو ينزع الى نازع عن خلته أو مؤئل حالا عن من ينحت أثله^(١) ومقبل بوده على من
لا يجعله قبلته فأنى لو علمت أن الأرض لا تسف تراب قدمى لما وضعت عليها
جانبا وان السماء لا تتوق الى تقبيل هامتى لما رفعت اليها طرفا ولسكنى أكره أن
يعرى فخره من قلادة الحمد ويجنب جنبيه اكليل المجد ويظل وجه الوفاء بقبضه
على يده مسود اوركن الاخاء بفته فى عضده منهدا ولا يعجبني أن يكسوه مكارمه
كلف الخول ويأذن لطواله معاليه بالا قول فان فضل سيدى الخود على الوجود والعدم
على الوجود ونزل من شامخ الى خفض ومن خالق الى دحض وجاهر بهجره وأصر على
صرمه ومال الى الملل لم يصل نار الوصال حلت عنه معقود خصرى وشغل عن الشغل به

خاطري بل محوت ذكره من صفحة فؤادي وأعددت وده فيما سال به الوادي :
وفي الناس ان رمت جبالك واصل^١ وفي الارض عن دار القلي^٢ متحول
وفي بعض الفاظ هذه الرسالة تكلف إلا اني أوردتها لعلو معانيها .
وقال بعضهم :

ومن يفتقر منا يسأل^٣ حسامه^٤ ومن يفتقر من سائر الناس يسأل^٥
وقال ابن المعتز^(١) :

سألتكم بالله ما تعلمانني ولا تكتم شيئاً فعندكما خبري
أرفع نيران القرى لغفاتها وأصبر يوم الروع في ثغرة الثغر
وأسال^٦ نيلاً لا يجاد^٧ بمشله ويفتحه بشري ويختمه عذري
وبارب يوم ما توارى نجومه مددت إلى المظلوم فيه يد النصر
وقال : وقعت الى القوم الصفايا بمنصلي فصيرتها مجداً لقومي وأحسابا
وأشدنا أبو القاسم عن العقدي عن أبي جعفر لعبد العزيز بن زرارة^(٢) :
قد عشت في الدهر أطواراً على طرقي شتى فصادفت في^٨ اللين والقطعا
لايملاً الأمر صدرى قبل موقعه ولا يضيق به ذرعى إذا وقعا
كلاً لبست فلا النماء^٩ تبطرني ولا تخشعت من لاؤها جزعا
وسألني بعض أدياء البصرة فقال ما أدل بيت على عقل صاحبه وحزمه ؟ فقلت
قول الأقبيل القيني :

إذا لم أجد بداً من الأمر خلتني كأن الذي يأنى علي^{١٠} بسير^{١١}
فقال ما عدوت ما في نفسي . ومثله قول أبي الشناش :
على أي شيء يصعب الأمر قد ترى بعينك ان لا بد أنك راصبه

(١) هو أبو العباس عبد الله بن المعتز بالله الخليفة العباسي ، أوقع بالشعر
ونيف فيه ، قتل سنة ٢٩٦ . (٢) هو القائد الشجاع في زمن معاوية ، قتل
في إحدى وقائع القسطنطينية فلما بلغ معاوية قال : هلك والله فتي العرب .

وفي ألفاظ هذا البيت زيادة . وقلت في معناه :

علامَ تَستصعبُ الأُمـرَ لا ترى منه بُدا
بادر واخلَّ الهوينا وجدَّ كما تجدا
فلن تلاقى جدًّا حتى تلاقى كدا

ومن بليغ الافتخار بذلاقة اللسان قول جرير :

وليس لسيفي في العظام بقيةٌ ولا سيفٌ أسوى وقعه من لسانيا
وهي من قول حسان * ويبلغ ما يبلغُ السيفُ مذودي *
وقلت : ولي لسانٌ إذا أطلقته عرضاً سعى مساعيَ ضرغامٍ وثمان
وقد نمتنى أجدُّه جحاجةً من نجل ساسان تزهو نجل ساسان
هم الكواكب في أطرافٍ داحية أو العنان على أثباج أعنان
قومٌ إذا ما أتوا بالسوء ما اعتدروا ولا يمنون إن منوا باحسان
وقلت : من يكن صائلاً بمثل لسانى لم يضره أن لم يصل بسنان

وأخبرنا أبو القاسم عن المقدي عن أبي جعفر عن المدائني قال قلت لرجل من
جذام وأكثر من وصف ملوك الحيرة : لو كان هؤلاء الأنصار لم ترد فقال لئن
كان هؤلاء القوم نصروا الدين لقد نصر أولئك الكرم ولئن كان هؤلاء خصوا
بالإسلام لقد خص أولئك بالأنعام ولئن حاز هؤلاء شرف اليوم وغداً لقد سبق لأولئك
شرف هو باق على الأبد ولو علأ فعل هؤلاء على الهواء لجارت مكارم أولئك أعنان
السما ومن يقرن بالبلد الخراب اليباب بلدًا تحل به السحاب في كل مقدي وما ب .

ومن جيد الافتخار قول مبشرين هذيل الشخى :

ألم تعلمي يا عمر كـ الله أننى كريمٌ على حين الكرام قليل
وانى لا أخزى إذا قيل مُسلى جوادٌ وأخزى أن يُقالَ بخيل
فان لم يكن عظمى طويلاً فانتى له بالخصال الصالحات وصول
وإنك قصداني الرجال فانتى إذا حلَّ أمرٌ ساحتى لجليل

إذا كنتُ في قومٍ طوالٍ فضلتهم
ولا خيرَ في طولِ الجسومِ وعرضها
ولم أَرِ كال معروفٍ أمّا مذاقه
وقلت : غنّى غنى نفسى ومالى قناعتى
ونغرى إسلامى وذخرى أمانتى
ولى عزماتٍ كالسيوفِ قواضيا
وتغشى صدورَ النائباتِ صدورُها
ألا لا يذمّ الدهرَ من كان عاجزاً
فن لم تبلغهُ المعالى نفسه
ولا أعرف في افتخارِ الجاهليةِ أجود ولا أبلغ من قول عمرو بن كلثوم^(١) :
ونحنُ الحاكمون إذا أطعنا
ونحنُ التاركون لما سخطنا
ونحنُ العائفون إذا عصينا
ونحنُ الآخنون لما رضينا

وقد أحسن ابراهيم بن العباس في قوله :

إمّا ترىسى أمامَ القومِ متبعاً
يوماً أنيخُ فلا أدعى على نسب
لا تسألى القومَ عن حىّ صحبتهم
وقال : أميلُ مع الزمامِ على ابن عمى
أفرق بين معروفى وبنى
فاما تلقى حُرّاً مطاعاً
فقد أرى من وراء^(٢) الخليل أتبع
واستبيحُ فلا أبقي ولا أدعُ
ماذا صنعت وماذا أهله صنعوا
وأقضى للصديق على الشقيق
وأجمع بين مالى والحقوق
فانك واجدى عبدَ الصديق

وهذا من قول الأول :

(١) فى الأصل « عمرو بن أم كلثوم » و « أم » مقحمة . وهو صاحب المعلقة المشهورة ، كان سيد تغلب وفارسها وشاعرها وخطيبها ، مات قبل الاسلام بنحو نصف قرن . (٢) فى الأصل « ورأى » .

وإني لعبدُ الضيفِ مادامَ ثاويًا وما فيَّ إلا ذاك من شيمة العبدِ
وقال الآخر * وعبد للصحابة غير عبد *

وسمعت بعض الشيوخ يقول أبلغ شيء قيل في الافتخار قول الآخر :
أبني حنيفة أحكموا سُفهاءكم إني أخافُ عليكم أن أغضبا
قوله * أخاف عليكم أن أغضب * بليغ في الوعيد وفي دلائل القدرة
على مايسوؤهم ، قال أبو هلال هو لجرير فهدد فيه بالهجاء ولو كان لمن يتمكن من القتل
والاسرو والنكاية لكان أخطر بيت قيل . وأخبرنا أبو أحمد عن ابن دزيد عن
عبد الرحمن عن عمه قال ذكر أعرابي قوما فقال : مانالوا بأطراف أناملهم شيئاً إلا
وطئناه بأخامص أقدامنا وإن أقصى مناهم لأدنى فعالنا . وقال أبو داف للعجلي :

وكن على الدهر فارساً بطلا فأنما الدهر فارسٌ بطلٌ
لأبدٍ للخيل أن تحول بنا والخيل أرحامنا التي نصلُ
فرّةً باللجين ننقلها ومرةً بالدماء تنقل -
حتى ترى الموت تحت رابتنا تطفأ نيرانها وتشتعل

﴿ الباب الثالث من الباب الأول في التهاني ﴾

لم تكن من الاقسام التي كانت العرب تصوغ فيها شعراً وإنما كانت أقسام
الشعر في الجاهلية خمسة : المديح والهجاء والوصف والتشبيب والمرأى حتى زاد
الناطقة فيها قسماً سادساً وهو الاعتذار فأحسن فيه ولا أعرف أحداً من المحدثين
بلغ مبلغه فيه إلا البحترى فإنه قد أجاد القول في صنوفه وأحسن وأبلغ ولم ينر
لاحد مزيداً حتى قال بعضهم هو في هذا النوع الناطقة الثاني . ولا أعرف للعرب

شيئاً ينسب^(١) الى التهانى ومهما جاء عنهم من شكلها شيء فهو عند العلماء معدود
في جملة المديح مثل قول أبى الصلت الثقفى يذكرك سيف بن ذى يزن واتبانه بالفرس
ومحاربته بهم الحبشة حتى أزالهم عن أرضه وهو قوله بعد ذكر الفرس :

فاشرب هنيئاً عليك التاجُ مرتقفاً في رأس غمدان دار منك محلا لا
تلك المكارمُ لا قبانٍ من ابن شيبث بقاء فعاتد بعد أبو الـ^(٢)
أخذ بعض شعراء الجبل فقال في بعض رؤسائه :

فاشرب هنيئاً عليك التاجُ مرتقفاً في شاذ مهروءع غمدانَ لليمن
فأنت أولى بتاج الملكِ تقصده من هوزة بن عليّ وابن ذى يزن
ولست أختار من التهانى بالأعياد على أبيات أشجع شيئاً :

لازلات مبشر أعياد وتطويها تمضى بها لك أيام وتثنيها
مستقبلاً غرة^(٣) الدنيا وبهجتها أيامها لك نظم في لياليها
العيد والعيد والأيام بينهما موصولة لك لا تقى وتغنيها
ولا تنقضت بك الدنيا ولا برحت تطوى بك الدهر أياماً وتطويها
ليهنك النصر والأيام مقبلة اليك بالفتح معقود نواصيها
أمت هرقلة تدمي من جوانبها وناصر الملك والاسلام مدميها
ابن الخليفة سيف لا يجرده إلا الذى يملك الدنيا وما فيها
ما قارع الدين والدنيا عدوها بمثل هارون راعيته وراعيتها
وقلت : ما لىالى والأيام منقبة غراء تسمو بها إلا مساعيك
ربى يبيقك ماتهوى على فرح كما يلقىك ماتهوى ويعطيك
لألف فصل لهذا الفصل تبلغه باليمن والخير تبليه وينميك
ولا تزال لك الأيام موطاة تمضى قضايك منها فى أمانيك

(١) فى الاصل « ينتسب » . (٢) فى الاصل « شيباباء فعااد ابعداً أبو الـ » .

(٣) فى النسخ « لغرة » .

ووجدت بخط أبي أحمد من أجود ما قيل في التهئة بالنوروز قول هارون بن
عليّ لعلّ بن محمد الحواري :

على إذا الجود والمعالى يامعدن الانعام والافضال
يامن به نيظت محرى الآمال فحكم الآمال في الاموال
جود^ه بلا من ولا اعتلال مبتدأ يغنى عن السؤال
قابله النوروز بالاقبال ونعم تأتي على اتصال
محروسة مأمونة الزوال شبهك في تصرف الاحوال
فليسله أزهر ذو اشتعال كأنه وجهك في الجمال
وصبحه بلال ذو انهمال يحكى ندى كفك ذا الأسبال

جری بماء و جرت بمال

ومنها : قول غدا يوفى على الأقوال كمثل ما توفي على الرجال
فاشبهة الأجواد بالبخال وعدت^(١) مسروراً رضى البال
في نعمة ضافية الاذبال بعز ذى العزة والجلال
وأخبرني بعض اصحابنا قال كتب أحمد بن أبي طاهر إلى إسماعيل بن
بليلى : أنا وإن كنت في عدد الحشم والاتباع الذين يخرجون من تفضيل
الخاصة ويرتفعون عن الدخول في جملة العامة فاني في وسط القلادة منهم
وبمكان من نظام نعمتك التي تجمعهم وهذا يوم من أيام الملوك السادة الذين لم
تزل تجرى لهم السنة^(٢) على عبيدهم وأصحابهم وقوادهم وكتائبهم بالاهداء اليهم
وقبول ما أهدوه منهم ليعرف مكان التشريف في مرتبته من مكان المنحط عن منزلته
وموضع النعم من المنعم عليه في التقدم بقبول ما يهديه اليه وكل يهدي على قدر
بضاعته وورثته ومقداره في نفسه وهمته وعلى حسب موضعه من سيده ومالسه
وما يحويه ملكه وتبأغه مقدرته وكرهت أن أمسك عن البر فأخرج عن جملة

(١) في النسخ « عدت » بدون واو (٢) في النسخ مهملة من النقطة .

العبيد والحشم وأهدى ما يقصر عن الواجب اللازم والحق المقترض فجعلت هبتي مع
الثقة بعذرك والاعتماد على تفضيلك وصفحك أحياناً اقتصرت فيها على الدعاء لك
والثناء عليك أسأل الله تعالى أن يقرنه بالاجابة فيك كما قرن مدحى لك بالتصديق فقلت:

أبا الصقر لا زالت من الله نعمةٌ تجددُها الأيامُ عندك والدهرُ
ولا زالت الأعيادُ تمضى وتنفضى وتبقى لنا أيامُك الغررُ الزهرُ
فانك . للدينا جمالٌ وزينةٌ وإنك للأحرارِ ذخِرُ هو الذخرُ
رأيت الهدايا كلها دونَ قدره وليس شيءٌ عند مقداره قدرُ
فلا فضلَ إلا وهو من فضلِ جوده ولا يرُ إلا دونهُ ذلك البرُ
فأهديتُ من حلى المديحِ جواهرًا منصلةً يزهي بها النظمُ والنثرُ
مدائحُ تبقى بعد ما نفذ الدهرُ وتبهى بها الأيامُ ما اتصل العمرُ
شكرتُ لاسماعيلَ حُسنَ بلائه وأفضل ما تجزى به النعمُ الشكرُ

أخبرنا أبو أحمد عن أبيه عن أحمد بن أبي طاهر عن ابن هفان قال دخلت
على سعيد بن حميد في يوم نيروز وهو مستعد يكتب إلى اخوانه فقرأت عليه
كتابك وشعرك الى أبي الصقر - يعنى الكتاب والشعر الذى تقدم - فكتب وأنا
حاضر الى الحسن بن مخلد : أيها السيد النجيب عشت أطول الاعمار في زيادة
من النعم موصولة بقرائنها من الشكر لاتقضى حق نعمة حتى تتجدد لك أخرى
ولا يمرُّ بك يوم إلا كان موفياً على ما قبله مقصراً عما بعده قد تصفحت أحوال
الاتباع الذين تجب عليهم الهدايا إلى السادة في هذا اليوم والتمست التأسى بهم في
الاهداء اليك وان قصرت الحال عن الواجب لك فرأيتنى ان أهديت نفسى فهم في
لك لاحظ فيها لغيرك ورميت بطرفى الى كرائم مالى فوجدتها منك فكنت ان
أهديت شيئاً كهدي مالك اليك ولم يزد على أن نبه على نعمتك واقضى نفسه
بشكرك وفرغت الى مودتى وشكرى فوجدتهما لك خالصتين قديمتين غير مستجدتين
واني ان جعلتهما هديتي لم أجد لهذا اليوم براً ولا لطفاً ولم أقس منزلة شكرى بمنزلة

من نعمتك إلا كان الشكر مقصراً عن الحق والنعمة زائدة على ما لم تبلغه الطاقة ولم أسلك^(١) سبيلاً ألتبس بها ما أعتد به في مجازاتك الا وجدت فضلك قد سبقني اليها فقدم لك الحق وأحرز لك سبق فجعلت الاعتراف بالتقصير عن حقك هدية اليك تفي بما يجب لك والعذر في العجز عن برك برا أتوصل به اليك :

ان أهد نفسي فهو مالكمها وله أصون كرائم الذخر
او أهد مالا فهو واهبه وأنا الحقيق عليه بالشكر
أو أهد شكرى فهو ممرتهن بجميل فلك آخر الدهر
والشمس تستغنى إذا طلعت أن تستضيء بسنة البدر

ثم قرأه على قفلة أبا عثمان الساعة قرأت عليك لابن أبي طاهر هذه المعاني بأعيانها قال والساعة عملتها وليس بيننا حشمة . ولا أعرف لهاتين الرسالتين في هذا الباب نظيراً في رقة معانيها وحسن تخريجها ، ورسالة سعيد بن حميداً كثرهما معاني . وأول من افتتح المكتبة في التهانى بالنوروز والمهرجان أحمد بن يوسف أهدى إلى المأمون سفظ ذهب فيه قطعة عود هندي في طوله وعرضه وكتب معها هذا يوم جرت فيه العادة بالأنطاف العبيد السادة وقد قلت :

على العبد حق فهو لاشك فاعله وإن عظم المولى وجلت فضائله
ألم ترنا نهدي إلى الله ماله وإن كان عنه ذاغى فهو قابله
ولو كان يهدى للقليل بقدره لقصر عمل البحر عنك وناهله
ولكننا نهدي إلى من نجله وإن لم يكن في وسعنا ما يشا كله

فأخذ سعيد بن حميد هذه المعاني وكتب إلى ابن صالح بن يزيداد : النفس لك والمسال منك والرجاء موقوف عليك والأمر مصروف اليك فما عسانا أن نهدي لك في هذا اليوم وهو يوم قد شملت فيه العادة للاتباع الأولياء باهدائهم إلى السادة العظماء وكرهنا أن تحليه من سينته^(٢) فنكون من المقصرين أو ندعى أن

(١) في الاصل «أسالك» . (٢) في النسخ مبهمة من النفط .

في وسعنا ما يفي بحقك علينا فنكون من السكاذيين فاقصرنا على هدية
تقضى بعض الحق وتقوم عندك مقام أجل البر وهي الثناء الجليل والدعاء الحسن
قللت : لازلت أيتها السيد الكريم دائم السرور والعطية في أتم العافية وأعلى منازل
الكرامة تمر بك الأيام المفرحة والأعياد الصالحة فتخلقها وأنت جديد .

فأول كلامه مأخوذ من قول المعل بن أيوب للمعتصم : النفس لا أمير المؤمنين
والمال منه وليس فيما أوجبه الحق نقيصة ولا على أحد فيه غضاضة ، وباقيه من كلام
أحمد بن يوسف ، والدعاء الذي في آخره لمعل بن عبدة الريحاني لم يزد سعيد بن
حميد فيه شيئاً .

وأحسن ما سمعت من الدعاء قول علي بن هرون بن يحيى المنجم : أمتع الله
الأمير بما خوله واستقبل به من العمر أسره وأطوله وملاه من العز أمدّه
وأكمله وألبسه من الانعام أسبغه وأجزله ومهد له من العيش أرغده وأفضله وجمع
له من الخير آخره وأوله .

وللصاحب أبي القاسم إسماعيل بن عباد فصول في التهانى قليلة النظم منها
ما كتب يهنئ بالوزارة : أنا أهني أطل الله بقاء سيدي الوزارة بألقائها الى فضله
مقادتها وبلوغها في ظله ارادتها وانحيازها الى ذراه واضحه المجد والفخر وتوشحها من
كفايته بفرقة سائلة على وجه الدهر واشكر له حسن أثره عليها وعطفه حنان الفكر
اليها حتى قرت لديه قرارها وأنقبت بيديه نهارها بعد أن هفا قلبها إشفاقاً من
استشراف أبادى النقص لها وخرج صدرها من تحدث احلاس الجهل بها ولاغرو
فهي وليدة ذراه قد آلت لا تخط خطته وعاهدت لا برحت ساحته فالحمد لله الذي
أقر عين الفضل ووطأ مهاد المجد وترك الحساد يتعثرون في ذيول الخيبة ويتسقطون
في فضول الحسرة حمداً يديم أيام مولانا ويطيل بقاءه ويحرس عزه وينصر لواءه
فقد شرح صدور المجالس وشد ظهور المحامد بتفويض الصدر الى ولينه بمحققين قديم
وحديث وبفضلين مكتسب وموروث .

وكتب : الأستاذ الربيع الذى يتصل مطره من حيث يؤمن ضرره ويدوم زهره من حيث يتعجل ثمره لازالت الايام مسعودة بقرعها الى انقاده وتقديره والازمان محسودة بأحيازها الى امضائه وتدبيره فما اكسى الدهر حلة أبهى من حصول عنانه في يديه ومثوله من جملة العبيد لديه لازال آمراً ناهياً سامياً عالياً تنهأ الاعياد بمصادفة سلطانه وتستفيد المحاسن من رياض إحسانه .

وكتب : الأستاذ عيد الزمان وربيع الأيام وهذا الفضل الجامع لأحكام الفضل معتز اليه معتز بما لديه فغيثه بتشبه بكفه واعتداله مضاه لخلقه وزهره مواز لنشره وان تسعد به سعادات لا يبلغ حدّها ولا يحصر عدّها وهو أطال الله بقاءه يحظر المهاداة بما يحضر ما خلا السكتب التي لا يرفع عنها كبير ولا يمتنع منها خفير لازال جنابه موروداً بالعلم ومنحماً عنه بالغنى .

ومثله ما كتب : قد أقبل النوروز إلى الأستاذ ناشرًا حلّله التي استعارها من شيمته ومبدئاً حليّه التي أخذها من سجيته ومستصحباً من أنواره ما اكتساه من محاسن أيامه ومن أمطاره ما اقتبسه من جوده وانعامه مؤكداً الوعد بطول بقاءه حتى يتحلّى العمر ويستغرق الدهر ويستكمل من الرتب أعلاها ويحل من المنازل أسماها ويرى السادة الفتيان قد افتقروا سعيه واقتنوا هديه وأسعده سمادة تستوفي معها الهمة وما ترتقى اليه والامل وما يشرف عليه .

وكتب : أما بعد تهنأ سيدي الموهبة اتى ساقها اليه ومدّ رواقها عليه إذ كانت من عقائل المواهب مسفرة عن خصائص المراتب وكيف لا تكون كذلك وقد صدرت عن مالئ الأرض وولى البسط والقبض ومصرف الثقلين ومدير الخافقين أدام الله سلطانه وأيد أعوانه مكنوفة بكرم رأيه وشرف اختصاصه واجتبائه وخطبتها عناية مولانا الأمير أدام الله أيامه ونصر أعلامه وحلت من سيدي محل الإيجاب والاستيجاب والاستحقاق دون الاتفاق فعرفه الله مباً من أغزر شريعة بأشرف ذريعة وأبرع فضيلة حصلها بأرفع وسيلة .

وكتب في فصل له يهنئ فيه عضد الدولة وقُدُولد له ابنان توأمان: وصل كتاب
 الأمير بالبشرى التى أبت النعمة بها أن تقع مفردة وامتنعت العارفة فيها أن
 تسنح موحدة حتى تيسرت منحتان في موطن وانتظمت موهبتان في قرن
 وطلع من النجيين أبى القاسم وأبى كالنجم أدام الله عزهما طالعا ملك ونجما
 سعد وشهابا عز وكوكبا مجد فتأهلت بهما ربيع المحاسن ووطئت لهما أكناف
 المكارم واستشرفت اليهما صدور الاسرة والمنابر ، وفهمته وشكرت الله تعالى
 شكر من نادى الآمال فأجابته مكبة ودعا الامانى فأجابته مصحبة وحمدته
 حمداً مكافئاً جسم ماأتاح وعظيم ماأفاد واكتنفتى من السرور مافسح منهاج
 القبضة وسهل موارد وسعت ماورد اتساعه شرحت صدور الأوياء بمسارها وأزعجت
 قلوب الاعداء عن مقارها وسألت الله اتهام ماأدناه من الاميرين السيدين من
 سعادة لا يهتدى اليها الاختيار علوا ولا ترتقى اليها الافكار سموا وسلطان تضيق
 البحار عن اتساعه وتنخفض الافلاك عن ارتفاعه وتبليغهما^(١) أفضل ما تقسمه السعود
 وتعلو به الجود حتى يستغرقا مع السابقين أخويهما مساعى الفضل ويشيدا قواعد
 الفخر ويرحما صروف الدهر ويغبطا أطراف الأرض وهو تعالى قريب مجيب .
 وله تهنئة بتجدد رتبة : وصل كتاب الاستاذ من الحضرة البهية يشير أن
 آنسها الله وحرسها بذكر مآلقاه كرم مولانا وورقاه اليه من مراتب تشريف لاتكمل
 القرائح لاقتراحها واستدعائها ولا تنسع الخواطر لالتماسها واقتضاءها فحمدت الله
 ولّى الحمد والشكر وأخذت بالخط من قوة القلب وانشراح الصدر وسألته أن يطيل
 بقاء مولانا فى العز الراهن والسلطان القاطن ويعرف الاستاذ بركة مآدرعه من
 شرف لآ حل مقبمه ولا يتحيف عميه انه فعال لما يريد .

وكتب فى تهنئة بالسلامة من الفرق : لولا ان الله تعالى عز اسمه حماني عن
 سماع المسكروه إلا فى ضمان المحبوب حتى تقدم نبأ التبشير ذكر السبب المحذور لما

وجدت في التماسك به بصيرة ولا من ترك التهاك ذخيرة إلا أن لطف الله وعطفه
عجلا إلى خبر البشرية فانتفت الروعة قبل استقرارها وانتقلت الوحشة قبل
استمرارها فتلقيت جميل صنع الله بالحمد لله رب العالمين أفضل ما قبلت به النعم
وشكرت الرغائب والقسم .

وللبحتري تهنئة للمتوكل ببلوغ المعتز يقول فيها :

يا كاليء الاسلام في غفلاته	ومقيم نهجي حجه وجهاده
يهنيك في المعتز بشري بينت	فيها فضيلة هديه ورشاده
قد أدرك الحلم الذي أبدى لنا	عن حلمه ووقاره وسداده
ومبارك ميلاد ملسكك مخبر	بقريب عهد كان من ميلاده
تمت لنا النماء فيك ممتعا ^(١)	بعلو همته وورى زناده
وبقيت حتى تستضيء برأيه	وترى الكهول الشيب من أولاده

وقلت في تهنئة بمولود :

قد زادني عدد الكرام كريم	محض صريح في الكرام ضميم
على المحلة لا يزال كأنه	للعر قرب والسماك نديم
فلا أمره التميم ^(٢) كيف تصرف	حالانه ولشانه التفخيم
فابشر فقد وافاك يوم رزقه	حظ بتخليد السرور زعيم
فرع تكفل دهره بمائه	حتى يكر الدهر وهو أروم
إن الهلال يصير مدة كاملاً	وهو سد الليل وهو بهم
وهو الوجه إذا تبدى وجهه	وغداً إذا نزل العظيم عظيم
وجه كتنوير الرياض وتحتنه	خلق لمحسود الرياح وخيم
فلا هله شرف به متوطد	ولديهم شرف أشم عميم
فاقرر به عينا فاب خلاله	تصفو وتسلس أو يقال نسيم

(١) في ديوان البحتري « تمت لك النماء فيه ممتعا » . (٢) في الاصل مهملة

ولحده التصميم حين تلاحقت أقرانه ولشاده التقديم
ومن أعجب ماجاء في التهئة والتمزية قول عبد الملك بن صالح : أخبرنا أبو
أحمد عن الصولى قال قيل للرشد ان عبد الملك بن صالح يُعِدُّ كلامه فأنكر الرشد
ذلك وقال بل هو طبع فيه حتى جلس يوماً ودخل عبد الملك فقال للفضل قل له :
ولد لاُمير المؤمنين في هذه الليلة ابن ومات له ابن ففعل الفضل ذلك فدنا عبد الملك
فقال : ياأمير المؤمنين سر ك الله فيما ساءك ولا ساءك فيما سرك وجعلها واحدة بواحدة
ثواب الشاكر وأجر الصابر . فقال الرشد : أهذا الذى زعموا أنه يصنع الكلام
مارأى الناس أطبع من عبد الملك في الفصاحة . وقلت في تهئة بمولود :

فاستقبل الخيرَ في نَجيب	عما يَعبُ الورى نزيه
شمسُ نهارٍ وبدرُ ليلٍ	يَمَلِكُ أبصارَ ناظره
يَمَلأها ^(١) بهجة إذا ما	كشفَ عن وجهه الوجيه
رُزقه كمالاً سوياً	تكثرَ علات عائبه
جنى لذيد المذاق حُلُوهُ	يقربُ من كفِّ مجتنيه
وعن قليلٍ يصيرُ شهما	يشقى به جد كاشحيه
ألا فعش في ضمانٍ خيرٍ	حتى ترى الشيبَ من بنيه

وقلت في تهئة باملاك :

تحكى لك الاملاكُ عما تجبه فانك قد فصلت بالبر جوهرها
فصيرتهُ للدهرِ عقداً مفصلاً وطيرتهُ في الأفق نَشراً مُعطراً
هو الينُ لم يعدمك محبوبةً دنت ومكروهة شطت وصعباً تيسرا
ومر عجائب المعاني تهئة لأبي اسحق الصابى مشوبة بالعقد ^(٢) لرجل زوج أمه:
قد جعلك الله وله الحمد من أهل التحصيل والرأى الأصيل وخلوص اليقين فكما
انك لا تتبع الشهوة في محظور منه فكذلك لا تطيع الأنفة في مباح تحظره ويأوى

(١) في الأصل « بملاذها بهجة » . (٢) في الأصل « بالعقبة » .

الينا من ايقاعك العقد بين الوالدة - نفس الله لها في مدتك وأحسن بالبقية منها
امتعك - وبين فلان ما علمنا أنك فيه بين طاعة الديانة توخيها ومشقة فيها تجشمتها
وانك قد جدعت أنف الغيرة لها وأضرعت خد الحمية فيها وأسخطت نفسك
بارضاؤها وعصيت هواك لرأيها فنحن نعزيزك على فائت مرادك ونسأل الله الخيرة
لك وان يجعلها أبداً معك فيما شئت وأتيت وتجنبت وأتيت والسلام . قال الشيخ
أبو هلال رحمه الله تعالى جدعت أنف الغيرة من قول رسول الله ﷺ وقد رأى
عليها وفاطمة عليهما السلام في بيت فرد عليهما الباب وقال «جدع الحلال أنف الغيرة» .
وهنا بعضهم بخروج اللحية وهو أبو نصر بن هبة الله : الحمد لله الذي له
عند خلقه في الأحوال التي يتصرفون فيها والطبقات التي ينتقلون بينها والمراتب
التي يندرجون عليها لطائف من حكمه وفوائد من نعمه توافق مصالحهم وتطابق
حوالهم في تصارييف نشوم الطفولية والايفاع والشبيبة والاجتماع والبلوغ
والاكتمال والانتها والكمال وجعل لكل واحد منهم في كل حد من الحدود
وسناً من الاسنان قدراً من الاسر والقوة وصنفاً من اللون والصورة ومسافة في
السمي والهمة وغاية في الطلب والبقية يكون به قوام عيشه وسداد أمره محطوطاً
من الاضطراب بزيادة في بعض ذلك يُعطاه قبل بلوغ أدواته ممتهاها يناقص سائر
وينافي نظائره فيفتح بالزيادة في الزوائد صورته ويظهر بالنقصان في الناقص آفته
حتى اذا تعالى في المراتب أمد النهاية وتوافت اليه أقسامه في الكفاية كمل الله
احسانه اليه وأتم إنعامه عليه ولله المنة والفضل وبه القوة والحول ، الحمد لله الذي
كساك باللحية حلة الوقار ورداك بها رداء الابرار وصانك عن ميسم الصبا ومطامع
أهل الهوى ماجلك من الهيبة البهية وألبسك من لباس ذوى اللب والروية وألحقك
في متصرفاتك بمن يستقل بنفسه ساعيا ويستغنى عن يصحبه حافظاً وجعلك بما جمل
من صورتك وكل من ادانك وألتك قرناً لمن جاذبك وخصماً لمن نازعك ونقياً
عنك ذلة الاحتقار من أهل المراتب والاختار تستوى معهم في المجالس الحافلة

وتجربى مجرام فى المشاهد الجامعة مسوءعاً قولك اذا قلت مصفى لك اذا نطقت
 آمنًا من انصراف الأبصار عنك لقرب ولادك ونبو الاستماع من حديثك لقلة
 الثقة بسدادك وجاريًا مجرى جلة الرجال على الحملة الى أن تكشف مخابرك بالحنة
 وتعطى المهابة من الذاعر العادى ومن السبع الضارى إذا اتفق لكما مقام يخلو فيه
 كل واحد منكما من رفيدمه وناصر يؤيده يملكه الاشفاق من صاحبه ويقطعه
 من مواليده اليه من ترك ابقائه فى السطوة عليه ولو كان عاريا من هذه الكسوة الشريفة
 والحلية النفيسة لسبقت اليه بالازدراء الأعين وبالاستهغار القلوب والألسن وبالطمع
 أصناف الحيوان من البهيمة والانسان ثم لا يحسن من نفسه قوة على الدفع عنها ولا من
 حريمه قدرة على مايدهاه منها وتلك نعمة من الله حباك بمزيتها فى جمال غشاك وكال
 أنك فليصدق بها اعترافك وشكرك وليحسن ثناؤك ونشرك قضاءً لحق الله عليك
 واستدراراً للمزيد فى احسانه إليك .

وكتب الصاحب تهنة بتزوج أم وتمزية بموت أب : الأيام أطال الله بقاءك تجرى
 على أنحاء مختلفة وشعب متفرقة وأحكامها تتفاوت بيننا بما يسوء ويسر وينفع ويضر وبلغنى
 من نفوذ قضاء الله فى شيخك رحمه الله تعالى ما أزعجنى وأبهم طرق السلوة دونى وان كان من
 خلفك غير خارج عن رؤية الاحياء ولا حاصل فى زمرة الأموات والله بأسو كلمك
 ويسد ثلمك وقد فعل ذلك بأن أتاح الله لك بعد أيك أباً لا يقصر عنه شفقة عليك وحنواً
 وإيثاراً لك وبراً وقد لعمرى وقتت حين وصلت بمجلك حبله وأسكنت الكبيرة حرسها
 الله ظله ثلاثاً تقدم الماضى عفا الله عنه إلا شخصه فالحمد لله الذى أرشدك لما يعيد الشمل
 مجتمعاً بعد فراقه والعدد موفوراً بعد اتقاصه حمداً يقضى لك بالمسرة ويحسم دونك
 مواد الوحشة ويكفيك ثواب ما قضيته من الحق وتحملته فيه من الارق انه فعال لما يريد .
 وكتب تهنة بقدم : قد جدد الله وله الحمد جمال الدنيا وضاعف بهاءها
 وزادها محاسن ترفل فى حللها وتنبخت فى حليها واكتنفها بميامن يمرع جنابها
 ويفتح بالخيرات أبوابها ما استأنف جل اسمه من النعمة الشاملة والمنة السكاملة فى

ثَقِيرِب رَكَابِ مَوْلَانَا أَطَالَ اللهُ بَقَاءَهُ وَكَبَتْ أَعْدَاءُهُ وَكَبَّ حَسَادُهُ وَزَادَ مِنْ رَغْمًا
بِزِيَادَتِهِ تَعَالَى إِيَّاهُ نَعْمَا لَا يَرْحَلُ مَقِيمَهَا وَلَا يَتَحَيَّفُ عِمِيمَهَا مَا اخْتَلَفَ الْعَصْرَانِ وَتَعَاقَبَ
النَّيْرَانِ وَاسْتَقْبَلَ بِهِ فِي وَفْدَتِهِ مَا يَنْقَادُ لَهُ أَقْصَرُ الْأَسَارِ وَيَحْتَوِي عَلَيْهِ أَرْبَعَةُ غَايَاتِ
الْإِخْتِيَارِ بِمَنْهَ وَجُودِهِ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدًا لَا يَمْلُغُ نِدَاءُهُ وَلَا يَنْفَصِلُ أَخْرَاجُهُ مِنْ أَوْلَادِهِ حَتَّى يَسْتَفْرِقَ نِعْمَهُ
وَيَسْتَوْفِيَ فَوَاضِلَهُ وَقَسَمَهُ وَأَنَّى ذَلِكَ وَهِيَ مَتَطَرِفَةٌ إِلَى غَيْرِ غَايَةٍ وَمَمْدُودَةٌ إِلَى غَيْرِ نِهَايَةٍ
لَا يَتَخَطَّى إِلَى شُكْرِ بَعْضِهَا إِلَّا بِتَجَدُّدِ أَمْثَالِهِ مِنْ جَمَلَتِهَا وَتَرَادُفِ نِظَائِرِهِ مِنْ جَمَاعَتِهَا
وَأَنَّ اللَّهَ الَّذِي أَعْطَى كَثِيرًا وَقَبْلَ مِنَ الشُّكْرِ قَلِيلًا وَأَوْجِبَ بِهِ مَزِيدًا وَالصَّلَاةَ
عَلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كَثِيرًا وَهُوَ حَسْبُنَا وَنَعْمَ الْوَكِيلُ .

﴿كِتَابُ الْمُبَالِغَةِ﴾

فِي أَوْصَافِ خِصَالِ الْإِنْسَانِ الْمَحْمُودَةِ مِنَ الْجُودِ وَالشُّجَاعَةِ وَالْعِلْمِ وَالْحِلْمِ
وَالْحَزْمِ وَالْعَقْلِ وَمَا يَجْرَى مَعَ ذَلِكَ وَهُوَ :

﴿الباب الثاني من كتاب ديوان المعاني﴾

سَمِعْتُ الشَّيْخَ رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى يَقُولُونَ أَجُودُ بَيْتِ قَائِلَتِهِ الْعَرَبُ قَوْلَ مُسْلِمٍ
ابْنِ الْوَلِيدِ ^(١) :

(١) هُوَ الْمَلَقَبُ بِبَصْرِيعِ الْغَوَانِي، تَأَدَّبَ فِي الْكُوفَةِ وَعَظَّمَ شَأْنَهُ فِي الشُّعْرَاءِ، مَاتَ بِبَجْرَجَانَ .

يَجُودُ بِالنَّفْسِ إِنْ ضَنَّ الْجَوَادُ بِهَا وَالْجُودُ بِالنَّفْسِ أَقْصَى غَايَةِ الْجُودِ
وَأَوَّلُ مَنْ جَاءَ بِهَذَا الْمَعْنَى عُلُقَمَةُ بْنُ عَبْدِ: ^(١)

تَجُودُ بِنَفْسٍ لَا يَجَادُ بِمِثْلِهَا فَأَنْتَ بِهَا يَوْمَ الْلِقَاءِ خَصِيبٌ
وَهَذَا مِثْلُ قَوْلِ يَزِيدَ بْنِ أَبِي يَزِيدَ الشَّيْبَانِيِّ مَنْ جَادَ بِنَفْسِهِ عِنْدَ الْلِقَاءِ وَبِمَالِهِ
عِنْدَ الْعَطَاءِ فَقَدْ جَادَ بِنَفْسِهِ كُلِّهَا . وَقَالَ اعرابي : مَنْ جَادَ بِمَالِهِ فَقَدْ جَادَ بِنَفْسِهِ
وَإِنْ لَا يَكُنْ جَادَ بِهَا فَقَدْ جَادَ بِقَوَامِهَا . وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ الْجَهْمِ ^(٢) :

طَلَبْتُ هَدِيَّةً لَكَ بِاحْتِيَالِي عَلَى مَا كَانَ مِنْ حَسِيٍّ وَنَسِيٍّ
فَلَمْ أَلَمْ أَجِدْ شَيْئًا نَفْسِيًّا يَكُونُ هَدِيَّةً أَهْدَيْتُ نَفْسِي
وَكُتِبَ الْعَبَّاسُ بِنَ حَرْبٍ إِلَى بَعْضِ الْأُمَرَاءِ وَأَهْدَى إِلَيْهِ هَدِيَّةً : لَا أَعْلَمُ
بِمَنْزِلَةِ تَوْحُشِهِ مِنَ الْأَمِيرِ أَعَزَّهُ اللَّهُ وَلَا تَوْحُشِهِ مِنِّي أَنَا مَوْقَرٌ مِنْ بِلَائِهِ وَفِي الطَّاعَةِ
لَهُ كَيْدُهُ وَفِي الْمَوَدَّةِ لَهُ كَنْفُسُهُ وَفِي الْخِلَاصَةِ كَأَحَدِ أَهْلِهِ وَإِنَّمَا الْطُفْهُ مِنْ مَالِهِ وَقَدْ
بَعَثْتُ إِلَيْهِ مَا يَصْلَحُ لِيَوْمِهِ وَأَهْدَيْتُ لَهُ نَفْسِي الَّتِي هِيَ لِبَذَلْتِهِ وَخِدْمَتِهِ . وَقَالَ أَبُو تَمَّامٍ :
وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي كَفِّهِ غَيْرُ نَفْسِهِ لَجَادَ بِهَا فَلْيَتَّقِ اللَّهَ سَائِلُهُ
وَقَدْ أَنْكَرَ خَلْفُ بْنُ خَلِيفَةَ إِهْدَاءَ النَّفْسِ : قَدِمَ أَخُو لَهُ مِنْ سَفَرٍ فَاقْتَضَاهُ خَلْفُ
الْهَدِيَّةِ فَقَالَ أَهْدَيْتُ نَفْسِي فَقَالَ خَلْفُ :

أَتَانَا أَخٌ مِنْ غَيْبَةٍ كَانَ غَابِهَا وَكَانَتْ إِذَا مَا غَابَ أَنْشَدَهُ الرُّكْبَا
فَقُلْتُ لَهُ هَلْ جِئْتَنَا بِهَدِيَّةٍ فَقَالَ بِنَفْسِي قُلْتُ أَنْخَفُ ^(٣)
هِيَ النَّفْسُ لَا آسَى عَلَيْهَا إِذَا نَأَتْ وَلَا أَتَمْنَى مَا حَيَّتْ لَهَا قُرْبَا
إِذَا هِيَ وَافَتْ مِنْ ثَمَانِينَ قَامَةً فَلَا السَّهْلَ أَقَامَا إِلَّا لَآءَهُ وَلَا الرَّحْبَا

(١) هو عُلُقَمَةُ الْفَحْلُ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ ، شَاعِرٌ جَاهِلِيٌّ ، كَانَ مُعَاَصِرًا لِأَمْرِئِ الْقَيْسِ .

(٢) كَانَ مُعَاَصِرًا لِأَبِي تَمَّامٍ ، نَشَأَ بِغَدَّاءَ وَخَصَّ بِالْمُتَوَكِّلِ الْعَبَّاسِيِّ ، ثُمَّ غَضِبَ

عَلَيْهِ فَنَفَاهُ إِلَى خِرَاسْتَانَ ، وَرَحَلَ إِلَى حَلَبٍ فَقُتِلَ فِيهَا . (٣) كَذَا فِي النُّسخِ
وَلَعَلَّهُ سَقَطَ «بِهَا التَّرْبَا» أَوْ نَحْوُهُ وَلَمْ نَجِدْهَا فِي الْأَغَانِي وَلَا الْخُرَاقَةِ .

وقالوا قول مروان بن أبي حفصة ^(١) كأنه حين يعطى المال يغنمه * أجود
من قول زهير * كأنك معطيه الذى أنت سائله * لأن الغنيمة ^(٢) حلاوة
ليست للعطية . وأجود ما قيل عندى قول أبى العتاهية ^(٣) :

لو قيلَ للعباسِ يا ابنَ محمدٍ قل «لا» وأنتَ مخلدٌ ما قالها
أخبرنا أبو أحمد عن الصولي حدثنا الحسن بن الحسين الأزدي حدثنا محمد
ابن حبيب ، وعن الصولي أيضاً عن إبراهيم ، بن المعلّى عن ابن حبيب قال
قال أبو العتاهية يمدح العباس بن محمد :

لو قيلَ للعباسِ يا ابنَ محمدٍ قل «لا» وأنتَ مخلدٌ ما قالها
إن السامحة لم تزل معقولةً حتى حلت براحتيك عقالها
وإذا الملوكُ تساورت في بلدةٍ كانوا كواكبها وكنت هلالها
فلم يثبه فقال :

هرزُتكَ هزّةُ السيفِ المحلّى فلما ان ضربتُ بك انشئتُ
فهبها مدحةً ذهبَ ضياعاً كذبتُ عليك فيها وافترتُ
فلما قرأ العباس الأبيات غضب وقال والله لأجهدن في حتفه قال فمر أبو
العتاهية بأسحق بن العباس فقال له اسحق أنشدني شيئاً من شعرك فأنشده :
ألا أيها الطالبُ المستغيثُ بمن لا يفيدُ ولا يرفدُ
ألا تسأل الله من فضله فان عطاياه لا تنفد
إذا جئت أفضلهم للسؤال ردّاً وأحشاؤه تُرعد
كأنك من خشية السؤال في عينه الحية الاسود

(١) من شعراء العصر العباسي ، اشتهر بمدح المهدي ، ومعن بن زائدة ،
وهارون الرشيد ، توفي سنة ١٨١ (٢) في النسخ «الغنيمة» .
(٣) هو اسماعيل بن القاسم ، اشتغل بالشعر ومذاهب الفلاسفة ،
ويغلب على شعره الزهد .

ففرَّ إلى الله من لؤمهم فإني أرى الناس قد أصلدوا
 وإني أرى الناس قد أبرقوا بلؤمِ الفعالِ وقد أَرعدوا
 ثم مضى قليل لاسحق ما هذا الشعر إلا في أيك فقال اسحق أولى له أن
 عرض نفسه وأحوج أبي العتاهية إلى مثل هذا مع مدحه وقعدته . ومثل قوله
 * كذبت عليك فيها وافتريت * قول على بن جبلة وقال له أبو دلف أن
 تحسن أن تمدح ولا تحسن أن تهجو فقال الهدم أيسر من البناء ثم قال :
 أبو دلف كالطبل يذهب صوته وباطنه خلوه من الخير أخرب
 أبا دلف يا كذب الناس كلهم سواي فإني في مديحك أ كذب
 وأخذ البحرى قوله * كانوا كوا كبها وكنت هلالها * فقال في المتوكل :
 اذاغبت عن أرض ويمت غيرها فقد غاب عنها شمسها وهلالها
 غدت بك آفاق البلاد خصيبة وهل تمحل الدنيا وأنت ثمالها ^(١)
 فأما قوله : كأنك من خشية للسؤال في عينه الحية الأسود
 فمن قول بعض العرب :

من دون سيبك وجه ليل مظلم وحفيف نافحة وكلب موسد
 وأخوك محتلم عليك ضغينة وخسيف قومك لائم لا يحمد
 والضيف عندك مثل أسود سالخ لا بل أحبهما إليك الأسود
 ومن جيد ما جاء في خلاف ذلك من الحث على الانفاق ومجانبة الأمساك
 قول ديك الجن :

قالوا السلام عليك يا أطلال قلت السلام على المحيل محال
 طاج الشقى مراده دمن البلى ومراد عيني قلة وحجال
 لا نادمن ^(٢) البراج وهي زلال ولأطرقن البيت فيه غزال
 ولا تترك حليلها وبقلبه حرق وحشوه فواده بكبال

(١) في الأصل « ثمارها » . (٢) في الأصل (لاغاد من) .

وليشفين^(١) حي فمٌ وحنى يد
 ماذا الغنى والبخل مالك من غنى
 أطلق يدك فان بين يديك ما
 قد تسلم الأوكالُ وهى مواكل
 ورجال هذى النائبات وان رأوا
 وقلت : ماذا يسرك من مال تجمعه
 ولم يكن لك مالٌ يوم تكسبه
 تحبُّ من أجله الدنيا وتورثها
 سترته عن عيون الناس كلهم
 ان لم تبكر اليه فى نوائبه
 وقد أحسن القائل :

إذا أعجبتك خصالُ امرئ
 فليس على الجودِ والمكرمات
 هو المالُ ان أنت لم تخترب
 أباح لك الدهرُ ما يخربك

وإذا كان أفضل الجود ما كان مع الحاجة على حسب ما مدح الله تعالى به الانصار
 فقال (وَيُؤْتِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ) وأجود ما قيل
 قول عروة بن الورد^(٢) :

فلا تشتمنى يا ابنَ ورد فأنى تعودُ على مالى الحقوقُ العوائدُ
 ومن يؤثر الحقَّ التَّؤوبَ يكن به خصاصةٌ جسم وهو طيان ماجد
 وقال عبد الملك بن مروان ماوددت ان أحداً من العرب ولدنى لإقائل
 هذه الأبيات .

(١) فى الأصل (ولا يشفى) . (٢) هو شاعر جاهلى كان فارساً جواداً ، قال
 عبد الملك بن مروان : من قال أن حاتمًا أسمع الناس فقد ظلم عروة بن الورد .

ومن جيد ما قيل في الايثار على النفس قول عبيد الله بن عبد الله بن طاهر كتبه
عبيد الله بن سليمان حين ولي الوزارة :

أبي دهرنا اسعافتنا في نفوسنا فأسعفنا فيمن نحب ونكرم
فقلت له نعماك فيهم آثمها ودع أمرنا ان المهم المقدم
وهذا غاية لانه جعل أمر المدحوح أهم له من نفسه واصلاح شأنه .

ومن جيد ما قيل في جود على قوم دون قوم قول البحترى :

سحاب عذاني جوده وهو هامر وبخر خطاني فيضه وهو مفعم
وبرق أضاء الأرض شرقاً ومغرباً وموضع رجلى منه أسود مظلم

ومن أجود ما قيل في كبر الهمة قول بعض العرب :

له هم لا منتهى لكبارها وهمة الصغرى أجل من الدهر
له راحة لو أن معشار جودها على البر كان البر أندى من البحر
أخذه المتنبي فقال وقصر :

تجمعت في فؤاده هم ملء فؤاد الزمان إحداها

وموضع التقصير فيه أن الأول جعل همة الصغرى أجل من الدهر وجعل المتنبي
أحدى هممه ملء فؤاد الزمان فاذا كانت ملء فؤاده فليس بأجل منها .

ومما يذكّر في وصف كبر الهمة أن سيف بن ذي يزن دخل على كسرى فتطأطأ
في طاق رفيع من طيقان قصره وجلس فدفعت اليه مخدة فجعلها على رأسه وكسرى
يرمقه فلما سأل سيف حاجته قيل له ان الملك قد رأى منك خلتين عجبتين وضع
المخدة على رأسك وإنما أعطيتها لتجلس عليها وتطأطؤك في الطاق الرفيع فقال اما
المخدة فرأيت عليها صورة الملك فوضعتها على أكرم موضع عندي وأما تطأطؤي في
الطاق الكبير فان همتي أكبر منه . فاستحسن كلامه وضم اليه جيشاً أزاح بهم
الحبشة عن بلده .

ومن بليغ ما قيل في كبر الهمة قول علي بن محمد البصري :

قلبي نظيرُ الجبلِ الصعبِ وهمتي أكبرُ من قلبي
 فاستخر اللهَ وخذْ مُرَهًمًا وافتك بأهل الشرق والغربِ
 ولا تمت ان حَضرت ميتةٌ حتى تَميتَ السيفَ بالضربِ
 ومن المذكور في ذلك قول أبي تمام :

رأى ابن دهرٍ عَرَقًا في خيلهٍ أعلم منه بحذاءِ إبله ^(١)
 قد اُمتبت أيدى النوى بشملهٍ متمعًا مضطلعًا بحملهِ
 مُنصلنًا كالسيفِ عند سلهِ مولودةٌ همتُهُ من قبله
 قد دانَ ذو الفضل له أفضلهِ كالصابِ من يذقه لا يستحلهِ
 إلا بأن يسكن تحت ظلهِ

وقال : همةٌ تنطحُ النجومَ وجدُّهُ ألفٌ للحضيضِ فهو حضيضُ
 أبلغ ما قيل في يمن النقيية ^(٢) قول الاعشى :

ولو رحت في ظلمةٍ قادحًا حصاةً بنبعٍ لا أُوريتَ نارًا
 الحصاة مع النبع لا تورى قال فأتت من يمن نقييتك لو قدحت بهما لا أُوريت .
 وقال بعض الأعراب :

يذكركني سعدًا دماءٌ بالقرى لو أشرف القومُ على أرضِ العدى
 واختلطَ الليلُ بألوانِ الحصى وأرسلوا سعدًا الى الماءِ سرى
 من غير دلو ورشاءٍ لاستقى

وهو بليغ في هذا المعنى جدًّا : وقلت :

ليس للعين وراءَ شاوهِ الى العلى والمكرماتِ مطرح
 قد شح بالعرض وجاد بالهوى فحوى المجد بما جاد وشح
 فاذا همَّ بأمرٍ ناله فسواءٌ جدٌّ فيه أو مزح

(١) في الأصل « أهله »

(٢) النقيية : النفس ، يقال فلان ميمون النقيية إذا كان مبارك النفس .

وقلت : إذا ما بدت فينا عطاياهُ عقت وكم بادىء المزن غير معقب
ولما يفرره تقلب دهره فقلت لعل الدهر لم يتقلب
ويدنو له المطلوب حتى كأنما كواكب ضوء الصبح في كل مطلب
أبلغ ما قيل في اهتمام الرجل بأمر أخيه قول بعضهم :
سأشكرُ عمرًا إن تراخت منيتي أيادى لم تُمن وإن هي جلت
فتى غير مفراح إذا الخيرُ مسهُ ولا مظهر الشكوى إذا النعلُ زلت
رأى خلتي من حيث يُخفى مكانها فكانت قذى عينيه حتى تجلت
قوله « قذى عينيه » لا يقوم مقامه شيء في شدة الاهتمام لأن الانسان إذا
قدبت عينه صرف الهممة إلى نقذتها من غير اشتغال بشيء غير ها وهو على قوله « من
حيث يخفى مكانها » أبلغ لأنه يدل على تفقد شديد وعناية تامة .

ومما هو في هذه الطريقة قول أمية بن أبي الصلت :
إذا ليلةً نابتك بالشكوى لم أبت لشكواك إلا ساهرًا أتململُ
كأنى أنا المطروقُ دونك بالذى طُرقت به دونى فمعنى تهمل
وقالوا أشجع بيت قالته العرب قول عباس بن مرداس السلمي ^(١) :
أشدُّ على الكتبية لا أبالى أحتفى كان فيها أم سواها
قالوا أربعة من الشجعان تبين دلائل الجبن في شعر ثلاثة منهم فمن الثلاثة
عنتره ^(٢) في قوله :

فاذا شربتُ فأنى مستهلكٌ مالى وعرضى وافرٌ لم يكلمـ
وإذا صحوت فما أقصر عن ندى وكما علمت شمائلى وتكرمي

(١) هو الشاعر الفارس كان سيدا في قومه أدرك الجاهلية والاسلام وأسلم قبل
الفتح وكان ممن ذم الجمر في الجاهلية .

(٢) هو عنتره بن شداد العبسى من شعراء الطبقة الأولى كان حليما على
شدة بطشه اجتمع بامرئ القيس ، وقصته المشهورة خيالية لم يعرف واضعها .

وخليل غانية تركتُ مجندلاً تمكو قريسته كشدق الاعلم
هلاً سألت الخليل بابنة مالك إن كنت جاهلة بما لا تعلمي
يخبرك من شهد الواقعة أني أخشى الوغى وأعف عند المغنم
ومدجج كره الكفاة نزاله لا ممن هرباً ولا مستسلم
سبقت يدائي له بعاجل طعنة ليس الكريم على القنا بمحرم^(١)
نبئت عمراً غير شاكر نعمتي والكفر مخيلة لنفس المنعم
ثم قال: إذ يتقون بي الاسنة لم أحم عنها ولكني تضايق مقدمي

قالوا فدل على أنه وقف ولم يقدم واعتلر بتضايق المقدم . وكان عنتره هجيناً أمه
أمة فاستعبده أبوه ، وهذه كانت العرب عاداتها في الهجناء فكان يرعى ثم اتخذ
سلاحاً وصنع مهرراً فأغارت طيء على عبس فسبوا أهله وجيرانه فركب مهره واتبع
القوم ثم جنبهم حتى أتى من أمامهم فما زال يظعن في أعين القوم حتى ردوا عليه
أباه وأمّه ثم عمه وابنته عبلة ثم قال لا انصرف بأهلي وأترك جيرانى فكر عليهم فقتل
منهم أربعين فردوا عليه جيرانه وكان يقول له أبوه وعمه كر فيقول لا يحسن العبد
الكر وإنما يحسن الحلب والصر يقرعهم بذلك إذ كانوا قد استعبدوه فاستلحقه
أبوه يومئذ وزوجه عمه عبلة ابنته وكان عنتره يسمى الفحاء وكانت أمه حبشية
تسمى زبيبة وقال النبي ﷺ « ما سمعتُ بأعرابي فاستهيتُ أن أراه إلا عنتره » .
والآخر قول عمرو بن معد يكرب^(٢) في قوله :

ولقد أجمعُ رجلى بها حذر الموتِ وإني لفرور
ولقد أعطفها كارهةً حين للنفس من الموت هرب
كل ماء لك متي خلق وبكل أنا في الزوع جدير

فقال « وإني لفرور » وقال بعض أهل الأدب إنما هو « لفرور » بالشاف

(١) روى « ورشاش نافذة كلون العندم » .

(٢) هو فارس اليمن ، صاحب الغارات المشهورة .

لأن الشجاع لا يمدح نفسه بالفرار سيما باللفظ البليغ من فرور . وليس كذلك لأن قوله «كل ما ذلك منى خلق» على أنه ذكر حال فرار وحال ثبات خلال الثبات قوله «ولقد أجمع رجلى بها» والحال الأخرى حال للفرار إذا كان ذلك أحزم ولو ذكرنا حالا واحدة لم يحسن أن يقول كل ماء لك منى خلق وإنما دل على أصالته وعقله في ثباته وقت الثبات وفراره ساعة الفرار وليس الشجاعة أن يحمل الرجل نفسه على الهلكة إنما ذلك هوج والشجاعة أن يتقدم وغالب ظنه أن يظفر فاما أنه اذا علم أنه اذا أقدم هلك ثم أقدم فان ذلك جنوب لأن كل أحد يقدر أن يقدم على الهلكة فيملك وإنما الشأن في أن يمدح بإقدامه وفي قريب من ذلك قوله :
فجاشت إلى النفس أول مرة فردت على مكروها فاستقرت

فما جاشت نفسه إلا وجبن ، ولو وصف عمرو هذه الأشياء من نفسه قيل إنه ممن يصدق عن نفسه ، على أنه ربما كذب الكذبة الصلحاء روى لنا أبو أحمد عن العبدى عن المبرد وعن غيره قال وقف عمرو بن معدى كرب وخالد بن الصعقب الهندي في جماعة بالكناسة يتحدثون فقال عمرو أغرنا مرة على بنى نهد فخرجوا مسترعفين بخالد بن الصعقب فحمت عليه فطمنته فأرديته ثم ملت عليه بالصمصامة فأخذت رأسه فقال خالد حلاً أبا ثور فان قتيلك هو المحدث فقال عمرو يا هذا إذا حدثت بمحدث فاسمع فانما نرهب هؤلاء المعدي . مسترعفين أى متقدمين ، وقوله حلاً أبا ثور أى قل ان شاء الله ويقال حلف ولم يتحلل أى لم يستثن .

ويروى عن العرب كذب كثير فمن ذلك ما يزعمون أنهم يرون الجن ويكلمون الغيلان والسعالى حتى زعم تأبط شرا انه طلب نكاح السعلاة في قوله :
وادم حبت^(١) حلبابه فيا جارتا أنت مأهولا
فطالبتها بضعها فأنثت بوجه تهول واستغولا

وكنيت إذ اماهمتُ اعزمت وأخرى اذا قلتُ أن أفعل
وقال آخر :

أخو قفرات حالف الجنَّ واتقى من الانسِ حتى ماتت رسله
له نسبُ الانسى يعرفُ نخله وللجنِّ منه خلقه وشماله
وقال عبيد بن أيوب :

فلاهِ درُّ الغولِ أى رفيقه لصاحب قفرٍ خائفٍ متقفر
وكان كثير من شعرائهم يدعى أن له شيطاناً يعلمه الشعر منهم الفرزدق كان
يكنى شيطانه أبا لبني وذكر أنه ذهب الى جبل فناده فجاء مثل الذباب فدخل
في حلقه فقال قصيدته التي أولها * عزفت بأعشاش وما كنت تعزف *
وقال أبو النجم :

وجدت كلَّ شاعرٍ من البشر شيطانه انثى وشيطاني ذكر
وزعموا أن عروة بن غبة صرخ بقومه فأسمعهم من مسيرة ليلة . ورووا أن
لقمان بن عاد لما ضعف بصره كان يفصل بين أثر الذكر والانثى والذر اذا دب
على الصفا في الليلة الظلماء .

وقال رجل لأبي حنيفة ما كذبت قط قال هذه كذبة أشهد بها عليك .
وسأل الحجاج ^(١) قاصاً عن اسم بقرة بنى اسرائيل قال حنمة فقال له رجل
من أولاد أبي موسى الاشعري في أى كتاب وجدت هذا قال في كتاب عمرو بن
العاص . ودخل عبد الله بن الزبير يوماً على معاوية فقال اسمع أيتها قلته :

إذا أنت لم تنصف أخاك وجدته على طرفِ الهجرانِ إن كان يعقلُ
ويركبُ حدَّ السيفِ من أن نصيبه إذا لم يكن عن شفرةِ السيفِ مزحلُ
ثم دخل معن بن أوس المزني فأنشد * لعمرُك ما أدري وإنى لأوجلُ *
حتى صار إلى البيتين فقال معاوية ما هذا يا أبا بكر فقال أنا أصلحت المعاني وهو

(١) في الأصل « الحجاج بن حنمة » .

ألف الكلام وهو بعد ابن ظئري وما قال من شيء فهو لي وكان عبد الله بن الزبير مسترضعاً في مزينة :

والثالث عمرو بن الاطنابة ^(١) حيث يقول :

وقولي كلما جشأت وجاشت مكانك تحمدي أو تستريحي

فزعم أن نفسه جشأت وجاشت وليس ذلك إلا من الجبن .

أخبرنا أبو أحمد أخبرنا أبو بكر بن دريد عن الرياشي حدثنا العتيبي عن أبيه قال دخل الحارث بن نوفل بابنه على معاوية فقال ما علمت ابنك؟ فقال القرآن والفرائض فقال روه من فصيح الشعر فإنه يفتح العقل ويفصح المنطق ويطلق اللسان ويدل على المروءة والشجاعة ولقد رأيتني ليلة صفين وما يحبسني إلا أبيات عمرو بن الاطنابة حيث يقول :

أبت لي عقي وأبي بلائي وأخذني الحمد بالثمن الربيع

واعطائي على المكروه مالي وضربني هامة الشيخ المشيح

وقولي كلما جشأت وجاشت مكانك تحمدي أو تستريحي

لأدفع عن مآثر صالحات وأحمي بعد عن عرض صحيح

بذي شطب كلون الملح صاف ونفس لا تقر على القبيح

قالوا والذي يدل على الشجاعة الخالصة قول العباس بن مرداس :

أشدُّ على السكتيبة لأبالي أحتفي كان فيها أو سواها

وهذا على مذهب من ذكرنا قبل هوج ، والذي يدل على أن التثبث والتأني

وسكون النفس من تمام الشجاعة قول بلقاء بن قيس :

وفارس في غمار الموت مُنغمس إذا تأني على مكروهه صدقا

غشيته وهو في جأواء بأسلة عضباً أصاب سواء الرأس فانفلقا

بضربة لم تكن مني مخالسة ولا تعجلتها جبناً ولا فرقا

فذكر أن مخالسة الضرب من الجبن . وأحسن ما قيل في التقدم في الحرب قول زهير :

ليث بمسثر يصطاد الرجال إذا مالميث كذب عن أقرانه صدقا
 يطعنهم ما ارتموا حتى إذا طعنوا ضارب حتى إذا مضاربوا اعتنقا
 وصفه بالتقدم على كل حال . وقل أحد منهم لم يصف نفسه بالتأخر ، قال حصين
 ابن حمام ^(١) :

تأخرت أستبق الحياة فلم أجد نفسي حياة مثل أن أتقدما
 فلسنا على الاعقاب تدمى كلومنا ولكن على أقدامنا تقطر الدما
 ذكر أنه تأخر ثم رأى أن التقدم أحرز لظفر يعيش به عزيزاً أو موت بموته شريفاً .
 وأخبرنا أبو أحمد رحمه الله تعالى عن أبيه عن علي قال قال المهدي لابن داب
 أنشدني أحسن ما قيل في وصف الفتى الشجاع فأنشده للشماخ :

وأشعث قد قدَّ السفارُ قميصه بجر شواء بالعصا غير منضج
 دعوت إلى ما نابني فأجابني كريمٌ من الفتيان غير مزج ^(٢)
 فتى يملأ الشيزي ^(٣) ويروى سنانهُ ويضربُ في رأس الكمي المدجج
 فالتفت إلى عبد الله بن مالك الخزاعي وقال هذه صفتك .

وقالوا أشجع بيت قالته العرب قول كعب بن مالك :
 نصلُ السيوفَ إذا قصرن بخطونا قدماً ونلحقها إذا لم تلحق
 ورأى بعض العرب سيقاً فقال ما أجوده لولا قصر فيه فقال صاحبه نصله
 بخطوة فقال الرجل تلك الخطوة أشد من مشيتي إلى الصين .
 وأبلغ ما قيل في سعة الخطو في الحرب قول أبي تمام :
 خطو ترى الصارمَ الهندي منتصراً به من المارن الخطى منتصفاً

(١) هو ابن ربيعة سيد بني سهم بن مرة من قيس وكان يقال له مانع الضيم ،
 يعد من أوفياء العرب ومن الشعراء المقلين . ونقل في الأغاني أنه أدرك الاسلام .
 (٢) مزج كمعظم : الناقص والدون من كل شيء . (٣) الشيزي بالكسر
 خشب أسود للقصاص أو هو الأبنوس .

يقول لسعة الخطو ينتصف صاحب السيف من صاحب الرمح .

وقالوا أشجع ما قيل قول الشاعر :

أقولُ لنفسي لا يَجَادُ بِمِثْلِهَا أَقْلَى شَكْوَا إِنِّي غَيْرُ مَدِيرٍ

وأجود ما قيل في صدق اللقاء مع قلة العدد قول أبي تمام :

قلوا ولكنهم طابوا فأتجدهم جيشٌ من الصبر لا يُحصى له عددٌ
إذا رأوا للنبايا عارضاً لبسوا من اليقين دُرُوعاً ما لها زردٌ
ناءً عن المصرح الأدنى فليس لهم إلا السيوفُ على أعدائهم مدد
وأجود ما قيل في وصف الفتى الشجاع وصاحب الحرب من شعر المحدثين

قول مسلم بن الوليد في يزيد بن يزيد الشيباني :

لولا يزيد لأضحى الملكُ مضطرباً أو مائلَ الرأسِ أو مسترخىَ الطولِ
حاطَ الخلافةَ سيفٌ من بني مطر أقام قائمُهُ من كان ذا ميل
سيدَ الثغورِ يزيد بعد ما انفرجت بقاءُ السيف لا بالختل والحيل
موف على مهج في يوم ذى رهج كأنه أجلُّ يسعى إلى أمل
ينالُ بالرفق ما يعيا الرجالُ به كالوتٍ مستعجلاً يأتي على مهل
يكسو السيوف نفوساً^(١) ألنا كثرين به ويجعل الهام^(٢) تيجان القنا الذبل
يفقدو فتغدو المنايا في أسنته شوارعاً تتحدى الناس بالأجل
قد عودَ الطيرَ عاداتٍ وثقنَ بها فمن يتبعنه في كلِّ مرجل
إذا انتضى سيفهُ كانت مسالكهُ مسالكَ الموت في الأبدان والقلل
الزائديون قومٌ في رماحهم خوفُ الخيفِ وأمنُ الخائفِ الوجل
كبيرُهم لا تقومُ الراسياتُ له حلماً وطفلهُم في هدى مكتهل
إسلم يزيدُ فما في الملكِ من أودٍ إذا سلمت ولا في الدين من خلل

(١) في هامش نسخة « دماء » مكان « نفوس » إشارة لنسخة فيها كذلك .

وهي موافقة لما في ديوان مسلم . (٢) في النسخ « الهامة » .

وانغر فمالك في شيبان من مثل كذاك مالبنى شيبان من مثل
 لله من هاشم في أرضه جيل وأنت وابنك ركننا ذلك الجبل
 وقوله : سل الخليفة سيقاً من بنى مطر يمضى فيخترق الأحشاء والهاما
 كالدهر لا ينثى عمايهم به قد أوسع الناس إنعاماً وارغاما
 نظلم المال والاعداء من يده لازال للمال والاعداء ظلاما
 إذا بدا رفع الاستار عن ملك تكسى العيون به نوراً واطلاما
 تمضى المنايا لما تمضى أسنته كأن في سرجه بدرأ وضرغاما
 وله أيضا :

يلقى المنية في أمثال عدتها كالسيل يقذف جلوداً بمجمود
 كاليث بل مثله الليث الهصور إذا غنى الحديد غناء غير تغريد
 وقالوا أشجع بيت قاله محدث قول أبي تمام :

فما بل في مستنقع الموت رجله وقال لها من تحت أخصك الحشر
 وقد كان فوت الموت سهلاً فردّه عليه الحفاط المرء والخلق الوعر
 غدا غدوة والحمد نسج رداءه فلم ينصرف إلا وأكفائه الأجر
 أخذ معنى البيت الأول من قول عوف بن قطن بقوله يوم الجمل :

لا أبتغى اللحد ولا أبغى الكفن من هاهنا محشر عوف بن قطن
 وأجود ما قيل في سكون الجأش في الحرب قول البحري :

لقد كان ذاك الجأش جأش مسالم على أن ذاك الزى زى محارب
 تسرع حتى قال من شهد الوغى لقاء عداء^(١) أم لقاء حبايب
 وصاعقة في كفه ينكفي بها على أروس الاقران خمس سحائب
 وهذا البيت أجود ما قيل في معناه جعل السيف صاعقة وأصابع الضارب
 سحائب تجود على مؤملين بغيتها وتقتل معاوية بصاعقتها .

(١) في النسخ « أعداء » والوزن لا يستقيم بها .

(أصدق بيت قالته العرب) أخبرنا أبو أحمد عن الصولى عن أبي العيناء
قال قال الاصمعى أصدق بيت قالته العرب وأحكمه قول الخطيئة :

من يفعل الخيرَ لا يَعدم جَوازِيَهْ لا يذهبُ العرفُ بينَ اللهِ والناسِ
وقال المحدث فى معناه * ماضع عرف وان أوليته حَجراً * وقال الافوه^(١) :

والخيرُ تَزادُ منه ما كَفَيْتَ^(٢) بهِ والشرُّ يَكْفِيكَ منه قَلما زاد

وقيل خير من الخير فاعله وخير من الذهب معطيه ، وقال عبيد الله الابرصى :

الخَيْرُ يَبْقَى وان طَالَ الزَمانُ بهِ والشرُّ أَخْبَثُ ما أوعيتَ من زاد

وأخبرنا أبو أحمد رحمه الله تعالى أخبرنا الجوهري أخبرنا عمر بن شبة حدثنا

محمد بن عبد الله بن الزبير حدثنا سفيان بن سعيد عن عبد الملك بن عمير

قال سمعت أبا سلمة بن عبد الرحمن يحدث بحديث عن أبي هريرة قال قال رسول

الله ﷺ أصدق كلمة قالتها العرب :

ألا كلُّ شىءٍ ما خلا اللهَ باطلٌ وكلُّ نعيمٍ لا محالةً زائلٌ

وكل أناسٍ سوفَ تدخلُ بينهمِ دويبةٌ تصفرُّ منها الاناملُ

وأخبرنا أبو أحمد رحمه الله تعالى أخبرنا الجوهري أخبرنا أبو زيد حدثنا

ابراهيم بن المنذر حدثنا محمد بن فليح عن موسى بن عقبة عن ابن شهاب أن

عثمان بن مظعون كان فى جوار الوليد بن المغيرة وكان لا يؤذى كما يؤذى أصحابه

يعنى من المسلمين فسأل الوليد أن ينزل من جواره فبرىء منه فلما جلس مع القوم

ولبيد ينشدهم * ألا كل شىء ما خلا الله باطل فقال عثمان صدقت ثم أنشد

لبيد رأس البيت * وكل نعيم لا محالة زائل فقال عثمان كذبت فأسكت القوم

ولم يدروا ما أراد ثم أعاد ثانية فصدقه عثمان وكذبه لأن نعيم الآخرة لا يزول فقال

لبيد ما هكذا كانت مجالسكم فتزا رجل من قریش فطمع عين عثمان فأحضرت فقال

(١) هو صلاة بن عمرو الاودى أحد فحول شعراء الجاهلية وحكامها

وساداتها وفرسانها . (٢) وفى رواية « لقيت » .

له الوليد كنت في ذمة منيعة فخرجت منها وكنت عن الذي لقيت عينك غنيا
فقال بل كنت الى الذي لقيت فقيراً وعيني التي لم تلطم الى مثل ما لقيت صاحبها
فقيرة فقال ان شئت أجزتك ثانية فقال لأربلى في جوارك ، وأول هذه القصيدة :

ألا تسألان المرء ماذا يُحاولُ انحبُ فيقضى أم ضلالٌ وباطلُ
حبائلُهُ مبثوثةٌ بسبيله ويغنى إذا ما أخطأتهُ الجبائلُ
إذا المرءُ أسرى ليلةً ظنَّ أنه قضى عملاً والمرءُ ما عاشَ حاملُ
وأجود من هذا سبكاً ورصفاً قول الصلتان :

نروحُ ونغدو لحاجتنا وحاجةُ من عاش لا تنقضي
وأخبرنا أبو أحمد عن رحالة قال قيل لرجل سمه أنشدنا أصدق بيت قالته
العرب قال الناس يقولون : كل امرئ في شأنه ساعي : وأنا أقول :
كأن مُقلاً حين يغدو لحاجةٍ الى كلٍّ من يلقي من الناس مذنبُ
وأصدق بيت قاله محدث قول البحترى :

نصليكَ في الاكرومتين فأما يسودُ الفتى من حيثُ يسغو ويشجع
زرعتُ رجاءً في ذراك مُبكراً وجلُّ حصادِ المرءِ من حيثُ يزرع
أجود ما قيل في القناعة قول الشاعر :

إذا سدَّ بابُ غنك من دونِ حاجةٍ فدعها لاخرى لبينُ لك بأبها
وان قرابَ البطنِ يغنيك ملؤه ويكفيك سواتِ الأمورِ اجتنابها
أخذه ابن الرومي فقال وأحسن :

إذا ماشئت أن تعرفَ يوماً كذبَ الشهوةِ
فكل ماشئت يغنيك عن العذبةِ والحلوةِ
وطأمن شئت يغنيك عن الخناء في الذروةِ
فكم أنساك ما نهوا نيلُ الشيءِ لم نهوهِ

وقال ابن هرمة :

إذا مطمَعٌ يوماً غزاني غزوتُهُ . كَتَّابُ ناسِ كَرَّها واطرادها
أَمَصَّ ثِمَادِي والمِياهُ كَثِيرَةٌ أعالِجُ منها حَضَرها واكْتِدادها
وأَرْضِي بها من بَحْرٍ آخِرٍ أَنَّهُ هُوَ الرَّأْيُ أن تَرْضَى النَفوسُ ثِمادها
وأَبْرِعَ بَيْتَ قِيلٍ من قَدِيمِ الشَّعْرِ قولَ أَبِي ذُؤَيْبٍ :

والنَّفْسُ رَاغِبَةٌ إِذا رَغِبَتْها وَإِذا تَرَدُّتْ إِلى قَلِيلٍ تَقْنَعُ
وقَدْ أَحْسَنَ أَبُو العَتَاهِيَةِ في قولِهِ :

أَنْتَ مَحْتاجٌ فَقِيرٌ أَبَدًا دُونَ ما تَرْضَى بِأَدْنَى ما لَدَيْكَ
وَذَمُّ بَعْضِهِمُ القَناعَةَ فقالَ هِيَ خَلَقَ البَهِيمَةَ ، مَعْنَاهُ أَنَّها إِذا وَجَدَتْ أَكَلَتْ
وَإِنْ لَمْ تَجِدْ بَاتَتْ عَلى الخَسْفِ لَيْسَ لَها مَحالَةٌ دُونَ الانطِواءِ عَلى الجُوعِ ولا نَكِيرِ
دُونَ الاقْرارِ بِالْهَزْلِ كَمَا قِيلَ :

ولا يَقيمُ عَلى ضِيقٍ يُرادُ بِهِ إِلَّا الأَذْلانُ عَيرَ الحِمْيَ وَالوَتَدُ
هَذا عَلى الخَسْفِ مَرْبُوطٌ بِرِمتِهِ وَذا يُشجُّ فلا يَرى لَه أَحَدُ

وَإِلى هَذا المَذْهَبِ ذَهَبَ عَلى بَنِ مُحَمَّدٍ في قولِهِ :

إِذا اللَئيمُ مَطَّ حَاجِبِيهِ وَذاذَ عَن حَرِيمِ دَرهَمِيهِ
فاتَرَكَ عَنانَ البَخْلِ في يَدِيهِ وَقَمَ إِلى السِيفِ ^(١) وَشَفَرَتِيهِ
وَاسْتَزَلَّ الرِّزْقَ بِمَضَرِّيهِ إِنْ قَعَدَ الدَّهْرُ فَقَمَ إِليه
وَقَلْتُ : سَأَسْتَغْفِرُ الأَيَّامَ حَتَّى تَرُدَّنِي إِلى جَانِبِ مَناها يَلِينُ وَيَسْهُلُ ^(٢)
وَاقْنَعُ لا أَنَّ القَناعَةَ لى هَوى وَلَكِنَّ صَوْنَ العَرَضِ بِالْحَرِّ أَجَلُ
وَقَالَ دِيكَ الجَن :

لَا تَقِمِ لِلزَّمانِ في مَنزِلِ الضِّيقِ ولا تَرْتَبِطْكَ رَقَّةٌ حَالِ
وَإِذا خَفَتَ أَنْ يَراهِكَ المَدُّ مُفْعَذُ بِالْمُتَقَنِّاتِ العِوالِ
وَأَهْنِ نَفْسَكَ الكَرِيمَةَ لِلْمَوْتِ وَقَمِ بِها عَلى الأَهْوالِ

(١) في الأَصْل « وَقَمَ بالسِيفِ » . (٢) في الأَصْل « تَلِينُ وَتَسْهُلُ » .

فلعمري للموت أجمل بالحر من العيش ضارعا للرجال
 أى ماء يجول في وجهك الحر إذا ما امتهنته بالسؤال
 ثم لا سيما وقد عصفت الدهر بأهل الندى وأهل النوال
 فقليل من الورى من تراه يرتجى أن يصون عرضا بمال
 وفي المعنى الأول ما أنشدنا أبو أحمد رحمه الله تعالى أنشدنا أبو بكر بن
 دريد أنشدني أحمد بن المعدل^(١) لأخيه عبد الصمد^(٢) :

رأت عدى فاستراحت رحيلي سبيلك إن سواها سبيلي
 يرجى اليسار لها بالقول لعل المنية قبل القبول
 لعمر التي وعدتك الثراء بجدوى الصديق وبر الخليل
 لقد قذفت بك صعب المرام واستجملت لك غير الجليل
 سأقتى العفاف وأغنى الكفال فليس غنى النفس جود الجزيل
 ولا أتصدى لشكر الجواد ولا استعده لزم البخيل
 وأعلم أن بنات الرجاء تحل العزیز محل الدليل
 وأن ليس مستغنيا بالكثير من ليس مستغنيا بالقليل
 قال أبو أحمد لو كان شعر عبد الصمد كله هكذا لرأيت نبي الشعر. وقال البصير :

قلت لأهل وراموا أن أميرهم بماء وجهي فلم أفلن ولم أكد
 لا تجمعوا اب تهنوني وأكرمكم ولا تمدوا إلى نيل اللثام يدي
 تبلغوا وادفعوا الحاجات ما اندفعت ولا يكن همكم في يومكم لغد
 فرب ملتصق مالميس يدركه ومدرك ما تمنى غير مجتهد
 أبلغ ما قيل في مساعدة الرجل أخاه وأجوده قول دريد بن الصمة وقد أغار
 هو وأخوه عبد الله على نعم لقيس فاستاقوها فلما كانوا ببعض الطريق نزل عبد الله
 ليريح ويستريح ويقسم المال بين أصحابه فتهاه دريد فبينما هما كذلك رأوا غيرة

(١) في الأصل «ابن المعتزل». (٢) من شعراء العصر العباسي نشأ في البصرة.

فقالوا الرقيبهم ماترى قال خيلاً كالعقبان عليها فوارس كالصبيان فقال فرارة ولا بأس ثم رأوا غيرة أخرى فقالوا له ماترى قال خيلاً كأن قوائمها تنقلع من صخر قال تلك عبس والموت فلما خالطوهم قتل عبد الله فقال دريد :

أمرتهمُ أمرى بمنعرج اللوى فلم يستبينوا الرشد إلا مضى الغد
فلما عصوني كنتُ منهم وقد أرى غوايتهم أتي^(١) بهم غير مهتدى
وما أنا إلا من غزية إن غوت غويتُ وإن ترُشد غزية أرشد
وأسر دريد ثم نجا فغزاهم من قابل فقتل قاتل أخيه . ووجه المبالغة في هذا الكلام أنه أخبر بمواقفة أخيه على علمه بأنها غي وترك مخالفته مع معرفته أنها رشد كراهة الخروج من هواه وترك مطابقتها على رضاه . وقريب منه قول عمر بن أبي ربيعة وروي لغيره :

وذى ودٍّ أملتُ إليه نصحاً وكان لما أشيرُ به سميماً
أطافَ بغيه ونهيتُ عنها وقلتُ تجنبِ الأمر الفظيماً
أردتُ رشادَهُ جَهدي فلما عصى وأبى ركبناها جميعاً
وأنشدنا أبو أحمد عن الصولى عن الحسن بن محمد المهرى عن التوزى :
تنخلتُ آرائى وسقتُ نصيحتى إلى غير طلقٍ للنصيح ولاهش
فلما أبى نصحى سلكتُ سبيله وأوسعته من زور قول ومن غش
وقال آخر :

ألم تعلم يا ابنى رجا جةً أنى أغش إذا ما للنصح لم يُتقبل
ومن جيد ما قيل في النصيحة قول مخيس بن أوطاة :
عرضتُ نصيحةً منى ليحيى فقال غششتنى والنصح مرُ
ومابى أن أكونَ أعيب يحيى ويحيى طاهرُ الاخلاق برُ
ولكن قد أنانى أن يحيى يُقالُ عليه فى نقاء شرُ

فقلتُ له تجنبْ كُلَّ شَيْءٍ يُقَالُ عَلَيْكَ إِنْ الْحَرَّ حَرٌّ
ومثل ما تقدم قول الشاعر أنشدناه أبو أحمد عن جماعة :

إِنْ أَخَا الصَّدَقِ الَّذِي ابْنُ يَخْدَعُكَ وَمَنْ يَضُرُّ نَفْسَهُ لِيَنْفَعَكَ
وَمَنْ إِذَا صَرَفَ زَمَانَ صَدَعَكَ شَتَّ شَمَلَ نَفْسِهِ لِيَجْمَعَكَ
وَأَنْ غَدَوْتَ ظَالِمًا غَدَا مَعَكَ

فسرّوه يكفك عن الظلم ، وليس كذلك لأن معنى الأبيات لا يقتضيه وإنما
أراد أنه يعاونك على الظلم على حسب ما قال عمر بن أبي ربيعة « ركبناها جميعا »
وقال ابن ميارة في النصيحة :

نصحتك يارباحُ بأمرٍ حزم فقلت هشيمةٌ من أهل نجد
نهيتك عن رجال من قريش على محبوبكة الأَصْلَابِ جرد
ووجدًا ما وجدتُ على رباح وما أغنيت شيئًا غير وجدى
وقال العباس بن جرير :

إِرْعَ الْإِخَاءَ أَبَا مُحَمَّدٍ الَّذِي يَصْفُو وَصْنَهُ
وَإِذَا رَأَيْتَ مَنَافِسًا فِي نَيْلِ مَكْرَمَةٍ فَكُنْهُ
إِنَّ الصَّدِيقَ هُوَ الَّذِي يَرْعَاكَ حِينَ تَغِيبُ عَنْهُ
وَإِذَا كَشَفْتَ غِطَاءَهُ أَحَدْتَ مَا كَشَفْتَ عَنْهُ
مِثْلَ الْحَسَامِ إِذَا اتَّضَا هُوَ أَخُو الْحَفِيزَةِ لَمْ يَخْفَهُ
يَسْعَى لِمَا تَسْعَى لَهُ كَرَمًا وَإِنْ لَمْ تَسْتَعْنَهُ

ومن أبلغ ما قيل في ارضاء الرجل عن أخيه قول الراجز :

لَمْ أَقْضِ مِنْ مُصْحَبَةِ زَيْدٍ أَرْبَى فَتَى إِذَا نَهَيْتُهُ لَمْ يَغْضَبِ
أَبْيَضَ بِسَامٍ وَإِنْ لَمْ يَعْجَبِ وَلَا يَضُنْ بِالْمَتَاعِ الْحَقْبِ
مَوْكِلَ النَّفْسِ بِحِفْظِ الْغَيْبِ أَقْصَى رَفِيقِينَ لَهُ كَالْأَقْرَبِ

وهذا خلاف ما قيل * من غاب غاب نصيبه * وقلت في قريب منه :

بذلتُ من شكرى مالم يبذل لمأجد أجملَ إذ لم أجمل
يحمل من ثقلى مالم يحمل ففرَّ في عيني حين ذلَّ لى
إن جمال الحرِّ فى التجمل وقد يكونُ العزُّ فى التذلل

والمجد شهد يجتنى من حنظل

ومن قديم ماجاء فى هذا النحو قول أوس :

وليس أخوك الدائم العهد بالذى يلومك إن ولى ويرضيك مُقبلا
ولكنه النَّائى إذا كنتَ آمنا وصاحبك الأدنى إذا الأمرُ أعضاء
أبلغ ما قيل فى النَّائى وأجوده وأشدّه اختصارا ما أنشدناه أبو أحمد للمرار الفقعسى :

تقطع بالنزول الأرض عنا وبعد الأرض يقطعه النزول
وهذا مأخوذ من قول النبي ﷺ « ألا إنَّ هذا الدينَ مَتِينٌ فَأَوْغِلْ فيه
يرفِقِ فإنَّ المنبتَّ لا أرضاً قطعَ ولا ظهراً أبقى » وتقول العرب شر السير
الحققة ، وهى شدة السير . وقلت فى نحو قول المرار :

وحطَّ بها كوار خوص لواغب يقلُّ ! كثار الذميل ذميلا
نفض عبدة حلَّ الفراق عقالها وأقلقَ هجران الحبيبِ مقيلا
فلا غرو إن فاضت دموعُ متيمٍ على الدار يسقى ظلمن طولها
ومن المشهور فى النَّائى قول القطامي :

قد يدركُ المتأنى بمض حاجتهِ وقد يكونُ مع المستعجلِ الزللُ

وقال غيره :

ومستعجل والمكثُ أدنى لرشدهِ ولم يدرك ما يلقاه حين يُبادرُ
وقيل لبعض العلماء لم لم يقل « كل حاجته » فيكون أبلغ قال ليس « كل » من كلام
الشعر ، وقد صدق ولو قال كل حاجته لكان متكلفا مردوداً وكثيراً ما يقع « كل » فى
الشعر قلق المكان كوقوعه فى بيت ابن طباطبا :

فبالأنى دغى أغالى بقيمتى فقيمةُ كلِّ الناسِ ما يحسنونهُ

ولا أعرفُ أن «كلا» وقع في بيت أحسن منه في بيت أبي العتاهية :

أعلمتُ عُتْبَةً أنفى منها على أجلِ مطل
وشكوتُ ما ألقى اليها والمدامعُ تستهل
حتى إذا برمتُ بما أشكوكا يشكو الاذل
قالت فأى الناس تعرفُ ما تقولُ فقلتُ كل
ومن الذى يهوى فلا يزهى عليه ولا يذل

وقد أصاب القائل في صفة العقل :

وجدتُ العقلَ نوعين فطبوعٌ ومسموعٌ
ولا ينفعُ مسموعٌ إذا لم يكُ مطبوعٌ

أجود ما قيل في الاختيار قول ابن المعدل أظنه :

إذا لم تقدحى زنديك يوماً فما يدريك أيهما الوريُّ
وأول الأبيات :

رأيتنا أم عمرو فازدرتنا ونقضُ الحرب منظرُهُ زرىُّ
إذا لم تقدحى زنديك يوماً فما يدريك أيهما الوريُّ
سلى بي تخبرى أنى طروب الى الايسار أبلغُ بُخترىُّ
وانى حين تختلف^(١) العوالى الى الابطال أكيس قسورى
كلبنى للندى والبأس انى بكل بسالة وندى حرىُّ

ومثله قول الآخر :

زنى القوم حتى تعرفى عندَ وزنهم إذا رُفِعَ الميزانُ كيفَ أميلُ
وقال النبي ﷺ (أخبر قله) معناه اختبر من شئت تجد دون ما تظنه فيه
وتطلع على ما تكره منه فتبغضه ، وليس في جميع ما قيل في هذا المعنى أبلغ منه
ولا أوجز وقد شرحه ابن الرومي فقال :

(١) فى الاصل «يختلف» .

دعني الى فضل معروفكم وجوه مناظرها معجبه
 فأخلقتم ما توسمته وقل حميد على التجربه
 وكم لمعة خلتها روضة فألفتها دمنة معشبه
 ظلمتكم لا تطيب الفروع إلا وأعراقها طيبه
 وكنت حسبت فلما حسبت عفى على الحساب مع المحسبه
 فهل تعذروني كعذريكم بأن أصولكم المذنبه
 جزيت موازينكم بالسواء وعذرت بغير فلا معتبه

وقد قال الناس : الطمانينة قبل التجربة حق ، والمثل السائر : لا تحمدنّ امرأً حتى تجربه . سمعت عم أبي يقول ما سمعنا في الشكر أوجز من قول يحيى بن خالد * الشكر كفؤ النعمة . ولا أطرف من قول البحتري : الشكر نسيم النعمة . وأنا أقول لم يسمع أجمع في الشكر من قول ابراهيم بن العباس : أخبرنا به أبو أحمد عن الصولي عن أحمد بن اسماعيل قال قال ابراهيم بن العباس : الشكر داعية المزيد وقيمة العارفة ورباط النعمة ولسان المعطفة . وأبلغ ما قيل في الشكر من الشعر قول يحيى بن زياد الحارثي أنشدناه أبو أحمد عن الصولي :

حلفت برب العيس تهوى بركبها الى حريم ماغنه للركب معدل
 لما بلغ الانعام في الفضل غاية تفضل إلا غاية الشكر أفضل
 ولا بلغت أيدي المنيلين بسطة من الطول إلا بسطة الشكر أطول
 ولا ثقلت في الوزن أعباء منة على المرء إلا منة الشكر أثقل
 فمن شكر المعروف يوماً فقد أتى أخا العرف من جنس^(١) المكافاة من عل
 وقال الآخر : فعلت خيراً كثيراً وأنت أكثر منه
 ونحن أكثر منه لشكرنا لك عنه

وأجود ما قيل في عظام النعمة وقصور الشكر من قديم الشعر قول طريح بن اسماعيل :

سَعَيْتُ ابْتِغَاءَ الشُّكْرِ فَمَا صَنَعْتُ بِي فَقَصَرْتُ مَغْلُوبًا وَإِنِّي لَشَاكِرٌ
 قَوْلُهُ وَإِنِّي لَشَاكِرٌ مَعَ قَوْلِهِ مَغْلُوبًا حَسَنَ الْمَوْقِعِ ، وَهُوَ مُأْخُذٌ مِنْ قَوْلِ الْآخِرِ :
 فَرَأَى حَبِيبٌ لَمْ يَبَيِّنْ وَهُوَ بَاطِنٌ
 لِأَنَّكَ تَوَلَّيْتَنِي الْجَمِيلَ بِدَاهِيَةٍ وَأَنْتَ لَمَّا اسْتَكْثَرْتَ مِنْ ذَاكَ حَاقِرٌ
 فَأَرْجِعْ مُغْبُوطًا وَتَرْجِعْ بِالَّتِي لَهَا أَوَّلٌ فِي الْمَكْرُمَاتِ وَآخِرٌ
 وَقَوْلُ الْآخِرِ :
 وَلَوْ أَنَّ لِي فِي كُلِّ مُنْبَتِّ شَعْرَةٍ
 وَقَوْلُ دَعْبِل :

هَجَرْتُكَ لَأَعْنِ جَفْوَةٍ وَمَلَالَةٍ وَلَا لِقَلِي أَبْطَأْتُ عَنْكَ أَبَا بَكْرٍ
 وَلَكِنِّي لَمَّا أَتَيْتُكَ رَاغِبًا فَأَفْرَطْتَ فِي بَرِّي عَجَزْتُ عَنِ الشُّكْرِ
 فَلَانَ (١) لَا آتِيكَ إِلَّا مَعْذِرًا أَزُورُكَ فِي الشَّهْرَيْنِ يَوْمًا أَوْ الشَّهْرَ
 فَانْزِدْتَ فِي بَرِّي تَزِيدُتُ جَفْوَةً فَلَا تَلْتَقِي (٢) حَتَّى الْقِيَامَةِ وَالْحَشَرِ
 وَقَوْلُ أَبِي نَوَاس :

قَدْ قُلْتُ لِلْعَبَّاسِ مُعْتَذِرًا مِنْ ضَعْفِ شُكْرِيهِ وَمَعْتَرِفًا
 أَنْتَ أَمْرُؤُ قُلْدَتْنِي نَعْمًا أَوْهَتْ قُوَى شُكْرِي وَقَدْ ضَعُفَا
 لَا تَسْدِينِ إِلَى عَارِفَةٍ حَتَّى أَقُومَ بِشُكْرِ مَا سَلَفَا
 وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ أَتَى بِهَذَا الْمَعْنَى إِلَّا أَنَّهُ عَبَّرَ عَنْهُ بِعِبَارَةٍ طَوِيلَةٍ ، وَأَحَدُ أَدْوَاءِ
 الْكَلَامِ فَضَّلَ أَلْفَاظَهُ عَلَى مَعَانِيهِ . وَقَالَ الْبَحْتَرِيُّ :

هَاتِيكَ أَخْلَاقُ اسْمَاعِيلَ فِي تَعَبٍ مِنْ الْعَمَلِ وَالْعَمَلَاءِ مِنْهُمْ فِي تَعَبٍ
 أَدَابْتُ شُكْرِي فَأَمْسَى مِنْكَ فِي نَصَبٍ أَقْصَرَ فَمَالِي فِي جَدْوَالِكَ مِنْ أَرْبٍ
 لَا أَقْبِلُ الدَّهْرَ نِيْلًا لَا يَقُومُ لَهُ شُكْرِي وَلَوْ كَانَ مَسْدِيهِ إِلَى أَبِي
 لَمَّا سَأَلْتُكَ وَافَاتِي نَدَاكَ عَلَى أَضْعَافِ شُكْرِي فَلَمْ أَظْفَرْ وَلَمْ أَحِبْ

(١) أصله « فمن الآن » . (٢) في الأصل « نكتفي »

وقلت في معناه :

تقاصرَ عن نداءه باعُ شكرى قصورَ الزجَّ عن زلقِ اللسان
وآسى أن تطولَ بدای منه إلى ما لا يُطاوَلُه لسانى
كان ندى يديه عناقُ بين فليس يسرُنى إلا شجانى
لهجتُ بذكره لأبين عنه فضاقتُ بوصفه ذرعُ البيان
حنانى ثقله ولو أنَّ قوساً تلقى منكبي لما حنانى
فها أنا منه مفتقرٌ وغاب وقلبي فيه منطلقٌ وعان

وقال البحرى :

إنى هجرتك إذ هجرتك وحشةً لا العودُ يذهبها ولا الابداءُ
أخجلتنى بندى يديك فسودت مايننا تلك اليدُ البيضاء
وقطعتنى بالجوْدِ حتى أنى متخوفٌ أن لا يكون لقاء
صلةٌ غدت فى الناسِ وهي قطعةٌ عجباً وبرُّ راحٍ وهو جفاء
ليواصلنك ركبُ شعيرٍ سائر يرويه فيك لحسنه الأعداء
حتى يتم لك الثناء مخلصاً أبداً كما تمت لك النعماء
فتظلُّ تحسدك الملوكُ الصيدي وتظل تحسدنى بك الشعراء

وقد أحسن ثمامة فيما كتب إلى بعضهم : قد حيرنى سوء رأيك فى فما أهتدى
لطلب الاعتذار وأنت مولى نعمة أنا عبد شكرها فلا تظمنى من حسن رأيك
فأضوى ولا نسقطنى عن حيطتك فأثوى . وقريب من المعنى الأول قول البحرى
مَنْ مُعِينِي مِنْكُمْ عَلَى ابْنِ فُرَاتٍ ومكافاةٍ ما أنالَ واسدى
كلما قلتُ أطلقَ الشكرُ رقى رجعتنى له أياديه عبداً

سمعت عم أبى يقول ما سمعنا بالرضا بالقسمة والشكر أحسن من قول صالح بن
مسار: ما أدرى الغمة الله فيما بسط على أفضل أم نعمته فيما زوى عني فجعل ما يمنعه
نعمة والناس يجعلونه محنة ونقمة . وكتب بعضهم فى المعنى الأول : أنا وإن كنت

ذافقة إلى طولك فليست لي طاقة بما حملتني من برك وما أجد لنفسي معقلا ولا
 أعرف لها متعللا إلا في الاقتداء بمن عجز عن شكر ما أولى فجبر نقيصته بالاعتراف
 والتقصير واعتمد من شكره على تصريف المعاذير . وكتب إلى بعض الأصدقاء
 وصل كتابك مقرونا بالتوقيع في معنى المعيشة فأعاد الأمل جديداً والجد سعيدا
 والهمة سامية تمسح وجه النجم وتقبل عارض الشمس وتمسك بعنان البدر فأذن
 بعمارة الجاه وتكفل برفع القدر وضمن أعلاء الأولياء وكبت الحساد وكب
 الأعداء إلى غير ذلك من أنس أورده وسرور جدد ووحشة صرفها وكربة
 كشفها ، وفهمته وتأملت التوقيع فتصور لي الغناء بصورته وقابلني بصدق مخيلته
 وعرفت أن الدهر قد غضت جفونه ونامت عيونه وتنحت عن ساحتي خطوته
 وهذه نعم أعيا بذكرها فكيف أطمع في أداء شكرها بل عسى أن يكون الاعتراف
 بقصور الشكر عنها شكراً لها ومقابلة لما خلص إلى منها وأنا معترف بذلك
 اعتراف الروض بحقوق الأنواء إذا تحلى بيوافقت الأنوار ولا آلى الانداء .
 وجعل جعفر بن يحيى البرمكي الشكر باظهار حسن الحال أبلغ من الشكر
 بالقول . أخبرنا أبو أحمد أخبرنا المبرمان أخبرنا أبو جعفر بن القتيبي عن القتيبي قال
 أراد جعفر بن يحيى حاجة كان طريقه إليها على باب الأصمعي فدفع إلى خادم له
 كيساً فيه ألف دينار وقال اني سأنزل في رجعتي الى الاصمعي ثم سيحدثني ويضحكني
 فاذا ضحكك فضع الكيس بين يديه فلما رجع ودخل عليه فرأى حُجْباً مكسور
 الرأس وجرة مكسورة العنق وقصعة مشعبة وجفنة اعشار وراه على مصلى بال
 وعليه بركان أجرد فغمز غلامه أن لا يضع الكيس بين يديه فلم يدع الأصمعي
 شيئاً مما يضحك الشكلاان والفضبان إلا أورده عليه فما تبسم ثم خرج فقال لرجل
 يسيره من استرعى الذئب ظم ومن زرع سبخة حصد الفقر إني والله لما علمت
 أن هذا يكتم المعروف بالفعل ما حقلت بنشره له باللسان وأين يقع مديح اللسان
 من آثار العيان ان اللسان قد يكذب والحال لا يكذب والله در نصيب حيث يقول :

فعادوا فأتنوا بالذي أنت أهله ولو سكتوا أثنت عليك الحقايب
ثم قال أعلمت أن ناس أبرويز أمدح لأبرويز من شعر زهير لآل سنان .
قد أتى جعفر في هذا الفصل من المعاني بما لم يأت به أحد قبله وشرحه شرحاً ليس
مثله لأحد سواه . وقالت الحكماء لسان الحال أصدق من لسان الشكوى .

وقد أجاد ابن الرومي في هذا المعنى فقال :

حال تبيح بما أوليت من حسن وكل ماتدعيه غير مردود
كل هجاء وقتلي لا يحل لكم فما يداويكم مني سوى الجود
وقالوا : شهادات الأحوال أعدل من شهادات الرجال .

ومما يجري في باب الشكر وهو من أبداع ما قيل في معناه ما أنشدناه أبو أحمد قال
أنشدنا الصولي قال أنشدنا أحمد بن إسماعيل الخطيب لنفسه :

واني وإن أحسنت في القول مرةً فمنك ومن آثارك امتار هاجسي
تعلمت مما قلته وفعلمته فأهديت غصناً من حناي لغارسي

أخذه ابن طباطبا فقال في ابن رستم الاصبهاني :

لا تنكرن اهداءنا لك منطقاً منك استفدنا حسنه ونظامه
فالله جل وعز يشكر فعل من يتلو عليه وحيه وكلامه

وفي غير هذا المعنى يقول أبو تمام :

كم غارة لك في المسكار ضخمة غادرت فيها ماملكت قتيلا
فرايت أكثر ما بذلت من الهوى نزرأ وأصغر ما شكرت جزيلا

وقد أحسن ابن الرومي :

هاجرت عنك إلى الرجا ل فكان عرفهم كنسرك
ورجعت من كتب اليك مفرغاً نفسي لشكرك
ولما أروم بما تم ل زيادة في رفع ذكرك
لكم حق أوفيه عوانك بعد بركك

كَمْ نِعْمَةٍ لَكَ مَلَأَ فِكْرِي لَا تَلَاظِمُهَا بِفِكْرِكَ
(أحسن ما قيل في الصبر) أخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن ابن الرياشي عن
أبيه عن الأصمعي قال قال أبو عمرو أحسن ما قيل في الصبر قول أبي خراش^(١):

تَقُولُ أَرَاهُ بَعْدَ عُرْوَةٍ لَاهِيَا وَذَلِكَ رِزْءٌ لَوْ عَلِمْتَ جَلِيلُ
فَلَا تَحْسَبِي أَنِّي تَنَاسَيْتُ عَهْدَهُ وَلَكِنَّ صَبْرِي يَا أُمِّمُ جَمِيلُ
وَبَعْدَهُ : أَلَمْ تَعْلَمْ أَنِّي قَدْ تَفَرَّقَ قَبْلُنَا خَلِيلًا صَفَاءً مَالِكٌ وَعَقِيلُ

وقال الأصمعي أحسن ما قيل فيه مع الشرح قول أبي ذؤيب :
وَتَجَلَدِي لِلشَّامَتِينَ أُرِيهِمْ أَنِّي لَرَيْبٍ الدَّهْرَ لَا أَنْضَمُضُ
حَتَّى كَأَنِّي لِلْحَوَادِثِ مَرُوءٌ بِصَفَا الْمَشْعَرِ كُلِّ يَوْمٍ تَقَرُّعُ
وَقَوْلُهُ : وَإِنِّي صَبَرْتُ النِّفْسَ بَعْدَ ابْنِ عَنَسٍ وَقَدْ لَجَّ مِنْ مَاءِ الشَّوْءِ لَجُوجُ
لَأَحْسَبَ جَلْدًا أَوْ لِيُنْبَأَ شَامَتٌ وَلِلشَّرِّ بَعْدَ الْقَارِعَاتِ فُرُوجُ
وأجود ما قاله محدث فيه قول ابن الرومي أنشدناه أبو أحمد عن ابن المسيب
رواية ابن الرومي عن أبيه الرومي :

أَرَى الصَّبْرَ مَحْمُودًا وَفِيهِ مَذَاهِبُ فَكَيْفَ إِذَا مَا لَمْ يَكُنْ عَنْهُ مَذْهَبُ
هَنَّاكَ يَحْقُ الصَّبْرُ وَالصَّبْرُ وَاجِبٌ وَمَا كَانَ مِنْهُ كَالضَّرُورَةِ أَوْجِبُ
فَشَدَّ أَمْرُ الصَّبْرِ كَفًّا فَانْه لَهُ عَصْمَةٌ أَسْبَابُهَا لَا تَقْضُبُ
هُوَ الْمَهْرُبُ الْمُنْجَى لِمَنْ أَحْدَقَتْ بِهِ مَكَارَهُ دَهْرٍ لَيْسَ عَنْهُمْ مَهْرَبُ
لِبُوسُ جَمَالِ جُنَّةٍ مِنْ شِمَاتَةٍ شَفَاءُ أَسَى يَثْنِي بِهِ وَيُشِيبُ
فِي عَجْبٍ لِلشَّيْءِ هَذَا خِلَالَهُ وَتَارَكَ مَا فِيهِ مِنَ الْخَطِّ أَعْجَبُ
وَقَدْ يَتَقَلَّى النَّاسُ أَنْ أُسَاهِمُ وَصَبْرُهُمْ فِيهِ طَبَاعُ مَرْكَبُ
وَأَنَّهُمَا لَيْسَا كَشَيْءٍ مُصَرَّفٍ يَصْرِفُهُ ذُو نَكْبَةٍ حِينَ يَنْكَبُ
فَإِنْ شَاءَ أَنْ يَأْسَى أَطَاعَ لَهُ الْأُسَى وَإِنْ شَاءَ صَبْرًا جَاءَهُ الصَّبْرُ يَجْلِبُ

(١) هو خويلد بن مرة الشاعر الفارس المشهور بالعدو ، أسلم وعاش إلى زمن عمر .

وليس كما ظنوها بل كلاهما
بصرفه المختار منها فتارة
إذا احتج محتج على النفس لم يكد
وساعدها الصبر الجليل فأقبلت
وإن هو منها الباطل لم تزل
فتضحى جزوعاً أن أصابت مصيبة
فلا يمدن التارك الصبر نفسه
لعل ليب مستطاع مسب
يراد فيأتى أو يزاد فيذهب
على قدر ما عني له يتعقب
اليها له طوعاً جنائب تحجب
تقاتل بالغيث القضاء فتغلب
وتسمى هلو عاً إذ تعذر مطلب
بأن قيل إن الصبر لا يتكسب

ومن أجود ما قيل في ذم الحقد قول ابن الرومي :

الحقد داءٌ دفينٌ لا دواء له
فاستشف منه بصفح أو معاتبة
واجعل طلابك بالآوتار ما عظمت
ثم قال يمدحه :

وخيرُ سجايا الرجالِ سجيةٌ
وما الحقدُ إلا توأمُ الشكرِ في الفتى
فحيثُ ترى حقدًا على ذى إساءةٍ
ولولا الحقودُ المستكناتُ لم يكن

وأول من مدح الحقد عبد الملك بن صالح في قوله : إن كنت تريد الحقد بقاء
الخير والشر عندى أنهما الباقيان . وأجمع كلمة قيلت في الصبر قول بعضهم الصبر
مظنة النصر . وقال الآخر : الصبر مطية لا تكبو وإن عنف عليه الزمان . وسمعت
عم أبي يقول : الصبر شرية ثمرارية ^(١) وقال * ففرج أيام الكريهة بالصبر *
وقال آخر : * وهل جزعٌ يُجدى على فأجزع * فجعل الصابر الصبر
ضرورة لعله أن الجزع غير مجد . وقلت :

(١) الشرى : شجر الخنظل و الأرى : العسل .

قالوا صبرت وما صبرتُ جلادةً لكن لقلّة حيلتي أنصبرُ
 وليس في الحيوان شيء أصبر من الحمار والجل وذلك أنهما يحملان الحمل
 الثقيل على الدبر ويبلغان به الغاية البعيدة على الحفا حتى قالت العرب «أصبر من ذى
 ضاغط» وهو أن يضغط موضع الابطأصل الكركرة حتى يدميه . ويقولون :
 أصبرُ من عود بجنبه جلب قد أثر البطانُ فيه والحقب
 قاله جلجلة بن قيس من أشيم فصار مثلاً ، وقال سعيد بن أبان بن عينة بن حصن :
 أصبرُ من ذى ضاغطٍ مُعَرَّكٍ ألقى يوانى صدره للمبرك
 ويقولون أصبر من ضب لما هو فيه من التقشف واليبس . وقالوا حيلة من
 لا حيلة له الصبر . وسمعت والدى يقول لعن الله الصبر فإن مضرت طاجلة ومنفعته
 آجلة وذلك أنك معجل بالصبر ألم القلب لتنال المنفعة في العاقبة ولعلها تفوتك
 لعارض يعرض وكنت قد تعجلت الضرر من غير أن تصل الى نفع . فنظمته
 بعد ذلك وقلت :

الصبرُ عن تحبه صبرُ ونفعُ من لأم في الهوى ضرر
 من كان دون المرادِ مُصْطَبراً فلستُ دون المرادِ أَصْطَبِرُ
 منفعة الصبرِ غيرُ طاجلةٍ وربما حالَ دُونُها الغيرُ
 فقم بنا نلتمس ما ربنا أقام أولم يقم بنا القدرُ
 ان لنا أنفساً تسودنا أعانهم ^(١) الزمان أو يذر
 وابع من العيش مأسراً به ان عذل الناس فيه أو عذروا
 وقال أبو هلال أجمع كلمات سمعناها في الحلم ما سمعت عم أبي يقول الحليم
 ذليل عزيز وذلك أن صورة الحليم صورة الدليل الذى لا انتصار له واحتمال السفه
 والتغافل عنه في ظاهر الحال ذل وان لم يكن به . وقيل الحليم مطية الجهول لاحتمال
 جهله وتركه الانتصاف منه . وقال الأول :

(١) في الاصل «اعانهم من» ولعل «من» زائدة .

وليس يتمُّ الحلمُ للمرءِ راضياً إذا كان عندَ السخطِ لا يتعلمُ
كما لا يتمُّ الجودُ للمرءِ موسراً إذا كان عندَ العسرِ لا يتكرمُ

ولهذا قال شيخ من الاعراب وقد قيل له ما الحلم قال الذى تصبر عليه وقال الشاعر :

لن يدرك المجدَ أقوامٌ وإن كرموا حتى يذلوا وإن عزّوا لأقوام
ويشتموا فترى الألوانُ مُسفرةً لاصفح ذلٍّ ولكن صفح أحلام

وصحته يقول الحلم عقال الشر وذلك أن من سمع مكروهة فسكت عنها انقطع عنه أسبابها وإن أجاب اتصلت بأمثالها . وأنشدوا فى هذا المعنى :

وتخرج نفسُ المرءِ عن وقع شتمةٍ ويشتمُ ألفاً بعدها ثم يصبرُ
ولا أعرف فى الحلم معنى أحسن من معنى معاوية فى قوله انى لأرفع نفسى أن يكون ذنبُ أورثه من حلمي وما غضبى على من أملك أو ما غضبى على من لأملك .

يريد انى اذا كنت مالسكا للمذنب فأنى قادر على الانتقام منه فلم ألزم نفسى الغضب وإن لم أكن أملكه فليس يضره غضبى فلم أغضب عليه فأضر نفسى ولا أضره . وقال الشاعر فى الحلم والاغضاء عن المكروه مع القدرة على التغيير :

مغض على العوراء لو لا الحلمُ غيره انتصاره

وأسمع بعضهم الشعبيَّ فقال له ان كنت صادقاً فغفر الله لى وإن كنت كاذباً فغفر الله لك . وهذا أعجب ما جاء فى هذا الباب وأحسنه . وأجود شىء قيل فى الحلم من الشعر ما أخبرنا به أبو أحمد أخبرنا ابن دريد أخبرنا أبو عثمان عن الأخفش قال نال رجل من الخليل بن أحمد وأسمعه فقال الخليل :

سألزمتُ نفسى الصفحَ عن كلِّ مُذنبٍ وإن كثرتُ منه على الجرائمُ
وما الناسُ إلا واحدٌ من ثلاثة شريفٌ ومشروفٌ ومثلٌ مُقاوم
فأما الذى فوق فأعرفُ فضلهُ وأتبعُ فيه الحقَّ والحقُّ لازم
وأما الذى مثلى فاب زلٌّ أو هفا تفضلتُ إنَّ الفضلَ بالمرءِ حاكم
وأما الذى دونى فإن قال مُصنِّتٌ عن إجابته عرضى وإن لأمَ لأم

قسم هذا الشاعر ثم فاحسن ولم يدع مزيداً . ومن عجيب ماروي في
الحلم ما أخبرنا به أبو أحمد عن رجاله قال جى . قيس بن عاصم بابن له قتيلاً وابن
أخ له كتيفاً وقيل له هذا قتل ابنك فلم يقطع حديثه ولا نقض حبوته فلما فرغ من
حديثه التفت الى بعض بنيه فقال قم الى ابن عمك فاطلقه والى أخيك فادفنه والى أم
القتيل فاعطها مائة ناقة فانها غريبة لعلها أن تسلو عنه ثم انكأ على شقه الأيسر وقال :

إني امرؤ لا يعترى خلقي دَنَسٌ يغيرُهُ ولا أفنٌ
من منقر في بيتٍ مكرمةٍ والفرعُ يَنبُتُ فوقهُ الفصنُ
خطباءُ حينَ يقولُ قائلهمُ بيضُ الوجوهِ مصاقعُ لسنٍ
لا يفظنونَ لعيبِ جارهمُ وهمُ لحفظِ جوارهم فطن

ويوصف الحلم بالرزانة وأجود ما قيل في ذلك قول مروان بن أبي حفصة ^(١) :

ثلاثٌ بأُمثالِ الجبالِ حياهمُ وأحلامهم منها لدى الوزنِ أثقلُ
وقد ذكرناه . والعرب تسمى العلم حلماً قال المتلمس :

لدى الحلم قبل اليوم ماتقرع العصا وما علم الانسانُ إلا ليعلم
ومن أشرفِ نعوتِ الانسان أن يدعى حليماً لأنه لا يدهاه حتى يكون عاقلاً
وعالماً ومصطبراً محتسباً وعفوّاً وصافحاً ومحتملاً وكاظماً ، وهذه شرائف الاخلاق
وكرائم السجايا والخصال . وقد خوف هؤلاء فقيل في خلاف مذهبهم هذا أنشد المبرد :

أباحسن ما أقبحَ الجهلَ بالفتى وللحلمُ أحياناً من الجهلِ أقبحُ
إذا كانَ حلمُ المرءِ عونَ عدوهِ عليه فإنَّ الجهلَ أعنى وأروحُ
وقال غيره :

قليلُ الأذى إلا عن القرنِ في الوغى كثيرُ الأيادي واسعُ الذرعِ بالفضل
ويحلمُ مالم يجلبِ الحلمُ ذلةً ويجهلُ ما شدت قوى الحلم بالجهل
وقال غيره :

(١) في النسخ « حفص » في مواضع .

ترفعتُ عن شتم العشيرةِ انْتى رأيتُ أبى قد كفَّ عن شتمهم قبلى
 حلِيمٌ إذا ما الحِلْمُ كان جلالَةً وأَجْهَلُ أحياناً إذا التمسوا جِهْلِي
 وقال غيره : * إذا الحِلْمُ لم يَنْفَعَكَ فالجِهْلُ أَحْزَمُ * وقالوا ليس شئٌ خيراً من
 الحقِّ إلا العفو وذلك أن عقاب المستحق للعقاب حق والعفو خير منه ، ومن أحسن
 ما جاء فيه قول بعضهم : لو أن المَسِيءَ لى عبد لَأَخ لى رأيتَ تَعْمَدُهُ والصفح عنه
 إجلالاً لقدر مولاه واعظاً لما لحق صاحبه فأنا بالصفح عن عبد الله أولى .
 وفي ذم العفو قول عميرة بن عقيل :

وما يَنْفَعُكَ من سَعْدِ أَيْنَا قَطُوعُ الرِّحْمِ بِأَدِيَةِ (١) الْأَدِيمِ
 ونَفَرُهَا كَأَنَّ لَمْ يَفْعَلُوهَا وَطُولُ الْعَفْوِ أَدْرَبُ (٢) لِلظَّالِمِ

أَجُودُ مَا قِيلَ فِي الْمَشْهُورَةِ قَوْلُ بَشَارٍ أَخْبَرَنَا أَبُو أَحْمَدَ أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى حَدَّثَنَا
 الْفَلَاحِيُّ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ التَّمِيمِيُّ قَالَ دَخَلَ بَشَارٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ
 ابْنِ الْحَسَنِ بْنِ الْحُسَيْنِ فَأَنشَدَهُ قَصِيدَةَ يَهْجُو فِيهَا الْمَنْصُورَ وَيُشِيرُ بِرَأْيِ يَسْتَعْمَلُهُ فِي
 أَمْرِهِ فَلَمَّا قَتَلَ إِبْرَاهِيمَ خَافَ بَشَارٌ قَلْبَ الْكُنْيَةِ وَأَظْهَرَ أَنَّهُ قَالَهَا فِي أَبِي مُسْلِمٍ ، أَوْ هَذَا :

أَبَا جَعْفَرٍ مَا كُلُّ عَيْشٍ بِدَائِمٍ وَمَا سَالِمٌ عَمَّا قَلِيلٍ بِسَالِمٍ
 عَلَى الْمَلِكِ الْجَبَّارِ يَقْتَحِمُ الرَّدَى وَيَصْرُعُهُ فِي الْمَازِقِ الْمُتَلَا حِمٍ
 كَأَنَّكَ لَمْ تَسْمَعْ بِقَتْلِ مُتَوَجٍّ عَظِيمٍ وَلَمْ تَعْلَمْ بِهَلِكِ الْأَعَا حِمِ
 تَقْسِمُ كَسْرَى رَهْطُهُ بِسَيُوفِهِمْ وَأَمْسَى أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْلَامُ نَائِمٍ
 وَقَدْ تَرَدَّ الْأَيَّامُ عَزَاءً وَرَبْمَا وَرَدْنَ كُلُّهُمَا بِأَدْيَاتِ الْكَشَائِمِ
 وَمَرَّوَانٌ قَدْ دَارَتْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّدَى لِأَجْرَامِهِ لَابِلٌ قَلِيلُ الْجَرَائِمِ
 وَأَصْبَحَتْ تَجْرَى سَادِرَاتِي طَرِيقَهُمْ وَلَا تَتَّقِي أَشْبَاهَ تِلْكَ الْقَقَائِمِ
 تَجَرَّدَتْ لِلْإِسْلَامِ نَعْفُو رَسُومِهِ وَتَعْرِى مَطَايَا اللَّيْثِ الضَّرَاغِمِ
 فَمَازَلَتْ حَتَّى اسْتَنْصَرَ الدِّينَ أَهْلَهُ عَلَيْكَ فَمَا ذَاكَ بِالسَّيُوفِ الصُّوَارِمِ

لحى الله قوماً رأسوك عليهم أقول لبسام عليه جلالة
من الفاطميين الدعاة إلى الهدى سراج لعين المستضى وتارة
إذا بلغ رأى المشورة فاستعن ولا تجعل الشورى عليك غضاضة
وماخير كف أمسك الغل اختها وخل الهوينى للضعيف ولا تكن
وحارب إذا لم تعط إلا ظلامة وشبا الحرب خير من قبول المظالم

هذا ما أورده أبو هلال العسكري وفي بعض الكتب زيادة في هذه القصيدة وهى :

فأذن على الشورى المقرب نفسه ولا تشهد الشورى امرأ غيرك
فانك لا تستطرد الهيم بالى ولا تباغ العليا بغير المسكارم
وما قارع الأقوام مثل مشيع أريب ولا جلى العمى مثل عالم
وما خير كف - البيت . قال أبو بكر فحدثني الجحى قال سمعت المازنى
يقول سمعت أبا عبيدة يقول ميمية بشار هذه أحب إلى من ميميتى جزير والفرزدق .
وقيل لبشار ما أحسن أبيانك فى المشورة فقال المستشار بين صواب يفوز بشمرته
أو خطأ يشارك فى مكروهه فقل له هذا والله أحسن من شعرك . ومن الأفراد
التي لا شبیه لها قول عبد الملك بن صالح فى ذم المشورة : ما استشرت أحداً إلا لتكبر
على وتصاغت له ودخلتنى الذلة فعليك بالاستبداد فان صاحبه جليل فى العيون
مهيّب فى الصدور فاذا افتقرت إلى العقول حقرتك العيون فتضعضع شأنك ورجفت
بك أركانك واستحقرك الصغير واستخف بك الكبير وما عز سلطان لم يغنه
عقله عن عقول وزرائه وآراء نصحاءه . فذم المشورة كما ترى وهى ممدوحة بكل لسان .
وقال رومى افارسى نحن لائملك من يشاور فقال الفارسى نحن لائملك من

لا يشاور ، وقد أجمع الناس ان الفرس أعقل من الروم .
ومن أوجز ما قيل في الطمع قول بعضهم إذا طمعت ملأت . ويقولون
الطمع طمع ، والطمع الدنس وأنشد :

لاخير في طمع يدعو إلى طمع وغُفَّةٌ من قوام العيش تكفي
والغفَّةُ القوت وأصلها الغارة ^(١) وسميت بذلك لأنها قوت للسنور . وأنا
أقول إن أول الطمع ذلة وأوسطه شقوة وآخره حسرة . وقال ثابت قطنة ^(٢) :

ألا تُمَيَّ عَمِيرَةٌ أَنْ رَأَيْتَنِي عَزَفْتَ النَّفْسَ عَمَّا لَمْ يَنَالَا
أحزم كلمة سمعتها عن العرب قولهم « إن ترد الماء بماء أكيس » معناه ينبغي
أن تحتفظ بما عندك حتى تصل إلى غيره ولا تلقى ما في يدك رجاء لما هو
أكثر منه فلعلك لا تناله لحادث يحدث . ومثل ذلك قولهم « لا يرسل الساق إلا
مسكاً ساقاً » أي لا يترك معتمداً إلا إذا وجد مثله . وأصله في الحرباء لا يترك
ساق شجرة حتى يمسك بساق أخرى ، قال الشاعر :

أَنْتَى أَتَيْجَ لَهَا حَرْبَاءُ تَنْضِبَةُ ^(٣) لا يرسل الساق إلا ممسكاً ساقاً

أجود ما قيل في الحياء قول الخنساء :

ومحرقٌ عنه القميصُ تخالهُ بين البيوتِ من الحياءِ سقياً
حتى إذا رفعَ اللواءَ رأيتُهُ تحت اللواءِ على الخنيسِ زعيماً
أخذه بعضهم وأحسن :

يشبهون سيوفاً في صرامتهم وطول أنضية الأعناقِ والقيم
إذا غدا المسكُ يجرى في مفارقهم راحوا كأنهم مرضى من الكرم

(١) في الأصل تصحيف في بعض الكلمات ، والتصحيح من القاموس .

(٢) كان قائداً شجاعاً ، شهد وقائع خراسان سنة ١٠٢ وأصيبت عينه فجعل

عليها قطنة فعرف بها . وفي الأصل (ثابت بن فطنة) .

(٣) في أمثال الميداني « بليت بأشوس من حرباء تنضبة » .

وقال غيره :

كريمٌ يَغْضُ الطرفُ فضلُ حَيَّائِهِ ويدنو وأطرافُ الرِّيحِ دَوَانُ
وكالسيفِ إنْ لا يَنْتَه لَانُ مَسَّهُ وَدَّاهُ انْ خَاشَتَهُ خَشَنَانُ

وقال أبو دهب :

تَزَرُّ الكَلَامُ من الحَيَاءِ تَخَالَهُ صَمْتًا وليس بِجِسْمِهِ سَقَمُ
عَقَمَ النِّسَاءُ فلا يلدن شَيْبَهُ إنْ النِّسَاءُ بِمِثْلِهِ عَقَمُ
غیره : انى كأتى أرى من لاحتِ لَه ولا أمانةً يبين الناسُ عُرْيَانَا

أجود ما قيل في تفضيل الجد على العقل والاعخبار بأن الحظ والعقل لا يجتمعان قول الاول :

ومالبُ اللبيبُ بغيرِ حظ بأغنى في المعيشة من قنيل
رأيتُ الحظَّ يسترُ عيبَ قومٍ وهيهاتَ الحظوظُ من العقول
والعرب تقول «اسع بجِدٍّ أودع» .

أجود ما قيل في التزهد والتصون وترك السؤال قول بعضهم : السخاءُ أنْ
تكون بمالك متبرعاً وعن مال غيرك متورعاً . فجعل اليأس مما في أيدي الناس
سخاءً لأن النفس إذا سخت وسححت لم تتطلع إلى مال الغير كما انها اذا ضاقت
وحرصت تآقت الى ما ليس لها ، وهو معنى حسن دقيق أخذه ابن أبي حازم فقال :

ومنتظر سؤالك بالعطايا وأفضل من عطاياه السؤال
إذا لم يأتك المعروف طوعاً فدعه فالتزهد عنه مالٌ

وما أحسب انى سمعت في هذا المعنى أحسن من هذا وقلت :

ألا إنَّ القناعةَ خيرُ مالٍ لدى كريمٍ يروحُ بغيرِ مالٍ
وان تصبر فانَّ الصبرَ أولى بمن عثرت به نوبُ الليالي
تجمل إنْ بُليتَ بسوءِ حالٍ فانَّ من التجملِ حسنِ حالٍ

أجود ما قيل في مضاء العزم وثبوت الرأى والفتنة من الشعر القديم قول

أوس بن حجر :

الأملى الذى يظن بك الظن كأن قد رأى وقد سمعا
وقالت الحكماء لا يذتفع الرجل بعلمه حتى يذتفع بظنه . وكان عمر رضى الله
عنه يقول إذا أنا لم أعلم ما لم أرماعلت مارأيت . وقلت :

أما نك مصروف إلى كل راهب وسبيك موقوف على كل راغب
تباشرت الدنيا بجذواك واكتفت فلم تتباشر بالغيوث الصوائب
تبسم منك الدهر عن زائن^(١) له وعين عليه فى اختلاف النوائب
بصير له دون العواقب فكرة تكشف عن رأى وراء العواقب
ليشركك مجد لا تزال تحوطه وتحميه بالنصلين عزم وقاضب
كأنى اذا أمسكت منك بعروة أخذت باهداب الغيوم السواكب
وليس فى المضاء والعزيمة أجود من قول أى تمام :

وركب كأطراف الاسنة عرسوا على مثلها والليل تسطو غياهبه
لأمر عليهم ان تتم صدوره وليس عليهم أن تتم عواقبه
مأخوذ من قول الأول :

غلام وغى تقمها فأودى وخان بلادته الزمن الخوون
وكان على الفتى الاقدام فيها وليس عايه ماجنت المنون
وقوله : وقد علم الافشين وهو الذى به يُصان رداء الملك من كل جانب
بأنك لما استخذل الأمر^(٢) واكتسى اهابى سبى فى وجوه التجارب
تجلته بالرأى حتى أريته به ملء عينيه مكان العواقب
سلت له سيفين رأيا ومنصلا وكل لنجم فى الدجنة ثاقب
وكنت متى تهزز لخطب نقشه^(٣) ضرائب أمضى من رقاق المضارب
وقال : وسارت به بين القنابل والقنا عزائم كانت كالقنسا والقنابل

(١) فى هامش النسخة (راقب له) إشارة لنسخة فيها كذلك .

(٢) فى الديوان (النصر) . (٣) فى الاصل (لحظ تعيشه) .

ومن جيد ما قيل في كتمان السر قول الأول :

تلاقت حيازي (١) على قلب حازم
أواخي رجالاً لست أطلعُ بعضهم (٢)
وقال الآخر : سأ كتمه سري وأحفظُ سره
عليهم فينسى أوجهول يذيعه
كتوم لما ضمت عليه أصابعه
على سرٍّ بعضٍ إن قلبي واسعه (٣)
ولا غرني أني عليه كريم
وما الناس إلا جاهل وعليم

والمثل السائر :

إذا ضاق صدر المرء عن سرِّ نفسه
أحسن ما قيل في العقل ما أنشدناه أبو أحمد عن ابن دريد :

وأفضلُ قسم الله المرء عقله
إذا كمل الرحمن للمرء عقله
يعيش الفتى بالعقل في الناس أنه
ومن كان غلاباً بعقل ونجدة
يزين الفتى في الناس صحة عقله
ويزري الفتى (٤) في الناس قلة عقله
فصدر الذي يستودع السر أضيق
فليس من الخيرات شيء يقاربه
فقد كملت أخلاقه وضرائبه
على العقل يجري علمه وتجاربه
فنو الجد في عقل المعيشة طالبه
وان كان محظوراً عليه مكاسبه
وان كرم أعراقه ومناسبه
ونحوه قول الآخر :

ولم أر مثلاً للفقر أوضع للفتى
ولم أر من عدمٍ أضرَّ على الفتى
وقال سهل بن هرون : العقل راية الروح والعلم راية العقل والبيان ترجمان العلم.
أخبرنا أبو أحمد أخبرنا أحمد بن عبد الواحد أخبرنا أحمد بن يحيى عن ابن الأعرابي
قال قال قيس بن ساعدة أفضل العقل معرفة الرجل بنفسه (٦) وأفضل العلم وقوف

(١) في الأصل (حيازي) . (٢) في النسخ (بينهم) .

(٣) في النسخ (ذاسعة) . (٤) سقط « الفتى » من النسخ .

(٥) في الأصل (من عدم) . (٦) في نسخة (نفسه) .

المرء عند علمه وأفضل المروءة استبقاء الرجل ماء وجهه وأفضل المال ما قضيت منه الحقوق . ومن العجب أن العرب تمثلت في جميع الخصال بأقوام جعلوهم أعلى ما فيها فضر بوا بها المثل إذا أرادوا المبالغة فقالوا أحلم من الأحنف ومن قيس بن عاصم وأجود من حاتم ومن كعب بن أمامة وأشجع من بسطام وأبين من سحبان وأرمي من ابن تقن وأعلم من دغفل ، ولم يقولوا أعقل من فلان فلملهم لم يستكملوا عقل أحد على حسب ما قال الاعرابي وقد قيل له حد لنا العقل فقال كيف أحده ولم أره كاملاً في أحد قط .

ووصف بعضهم الحجاج بالعقل وعكس أمره آخر فوصفه بالحق قال عتبة بن عبد الرحمن رأيت عقول الناس تتقارب إلا ما كان من عقل الحجاج بن يوسف وإياس بن معاوية ، ثم قال أبو الصفدي كان الحجاج أحق بنى مدينته في بادية النبط ثم حاهم دخولها فلما رحل عنها دخلوها من قرب . وقال يونس بن حبيب كان والله يفتق ولا يرتق . ويحرق ولا يرفق ، وقال بعضهم ما دخل العراق أكثر أدباً من الحجاج فلما طال مكثه في ولايته واشتد في سلطانه وترك الناس الرد عليه فسدأدبه ، وقال له عبد الملك إن الرجل لا يكون عاقلاً حتى يعرف نفسه وأمير المؤمنين يقسم عليك لتخبره عن نفسك فقال أنا حديد حقود ذو قسوة حسود ، فانتحل الشر بجنذا فيره وجمعه بزوبره . ومن العجب أنهم قالوا من عرف نفسه نجا وقد عرف الحجاج نفسه وهو هالك . وقالوا العاقل لا يخبر بميب نفسه وقال بعضهم لا يعرف الرجل حقيقة ما اشتمل عليه من العيب كما أن آكل الثوم لا يجد رائحته من نفسه وقلت في ذلك :

لو تم شيء من الدنيا لذي أدب لا نضاف مال إلى علمي وآدائي
 قتم جاهي عند الناس كلهم وطاب عيشي في أهلي وأصحابي
 عز الكمال فلا يحظى به أحد فكل خلق وإن لم يدرك ذوطابي

وقال اسماعيل بن غزوان كل علم لا يكون في مغرس عقل ويان لا يكون في نصاب علم وخلق لا يجري على عرقه فليس له ثبات إذا احتيج إلى الثبات وقال أبو داود :

على اعرافه يجرى المذكي وليس على تكلفه وجهه
وقال بعض الملوك لحاجبه : أدخل على رجلاً عاقلاً فأدخل عليه رجلاً قال
بم عرفت عقله قال رأيته يلبس الكتان في الصيف والقطن في الشتاء واللبيس^(١)
في الحر والجديد في القر . وما قيل في علامة العاقل أعجب إلى من قول الاول :
علامة العاقل أن يكون عالماً بأهل زمانه حافظاً للسانه مقبلاً على شأنه . وقال
بعضهم إنما تنفع التجارب من كان عاقلاً . ومما يدخل في الباب ما أخبرنا أبو أحمد
عن أبي بكر عن عبد الرحمن عن عمه قال لم يقل أحد في التفرح بالمنادمة إلى
الاخوان والتسلي بمنامة أهل الحفاظ بمثل قول بشار حيث يقول :

وأثبتتُ عمراً بعض مافي جوانحي وجرعته من مرٍّ ما أتجرعُ
ولا بدَّ من شكوي إلى ذي حفيظة إذا جعلت أسرار نفسي تطلع
ومن أجود ما قيل في ترك الشيء إذا أدبر قول بعض الاعراب :
إذا ضيعت أول كل أمر أبت اعجازه إلا التواء
وإن حملت أمرك كلَّ وغد^(٢) ضعيف كان أمر كما سواء
وإن داويت دنيا بالتناسي وبالليان أخطأت الدواء
وقال الأعشى :

إذا حاجةٌ ولتك لا تستطيعها فخذطراً من غيرها حين تسبقُ
فذلك أحرى أن تنال جسيمها وللقصد أهدى في المسير وألحقُ
ومن أجود ما قيل في المهابة من قديم الشعر ما ينسب إلى الفرزدق وهو اغيره
في علي بن الحسين رضي الله تعالى عنهما :

يفضي حياءً ويفضي من مهابته فما يكلمُ إلا حينَ يبتسمُ
جعله مهيباً في السكون والاغضاء ولو جعله مهيباً مع الصولة والبطش لما كان

(١) في النسخ غير منقوطة ، واللبيس : الثوب قد أكثر لبسه فأخلق بكافي القاموس .

(٢) في الأصل « رغد » .

كذلك فهو بليغ جداً . وأنشدنا أبو أحمد عن بعض رجاله لشاعر في بعض العلماء
هو الامام مالك بن أنس إمام دار الهجرة رحمه الله تعالى :

يأبى الجواب فما يراجعُ هَيْبَةً والسائلونَ نواكسُ الاذقان
هدى التقى وعزُّ سلطانِ النهى وهو المهيَّبُ وليس ذا سلطان
ومن أحسن تشبيهه جاء في الهية قولهم (كأن على رؤوسهم الطير) وذلك أن الهائب
تسكن جوارحه فكان على رأسه طائراً يخاف طيرانه إن تحرك وقال أبو نواس :
أضمرُ في القلبِ عتاباً له فان بدا أنسيتُ من هيبته
ومثل هذا في النسب كثير وشبيهه قول الأول :

أهاؤك إجلالاً وما بك قُدرةٌ على ولكن ملء عين حبيبها
وما هجرتك النفسُ أنك عندها قليلٌ ولأن قلَّ منك نصيبها
لأترى أجود من قوله « ملء عين حبيبها » ولا أحسن ولا أبغ ولعلك
لا تجد لفظة تقوم مقامها ، ويقولون حسن يملأ العين . وهيبة تملأ الصدر . وقال
وتملأ عين الناظر المتوسم * وقال ابن الرومي :

في فتيةٍ من ولد المنصورِ أملاً للعين من البدورِ
وقال آخر * إذا ذكرت أمثالها تملأ الفم * وقد أجاد أبو تمام في صفة
الهيئة والمحافة فقال :

تَبَّتْ المقامِ يرى القبيلةَ واحداً ويُرى فتحسبهُ القبيلُ قبيلاً
وقال :

قد أترعت منه الجوانحُ هَيْبَةً ^(١) بطلت لديها سورةُ الأبطال
لو لم يزاحفهم لزاحفهم له ما في قلوبهم من الأوجال
ومثله قول ابن المعتز :

أنا جيشٌ إذا غدوتُ وحيداً ووحيدي في الجحفل الجراء

وقلت في نحو ذلك :

قبيلكم في العزّ يعلو قبائلاً وواحدكم في المجد يكثر معشرا
وقال الأشجع في إبراهيم بن نهيك وقد ولي المعونة :

شدّ الخطام بأنف كلّ مخالف حتى استقام له الذي لم يخطم
لا يصلح السلطان إلا هيمة تلقى البريء بفضل جرم المجرم
منعت مهابتك النفوس حديثها بالشئ تسكره وإن لم تعلم
ونهجت من حزم السياسة منهجاً فهمت مذاهبه الذي لم يفهم
وأبلغ من هذا كله ما أنشدناه أبو أحمد عن العبشمي عن المبرد :

وأنتيت حياً في الحروب محالهم والجيش باسم أبيهم يستهزم
يقول به الجيش يستهزم إذا ذكر فليس أبلغ منه . ومثله قول الفرزدق :
لييك وكيف خيل ليل مغيرة تساقى الحمام بالردنية السمير
لقوا مثلهم فاستهزم موهم بدعوة دعوها وكيف والجياذ بهم تجرى
ومثله قول الآخر :

سماؤك تمطر الذهبا وحربك يلتظي لهبا
وأى كتيبة لاقتك لم تستحسن الهربا
فجعلها تستحسن الهرب إذا لاقته ولا تخشى اللائمة إذا فرت منه فهو غاية .
ومما هو بليغ في باب المهابة قول الأشجع :

وعلى عدوك يا ابن عمّ محمد رصدان ضوء الصبح والاضلام
فاذا تنبه رعته وإذا غفا^(١) سلت عليه سيوفك الاحلام
فنقله أبو نواس إلى غزل فقال :

قاسيت فيه الهوم والأطما وصرت فيه بين الورى علما
أكون يقظان في تذكره حتى إذا نمت كان لي حلما

ومما هو أبلغ من ذلك كله قول النبي ﷺ «نُصرت بالرُّعب» وما وصف أحد هبة صاحب السلطان إذا بدا كما وصفها البحترى في قوله :

إذا ما مشى بين الصفوف تقاصرت رؤسُ الرجال عن أشمِّ سميدع
يقومون من بُعدٍ إذا أبصروا به لا بُلجٍ موقورٍ الجلالة أروع
ويدعون بالأساءِ مثني وموحداً إذا حضروا بابَ الرِّواقِ المرفع
وان سار كفَّ اللحظ عن كل منظر سواه وغض الصوتُ عن كل مسمع
فأست ترى إلا إفاضةً شاخص إليه بعينٍ أو مشيرٍ بأصبع
وقوله : تراءوك من أقصى الساطِ فقصروا خطاهم وقد جازوا الستورَ وهم عجل
ولما قضوا صدرَ السلام تهافتوا على يدِ بسامٍ سجيتهُ رسل
إذا أسرعوا في خطبة قطعتمُ جلالتهُ طلقَ الوجهِ جانبهُ السهل
إذا نكسوا أبصارهم من مَهابة ومالوا بلحظ خلتَ أنهم قبل

وقال أبو بكر الصولى وهو من البليغ :

إذا ما بدا والقومُ فوقَ سروجهم تناثرتِ الأشرافُ منهم على الأرض
وقال البحترى :

ومبجل وسطَ الرجالِ خفوفهم لقيامه وقيامهم لقعوده
فاللهُ يكلؤه لنا ويحوطه ويعزه ويزيده في تأييده

أبلغ ما جاء في وصف العلم قول على رضى الله تعالى عنه : قيمة كل امرئ ما يحسنه .
وشذ به بعضهم فقال : قيمة كل امرئ علمه .

ولا أعرف في مدح العلم وعدَّ خصاله أبلغ من كلامه رضى الله تعالى عنه خاطب به
كأ بن زياد أثبتته لك هنا وان كان مشهوراً : أخبرنا أبو أحمد حدثنا الهيثم بن أحمد
ابن إسماعيل حدثنا على بن حكيم الأزدى حدثنا الربيع بن عبد الله المدني حدثنا
عبد الله بن حسن عن محمد بن علي عن آبائه عن كميل بن زياد قال أخذ بيدي على
رضى الله تعالى عنه فلما أصحرتنا قال يا كميل إن هذه القلوب أوعية وخيرها أوعاها

فاحفظ عني ما أقول لك : الناس ثلاثة عالم رباني ومتعلم على سبيل النجاة وهم جرعاع أتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح لم يستضيئوا بنور العلم ولم يأووا الى ركن وثيق يا كميل العلم خير من المال العلم يحرسك وأنت تحرس المال والمال تنقصه النفقة والعلم يزكو على الانفاق ، يا كميل محبة العلم دين تدين به تكسب به الطاعة في حياتك وجميل الاحدوثه بعد وفاتك والعلم حاكم والمال محكوم عليه ، يا كميل مات خزان المال والعلماء باقون مابق الدهر أعيانهم مفقودة وأمثالهم في القلوب موجودة هاه ان ههنا لعلماً جماً لو أصبت له حمله بلى أصبت لقناً ^(١) غير مأمون يستعمل آلة الدين في طلب الدنيا فيستظهر بحجج الله على أوليائه ، أو منقاداً لحمة الحق لا بصيرة له في اجنائه فيقده الشك في قلبه عند أول عارض من شبهة ، أولاً ولا إذا فمفهوم بالذات سلس القياد للشهوات ومغرم بالجمع والادخار ليس من رعاة الدين أقرب شياً بهم الانعام السائمة اللهم بلى لاتخلو الأرض من قائم بحجة إظهار وإما خائف اثلاً تبطل حجة الله وتبيناهن وكم وأين أولئك الأقول عدداً الأعظمون قدراً بهم يحفظ الله تعالى حججه حتى يودعوها أسماع نظرائهم ويزرعوها في قلوب أشباههم هجم بهم العلم على حقائق الأمور فباشروا روح اليقين واستلنوا ما استوعده المترفون وآنسوا بما استوحش منه الجاهلون صحبوا الدنيا بأبدان أرواحها متعلقة بالحل الأعلى ، يا كميل أولئك أولياء الله من خلقه وعماله في أرضه والدعاة الى دينه هاه شوقاً الي رؤيتهم .

ومما حث به على تحفظ المعلوم قول بعض الاوائل : خير العلم ما إذا غرقت بسفينتك سبوح معك ، وقال الخليل :

افخر وكأثر بالقريبحة إنها فخر المسكائر

واعلم بأن العلم ما أوعيت في صحف الضمائر

وقال أبو هلال رحمه الله تعالى لو قال « ماضنته صحف الضمائر » كان

أجود ، وقال غيره :

استودعَ العلمَ قرطاساً فضيعةً وبئسَ مُستودعَ العلمِ القراطيسُ
وقلت : تقل غناءً عن جهولٍ مغمر دفاتر تلقى في الظروفِ وترفعُ
تروح وتغدو عنده في مضیعةٍ وكائن رأينا من نفيسٍ يضيع
ومن المختار في طلاقة اللسان قول الآخر :

إذا قال لم يترك مقالاً ولم يقف لعلّ ولم يثن اللسانَ على مُجر
يصرفُ بالقولِ اللسانَ كما انتحى وينظرُ في اعطافه نظرَ الصقر
ونحوه : لا خيرَ في حشو الكلا م إذا اهتدیت الى عيوبه

وأجود ما قيل في إقامة الأعراب وترك التغير ما أنشدناه أبو أحمد عن الصولي :
ويعجبني زىُ الفتى وجمالهُ ويسقط من عيني ساعةً يلحنُ
على أن للأعرابِ حداً ورُبما سمعت من الأعراب ما ليس يحسنُ
ولا خيرَ في اللفظ الكريه استماعه ولا في قبيح اللحن والقصد أزينُ

سمعت أبا أحمد يقول أحسن ما سمعت في السؤال قول عبد الله بن العباس وقد
سئل بم أدركت هذا العلم قال بلسان سؤال وقلب عقول . ثم أخبرنا قال أخبرنا
الحسن بن علي بن عاصم ثنا الهيثم بن عبد الله حدثنا علي بن موسى الرضى حدثني
أبي حدثني أبو جعفر بن محمد عن أبيه عن علي بن الحسن رضى الله تعالى عنهم
قال قال رسول الله ﷺ « العلم خزائن مفتاحها السؤال فاسألوا فإنه يؤجر فيه
أربعة السائل والمستمع والعالم والمحِب لهم » وأجود ما جاء في السؤال من الشعر
ما أنشدناه أبو أحمد أنشدنا ابن الأنباري عن أبيه :

شفاء العيِّ في طولِ السؤالِ وعدلك في المقالِ وفي الفِعالِ
وبحثك في الأمورِ عن المعاني وتخریج المقالِ من المقالِ
وقولاك بالنصواب إذا أتت شواهدهُ ورفضك للجدالِ
وصمتك حينَ تسمعُ من حكيم ليفهمك الصحيحَ من المحالِ

أجود ما قيل في صفة اللسان وأتمه ما أخبرنا به أبو أحمد أخبرنا أبو بكر بن دريد قال أحمد بن عيسى العكلي حدثنا الخليل عن عبد الله بن صالح بن مسلم القاضي قال قال بعض الحكماء لابنه يا بني اللسان أداة يظهر بها البيان وشاهد يخبر عن الضمير وحاكم يفصل به الخطاب وناطق يزد به الجواب وشافع تدرك به الحاجة ومعزير الأحران وواعظ ينهي عن القبيح ومزين يدعو إلى الحسن وزارع يحرث المودة وحاصد يذهب بالضعفين ومعلم يوقف الاسماع ألا ترى أن الله تعالى رفع درجة اللسان بأن أنطقه بالتوحيد وليس شيء من الجوارح ينطق به غيره .

ومن أجود ما احتج به للكلام ما أخبرنا به أبو أحمد حدثني أبي حدثنا أحمد ابن أبي طاهر حدثنا أبو تمام قال تذاكرنا الكلام في مجلس سعيد بن عبدالعزيز التنوخي وحسنه والصمت ونبله فقال سعيد ليس النجم كالقمر انك إنما تمدح السكوت بالكلام ولا تمدح الكلام بالسكوت وما أنبأ عن شيء فهو أكبر منه . ومثله ما أخبرنا به أبو أحمد عن أبيه عن أحمد حدثنا أبو تمام حدثنا أبو عبد الرحمن الأموي قال ذكر الكلام في مجلس سليمان بن عبد الملك فذمه أهل المجلس فقال سليمان كلا إن من تكلم فأحسن قدر أن يسكت فيحسن وليس كل من سكت فأحسن قدر أن يتكلم فيحسن .

ومن أجود ما احتج به للصمت ما أخبرنا به أبو أحمد أخبرنا أبي أخبرنا أحمد بن أبي طاهر حدثنا حبيب بن أوس حدثني عمرو بن هاشم البيروتي قال تحدثنا يباب الأوزاعي وفينا اعرابي من بني عليم بن ضاب لا يتكلم فقل له بحق ما سميت خرس العرب ألا تتحدث مع القوم فقال إن الحظ للمرء في أذنه وأن الحظ في لسانه لغيره وإنما جعل للمرء أذنان ولسان ليكون استماعه ضعف كلامه . قال فحدثنا الأوزاعي فقال والله لقد حدثكم فأحسن .

وقد سوى بعضهم بين الصمت والكلام فحدثني أبو أحمد عن أبيه عن أحمد بن أبي طاهر عن أبي تمام حدثني يحيى بن اسماعيل الأموي حدثني اسماعيل

ابن عبید الله قال قال جدی : الصمت منام الماقل والنطق يقظته ولا منام الا يقظة ولا يقظة إلا بمنام . قال أبو هلال : وأنا أقول الصمت يورث الحبسة والحصر وإن اللسان كلما قلب وأدير بالقول كان أطلق له : أخبرني بعض أصحابنا قال ناطقت فتي من بعض أهل القرى فوجدته ذليق اللسان فقلت له من أين لك هذه الذلاقة قال كنت أعمد كل يوم إلى خمسين ورقة من كتب الجاحظ فأقرأها برفع صوت فلم أجز على ذلك مدة حتى صرت إلى مآثرى . وسمى البيان سحراً لدقة مسلكه وأول من نطق به رسول الله ﷺ وهو من أجمع ما مدح به البيان : حدثنا أبو القاسم عبد الوهاب بن إبراهيم أخبرنا أبو بكر أحمد بن حماد العقدي أخبرنا أبو جعفر أحمد بن الحارث الخزاز أخبرنا المدائني قال قال أبو الحسن بن مسلم بن محارب بن مسلم بن زياد عن عيينة بن عبد الرحمن عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعمر بن الخطاب أخبرني عن الزبرقان بن بدر فقال مطاع في أذنيه شديد العارضة مانع لما وراء ظهره . فقال الزبرقان : إنه ليعلم مني أكثر من هذا ولكنه حسدني . فقال عمرو : أما والله يارسول الله أنه لزم المروءة ضيق العطن أحق الوالد لئيم الخال وما كذبت في الأولى ولقد صدقت في الأخرى رضيت فقلت أحسن ما أعلم وسخطت فقلت أسوأ ما أعلم فقال رسول الله ﷺ (ان من البيان لسحرا وان من الشعر لحكمة) وإنما تعجب رسول الله ﷺ من نقضه وإبرامه في حال واحدة ومثل هذا من البلاغة أصعب مراماً وأعجز مطلباً وقد أشبعنا القول فيه في كتاب صنعة الكلام .

ومما يدخل في باب ما أخبرنا به أبو أحمد أخبرنا الصولي حدثني الطيب بن محمد الباهلي قال موسى بن سعيد بن عن أحمد بن يوسف الكاتب قال دخل خالد بن صفوان التميمي على أبي العباس السفاح وعنده أخواله من بني الحارث بن كعب فقال له ماتقول في أخوالى قال هم هامة الشرف وخرطوم الكرم وغرس الجود إن فيهم لخصالاً ما اجتمعت في غيرهم من قومهم انهم لأطولهم أمماً وأكرمهم

شيئاً وأطعمهم طعاماً وأوفاهم ذمناً وأبعدهم همأهم الجرة في الحرب والرغد في الجذب والرأس في الخطب وغيرهم بمنزلة المعجب . فقال لقد وصفت أبا صفوان فأحسنت فزاد أخواله في الفخر ففضب أبو العباس لأعمامه فقال أفخر يا خالد فقال أعلى أخوال أمير المؤمنين فقال نعم وأنت من أعمامه فقال وكيف أفخر أقواماً هم من بين ناسج برد وسائس قرد ودابغ جلد دل عليهم الهدهد وغرقتهم الفأرة وملكتهم امرأة . فأشرق وجه أبي العباس وجعل يضحك . قال وحدثني ابن المزرع قال سمعت عمرو بن بحر الجاحظ وقد ذكر كلام خالد هذا يقول والله لو نفكر في جمع معاليهم واختصار اللفظ في مثاليهم بعد ذلك المدح المذهب سنة لكان قليلاً فكيف على بديه لم يرض فكراً .

وأجود ما قيل في كراهة المزاح قولهم ان المزاح هو السباب الاصغر ، وقيل المزاح سباب النوكي . وأجود ما قيل في تخوف عاقبته قول أبي نواس :

انه نار وقدح القادح وأي جسد بلغ المسازح

ومثله : صارَ جَسَداً مافرحت به رُبَّ جِدٍ جَرَهُ لَعَبٌ

وقلت : غضبت للمزح ولم تنظر في موقعه المزح في موضعه كالجد في موضعه

أجود ما قيل في التظافر والتعاون قول قيس بن عاصم المنقري يوصي ولده وقومه

وجدت في كتاب غير مسموع لما حضر عبد الملك بن مروان الوفاة وعابنته وقال

يا بني أوصيكم بتقوى الله وليعطف الكبير منكم على الصغير ولا يجهل الصغير حق

الكبير وأكرموا مسلمة بن عبد الملك فانه نابكم الذي عنه تعبرون ومجنكم الذي

به تستجبرون ولا تقطعوا من دونه رأياً ولا تعصوا له أمراً ، وأكرموا الحجاج بن

يوسف فانه الذي وطأ لكم المغابر وذلل لكم قارب العرب وعليكم بالتعاون والتظافر

وإياكم والتقاطع والتدابير . فقال قيس بن عاصم لبنيه :

بصلاح ذات البين طولُ بقائكم إن مُدَّ في عمري وإن لم يمدد

حتى تلين جلودكم وقلوبكم لمسود منكم وغير مسود

إن القداح إذا جُعنَ فرامها بالكسر ذو حَنقٍ وبطش أيد
 عزت ولم تُكسر وإن هي بُدَّتْ فالوهنُ والتكسيرُ للمتبدد
 ثم قام على بن خالد بن يزيد بن معاوية وخالد بن عبد الله بن أسيد فقال لهما قد
 حضر من الأمر ماريان فإن كان في نفوسكما شيء من بعة الوليد نزعناه وجعلنا
 الأمر حيث شئتما قالوا بل رضينا أكل الناس لها وأقواهم عليها قال أما والله لو
 غيرها قلتما لما قبلي ثم رفع طرف فراشه فإذا تحته سيف مجرد فقال للوليد لا أعرفنك
 إذا أنامت تعصر عينيك وتمسحها نعل الأمة الوعكاء شمر وبرز والبس جلد
 النمر وادع الناس إلى بيعتك فمن قال برأسه هكذا فقل بسيفك هكذا . ثم لم يزل
 متمثلاً بقول الشاعر :

وهل من خالد أما هلكنا وهل بالموت يال الناس عار
 ثم قال الحمد لله الذي لا يبالي أصغير هلك في ملكه أم كبير ثم قضى . فقال هشام
 ابن عبد الملك :

وما كان قيس هلكه هلك واحد ولكن بنيان قوم تهدما
 فسمعها الوليد فتطير منها فرفع يده فلطمه وقال إنك أعور مشؤوم هلاقت كما
 قال النبي :

إذا سيدنا منا ذرا حد نابه تخمط فينا ناب آخر مكرم
 فسمع مسلمة الصبيحة فقال ذروا الصياح فانكم إن استقمتم استقام الناس
 وإن اختلفتم اختلفوا .

أخبرنا أبو حمد أخبرنا أبو بكر بن دريد أخبرنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال
 كان عبد الملك بن مروان ذات ليلة في سمره مع ولده وأهل بيته وخاصته فقال ليقبل
 كل واحد منكم أحسن ما قيل من الشعر وليفضل من رأى من الشعراء تفضيله
 فأنشدوا وفضلوا فقال بعضهم أمرؤ القيس وقال بعضهم النابغة وقال بعضهم
 الأعشى ، ولما فرغوا قال أشعر والله من هؤلاء جميعاً عندي الذي يقول :

وذى رحمٍ قلمتُ أظمارَ ضعفه
 إذا سُمتهُ وصلَ القرابةِ سامنى
 وأسى لى أبى ويهدم مصالحى
 يحاولُ رغبى لا يحاولُ غيرهُ
 فان أتصر منه أ كن مثلَ رائس
 فبادر منى النأى والمرءُ قادرُ
 فان أعفُ عنه أغض جفنا على القذى
 حفظتُ الذى قد كان بينى وبينه
 فما زلتُ فى لين له وتعطف
 لاستل منه الضغنَ حتى سلاته
 فقالوا يا أمير المؤمنين من قائل هذه الايات فما أحسنها وأرضاها قال معن
 ابن أوس المزنى .

ومن أجمع ما قيل فى المعروف قول النبى ﷺ « المعروف كاسمه » أخبرنى
 عم أبى عن أبيه قال قال العتابى كنت واقفاً بباب المأمون أنتظر من يستأذنه لى
 فأقبل يحيى بن أ كتم فقمته اليه فقلت استأذن لى على أمير المؤمنين فقال لست
 بحاجب فقلت ولكنك ذو فضل وذو الفضل معوان قال سلكت فى غير سبيل قلت
 ان الله قد آتفك بجاه وهو مقبل عليك بالزيادة ان شكرت وبالنقصان ان كفرت
 وأنا لك منذ اليوم أنفع منك لنفسك أدعو الى ازدياد نعمتك وتأنى على ولكل
 شىء زكاة وزكاة الجاه ردد المستعين وقد قال رسول الله ﷺ (أفضلُ المعروف
 فضلُ جاهك تعود به على من لاجاه له) فقعدت ودخل فما لبث ان خرج
 الحاجب يسأل عنى فدخلت فقال حدثنا أبو نصر التمار عن سفيان بن عيينة عن
 ابن نجيح عن مجاهد عن ابن عباس قال اجتمع أربعة من أصحاب رسول الله
ﷺ على بن أبى طالب والعباس بن عبد المطلب وجعفر الطيار وعمر بن الخطاب

رضي الله تعالى عنهم أجمعين فذاكروا المعروف فقال علي : المعروف حصن من الحصون وكنز من الكنوز فلا يزهدنك فيه كفر من كفره فقد يشكر الشاكر ماضاعه جمود الكافر . وقال العباس : المعروف أفضل الأمور وأوثق الحصون ولا يتم إلا بثلاثة تعجيله وتصغيره وستره فاذا عجلته هنأته وإذا صغره عظمتها وإذا سترته تمتته إن بأهل المعروف من الرغبة أكثر مما بأهل الحاجة اليهم وبيان ذلك أن لهم ذكره وسناؤه ونفخه فمهما أتيت من معروف فإنما أتيت لنفسك . وقال عمر إن لكل شيء أنفًا وأنف المعروف السراح . فخرج عليهم رسول الله ﷺ فقال « فيم أنتم » فقالوا تنذاكر المعروف فقال عليه الصلاة والسلام « المعروف كاسمه وأول من يدخل الجنة المعروف وأهله » .

ومن أجود ما قيل في بذل المعروف وإن كان قليلاً ما أخبرنا به أبو أحمد عن الجوهري عن المنقري عن الأصمعي عن بعض العباسيين قال كتب كلثوم بن عمرو إلى رجل في حاجة : بسم الله الرحمن الرحيم أطال الله بقاءك وجعله يمتد بك إلى رضوانه وجنته . أما بعد فانك كنت روضة من رياض الكرم تبتسج النفوس بها وتستريح القلوب إليها وكنا نغنيها من النجعة استتماماً لزهرتها وشفقة على نضرتها وادخاراً لثمرتها حتى مرت بنا في سفرتنا هذه سنة كانت قطعة من سني يوسف اشتد علينا كلها وأخلفتنا غيورها وكذبتنا بروقها وفقدنا صالح الإخوان فيها فاجتمعك وأنا بامتجاعي بك كثير الشفقة عليك مع علمي بأنك نعم موضع الزاد واعلم بأن الكريم إذا استحي من إعطاء القليل ولم يحقر الكثير لم يعرف جوده ولم تظهر همته وأنا أقول في ذلك :

ظل اليسار على العباس محدود	وقلبه أبدأً بالبخل معقود
إن الكريم ليغني عنك عسرتَه	حتى تراه غنياً وهو مجهود
والبخل على أمواله علل	زرق الميون عليها أوجه سود
إذا تكهرت أن تعطى القليل ولم	تفزع على سعة لم يظهر الجود

بثَّ النِّوَالِ وَلَا يَمْنَعُكَ قَلَّتُهُ فكلُّ ماسدٍ فقراً فهو محمود
قال فشاطرهُ ماله حتى بثَّ إليه قيمة نصف خاتمه وفرد نعله . ومن مليح ما جاء
في هذا المعنى قول ابن الرومي :

أبا عمرو لك المثلُ المعلى وجدُّ عدوك التُّربُ الذليلُ
رأيت المظلَّ ميداناً طويلاً يروضُ طباعه فيه البخيلُ
فما هذا المطالُ فدتك نفسى وباعك بالندى باع طویلُ
أنظنك حينَ تقدرُ لي نوالاً يقلُّ لديك لي منه الجزيلُ
فلا تقدر بقدرك لي نوالاً ولا قدرى فيحقرُ ماتنيلُ
وأطلق ماتهمُ به عساهُ كفاً أيها الرجلُ النبيلُ
وإلا فالسلامُ عليك منى نبت دارُ فالمرعَ بي الرحيلُ
إذا ضاقت على أمل بلادٍ فما سدت على عزمٍ سبيلُ

وقال غيره :

وما الجودُ عن فقرِ الرجالِ ولا الغنى ولكنَّهُ خيمُ الرجالِ وخيرها
ومن عجيب المعاني في عظم السؤال وموازنته للنوال بل رجاحته عليه ما
أخبرنا به أبو أحمد أخبرنا أبو بكر بن دريد أخبرنا السكن بن سعيد عن محمد بن
عباد قال دخل كوثر بن ذفر بن الحارث الكلابي على يزيد بن المهلب فقال له أيها
الأمير أنت أعظم قدراً من أن تستعان أو يستعان عليك وليس تفعل من المعروف
شيئاً إلا وهو يصغر دونك وأنت أكبر منه وليس العجب أن تفعل ولكن العجب
أن لا تفعل . فقال سل حاجتك قال حملت عشر ديات وقد بهظنتي فقال قد أمرت
لك بها وشفعتها لك بمثلها فقال أما سألتك بوجهي فأقبله منك وأما ما ابتدأتني
به فلا حاجة لي فيه . قال ولم وقد كفيتهك مؤنة السؤال ؟ قال لا نبي رأيت الذي
أخذت مني بمسألتى إياك بوجهي أكثر مما نالني من عرفك وكرهت الفضل على
نفسى . فقال له يزيد أسألك بحقك على لما رأيتني أهله من انزال الحاجة بي إلا قبلتها فقبلها .

وسأل العتابي رجلاً فحصر وأقل فقليل له قد أقللت فقال وكيف لا أقل
ومنى ذل المسألة وحيرة الطلب وخضوع الهيبة وخوف الرد . وقيل لا آخر متى
يكون البليغ عيباً قال إذا سأل حاجة لنفسه . وقال أحمد بن أبي خالد الأحول :
ما استكثرت بذلاً بذلته قط لأنى أرى الأجر والشكر أكثر منه ولا استصغرت
معروفاً قط لأنى أراه أكبر من تركه .

ومن جيد ما قيل في الترغيب في المعروف قول الأول :
فأنك لا تدري إذا جاء سائلٌ أنت بما تعطيه أم هو أسعدُ
عسى سائلٌ ذو حاجةٍ أن منعه من اليوم سؤلاً أن يكون له غدُ

هذا آخر كتاب الخصال والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد
النبي الأئمة وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين والحمد لله رب العالمين .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى بصرنا سبل الحمد ووقفنا على طرق الذم لنضع كلاً منهما في موضعه
ونستعمله في حينه ونلحقه بمستحقه إذ ذكر من أحبه فقال (نعم العبدُ إنَّه أوَّابٌ)
ووصف من مقتله فقال (هَمَّازٌ مَشَاءٌ بِنَعِيمٍ مَنَاعٌ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ
أَتَيْمٌ عُتْلٍ بَعْدَ ذَلِكَ زَرِيمٌ) فذم قوله وفعله وطاب شيمته وخلقه وهتك
بالشتم عرضه وسود بالذم وجهه جزاء بما اكتسب من ذميم الفعل ووفقاً لما أطلقه
من اسم المقال نكلاً من الله والله عزيز حكيم . وصلى الله على نبيه محمد بالبشير النذير
الداعي إلى الله بأذنه والسراج المنير وعلى آله الطيبين وعترته .

﴿ هذا كتاب المبالغة ﴾

في المعاتبات والهجاء والاعتذار وهو :

﴿ الباب الثالث من كتاب ديوان المعاني ﴾

وهو يشتمل على ثلاثة فصول

﴿ الفصل الأول في المعاتبات ﴾

فمن أوائل ذلك ما أخبرنا به أبو القاسم عن العقدي عن أبي جعفر عن المدائني قال قال عليه الصلاة والسلام لطلحة حين رأى تلونه عليه « فراق جميل خير من مصحبة على دخن » والدخن والدخل الفساد والمدخول الفاسد وقد دخل فسد ، وروى (على دخل) ومن قديم ماجاء في ذلك قول أبي ذؤيب :

تريدنَ كما تجمعينِ وخالداً وهل يُجمعُ السيفانِ ويحك في غمد

يقول لأُم عمرو امرأة من هذيل وكان رجل منهم يقال له وهب بن عمرو - وقيل وهب بن جابر - هويها فامتعت عليه فخرج يوماً يتصيد فختل ظبية فلما أخذها أنشد :

فمالكِ يا شبيهة أمِّ عمرو إذا ما بينتنا لا تأمنينا

فمينك عينها اذ تنظرينا ^(١) وجيدك جيدها لو تنطقينا

وساقك ساقها ^(٢) ولأُم عمرو خدلجة يضيقُ بها البرينا

ورأسك أزعر ولأُم عمرو غداً يُثعفرنِ وينثنينا

ثم خلا منها فبلغ ذلك أم عمرو فواصلته وكان رسوله اليها أبو ذؤيب فلما أئبغ وترعرع رغب اليه واطرحت وهباً وخشى أبو ذؤيب الفضيحة فقصر عنها

(١) «تنظرينا» غير موجودة في الاصل . (٢) (ساقها) غير موجودة في الاصل .

وجعل يرسل إليها خالد بن ابراهيم^(١) فلم تلبث ان علفت خالداً وتركه أبا ذؤيب
فجعل أبو ذؤيب يعاتب خالداً ، مثل قوله :

فنفسك فاحفظها ولا تُبَدِّدْ^(٢) للعدى من السرِّ ما يُطَوَّى عليه ضميرُها
رعى خالدٌ سرِّي لياليَ نفسهُ توالى على قصدِ السبيلِ أمورُها
فلما تراماهُ الشبابُ وغيهُ وفي النفس منه غيرةٌ ونحورها^(٣)
لوى رأسه عني ومال بودِّه أغانيجُ حَوْدٍ كان فينا يزورها
تعلقه منها دلالٌ ومقلَّةٌ تظلُّ لأصحابِ الشقاءِ تُديرها
وما أنفُسُ الفتيانِ إلا قرائنُ تبينُ ويبقى^(٤) هامها وقبورها
فأجابه خالد :

لا يبعدن اللهُ حلمك اذ غزا وسافرَ والاحلامُ جمٌّ عثورها
لعلك إمامٌ أمُّ عمرو تبدلت سواك خليلاً شاعى تستخيرها^(٥)
فلا تجزعن من سنة أنت سرتها فأول راضُ سنة من يسيرها
وهذا جواب لا ترى أقطع منه لأنه ذكر أنه إنما جوزى بمثل فعله :
فان التي فينا زعمتَ ومثلها لفيك ولكني أراك تجوزها^(٦)

(١) خالد هذا هو ابن أخت أبي ذؤيب وابن عمه ، على مافي ديوان أبي
ذؤيب ، وفيه (خالد بن زهير) لا (بن ابراهيم) . وأبو ذؤيب هو خويلد بن خالد
ابن محرز من بني تميم بن سعد بن هذيل ، شاعر مقلق ، أدرك الجاهلية والاسلام
قدم المدينة على النبي ﷺ وهو في مرضه فات قبل وصوله بليلة وشهد دفنه ، وتوفي
في خلافة عمر ، وسئل حسان : من أشعر الناس فقال حياً أم رجلاً ؟ قالوا حياً
قال هذيل ، وأشعر هذيل غير مدافع أبو ذؤيب . (٢) في نسخة «نفس» .
(٣) في ديوان أبي ذؤيب «فتنة وفجورها» . (٤) في الاصل (ويثنى) .
(٥) تستخيرها : تستعطفها وأصله أن الغزال والعجل يخور إلى أمه فتجيبه ، معناه
تطلب منها أن تحبك . (٦) تجوزها أي تعمدل عنها . وفي الديوان (تجوزها) .

ألم تتنقذها من ابنِ عُويمٍ وأنت صفتُ نفسه وسجيرها
فإن يك يشكوك من قريب مخانة ^(١) فتلك الجوازي عَقبها ونُصورها
وفيه يقول أبو ذؤيب :

يُرَى ناصحاً فيما بدا فاذا خلا فذلك سكينٌ على الخلقِ حاذق
ثم إن وهباً بعث ابنه عمرّاً فوهب لها ذات يده فواصلته وكان لعمر و علازيتها
وخلاد سرها فجاء خالد ليلاً وعمر و معها على شراب فقتله وهرب فبلغ الخبر وهباً
فركب في جمع فبعوه حتى لحقوه فقتلوه فقال أبو ذؤيب يرثيه :

لعمر و أبي الطيرِ المرية غدوة على خالدٍ إن قد وقعن على لحم
كليه وربى لن تعودى بمثله عشيّة لآفته المنية بالردم
فأنك لو أبصرتِ مصرعَ خالدٍ منعت ^(٢) الستارَ بين أظلم فالخزم
علمت بأن البابَ ليست ؟ ولا البكر لا ضمت يدك على غم
ضروب لهاماتِ الرجالِ بسيفه إذا التفت الأبطالُ مجتمع الحزم
ومن قديم العتاب الممزوج بالشكوى قول جميل :

لحي الله من لا ينفعُ الودُّ عندهُ ومن حبله إن مدَّ غير متين
ومن هو إن تحدث له العينُ نظرةً تقصب لها أسباب كل قرن
ومن هو ذولونينِ ليس بدائمٍ على العهدِ خوانٌ لكل أمين
ومن هو عند العينِ أما لقاءه فحلوه وأما غيبه فظنون

وكتب بعض الكتاب : لو كنت أعلم أنك تعتب إذا عابتك سلكت في
ذلك مذهباً لا يبلغ فيه القصوى ولا اقتصر على الأدنى ولا أخليتك من الاستزادة
في غير شكوى والتعريف في غير تعنيف والاحتجاج في غير تنكيت ولا توقيف
ولكن شر القول مالا يسمع وليس لقائله فيه متنع وأشبه البر بالمعقوب ما استكرهت

(١) في ديوان أبي ذؤيب (وان كنت تشكوك من خليل مخانة) وفي النسخ

نقص كلمات في الايات استدر كناها من الديوان . (٢) في النسخ غير منقوطة :

عليه النفوس . وقد قال الشاعر :

ونس بمنن في المودة شافعٌ إذا لم يكن بين الضلوعِ شفيعٌ
وكتب السكرخي : قد واصلت أياماً تباغذو آ إليك ورواحا حتى ماني البكور
وسمى التهجير وشكائي الطريق ولحائي الصديق في كل ذلك أعاق بالحجاب
وتستقبلني ردة البواب :

ولاخير في ودّ امرئ متكارهٍ عليك ولا في صاحبٍ لاتواقه
وهذا ذره^(١) عتاب جاش به الصدر وضاق عن كتمان الصبر فان عطفك
حفاظ فأهل الفضل والبر أنت وإلا فاني على العهد الذي كان بيننا ولا أقول كما قيل :
فما ملئ الانسانُ إلا ملتهُ ولا فاني شيءٌ فظلت له أبكى
ولا أقول كما قيل :

وإني على عهد الأخلاءِ دائمٌ ولست إذا مال الصديقُ على حرفٍ
إذا أنا لم أصفح وأغضض على القذى فلا انبسطت في الحادثات إذا كفى
ومن أطف الكلام قول بعض الكتاب : أنفذ إلى أبو فلان كتاباً منك
فيه ذره عتاب كان أحلى عندي من تعريسة الفجر وألذ من الزلال العذب
فلك العتيبي ولبيك وسعديك داعياً مستجاباً له وعاتباً معتذراً اليه ولو شئت مع
ذلك أن أقول إن العتب عليك أوجب والاعتذار لك أزم لقلت ولستكني
أسامحك ولا أشاحك وأسلم لك ولا رادك لأن أفعالك عندي مرضية وشيمك لدى
مقبولة ولولا أن للحجة موقها لقصرت العنان عما أجريت اليه من هذا العتاب
وكففت اللسان عما أطلقته فيه من مر هذا الخطاب وقلت :

إذا مرضتم^(١) أتيناكم نعودكم وتذنبون فنأتيكم ونعتذر
ولا ترى كلاماً أطف من هذا ولا أحسن في معناه . وكتب بعضهم لست
أقتضى الوفاء بكثرة الالحاح فأنقل عليك ولا أقابل الجفاء بترك العتاب فأغتم

(١) في القاموس : ذره من خير : شيء منه . (٢) في الاصل (إذا مرضنا) .

القطيعة منك والمثل السائر « ويبقى الود ما بقى العتاب » . وقلت :

أمنعاً إذا جثتم أستعيرُ فكيف إذا جثتُ أستوهبُ
ومثلي إذا كان في معشرٍ فللعزِّ عندهم منك
يُقرَّب مثلي إذا ما نأى ويكرمُ مثلي إذا يقرب
عتبتك للود لا للقلل وواصلُ صديقاً ماتعتب

ومما يجرى مع هذا الباب قول الآخر :

إذا رأيتُ ازوراراً من أخى ثقة ضاقتُ على برحبِ الأرضِ أو طاني
فإن صدَدْتُ بوجهي كي أكافتهُ فالعينُ غضبي وقلبي غيرُ غضبان
وقد أحسن العباس بن الأحنف في قوله :

كنا نعماتكم ليالى عودكم حلو المذاق وفيكم مستعتبُ
فالآن اذ ظهرَ التعتبُ منكم ذهبَ العتابُ وليس عنكم مذهب
ومن مشهور العتاب قولهم :

طال المطالُ فلا خلودَ فحاجةٌ مقضيةٌ أو برٌّ ينفعُ
واعلم باقى لأنسرُ بحاجةٍ إلا وفي عرى بها مستمتع
ومن جيد المعانيات قولُ أبي تمام في أبي دلف :

يا أيها الملكُ النائي بفرته^(١) وجوده لمرجى^(٢) جوده كشبُ
ليس الحجابُ بمقصٍ عنك لي أملاً إنَّ السماءَ تُرجى حين نحتجب
مادونَ بابك لي باب أودُّ به وما وراءك لي مشوى ومطلب
وقوله في أبي سعيد :

لعمرك لليأسُ غيرُ المربثِ خيرٌ من الطمع الكاذب
وللريبُ تحصره بالنجاح خيرٌ من الأمل الخائب

وقال يعاتب موسى بن إبراهيم الرافعي في ضنه عنه بجاهه :

(١) في الاصل « برؤيته » . (٢) كذا في ديوان أبي تمام ، وفي الأصل « لمراعى » .

سأقطع أرسانَ العتابِ بمنطق
وإنَّ امرأً ضنت يدها على امرئٍ
أخذه من قول مسلم :

وأحببتُ من حبها الباخلينَ
إذا سئل عرفاً كسا وجهه
يغارُ على المالِ فعلَ الجوادِ
وقول أبي تمام :

لآل وهبٍ أكفٌ كلما اجتديتُ
قومٌ تراهم غيارى دُونَ مجدهم
ومنها: دنيا ولكنها دنيا ستنصرم
ومنها: فلا تقل قدمٌ أزرى بيهجته
. وقد أحسن ابن الرومي وأجاد في قوله لقوم استعان بهم فأعانوا خصمه :

تخذتكم درعاً وترساً لتدفعوا
وقد كنت أرجو منكم خيرَ ناصر
فإن أنتم لم تحفظوا لمودتي
قفوا موقفَ المذخور مني بمنزل
هي النفسُ إما أن تعيشَ عزيزةً
عفاءً على ذكر الحياة إذا حمت
وهذا مثل قوله أيضاً :

عفاءً على الدنيا إذا مستحقها
وسأل بعض الزُّمَّاء أن يكتب له كتاباً إلى رئيس فقال :

أتبخلُ بالقرطاسِ والخطِّ عن نخ
وكفالك أندى في العطايا من المزن

(١) في ديوان مسلم المطبوع «ثياباً من اللؤلؤ حمراً وسوداً» . (٢) في الديوان «أن يجوداً» .

فلا يكن المبذول للوم ^(١) سممه وقرطاسه ^١ بين الصيانة والخزن
وهي طويلة. وقال جحظة يعاتب على شدة الحجاب :

الله يعلم أننى لك شاكر ^٢ والحر ^٣ للفعل الجميل شكور
لكن رأيت ^٤ بباب دارك جفوة ^٥ فيها لصفو صنعة تكدير
ما بال دارك حين تدخل ^٦ جنة ^٧ وبباب دارك منك ^٨ ونكير
غيره : ^(٩) سأترك هذا الباب مادام إذنه على ما أرى حتى يلين قليلا
إذا لم أجد يوماً إلى الآن ^{١٠} سلماً وجدت ^{١١} إلى ترك ^{١٢} الحياء ^{١٣} سبيلاً
وقول أبى تمام * ان السماء ترجى حين تحتجب * مأخوذ من قول الأَوَّل :
وإني لأرجوكم على بطء سعيكم كما في بطون الحملات رجاء
وقد أحسن أبو تمام في معاتبة ابن أبى دواد واستبطائه إياه في قوله :
رأيت الملا معمورة منك دارها إذا اجتمعت يوماً ^(١٤) وقرّ قرارها
وكم نكبة ظلماء تحسب ليلة ^{١٥} تجلى لنا من راحتك نهارها
فلا جارك العافي تناول محلها ولا عرضك الوافي تناول طارها
فلا تمكن ^{١٦} المطل من ذمة الندى فبئس أخوالاً بدى الكبار ^(١٧) وجارها
فان الأيادى الصالحات كبارها إذا وقعت تحت المطال صغارها
وما نفع من قدبات بالأمس ^(١٨) صادقاً ^(١٩) إذا ماسمى اليوم طال انهيارها
وخير ^{٢٠} عدات المرء ^(٢١) محتضراتها كما أن خيرات الليالى قصارها
وما العرف ^(٢٢) بالتسوية ^(٢٣) الا كخلة تسليت عنها حين شطّ مزارها

(١) (اللوم) ساقطة من الأصل فاستدر كناها من ديوان ابن الرومى المخطوط .

(٢) نسبها ابن خلكان لأبى العميثل ، وفيه (يخف) مكان (يلين) و (اللقاء)

في موضع (الحياء) . (٣) وديوان أبى تمام « جاشاً » .

(٤) في ديوان أبى تمام « الغزار » . (٥) فى الأصل « ضارياً » .

(٦) فى ديوان أبى تمام « الحر » . (٧) فى الديوان « وما النفع » .

وقد أحسن في هذه الأبيات ما شاء وفي قوله أيضاً للمالك بن طوق وقد حجبه :
 قل لابن طوق رحاسعد إذا خبطت نوائب الدهر أعلاها وأسفلها
 أصبحت حاتمها جوداً وأحنفها حلماء وكيسها علماً ودغلها
 مالي أرى الحجرة الفيحاء ^(١) مقفلة غنى وقد طال ما استفتحت مقفلها
 كأنها جنة الفردوس معرضة وليس لي عملٌ زاك فأدخلها
 وليس لهذا التمثيل نظير في حسنه وبراعته ..

وكتب الصاحب أبو القاسم ^(٢) إلى بعضهم يعاتبه في صغر كتابه إليه : كتابي
 وعندي نعم من أعظمها خلوص ودك وبقاء عهدك ورد لي كتاب حسبه
 يطير من يدي لخفته ويلطف عن حسي لقلته وعهدي بك تروى إذا سقيت
 وتميزل إذا أعطيت فما الذي أحالك وبدل حالك أملال أم كلال أم أقلال وليس
 عندي أنك تملُّ صديقاً صدوقاً وشقيقاً شقيقاً ولا عندي أنك تكل ولو ملأت
 الأرض كلاماً وشحنت صفحات الجو نظاماً ولا عندي أنك تقل وبجر فضلك
 فياض وثوب علمك فضفاض فما أملك وقد نبوت وزهدت وجفوت إلا أن أصبر
 على هجرتك كما تمتعت بصلتك لتكون عني نسخة أخلاقك إذا قربت وبعدت
 ووصلت وصدت وأكره أن أطيل وقد قصرت وأكثرت وقد أقللت فتسأمني كما
 شئت عادتك وتتركني وقد تركت شيمتك فأحب أن تطالمني بأخبارك وعوارض
 أوطارك إن شاء الله تعالى :

إذا أنت طابت الصديق ولم يكن يودُّك لم يعتبك حين تعاتبه
 ومن يرع شرقى البلاد سوامه وغريبها يملكه ؟ صاحبه
 ومن يخلط الماء الزلال بآجن من الماء تخبث ما تطيب مشاربه
 وكتبني : أبا عن كتاب نقصت فيه من الخطاب : وقفت على الفصل
 المؤذن بالجفاء المشتمل على سوء الجزاء وعلى ما احتواه من ذنوب الخطاب ووضع الدعاء

(١) في ديوان أبي تمام «البيضاء» . (٢) هو الصاحب بن عباد الوزير البليغ المشهور .

ومجبت كيف حططت الدعاء من رتبته المعروفة وخفضت الخطاب عن درجته
 السالوفة وأنت على منزلتك لم تزد فقيراً وأنا في درجتي لم أنقص قطيراً فكيف
 لو زدت زادك الله بصرّاً بمالك وعليك وأراك من عييك ما لا يتصور لديك
 وكفأك من شر نفسك ما هاصر عليك من كيد عدوك وشماتة حسودك ولا
 أختار لك أن تتكبر كلما تكبر وتتجبر كلما تجبر فقد سمعت ما قال يحيى بن خالد :
 من بلغ رتبة فتاه أخبر أن محله دونها ومن بلغها فتواضع أعلم أن حقه فوقها
 فكيف والأحوال على ما كانت عليه لم يصر الهلال بدرّاً ولا الشبل لينةً ولا الفصن
 ساقاً ولا القطوف معتاقاً . والعرب تسمى الكبريتهاً وهو الخيرة لأن صاحبه لا يهتدى
 لرشاد ولا يصل إلى سداد ولولم يكن إلا التطير من اسمه دون التحلى بقبح سمته
 ورسمه لكان الماقل حقيقاً بتركه وخليقاً برفضه ، وقد قيل ليس لمعجب رأى
 ولا لمتكبر صديق فإياك أن تحرم نفسك بكبرك الذى يضرك ولا ينفعك ويحطك
 ولا يرفعك استفادة الاخوان الذين هم أبلغ في الخير والشر من البيض الحداد
 وأحضر عناء في الأمن والخوف من الطرائف والتلاد فان ذلك غبن كبير وحرمان
 جسيم ، وقد قال الأول :

مبايل من أوله نطفةٌ وآخره جيفةٌ يفخرُ

ولبعض بنى هاشم وهو الرضى رحمه الله تعالى :

ولربّ مولى لا يفيضُ جماحهُ طولُ العتابِ ولا عناءُ العذلّ

بطغى عليك وانت تلامُ شعبه والسيف يأخذ من بنان الصيقل

ضاق الزمان فضاقت فيه قلبي والماء يجمع نفسه في الجدول

وقال بمضهم في يزيد بن المهلب :

فمن يلازم النازلون محله ؟ فنزلكم للحمد والشكر منزلُ

رأى الناس فوق المجد مقدار مجدكم فقد يسألوك فوق ما كان يسأل

وقصر عن مسعاكم كل آخرٍ وما فاتكم ممن تقدّم أوّل

بلغتُ الذي قد كنتُ أمله لكم وان كنتُ لم أبلغ بكم مأثراً
وملأ حقٌ واجبٌ غير أني اليكم بكم في حاجتي أتوسلُ
قال أنتم أنعمتم وبررتُم فقد يستتمُّ النعمة المتفضل
وان كنتم أوليتُموني تفضلاً جيلاً فإنَّ العودَ بالفضل أفضل
وكم ملحفٍ قد نالَ منكم رغبةً وبعثنا من أن نُلجَّ التجمل
وعودتموني قبل أن أسأل الغنى ولا يكمل المعروف والوجه يندل
وقال ابن الرومي :

من الحيف تحسيس^(١) النوال ومطله فمجل خسيساً أوفاجل موفرا
وكن نخلة تلوى وتسنى عطاءها وإلا فكن عقصاً أقلّ وبسرا
وقال : يا شبَّية البدر في الحسن وفي بُعد المثل
جُدْ فقد تنفجر الصخرة بالماء الزلال
وله في المعانيب مالا أعرف لغيره - قال :

يا ابن الوزير الذي تمتَّ وزارته لا تجمعنَّ على العار والنار
ان كنتُ أحسنتُ في وصفي ما ترم فأثروا في بالاحسان آثارا
وإن أكن قلتُ مالا أستحقُّ به^(٢) منكم ثواباً فردوه وما سارا
ان المديح اذا ماساراً مُنفرداً من الثواب كسى من قاله حازا
فقد يمرُّ بليغ في بلاغته وقد يظنُّ سوى المختار مختارا
أسهبتُ فيكم لكي أعلِّ فطاطي تقصيركم بي فقد أزمعت إقصارا
ان السلايم لا تبني أطاولها يوماً ليهبطَ بانين اغوارا
لكن ليصعد انجاداً تشرّفه حتى يمدَّ اليها^(٣) الناس أبصارا
وقد هبطتُ بما شيدته لكم من حائق ولعلَّ الله قد خارا

(١) في الأصل « تطفيف » وفي ديوان ابن الرومي « تحسيس » .

(٢) في الديوان « أو كنت قد قلت مالا أستحق به » . (٣) في الديوان (إليه) .

كم هابط صاعد من بعد مهبطه ^(١)
 ثقلت في كفة الميزان فانكد رت
 صبرا فكم ناهض من بعد وقته
 لابنى سمير ^(٢) صروف غير غافلة
 وقال: وتابع بعد الفتح قوما سبقتهم
 ولم يصف من شيء صفاء طويى
 وما جاء مدح مثل مدح فيكم
 ومالى لا أنفك أنى مسندا
 لعمري لقد غوثت غير مقصر
 وكم قائل أبلغت فيما تقوله
 وقلت: قد كنت تولينى الحسنى وتكرمنى
 فما بدا لك في جود ومكرمة
 ارجع الى الحالة الأولى فاب لنا
 وحسن أحدوثه لو كنت تبصرها
 أركب من المسك فى أصداع غانية
 وللصاحب بن عباد فى الاستزادة والعتاب آيات لم يمر بى من شعره أجود منها فنها:
 سيدشهد أبناء الفاخر كلهم بأن مضيع الأكرمين مضيع
 يززعك الواشون عن حومة العلا وكان بعيداً أن يززع لعلى
 وقد طرف البحتري فى قوله يستبطن محمد بن العباس الكلابى:
 المئة الدينار منسية فى عدة أشبعها خلفا
 لاصدق اسماعيل فيها ولا وفاء ابراهيم إذ وفى

(١) فى ديوان ابن الرومى المخطوط (هبطته). (٢) فى الديوان (القوم).
 (٣) ابنا سمير: الليل والنهار لأنه يسمر فيهما أى يتحدث — كما فى جنى الجنتين.

ان كنت لاتنوى نجاحاً لها فكيف لا تجملها ألفا
وقوله : عمرت أباسحق مصلح العمر ولا زال مزهواً بآبائك^(١) الدهر
فأنت ندى نحيابها حيث لا ندى وقطر يرجى جوده حيث لا قطر
على أننى بعد الرضا منسخط ومستعجب من خطئ سملها وعر
وقد أوحشتنى ردة لم أكن بها بأهل ولا عندى بتأويلها خبر
فلم جئت طوع الشوق من بعد غايتى الى غير مشتاق ولم ردنى بشر
وما باله يأبى دخولى وقد رأى خروجى من أبوابه ويدى صفر
ومن جيد ما قيل فى حسن الاقتضاء قول أبى تمام :

وإذا المجد كان عوفى على المرء تقاضيته بترك التقاضى
وقول الآخر : أروح بتسليم وأغدو بمثله وحسبك بالتسليم متى تقاضيا
وفى خلاف ذلك قول بعضهم : ثقتى بكرمك تمنع من اقتضائك وعلمي بشغلك
يحدو على اذ كارك . ومما يجرى مع هذا الباب قول الآخر :
أنت أمضى من أن تحرك للجسد ولكن شراة الشعراء
وفى خلاف ذلك قول الآخر :

أروح وأغدو فجوكم فى حوائجى فأصبح منها غدوة كالذى أمسى
وقد كنت أرجو للصديق شفاعتى فقد صرت أرضى أن أشفع فى نفسى
وقول الآخر : ولعموت خير من حياة زهيدة ولتضع خير من عطاء مكدر
ومن مديح الاستبطاء ما كتب بعضهم : كتابى ليس باستبطاء وامسا كي ليس
باستغناء ولكن كتابى تذكرة لك وامسا كي ثقة بك . وكتب عثمان الى على رضى
الله تعالى عنهما : أما بعد فقد بلغ الماء الزبى والحزام الطيبين وطعم فى من لا يدفع عن نفسه :
فان كنت مأكولاً فكن خيراً آكل وإلا فأدركنى ولما أمرق
ومما جاء فى ذم العتاب قول بعض الحكماء : العتاب رسول الفرقة وداعى القلى وسبب

السلوان وبعث الهجران. وقال بعضهم: العتاب يبعث التجنى والتجنى ابن الحاجة والحاجة
أخت العداوة والعداوة أم القطيعة. وقال بعضهم: سبيل من يأخذ على أيدي الأحداث أن
لا يكدرهم بالتوبيخ لئلا يضطروا إلى القعة. وقال غيره العتاب داعية الاجتناب فإذا
انبسطت المعاتبة انقبضت المصاحبة. وقال آخر: حرك اخوانك ببعض العتاب لئلا
يستعذبوا أخلاقك وأغض عن بعض ماتنكر منهم لئلا يوحشهم الحاحك. وهذا
أقصد ما قيل في هذا المعنى. وكتبت في فصل لى: العتاب مقدمة القطيعة وطلبة
الفرقة فتجنبه قبل أن يجنبك حظك من السرور برؤية أحبائك وانتقل عنه قبل
أن ينتقل بك عن مقر غبطتك بمشاهدة أودائك وإن لم تجد منه بداً فاقصد فيه
ولا تكثر منه فإن الكثير من المحبوب مملول فكيف من المكروه والاقتصاد في
الحمود مدح فكيف من المذموم. وقال ابن الرومي:

أَرْفَهُ مَا أَرْفَهُ فِي التَّقَاضَى	وَلَيْسَ لَدَيْكَ غَيْرُ الْمَطْلِ تَقْدُ
خِلَاوَعْدَ مَدَدَتْ إِلَيْهِ كَفَى ^(١)	فَأَعْرَضَ دُونَهُ مَطْلٌ يَمْدُ
إِذَا إِنْجَازُ وَعْدِكَ كَانَ وَعْدًا	فِيكْفِينِي مِنَ الْوَعْدَيْنِ وَعْدَ
وَقَالَ: سَأَلْتُ قَفِيزِينَ مِنْ حَنْطَةٍ	فَجَدْتُ بَكَرًّا مِنَ الْمَنَعِ وَافَ
وَأَتَبَعْتَ مَنَعَكَ لِي بِالْمَجَابِ	مَهَلًا مُهْدِيَتْ فِي الْمَنَعِ كَافَ
كَأَنِّي سَأَلْتُكَ حُبَّ الْقُلُوبِ	ذَاكَ الَّذِي مِنْ وَرَاءِ الشَّغَافِ
وَقَدْ أَجَادَ الْآخِرَ حَيْثُ يَقُولُ:	
وَكُنْ عِنْدَ مَا نَرْجُوهُ مِنْكَ فَانْتَا	جَمِيعًا لَمَّا أُولِيْتَ مِنْ حَسَنِ أَهْلٍ
وَلَا تَعْتَذِرْ بِالشَّغْلِ عَنَّا فَانْمَا	تَنَاطُ بِكَ الْأَمَالُ مَا تَصِلُ الشَّغْلُ

(١) في ديوان ابن الرومي المخطوط «مددت اليه عيني».

﴿ الفصل الثاني من الباب الثالث في الهجاء ﴾

قالوا أهجى بيت قالته العرب قول جرير :

فغض الطرف إنك من نمير فلا كعباً بلغت ولا كلاباً

أخبرنا أبو أحمد أخبرنا أبو بكر بن دريد حدثنا أبو عثمان عن التوزي عن أبي عبيدة عن يونس قال قال عبد الملك بن مروان يوماً وعنده جلساؤه : هل تعلمون أهل بيت قيل فيهم شعر ودوا أنهم اقتدوا منه بأموالهم ، وشعر لم يسرهم به حمر النعم ؟ فقال أسماء بن خارجة نحن يا أمير المؤمنين ، قال وما قيل فيكم ؟ قال قول الحارث بن ظالم :

وما قومي بشعلبة بن سعد ولا بفزارة الشعر الرقابا

فوالله يا أمير المؤمنين إنى لأتيس العمامة الصفيقة فيخيل لى أن شعر قفاى قد بدا منها . وقول قيس بن الخطيم ^(١) :

هممنا بالاقامة ثم سرنا مسير حذيفة الخير بن بدر ^(٢)

فما يسرنا أن لنا بها أوبه سود النعم . فقال هانيء بن قبيصة أولئك نحن يا أمير المؤمنين ، قال ما قيل فيكم ؟ قال قول جرير :

فغض الطرف إنك من نمير فلا كعباً بلغت ولا كلاباً

والله لوددنا أننا اقتديناه بأملأ كنا ، وقول زياد الأعجم :

لعمرك ما رماح بني نمير الصدور ولا قصار ؟

فوالله ما يسرنا به حمر النعم . قال أبو بكر وذكر أن جريراً لما قال :

والتغلي إذا تنحنح للقرى حك استه وتمثل الأمثالا

(١) كان شاعر الأوس وأحد رجالها ، اشتهر باتباعه قاتلى أبيه وجده حتى

قتلها وقال في ذلك شعراً ، أدرك الاسلام وقتل قبل أن يسلم .

(٢) في النسخ تصحيف صحناه من ديوان قيس .

قال قد قلت بيتاً فيهم لو طعن أحد في استه لم يحكما .

وأخبرنا أبو القاسم عن العقدي عن أبي جعفر عن المدائني قال مرت امرأة بيني
نمير فتغامزوا إليها فقالت يا بني نمير لم تعملوا بقول الله تعالى ولا بقول الشاعر :
يقول الله تعالى (قُلْ لِلَّهِ مَنِينَ يَفْضُلُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ) ويقول الشاعر :
* فغض الطرف إنك من نمير * فخرجلوا وكان النميري إذا قيل له ممن أنت ؟
قال من نمير فصار يقول من بني عامر بن صعصعة .

ولو قيل إن أهجى بيت قالته العرب قول الفرزدق لم يبعد وهو :

ولو ترمى بلؤم بني كليب نجوم الليل ما وضحت لسارى
ولو يرمى بلؤمهم نهار لدنس لؤمهم وضح النهار
وهذا مثل قول الآخر :

ولو أنَّ عبد القيس ترمى بلؤمها على الليل لم تبدُ النجوم لمن يرى
وقالوا أهجى بيت قالته العرب قول الأعشى :

تبيتون في المشى ملاءً بطونكم وجاراتكم غرثى يبتن خائصا
وكان من حديث هذا الشعر أن عامر بن الطفيل بن مالك وعلقمة بن علاثة
تنازعا الزعامة فقال عامر : أنا أفضل منك وهى لعمى ولم يمت - وعنه عامر بن
مالك بن جعفر بن كلاب وكان قد اهتز وسقط - وقال علقمة : أنا أفضل منك أنا
عفيف وأنت عاهر وأنا وفى وأنت غادر وأنا ولود وأنت عاقر وأنا أدنى إلى ربيعة .
فتداعيا إلى هرم بن قطبة ليحكم بينهما فرحلا اليه ومع كل واحد منهما ثلثائة من
الابل مائة يطعمها من تبعه ومائة يعطيها الخاك ومائة يعقرها إذا حكم . فأبى هرم
ابن قطبة أن يحكم بينهما مخافة الشر ، وأبى أن يرحلا فخلا بملقمة وقال له : أترجو
أن ينصرك رجل من العرب على عامر فارس مضر أندى الناس كفاً وأشجعهم لقاءً
لسان رمح عامر أذكرك في العرب من الأحوص وعنه ملاعب الأسنه وأمه كبشة
بنت عروة الرحال وجدته أم البنين بنت عمرو بن عامر فارس الفحياء وأملك من

النخع وكانت أمه مهيبة وأم علامة^(١) من النخع ، ثم خلا بما امر فقال له أعلى علقمة
تفخر أنت تناوته أعلى ابن عوف بن الأحوص أعف بنى عامر وأحلمه وأسوده
وأنت أعور عافر مشؤوم أما كذلك رأى يزعلك عن هذا أ كنت تظن أن أحداً من
العرب ينصرك عليه . فلما اجتمعوا حضر الناس للقضاء قال أنتما كر كبتى البعير فرجما
راضيين . والصحيح أنه توأرى عنهما ولم يقل شيئاً فيهما ولو قال أنتما كر كبتى الجبل
لقال كل منهما أنا اليمنى فكان الشر حاضراً . ولقد سأله عمر بن الخطاب رضى الله
تعالى عنهما بعد ذلك لمن كنت حاكماً لو حكمت ؟ فقال اعفى يا أمير المؤمنين فلو
قلتها لعادت جذعة فقال عمر صدقت مثلك فليحكم . فارتحلوا عن هرم لما أعيام نحو
عكاظ فلقبهم الأعشى منحدراً من اليمن وكان لما أرادها قال لعلقمة اعقدلى حبلاً
قال أعقد لك من بنى عامر قال لا تغنى عنى قال فمن قيس قال لا قال فما أنا رائدك .
فأتى عامر بن الطفيل فأجاره من أهل السماء والأرض ، فقيل له كيف تجيره من أهل
السماء ؟ قال ان مات وديته فقال الأعشى لعامر أظهر انكما حكمتانى ففعل فقام
الأعشى فرفع عقيرته في الناس فقال :

حكمتوه ففضى بينكم أبلج مثل القمر الزاهر
لا يأخذ الرشوة في حكمه ولا يبالي غبن^(٢) الخاسر
علقم ما أنت^(٣) الى عامر الناقض الاوتار والواتر
واللامس الخيل بخيل إذا تار عجاج الكهكس الثائر
ساد والننى رهطه سادة وكبراً سادوك عن كابر

وشد القوم على الابل المائة فقروها وقالوا عامر وذبحت به القوغاء وجهد
علقمة أن يردها فلم يقدر على ذلك فجعل يتهدد الأعشى فقال الأعشى :
أتانى وعيد^(٤) الحوص من آل جعفر فياعبد عمر ولونبيت الأحوصا

(١) بياض في الأصل ، وذكر القصة صاحب الأغاني بغير هذه الرواية . (٢) «غبن»
ساقطة من الأصل فاستدر كناها من بلوغ الأرب . (٣) في الأصل «لأنت» .

فما ذنبنا أن جاشَ بحر ابن عمكم وبحرك ساج لا يوارى الدعامصا
 كلا أبويكم كان فرع دعامية ولكنهم زادوا وأصبحت ناقصا
 تبيتون في المشتى ملاء بطونكم وجاراتكم غرنى بيتن خائصا
 يراقبن من جوع خلال مخافة نجوم العشاء القألمات القوامصا
 رمى بك في أخراهم تركك الندى وفضل أقواماً عليك مراھصا
 فعضَّ حديد الأرض أن كنت ساخطاً بفيك وأحجار الكلاب الرواھصا
 فبكى علقمة لما بلغه هذا الشعر وكان بكاؤه زيادة عليه في العار . والعرب تعير
 بالبكاء ، قال مهلهل :

يبكى علينا ولا نبكى على أحدٍ لنحن أغلظُ أكبأداً من الابل
 وقال جرير :

بكى دوالٌ لا يرفأ الله دمعهُ ألا إنما يبكى من الذلّ دوالٌ
 وكان الخطيئة مع علقمة وليد مع عامر ^(١) فقال الخطيئة :
 يا عام قد كنت ذاباع ومكرمة لو أن مسعاة من جاريتهُ أمم
 جاريت قرماً ^(٢) أجاد الاحوصان به ضخم الدسيعة في عريننه شمم
 لا يصعب الأمر إلا حيث يركبه ^(٣) ولا يبيت على مال له قسم
 وقال : فما ينظر الحكام في الفصل بعدما ^(٤) بدا واضح ذو غرة وحجول

(١) كذا في النسخ ، وفي طبقات الجمحي (وكان الخطيئة مع علقمة بن علانة
 حين نافر عامر بن الطفيل) . (٢) وفي رواية (جاريت فرعا) وفي ديوان الخطيئة :
 جاريت قرماً أجاد الاحوصان به جزل المواهب في عريننه شمم
 والاحوصان : الاحوص بن جعفر بن كلاب - واسمه ربيعة وكان صغير العينين -
 وعمرو بن الاحوص ، كما في جنى الجنتين للمحبي .

(٣) في طبقات الجمحي وديوان الخطيئة (إلا ريث يركبه) .

(٤) في الأصل (بمدها) والتصحيح من ديوان الخطيئة :

وهاتان القصيدتان جيدتان بارعتان في معنيهما ولكن الناس استخفوا قول
الأعشى * علقم لالنت إلى عامر * فر على ألسنتهم وسقط شعر الخطيئة .

أخبرنا أبو علي بن أبي جعفر أخبرنا جعفر بن محمد حدثنا أبو عبيدة العسكري
حدثنا محمد يعني ابن الوليد حدثنا أبو زكريا عن الأصمعي قال قال عبد الملك
ابن مروان لأمية ^(١) مالك وللشاعر إذ يقول :

إذا هتفَ العصفورُ طارَ فؤادهُ وليثُ حديدُ الذاب عند الثرائد ^(٢)

قال أصابه حد من حدود الله تعالى فأقمته عليه ، قال فهلا درأته عنه بالشبهات ؟
قال كان أهون عليّ من أن أعطل حداً من حدود الله تعالى فقال يابني أمية أحسابكم
أحسابكم أنسابكم أنسابكم لا تعرضوا للهجاء ^(٣) فان للشعر مواسم لا يزيد لها الليل
والنهار إلا جدة ^(٤) والله ما يسرني أني هجيت بيت الأعشى حيث يقول :

تبيتون في المشتى ملاء بطونكم وجاراتكم غرثي يبتن خائصا
ولي الدنيا بمخذا فيرها ، ولو أن رجلا خرج من عرض الدنيا كان قد أخذ عوضاً
لقول ابن حرثان :

على مكثريهم حق من يعتر بهم ^(٥) وعند المقلين الساحة والبذل
هكذا رواه لنا والبيت لزهير . وقالوا أهجى بيت قالته العرب قول الخطيئة في
الزبرقان بن بدر :

دع المكارم لا تر حل لبغيتها واقعد فانك أنت الطاعم الكاسي
وأخبرني أبو أحمد سمعت بعض الشيوخ يقول اجتمع مطيع بن إلياس ويحيى
ابن زياد وحمام عجرد وجعفر بن أبي وزرة في مسجد الكوفة فامتروا ^(٦) في أهجى
بيت قالته العرب ثم اتفقوا على قول الفرزدق في جرير :

-
- (١) في الاصل (لابنه) (٢) عجز البيت في الأصل غير منقوط فصححناه
من الامالي والعقد الفريد ، وفيه (صوت) مكان (هتف) . (٣) في الاصل (للفصحاء)
(٤) في الاصل (حيرة) . (٥) في الأغاني « رزق من يعتر بهم » .
(٦) في الأصل غير منقوطة .

أنتم قرارة كل معدن سوءة ولكل سائلة تسيل قرار
أخذه أبو تمام فقال :

وكانت زفرة ثم اطمأنت كذاك لكل سائلة قرار
وقالوا أهجى بيت قالته العرب قول الأخطل لجريز :

مازال فينا رباط الخيل معلة وفي كليب رباط اللؤم والمار
قوم إذا استنبح الأضياف كابهم قالوا لأمرهم بولى على النار

قالت بنو تميم ماهجينا بشيء هو أشد علينا من هذا البيت . وهو يتضمن
وجوها شتى جعلهم بخلاء بالقرى وجعل أمرهم خادمتهم يأمرونها بكشف فرجها ،
وجعلهم يبخلون بالماء أن يطفئوا به النار فيأمرونها بأن تطفئها بيوها . بينهم وبين
المجوس لتعظيم المجوس النار ، الى غير ذلك وان نارهم من قتلها كانت تطفئها بيوها .

وقالت بنو مشاجع ماهجينا بشعر أشد علينا من قول جرير :

وبرحران غداة كبل معبد نكحت نساؤهم بغير مهور

وقالت بنو كليب ماهجينا بشعر أشد علينا من قول الفرزدق :

ألسن كليباً إذا سيم سوءة أقر كقرار الحليلة للبعل

وقالوا بل أهجى بيت قالته العرب قول الطرماح :

تميم بطرق اللؤم أهدي من القطا ولو سلكت سبل المكارم ضلت
وقال بعض الشيوخ لو أن هذا البيت لجريز أو لمن في طبقته لحكم على جميع

ما في معناه وبعده وهو أبلغ ما قيل في الاحتقار والتقليل والجبن :

ولو أن حرقوصاً على ظهر نملة تشد على صفي تميم لوئت

ولو جمعت يوماً تميم مجموعها على ذرة معقولة لاستقلت

ولو أن أم العنكبوت بنت لها مظلتها يوم الندى لاستظلت

ولو أن برغوثاً يرفق مسكه إذا نهلت منه تميم وعلت

وأبلغ ما قيل في الخول قوله أيضاً :

لو كان يخفى على الرحمن خافيةٌ من خلقه خفيت عنه بنو أسد
 قومٌ أقامَ بدارِ الذلِّ أولهم كما أقامت عليه خدمةُ الوتدِ (١)
 وقال ابن الأعرابي قال أبو عمرو بن العلاء أحسن الهجاء ما تنشده العاتق في
 خدرها فلا يقبح بها مثل قول أوس :

إذا ناقة شعرت برحل وتمرق إلى حكم تعدى فضل ضلالها
 وقال ابن الأعرابي وأنا أقول مثل قول جرير :
 ولو أن ثعلبَ جَمعت أحسابها يومَ التفاخرِ لم تزنْ مثقالا
 وقيل أهجى ما قالته العرب قول الأعرابي :

اللؤمُ أكرمُ من وبرٍ ووالدهِ واللؤمُ أكرمُ من وبرٍ وما ولدا
 قومٌ إذا جرجان منهم (٢) أمنوا من لؤم أحسابهم أن يقتلوا قودا
 وقال النجاشي (٣) في بني العجلان :

قبيلة لا يغدرونَ بذمةٍ ولا يظلمون الناس حبة خردل
 ولا يردون الماءَ إلا عشيّةً إذا صدرَ الوراءُ عن كلِّ منهل
 فاستعدوا عليه عمر بن الخطاب فقال ما قيل فيكم ؟ فأنشدوه :
 إذا الله حادى أهل لؤم ورقةٍ فعادى بني العجلان رهط ابن مقبل
 فقال عمر إن كان مظلوماً استجيب له ، قالوا وقد قال :

قبيلة لا يغدرونَ بذمةٍ ولا يظلمون الناس حبة خردل
 فقال ليت آل الخطاب هكذا . قالوا وقد قال :
 ولا يردون الماءَ إلا عشيّةً إذا صدرَ الوراءُ عن كلِّ منهل

(١) سقط من النسخ بعض عجز البيت فاستدر كناه من العقد الفريد .

(٢) في الأصل « إذا ما حر جانهم » .

(٣) في الأصل هنا « النحاس » وفي موضع آخر (النخاش) والصواب
 « النجاشي » وهو شاعر أمير المؤمنين على رضي الله تعالى عنه على ما في بلوغ الأرب وغيره .

قال عمر : ذاك أقل للكلاب - يعني الازدحام ، قالوا وقد قال :
تغاف الكلاب الضاريات لحومهم ويا كلن من عوفٍ وكعبٍ ونهشل
قال أحبا^(١) القوم قتلاهم ولم يضيعوهم ، قالوا وقد قال :
وما سُميَ العجلان إلا لقليلهم مُخِذِ القعبِ واحلبُ أيها العبدُ واعجل
فقال عمر خير القوم خادمهم ثم بعث إلى حسان فسأله فقال ما هجأهم واسكن
سلح عليهم قهدهد النجاشي وقال ان عدت قطمت لسانك .

وكانوا يتمدحون بتقديم الورد وكان أعزهم أسبقهم إلى الماء بابلهم ومثل قوله :
* تغاف الكلاب الضاريات لحومهم * قول البحترى :

ورددت العتاب عليك حتى سئمت وآخر الود العتاب

وهان عليك سخطي حين تغدو بمرض ليس يأكله الكلاب

ومن التناهي في الاحتقار والحقول قول بعضهم^(٢) :

قالوا الأشاقر تهجوهم فقلت لهم ما كنت أحسبهم كانوا ولا خلقوا

قوم من الحسب الزاكي بمنزلة كالققع بالقاع لا أصل ولا ورق

إن الأشاقر قد حلوا بمنزلة لو يرهبون بنعل عندنا علقوا

لا يكثرُونَ وإن طالت حياتهم ولو تبول عليهم فارة غرقوا

وقول الآخر * لو يخلوا بالحرير ما وجدوا * وقول الآخر ، أستغفر الله من قوله :

يكاد من رقة ولؤم يخفى على البارئ القديم

وقول أبي الهيثم :

يا جعفر بن القاسم بن محمد مالى أراك عن الندى معزولا

إني أقول مقالة تجرى بها لو كنت من كرم اسكنت قليلا

وقول أبي تمام :

ما كنت أحسب أن الدهر يمھانى حتى أرى أحداً يهجوهُ لا أحد

(١) فى الأصل «أحبة» (٢) نسبت فى العقد باختلاف فى بعض الألفاظ لزيادة الاعمج .

ونحوه قوله: هب من لشيء يريد حجابهُ ما بال لا شيء عليه حجاب
وقال * وأنت أنزر من لا شيء في العدد *

ومن مشهور ما قيل في بلوى الأختيار بالأشعار قول الأول :

فلو أنى بليت بهاشمي خولته بنو عبد الداني

صبرت على عداوته ولكن^(١) تعالى فانظري بمن ابتلاني

وشكار جل إلى أبي العيناء رجلاً فقال فك دخل في العدد وخرج من العدد،

يقول هو يعد في الحساب ويخرج من عدد التحصيل ، وهو من قول القائل :

خرجنا الغداة إلى نزهة وفينا زياد أبو صمصمه

فسته رهط به خمسة وخمسة رهط به أربعة

وقلت في معناه :

أنظر إليهم ولا تعجبك كثرتهم فأنما الناس قلوا كلما زادوا

ولا يهولنك من دهائهم عدد فليس للناس في التحصيل أعداد

عجبت من زهدهم فيما يزينهم والناس مذ خلقوا في الخير زهاد

ومن التناهي في صفة الخمول قول عبد الصمد في أبي العباس محمد بن يزيد المبرد :

سألنا عن ثماله كل حي فقال القائلون ومن ثماله

فقلت محمد بن يزيد منهم فقالوا زدتنا بهم جهاله

ومن الاستحقار الشديد قول مسلم :

أميس قل لي أين أنت من الوري لأنت معلوم ولا مجهول

أما الهجاء فدق عرضك دونه والمدح عنك كما علمت جليل

فأذهب فأنت طليق عرضك إنه عرض عزت به وأنت ذليل

فجمله نور الله والهجاء فوقه فلا يهيج لضعته وقلته .

ومن ههنا أخذ إبراهيم بن الحسن قوله :

(١) وفي نسخة « لمان على ما ألقى ولكن » .

فكن كيف شئت وقل ما تشاء وأبرق يمينا وأرعد شمالا
 نجابك لئوم منجى الذباب حته مقاذيره أن ينالا
 وهذه الأبيات وإن كانت مشهورة فإن لا يرادها ههنا معنى كبيراً وذلك أنى
 لست أجد خيراً منها فى معناها وأجود، وقد شرطت أن لأضمن هذا الكتاب
 الاكل جيد اللفظ بارع المعنى، وأنت أيضاً إذا احتجت اليه تتناوله من قرب.
 وأنشد الجاحظ :

ووفقت أنك لاتسبُّ حماك لئومك أن تسبّا
 وقال الآخر : بذلة والديك كميت عزاً وباللؤم اجترأت على الجواب
 وقال غيره : دناءة عرضك حصن منيع ثقيلك اذا ساء منك الصنيع
 فقل لعدوك ما تشتهى فأنت الرقيق المنيع الوضع
 وقلت : لست الوضع ولا الصغير وإنما أنت الوضع عن الوضع الأصغر
 لاتفخرن وإن غدوت مقدماً فعلى جبينك سيماء مؤخر
 وقال أبو نواس :

ما كان لو لم أهجه غالب قام له هجوى مقام الشرف
 يقول قد أسرف فى هجونا وإما زاد بذاك السرف
 غالب لا تسمى لتبنى العلا بلغت مجدداً بهجائى قف
 قد كنت مجهولاً ولكننى نوهت بالمجهول حتى عرف
 فجعل شرفهم ونباهتهم بهجائه إياهم، وقوله :

وما أبقيت من غيلان إلا كما أبقت من البظر المواسى
 ومن قديم الهجاء لمن لا يقع فى حياته وفى موته فجعية قول بعضهم :
 وأنت امرؤ منا خلقت لغيرنا حياتك لانفع وموتك فاجم
 وقال ابن الرومى :

فلا تخش من أسهمى قاصداً ولا تأمن من العاير

ولكن وراك معراتها نضاؤل قدرك في الخاطر
وقال غيره :

إني هجوتُ بكلِّ لفظٍ مقذعٍ زيداَ وكان له الهجاءُ مديحا
وقلت : يا أبا القاسم هل أبصرت شهاً لك في قبحك
ونظيراً لك في شؤمك أو لؤمك أو شحك
إن من شبهك الكلب فقد بالغ في مدحك
وقلت : أهنت هجائي يا ابن عروة فاتتحي على ملام الناس في البعد والقرب
وقالوا أنهم جو مثله في سُقوطه فقلت لهم جريتُ سيفي على كلب
وقال ابن الرومي :

خسأت كلباً مرّ بي مرّة فقال مهلاً يا أخا خالد
حسبكم خزيّاً بنى آدم شركتكم إياه في الوالد

ومثله ما أنشدناه أبو أحمد قال أنشدني ابن لنكك ^(١) لنفسه :

وعصبة لما توسّطتهم صارت ^(٢) على الأرض كالخاتم
كأنهم من سوء أفهامهم لم يخرجوا بعد إلى العالم
يضحك إبليسُ سروراً بهم لأنهم طاروا على آدم
وقلت : قلت للكلب حين مرّ بي أخساً فكأنني كويتُ قلبك كيا
أترى انني أعدك كلباً أنتَ عندى إذا نبحت الثريا

ومن التناهي في الاستصغار والخيول قول زياد الأعجم :

إذا ما اتقى الله امرؤً وأطاعه فليس به بأسٌ وإن كان من جرم
وله جمعتُ جرمٌ على رأسِ نملةٍ لباتوا شباعاً يضربون من الشحم
ومن بليغ ماجاء في الاستصغار مارواه قدامة قال قال محمد بن ناشد سألني

(١) هو أبو الحسن محمد شاعر البصرة وأهجي أهل زمانه بالقطعات .

(٢) في رواية « ضاقت » .

فلان عن رجل فقلت يساوى فلس ، فقال قد زدت في قيمته درهمين .

ومن أبلغ ما قيل في الهجاء قول ذى الرمة :

وأمثلُ أخلاقٍ امرئٍ القيسِ أنها صلابٌ على طول الهوانِ جلودها
وما انتظرتُ غيابها للملة^(١) ولا استؤمرت^(٢) في حلٍّ أمرش هودها
إذا امرئياتٌ حللن^(٣) يبلدة من الأرض لم يصلح ظهوراً صعيدها
وقال غيره : لعمر ك ما تبلى سراويلُ عامرٍ من اللؤم ما دامت عليه ظهورها
وقال أبو سعيد الخزومي :

يا ثابت بن أبي سعيدٍ إنها دولٌ وأحراها بأنْ تنقل
هلا جعلتَ لنا كحرمةٍ دعبلٍ في استِ أمِّ كلبٍ لا تساوى دعبلا
وقالوا أهجى بيت قاله محدث بيت حماد في بشار :

نسبتَ إلى بردٍ وأنتَ لغيره فبهك لبرد نلت أمك^(٤) من برد
وأخبرني أبو أحمد أخبرني أبو الحسن الصيمري عن أبي العلاء قال حماد مجرد
* نسبت إلى برد وأنت لغيره * قال بشار تهبأ لحاد في هجائي في هذا البيت
خمسـة معانٍ أوردها جرير في الفرزدق فلم يقدر عليها حيث يقول :

لما وضعت على الفرزدق ميسرى وضع البعيث جدعت أنف الأخطل

ومن أجود ما هجى به الدعش قول دعبل في مالك بن طوق :

الناسُ كلهمُ يسعى لحاجته ما بينَ ذى فرحٍ منها ومهموم
ومالكٌ ظلٌّ مشغولاً بنسبته يرمُّ منها خراباً غير مرموم
يبسنى بيوتاً خراباً لأنيسَ بها ما بينَ طوقٍ إلى عمرو بنِ كلثوم

(١) في الشعر والشعراء (العظيمة) . (٢) في الشعر والشعراء (استؤذنت) .

(٣) في الشعر والشعراء (نزلن) . (٤) سقط من الأصل (نلت أمك)

فاستدر كنها من الأغاني وهي بالكاف ، وفيه (دعيت إلى برد) .

وقال ابراهيم بن اسماعيل النسوي ^(١) :

لو أنَّ موتى تميم كلهم نشروا وأثبتوك لقيـل الأمرُ مصنوعُ
إنَّ الجديدَ إذا ما زيدَ في خَلْقٍ تبينَ الناسُ أنَّ الثوبَ مرقوعُ
وقالوا أهجى بيت قاله محدث قول الآخر :

قبحت مناظرهم فحين خبرتهم حسنت مناظرهم لقبح الخبر
ولست أعرف أبلغ في الهجاء من قول الأول :

إن يفجروا أو يغدروا أو يخلوا لم يـحفلوا

وغدوا عليك مرجلين كأنهم لم يفعلوا

هذا أبلغ من ذكر الفروج والقول الفاحش المقذع في الأمهات والاخوات .
ومن البليغ قول حسان :

أبناء طارف لن تلقى لهم شبيهاً إلا التيوس على أبقائها الشعرُ

ان نافروا نفروا أو كثروا كثروا أو قامروا الزنج عن أحسابهم قمروا

كأنَّ ريحهم في الناس إذ خرجوا ريحُ الكلاب إذا مامسها المطر ^(٢)

قد استوفى المعنى عند قوله (ريح الكلاب) ثم قال (إذا مامسها المطر) فجاء
بتتيم حسن . وقالوا قول جرير * تنفت شواربهم على الابواب * وقالوا قول حسان :

أبوك أبو سوءٍ وخالك مثلهُ ولست بخيرٍ من أيك وخالك

وإنَّ أحقَّ الناسِ أن لا تلومهُ على اللؤم من أنى أباهُ كذلكا

ومن الافراط في صفة البخل قول ابن الرومي في سليمان بن عبد الله بن طاهر :

تجنب سليمان قفل الندى فقد يئس الناس من فتحه

فلو كان يملك أمرَ استه لما طعم الحش في سلحه

(١) في الأصل (النبوي) ولعل صوابه (النسوي) نسبة الى نسا التي يجوز

فيها نسوي ونسائي ، وهو ابراهيم بن اسماعيل بن بشار النسائي شاعر ابن شاعر .

(٢) في ديوان حسان المطبوع اختلاف في بعض الألفاظ .

وأبلغ ما قيل في الهجاء باللؤم قول الفرزدق :

ولو تُرمى بلؤم بني كليب نجوم الليل ما وضحت لسا
ولو لبس النهارُ بني كليب^(١) لدنس لؤمهم وضح النهار
وما يغدو عزيزُ بني كليب ليطلب حاجةً إلا بحار
وقد مر البيتان الأولان فيما تقدم . ومن الافراط في الهجاء قول الآخر :
لو اطلع الغرابُ على تميم وما فيها من السواتِ شابا
وقول الآخر :

سَل الله ذا المنِّ من فضله ولا تسألنَّ أبا وائله
فما سأل الله عبده له نجابَ ولو كان من ياهله
وقال الآخر : ولوقيل للكلب يباهلي لأعول من قبح هذا النسب
وأنشدني أبو أحمد أنشدني أبو مسلم بن بحر لابراهيم بن العباس وهي أبيات مشهورة أوردتها لأنني لست أجد مثلها في معناها :

ولما رأيتك لافسقا تهابُ ولا أنت بالزاهد
وليس عدوك بالمتقى وليس صديقك بالحامد
أيت بك السوق سوق الرقيق فناديت هل فيك من زائد
على رجلٍ غادر بالصديق كفورٍ لنعمائه جاحد
فما جاءني رجلٌ واحد يزيدُ على درهم واحد
سوى رجلٍ حار منه الشقا وحلت به دغوةُ الوالد
فبعتك منه بلا شاهد مخافةً أدرك بالشاهد
وأبتُ الى منزلي سالماً وحلَّ البلاءُ على الناقد
وقد أحسن التصرف فيها فما قاربه في معانيها أحد .

وأبلغ ما قيل في البخل قول ابن الرومي :

(١) في الأصل « بنو كليب » والتصحيح من منتهى الطلب في أشعار العرب .

يُقْتَرُ عَيْسَى عَلَى نَفْسِهِ وليس بيباق ولا خالد
 فلو يستطيعُ لتقتيره تنفس من منخر واحد
 رضيتُ لتشتيت^(١) أمواله يدي وارث ليس بالحامد

والناس يظنون أن ابن الرومي ابتكر هذا المعنى وإنما أخذه مما رواه الجاحظ
 أن فلاناً كان يقير^(٢) إحدى عينيه ويقول ان النظر بهما في زمن واحد من السرف .

ومن الفرد الذي لا شبيه له قول بعضهم :

إلى الله أشكو أنني بتُّ طاهراً فجاء سلوى^٣ فبال على رجلى
 فقلتُ أقطعوها بآرك الله فيكم^٤ فاني كريمٌ غير مدخلها رحلى
 وقلت : وقفت لديكم للسلام عليكم^٥ وقوفى على أطلال سلمى وعاتكه
 يرومك تسليم العفاة كأنه بوادر طعن في الضلوع مواشكه
 وما فيكم حرٌّ يكرم ضيفه^٦ ولكن إذا ما ساء أكرم فائله
 وإن كنتم ناساً وما أنتم به^٧ فإن القروء والكلاب ملائكه
 وليس في هذا الباب أبلغ من هذا ولا أعرقى سبقت إليه . وقال بعضهم :

سمعت المديح أناساً دون ما لهم رد قبيح وقول ليس بالحسن
 فلم أفر منهم إلا بما حملت^٨ رجل البعوضة من فخارة اللبن
 وهذا كما تراه بليغ جداً . وقال الآخر * يعطيك ما تعطيك مكحلة *

وأنشدنا أبو أحمد عن أبيه عن أبي طاهر لدعبل :

أنقفل مطبخاً لا شيء فيه من الدنيا تخاف عليه أكل
 فهذا المطبخ استوثقت منه فما بال الكنيف عليه قفل^٩
 ولكن قد بخلت بكل شيء^{١٠} فحتى السلاح منك عليك بخل
 وأنشدنا : وإن له إطباخاً وخبزاً وأنواع الفواكه والشراب
 ولكن دونه حبس وضرب^{١١} وأبواب تطابق دون باب

(١) في ديوان ابن الرومي المخطوط « لتفريق » . (٢) في النسخ « يقتر » .

يذودون الذبابَ يمرُّ عنه
 وقال الخليل بن أحمد :
 لا تعجبَنَّ خيرَ زلٍّ عن يده^(١)
 وقال أبو تمام :
 صدَّقَ أليَّته^(٢) ان قال مجتهداً
 وان همتَ به فافتكْ بخبزه
 قد كان يعجبني لو أنَّ غيرته
 وقال آخر : يزادُ لوماً على المديح كما
 وقلت : خبيرُ الأميرِ عشيَّةً
 وإذا بدا جلسه
 وتحوَّطه أحرأسه
 فالزورُ يُصفعُ عنده
 وقال آخر: قتي لرغيفه فرط وشغف
 إذا كسر الرغيف بكى عليه
 ودونَ رَغيفه قلعُ الثنايا
 وقال آخر: إنَّ هذا القتي يصون رغيماً
 هو في سفرتين من أديم الطا
 مُختمٌ كلُّ سلة برصاص
 في جراب في جوف تابوت موسى
 وقلت : لناسيدٍ واحدٍ ماجدٍ
 لثيمٍ إذا جاءه طارقٌ
 كأمثالِ الملائكةِ الغضاب
 قال كوكبُ النحسِ يسقي الأرضَ أحيانا
 « لاو الرغيفِ » فذاك البر من قسمه
 فان موقعها من لحمِ ودمه
 على جرادقةٍ كانت على حرمة
 يزادُ ننتُ الكلابِ بالمطر
 يغدو عليه يُلاعبه
 أفضى إليه يعاتبه
 وتذبُّ عنه كُتائبه
 والضيفُ ينتفِ شاربه
 واكيلانٍ من درٍّ وشنر
 بكاء الخنساءِ إذ فجعت بصخر
 وحرَبٌ مثل وقعة يوم بدر
 ما إليه لا كلٍ^(٣) من سبيل
 ثف في سلتين في مندبل
 وسيورٍ قددن من جلد فيل
 والمفاتيحُ عندَ ميكائيل
 يقتل في الجود آباءه
 فقد جاءه كلُّ ما ساءه

(١) في الاصل غير منقوطة . (٢) أي قسمه .

(٣) في العقد الفريد « لناظر » وفي الأصل تصحيف صححناه من العقد .

وهل يطعمُ الناسُ في خبزه إذا كان يمنعهم ماءه
فما ولغ الكلب في لؤمه لما زال يقذفُ أمعاءه
وسمعت عن أبي حفص يقول قال جعفر بن محمد المسكري أبلغ ما قاله محدث
في البخل قول بعضهم :

الحابس الروثَ في أعفاج بقلته خوفاً على الحبِّ من لقطِ المصافير
وأجود ما قيل في البخل قول بعضهم :

وعدتُ فأكدت المواعيد بيننا وأقامت إقلاع الجهام بلا وبلا
وأجرت لي جبلا طويلا تبعته ولم أدر أن اليأسَ في طرف الجبل
وقال أبو نواس :

رأيتُ قدور الناس سوداً من الصلَى^(١) وقدر الرقاشين زهراء كالبدر
يُبَيِّثُهَا للمعتنى بفنائهم ثلاثا كنفط الثاء من نقط الخبر
إذا ماتنادوا للرحيل سعى بها أمامهم الحولى من ولد الذر
ولو جثتها ملائ عبيطاً^(٢) مجزراً لا أخرجت ما فيها على طرف الظفر
غيره: يحصن زاده عن كل ضرر ويعمل ضرره في كل زاد
ولا يروى من الآداب^(٣) شيئاً سوى بيت لا بُرَهَةَ الايادى
قليلُ المالِ تُصلحه فيبقى ولا يبقى الكثيرُ مع الفساد
وقلت في مثله :

يطعمُ دُونَ الشبع أولاده ويختمُ البرمة والجفنه
لم يروِ إلا خـبراً واحداً قد تذهبُ البطنةُ بالفطنة
وقال آخر: ظاهتك اذ سألتك ماء كرم وماء الكرم للرجل الكريم
وقلت: لك برمة نزهتها من أن تدنسَ بالدسم
بيضاء يُشرقُ نورُها كالبدر في غسقِ الظلم

(١) الصلَى بالكسر: النار. (٢) لحم عبيط : أى صحيح طرى. (٣) في رواية «الاشعار»

لو كانَ عرضك مثلها كنتَ المَدَّحَ في الأُم
أو كانَ فَعَلُكَ مِثْلَ قُو
ومن أبخل بيت قيل :

وما رَوَّحْتَنَا لَتَذِبَّ عَنَا
وقال أبو نواس يصف قدراً :

يغصُّ بمُحَلَّقومِ الجِرادَةِ صدرها
وتغلي بذِكرِ النارِ من غيرِ حرِّها
هي القَدْرُ قَدْرُ الشَّيْخِ بَكْرِ بْنِ وائِل
وقال ابن الرومي :

رأى البخلَ طَبَّافَهُو يَحْمِي وَيَحْتَمِي
فلمستَ ترى في بيته غيرَ جائعٍ
ومن أجود ما قيل في زيادة البخل والشح مع زيادة المال قول ابن الرومي :
إذا غمرَ المالُ البَخِيلَ وَجَدْتُهُ
يزيد به يَدَساً وان ظنَّ (٢) يَربط
وليس عجباً ذاكَ مِنْهُ فَإِنَّهُ
إذا غمرَ الماءُ الحِجَارَةَ تَصَلِّبُ
وهو مأخوذ من قول بعض حكماء الهند . وأنشدنا أبو أحمد عن أبي طاهر :
رغيفك في الحجابِ عليه قفل
وحراسُهُ وأبوابُهُ منيعه
رأوا في بيتهِ يوماً رَغِيفاً
فقالَ لضيْفِهِ هَذَا ودِيعه
وأنشدنا عنه :

له حاجبٌ مُدُونُهُ حاجبٌ
وحاجبٌ حَاجِبُهُ مُحْتَجِبٌ
وقال أبو تمام :

لا تَكْلِفْنِ وَأَرْضُ وَجْهِكَ صَخْرَةً
في غَيْرِ مَنْفَعَةٍ مُؤَوَّنَةً حَاجِبِ

(١) في الأصل « جفال » بالفاء ، والتصحيح من القاموس حيث قال :
الجمال بالكسر : خرقة ينزل بها القدر . (٢) سقط من الأصل (يبساً وان
ظن) فاستدر كناها من ديوان ابن الرومي المخطوط .

وقال آخر: لاتتخذُ باباً ولا حاجباً
 وأنشدنا: أعجبت أن ركب ابن حزم بغلة
 وعجبت أن جعل ابن حزم حاجباً
 وقال آخر: إحتجب الكاتب في دهرنا
 القومُ يخلون بحجابهم
 وقال آخر وأحسن:

وصاحبٌ أسرفت في مدحه
 حجابهُ ألزمني منزلي
 وقلت في معناه:

مدحت فلم تصدق ولم تك مُذنباً
 وما الجهلُ إلا أن تقرّظاً معشراً
 وأنشدنا أبو أحمد:

لاخيرَ في صاعد فأذكرهُ
 ليس له ما خلا اسمه نسبهُ
 والخيرُ يأتيك من يدي عمر
 كأنَّهُ آدمُ أبو البشر

ومن أظرف ما قيل في هذا الباب قول ابن الرومي:

لك وجهٌ كأخِر الصكِّ فيه
 كخطوطِ الشهودِ مشتهاتٍ
 وقلت: إن كانَ شكلُك غيرَ مُتفقٍ
 من عصبية شتى إذا اجتمعوا
 لمحاتٌ كثيرةٌ من رجال
 معلماتٍ أن لستَ بآبنِ حلالٍ
 صورت من نطفٍ قد اختلفت
 فوِرت من ذا قبحٍ منظره
 فكذا خلالك غيرُ مؤتلفةٍ
 فأتتَ خلالك وهي مختلفة
 وورثت ذاك خناه^(١) أو صلفه
 والدُّرُّ لا تزرى به الصدفة

وأجود ما قيل في عظم الجسم مع قلة العقل من الشعر القديم قول حسان :
 * جسم البغال وأحلام العصفير * وقال ابن الرومي :
 طولٌ وعرضٌ بلا عقلٍ ولا أدبٍ فليس يحسن إلا وهو مصلوبٌ
 وقال وأحسن :

إذا قت الذمِّمَ بحسن جسمٍ فلا يسبقك بالشمِ الشريفة
 فيصبح أفضلَ الرجلين نفساً وتصبح أعظمَ الرجلين جيفة
 وأنشدنا أبو أحمد أنشدني ابن لنكك لنفسه :
 إثنان لم ينكرهما منكرٌ بغضٌ أبي إسحقَ والموت
 ويدعى العلمَ على أنه قد طار بالجهل له الصوتُ
 لا يلتقي والهم في مجلس أو يلتقي الإدراك والفوتُ
 وكتب ابن العميد :

وليت شعري بأي حلى تصدّيت له وأنت لو توجت ^(١) بالثريا ومنطقت
 بالجوزاء وتوشحت بالجرة وتقلدت قلادة الفسكة ما كنت إلا عطلاً ولو توضحت
 بأنوار الربيع الزاهر وشدخت في جبينك غرة البدر الباهر واستعرت من الصباح
 نوباً وخضت أوضاع النهار خوفاً ما كنت إلا غفلاً .

وأبلغ ما قيل في صفة ثقيل ما أنشدناه ابن أبي حفص عن جعفر :
 وثقيل أشدّ من غصص المو ت ومن زفرة العذاب الأليم
 لو عصت ربّها الجحيمُ لما كا ن سواه عقوبةً للجحيم
 وأبداع ما قيل في هذا المعنى قول بشار :
 ربما يثقلُ الجليسُ وإن كا ن خفيفاً في كفة الميزان
 ولقد قلت حين طلّ على القو م ^(٢) ثقيلٌ أربى على ثهلان

(١) في الأصل «توجهت» . (٢) في الأصل «ولقد قلت حين في الأرض» وفي
 العقد الفريد «ولقد قلت إذ أظل على القوم» . وفيه «أبا عمران» بدل «أبا سفيان» .

كيف لم تحمل الأمانة أرضاً حملت فوقها أبا سفيان
أخذه ابن الرومي فقال :

أنتَ فضلٌ وفضلُ الشيء لغوٌ ثم أردفتَ ذلةَ التصغير
محقرَ الفضلِ ثم صغرتَ عنه زادك الله يا صغيرَ الحقيقير
ثم عرجتَ فاحتواك انتقاصٌ في اسمِ سوء وجسمِ سوءِ ضير
ثم بردتَ فاتصفتَ من النا ر ببرد يربى على الزمهرير
فقبولُ النفوسِ إياكَ عندي آيةٌ فيكَ للطيفِ الخبير
إنَّ قومًا أصبحتَ تنفقُ فيهم لعلى غاية (١) من التسخير
أو أناسَ غدوا وراحوا من الظَّرِّ فِ على حالةِ الفقيرِ الوقير
فمتى ظفروا بزورِ ظريفٍ أعجبتهُم زخارفُ التزوير
كالأغاريبِ لم يروا درمكَ البرِّ فهم يعظمونَ خيرَ الشعير
وكذا القومُ لم يروا لجةَ البحرِ — ر فهم يكبرونَ ماءَ الغدير
ياثقيلاً على القلوبِ خفيفاً في الموازينِ دونَ وزنِ النقيير
طر سخيلاً وقع مقيتاً فطوراً كسفاةً وتارةً ككثير
وله : وثقيل سبحانه من ثقیل وتعالى عن كلِّ مثلٍ وند
حمل الله أرضه ثقلها وعلاها بثالث من أد

وأجود ما قيل في تباعد الأشباه من الأقرباء (٢) ما أخبرنا به أبو أحمد عن
الصولي قال سمعت المبرد يقول لم يقل في تباعد الأشباه من الأقرباء أجود من قول
ابن أبي عينة يهجو خالد بن يزيد المهلبى ويمدح أباه في كلمة :

أبوك لنا غيثٌ نعيشُ بفضلِهِ (٣) وأنتَ جرادٌ ليس يبقی ولا يَدَرُ
له أثرٌ في المسكراتِ يسرُّنا وأنتَ تعفى دائماً ذلك الأثر

(١) في ديوان ابن الرومي المخطوط «لعلى خطه» وفي الأصل نقص كلمات إستكملناه

من الديوان . (٢) في نسخة «القرناء» . (٣) في الاغانى (يعاش بوبله) .

لقد قنعت قحطان خزيًا بخالد فهل لك فيه يخرزك الله يا مضر
 فسمع المهدي بيته هذا فقال بل تكرمون وتؤثرون . وله في مثل ذلك يقول
 في قبصة بن روح بن حاتم بفضل عليه ابن عمه داود بن يزيد بن حاتم :
 أقبيصُ لستَ وأن جهدتَ ببالغ^(١) سعيَ ابن عمك في الندى داود^(٢)
 شتانَ بينك يا قبيصُ وبينه إنَّ المذمَّمُ ليس كالحمود
 داودُ محمودٌ وأنتَ مُذَمَّمٌ عجباً لذاك وأتما من عود
 ولربَّ عود قد يشقُّ لمسجد^(٣) نصفاً وسائرُهُ لحشَّ يهود^(٤)
 وقلت في خلاف ذلك :

كم حاجةٌ أزلتها بكريم قومٍ أو لئيم
 فاذا الكريمُ من اللئيمِ أو اللئيمُ من الكريمِ
 سبحانَ ربِّ قادرٍ قدرَ البريةِ من أديم
 فشر يفهم ووضيعهم سيان في شرفٍ ولوم
 قد قلَّ خيرٌ غنيهم فغنيهم مثلُ العديم
 وإذا اختبرتَ حميدهم ألفيته مثلَ الذمِّيم
 لا (نفعَ فيه)^(٥) للصفيِّ من الأمورِ ولا العظيم
 أنظر إلى كبرِ الجسو م ولا تسلَّ رفعَ الجسيم

وقالوا أنصف بيت قيل في الهجاء قول حسان :

هجوت محمداً فأجبت عنه وعند الله في ذاك الجزاءُ
 أتَهجوهُ ولستَ لهُ بكفٍ فشر كما خلير كما الفداءُ

(١) في الأغاني (بمدرِك) . (٢) في الأغاني (ذي العلا داود) .

(٣) سقط من النسخ (لمسجد) فاستدر كناها من الأغاني .

(٤) في النسخ مصحفة ، والتصحيح من الأغاني .

(٥) في النسخ يياض ولعله سقط (نفع فيه) أو (خير فيه) أو ما يقاربها وزناً ومعنى .

يقوله في أبي سفيان بن الحارث ، وفيه يقول أيضاً :
 أبوك أبٌ حرٌّ وأمك حرّةٌ وقد ولد الحرّانِ غيرَ نجيب
 فلا يعجبنيّ الناسُ منكُ ومنهما فما حَبَثْتُ من فضةٍ بعجيب
 وأخبرنا أبو علي بن أبي حفص أخيراً جعفر بن محمد قال أهدى ما قالت العرب قول الشاعر :
 فصبراً على ذلِّ ربيع بن مالك وكلُّ ذليلٍ خير عاداته الصبر
 تحالفكم فقرٌ قديمٌ وذلة وبئسَ الحليفان المذلةُ والفقر

.....

ومن غير هذا الفن ما أخبرنا به أبو أحمد عن أبيه عن عسل قال قال أبو سرح
 سمعني أبو دلف أنشد :

لا يمنعك خفضُ العيشِ في دعةٍ نزوعُ نفسٍ إلى أهلِ وأوطانِ
 نلقى بكلِّ بلادٍ إنْ حلَّتْ بها أهلاً بأهلٍ وجيراناً بحيرانِ
 فقال هذا ألام بيت قاتله العرب . والنزوع ههنا ردىء والجيد النزاع ، وأما
 جعل هذا البيت أبو دلف ألام بيت قاتله العرب لانه يدل على قلة رعاية وشدة
 قساوة ، وحنين الرجل الى وطنه من المناقب التي يعتد بها ويمدح لأجلها لما فيه
 من الدلائل على كرم الطينة ووفور العقل ، وقد قالت الحكماء : حنين الرجل الى
 وطنه من علامات الرشدة . وقال بزرجمهر : من علامات العاقل بره باخوانه
 وحنينه إلى أوطانه ومداراته لأهل زمانه ، وقال أعرابي : لا تشك بلداً فيه قبائلك
 ولا تجف أرضاً فيها قوايلك . وقالت العرب : أكرم الخيل أشدها جزعاً من
 السوط وأكيس الصبيان أشدهم بغضاً للمكتب وأكرم الصفايا أشدها حنيناً إلى
 أوطانها وأكرم المهارة أشدها ملازمة لامهاتها وأكرم الناس آلفهم للناس .
 وقلت : إذا أنا لأشتاق أرضَ عشيرتي فليسَ مكاني في النهي بمكين
 من العقل أن أشتاقَ أوّلَ منزل غنيتُ بخفضٍ في ذراه ولين
 وروض رعاهُ بالأصائلِ ناظري وغصنُ ثناهُ بالغداةِ يميني

وَإِنِّي لَأَنْسِي الْعَهْدَ إِذَا أَتَيْتُ بَنَاتِ النَّوَى دُونَ الْخَلِيطِ وَدَوْنِي
 إِذَا أَنَا لَمْ أُرْعَ الْعَهْدَ عَلَى النَّوَى فَلَسْتُ بِأَمُوفٍ وَلَا بِأَمِينٍ
 وَسَنَدُ كَرَمٍ مِنْ هَذَا الْبَابِ طَرَفًا فِيمَا بَعْدَ أَنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى ^(١) . وَمِمَّا لَا تَسْكَادُ
 تَجِدُ أَجُودَ مِنْهُ فِي مَعْنَاهُ مَا أَخْبَرَنَا بِهِ أَبُو أَحْمَدَ عَنِ الصَّوْلِيِّ قَالَ دَخَلَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ
 عَلَى بَعْضِ الْأُمَرَاءِ بِرَقْعٍ ^(٢) فَجَعَلَ يَنْشُدُهُ وَجَمَلَ الْأَمِيرُ بِعَاتِبٍ جَارِيَةٍ بَيْنَ يَدَيْهِ
 وَلَا يَسْمَعُ مِنْهُ فَخَرَجَ وَهُوَ يَقُولُ :

أَدَبٌ لَعَمْرُكَ فَاسِدٌ مِمَّا تُؤَدِّبُ بِرَقْعَيْدٍ
 مَنْ لَيْسَ يَعْرِفُ مَا يَرِيدُ فَكَيْفَ يَعْرِفُ ^(٣) مَا نَرِيدُ
 مَنْ لَيْسَ يَضْبِطُهُ الْحَدِيدُ فَكَيْفَ يَضْبِطُهُ الْقَصِيدُ ^(٤)
 مَالِي رَأَيْتُكَ مَرْسَلًا أَيْنَ السَّلَاسِلُ وَالْقِيُودُ
 أَغْلَا الْحَدِيدُ بِأَرْضِكُمْ أَمْ لَيْسَ بِصَطْكَ الْحَدِيدُ

وَقُلْتُ فِي الْمَعْنَى الَّذِي تَقْدُمُ :

قُلَّ خَيْرُ ابْنِ قَاسِمٍ فَغَنَاهُ كَعْدَمُهُ
 كَادَ مِنْ خَشْيَةِ الْقُرَى يَخْتَبِي فِي حِرَامِهِ
 جَازَ فِي اللَّؤْمِ حَدَّةُ كَأَيْسِهِ وَعَمِهِ
 كَادَ بِعَدِيكَ لَوْ مُمُهُ لَوْ تَسْمِيَتْ بِاسْمِهِ

وَقُلْتُ : قَرَأْنَا مُبْقُولًا إِذْ أَنْخَنَّا بِيَابِهِ فَأَصْبَحَ فِينَا ظَالِمًا لِلْبَهَائِمِ
 وَقَفْنَا عَلَيْهِ الرَّكْبَ نَسْأَلُهُ الْقُرَى وَنَحْنُ عَلَى أَعْنَاقِ أَغْبَرٍ ^(٥) قَائِمِ

(١) وذلك في « القول في الحنين إلى الأوطان في الجزء الثاني ص ١٨٦ » .

(٢) بليدة في طرف بقعاء الموصل . (٣) في معجم البلدان (يدري) مكان

(يعرف) . (٤) هذه الأبيات الثلاثة هي التي ذكرت في معجم البلدان ،

وأما البيتان الآتيان فلعلهما من أبيات أخرى أوردها ابن خلكان في ترجمة

يوسف البياسي . (٥) في الأصل هنا (أعير) وسيأتي في موضع آخر (أعبر) .

فصامٌ وصوم الليل ليس بجائز وان جازٌ في فقه ^(١) اللثام الاشائم
 أجازَ صيامَ الليل حين استفرَّه تعاوَرُ ضيفٌ في دُجى الليلِ طائم
 فبتنا أديمَ الليلِ نطوي على الطوى كأنا على غبراءَ من ظهرِ واشم
 وأطعمنا لما مرقنا ^(٢) من الدُّجى دحاريجَ لا تنساقُ في حلقِ طاعم
 مُدَوَّرَةً سودَ المتون ^(٣) كأنها خصى الزَّنجَ لاحت تحت فيش قوائم ^(٤)
 فأبشارها تحكى بطونَ عقاربٍ وارؤسها تحكى أنوفَ محاجم
 ومن أعجب الهجاء هجو الرجل نفسه وهو مارويناء للحطيشة ثم قال ديك الجن :

أيها السائلُ غنى لستَ بي أخبرَ منى

أنا إنسانٌ برأى الله في صورةِ جنى

بل أنا الاسمحُ في العيسن فدع عنك التظنى

أنا لا أسلم من نفسى فمن يسلم منى

وهجاء أبو نواس نفسه من حيث لا يعلم فقال في رجل وعده أبو نواس وعداً ثم مطله :

وأخوس ^(٥) ولاجٌ على ورائحٍ رجاءَ نوال لو أعين ^(٦) بجد

زويت ^(٧) له وجهاً فطوباً عن الندى وأياسته من وعده بوعيد ^(٨)

فان كنتَ لا عن سوء فعلك مقلماً فدونك فاستظهر بمنل حديد

فمندی مطلق لا بطير غرابه مطير ولا يدعى له بوليد

ومن خبيث الهجاء قول ابن الرومى :

منى الهجاء ومنك الصبر فاصطبر لشرٍّ منتظر يا شرٍّ منتظر

(١) فى الأصل (نقد) مكان (فقه) الواردة فى سياى .

(٢) فى الأصل (فرقنا) . (٣) يريد الباذنجان . (٤) فى الأصل (قيس) .

(٥) فى ديوان أبى نواس (وأخوس) بالخاء المعجمة ، ولعل ما فى الأصل هو

الأقرب . (٦) فى ديوان أبى نواس (لوبعان) . (٧) فى الديوان (قطبت له) .

(٨) فى الديوان (من نائل بوعيد) .

أنتَ اللّثيمُ فإن تصبر فمن قحة على الهوان وإن تجزع فمن خور
رأيت عيبك شعري حين تالمه شبيهه عضُّ أخيك الكلب للحجر
فانظر إلى الكلب مرمياً لتعلم أن لم تترك شهماً منه ولم تذر
وقال ابن الزمكدم :

وليلٍ كوجهِ البرقعديّ ظلّمة وبرد أغانيه وطول قرونيه
سريت ونومي فيه نومٌ مشرّدٌ كعقل ابن هرون ورقّة دينه^(١)
على أولق فيه اختبالٌ^(٢) كأنه أبوجابر في خطبه وجنونه
ومن أبلغ ما قيل في الجبن من الشعر القديم قول الشاعر :

ولو أنها عصفورةٌ لحسبتها مسومةٌ تدعوا عبيداً وأزماً
أى لورأيت عصفورة لحسبتها من جبنك خيلا مسومة، ومثله قول عروة بن الورد:
وأشجع قد أدر كتهم فوجدتهم يخافون خطف الطير من كل جانب
ومثله قول الآخر :

مازلت تحسب كل شيء بعدهم خيلاً تسكرُ عليهم ورجالا
وقال أبو تمام :

موكل بفضاء الأرض يشرفه من خفة الخوف لا من خفة الطرب
وأبلغ ما قاله محدث في ذلك قول ابن الرومي :

وفارس أجبن من صفره يحول أويغور من صفره
لو صاح في الليل به صائحٌ لكانت الأرض له طفره
يرحمه الرحمن من جبنه فيرزق الجندبه النصره

وقال في سليمان بن عبدالله بن طاهر:

قرنٌ سليمان قد أضرَّ به شوقٌ إلى وجهه سيدنفه
لا يعرف القرن وجهه ويرى قفاه من فرسخ فيعرفه

(١) في معجم البلدان (كعقل سليمان بن فهدودينه) . (٢) في المعجم (فيه الهباب) .

وقال فيه : هو الأسد الورد في قصره . ولكنه ثعلب المعركة
ومن ظريف ما جاء في ذلك قول أبي العمره روى بن محمد من أهل آمل خرج
عليه اللصوص فلم اليهم متاعه وهرب : أنشدناه أبو أحمد عن الانباري :
طلبت تشجني ضلاً بتضليل وللشجاعة خطب غير مجهول
هاتي شجاعاً بغير القتل مصرعه أوجدك ألف جبان غير مقتول
والله لو أن جبريلاً كفّل لي بالانصر ما خاطرت نفسي لجبريل
إسمع أحدهم عن بأسى شكر؟ خلاف بأس المساعيز البهايل
لما بدت منهم نحوى؟ تسرع الذعر في عرضي وفي طولي
حتى اتقيتهم طوعاً بذات يدي وانصعت أطوى الفلاميل إلى ميل
الله خلصني منهم و ؟ حتى تخلصت مخضوب السراويل
وهذا خلاف ما قاله المتنبي :

وإذا لم يكن من الموت بد فمن العجز أن تموت جباناً

وقال سعيد بن العاصي حين هرب مروان بن محمد :
لجّ الفرار بمروان فقلت له عاد الظلوم ظليماً هم الهرب
أني الفرار وترك الحرب إذ كشفت عنك الهوينا فلا دين ولا حسب
فراسه الحلم فرعون العذاب وإن تطلب نداه فكلب دونه كلب
فشبهه بالنعامة في الجبن وهو من أنفر الحيوان . وقال بعض العرب :
نفرجة ينفر من ظل الشجر فؤاده أنثى وضرمه ذكر
والنفرجة الجبان . ومن جيد ما قيل في النضير قول بعضهم :

الكوكب الذنب يخبى بالعجائب بعد سبعة

خلعوا عليه ويجلو ه وصار في عز ومنعه

وكذاك يفعل بالجدو ر لنجرها في يوم جمعه

وقريب : وزارة العباس منكوسة تقطع الدولة من أسها

كَأَنَّهُ حِينَ غَدَا رَا كِبَاً فِي خَلْعَةٍ يَمْجِزُ عَنْ لِبْسِهَا
جَارِيَةُ السَّوِّ إِذَا جَرَبَتْ ثِيَابَ مَوْلَاهَا عَلَى نَفْسِهَا
وَأَكْسَل مَا سَمِعْنَاهُ مَا أَنْشَدْنَاهُ أَبُو أَحْمَدُ عَنْ ابْنِ عَمَادٍ عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ يَحْيَى بْنِ
سَعِيدٍ الْأُمَوِيِّ لِبَعْضِهِمْ :

سَأَلْتُ اللَّهَ أَنْ يَأْتِيَ بِسُلَيْمٍ وَكَانَ اللَّهُ يُفْعَلُ مَا يَشَاءُ
فِي أَخْذِهَا وَيَطْرَحُهَا بِجَنبِي وَيَرْقُدهَا وَقَدْ كَشَفَ الْغَطَاءَ
وَيَأْخُذْنِي وَيَطْرَحُنِي عَلَيْهَا وَيَرْقُدهَا وَقَدْ قَضَى الْقَضَاءَ
وَيُرْسِلُ دِيمَةً سَحَا عَلَيْنَا فَيَغْسِلُنَا وَلَا يَلْقَى عَنَاءَ
أَخْبَرَنَا أَبُو أَحْمَدُ عَنْ أَبِي عَمْرٍو عَنْ ثَعْلَبٍ قَالَ قُلْتُ لِابْنِ الْأَعْرَابِيِّ مِنْ أَحْمَقِ
الْأَعْرَابِ ؟ قَالَ أَعْرَابِي سَبَقَ النَّاسَ إِلَى الْمَوْسَمِ وَجَعَلَ يَدْعُو اللَّهَ لِحَالِهِ وَشَأْنِهِ
وَيَقُولُ : اللَّهُمَّ اقْضِ حَاجَاتِي قَبْلَ أَنْ يَدْهَمَكَ الْوَفْدُ . قَالَ ثَعْلَبُ أَفَلَا أدْلَكَ عَلَى أَحْمَقٍ
مِنْهُ الَّذِي يَقُولُ :

خَلَقَ السَّمَاءَ وَأَرْضَهُ فِي سِتَّةِ وَأَبْوِكَ يَمُدُّ حَوْضَهُ فِي عَامٍ
وَسَأَلَنِي بَعْضُ الْأَدْبَاءِ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ فَقَالَ أَيْ الشُّعْرَاءُ أَشَدَّ حَقًّا ؟ قُلْتُ الَّذِي يَقُولُ :
أَتَيْهِ عَلَى إِنْسِ الْبِلَادِ وَجَنَّبِهَا وَلَوْ لَمْ أَجِدْ خَلْقًا لَتَهْتُ عَلَى نَفْسِي
أَتَيْهِ فَلَا أَدْرِي مِنَ التِّيهِ مَنْ أَنَا سَوَى مَا يَقُولُ النَّاسُ فِيَّ وَفِي جَنْسِي
فَإِنْ صَدَّقُوا أَنِّي مِنَ الْإِنْسِ مِثْلَهُمْ فَمَا فِيَّ عَيْبٌ غَيْرَ أَنِّي مِنَ الْإِنْسِ
فَقَالَ مَا عَدَوْتُ مَا فِي نَفْسِي . وَقَالَ بَعْضُهُمْ لِابْنِهِ إِيَّاكَ وَالْكِبَرُ وَكَيْفَ الْكِبَرُ مَعَ
النَّظَامَةِ الَّتِي مِنْهَا خُلِقْتَ وَالرَّحِمُ الَّتِي فِيهَا حَمَلْتُ وَالْغَدَاءُ الَّذِي بِهِ غَذِيت .
وَمِنْ بَلِيغٍ مَا جَاءَ فِي ذَمِّ الْكِبَرِ قَوْلُ بَعْضِهِمْ : التَّوَاضَعُ مَعَ السَّخَافَةِ وَالْبَخْلُ أَحَدُ
مِنِ السَّخَاءِ وَالْأَدَبُ مَعَ الْكِبَرِ وَالْعَجَبُ . وَقُلْتُ فِي مِثْلِ هَذَا :
وَعِنْدَهُمْ مُذْنِبٌ مُتَنِيبٌ أَحْمَدُ مِنْ مُحْسِنٍ مَدْلٌ
وَأَبْلَغُ مَا قِيلَ فِي صَلَابَةِ الْوَجْهِ قَوْلُ الْأَعْرَابِيِّ : لَوْ دَقَّ بِوَجْهِهِ الْحِجَارَةُ لَرَضَاهَا

ولو خلا بالكعبة لسرقها .

ومن المنظوم قول بعضهم :

لو كنت من شيء خلافاً لم يكن ليكون إلا مشجباً في مشجب
بألت لي من جلد وجهك رقعة فأقد منها حافراً للأشهب
والبيت الأول مأخوذ من قول بعضهم : فلان يشجب من حيث رأيته وجدت (لا) .
وقد أحسن ابن أبي العتاهية في قوله :

قتلت (لا) فانها خلعت خلعاً العدم^(١)

فهى تستملك الجيـل وتأتى على الكرم

وقول أبي تمام :

وسابح هطل التمداء هتاف على الجزاء آمين غير خوان

أظني الفصوص ولم تظماً قوائمه فخل عينيك في ظان ريان

فلو تراه مسيحاً في الحصى ريم تحت السنايك من مثني ووحدان

أيقنت ان لم تثبت أن حافره من صخرة تدمر أو وجه عثمان

وقال في معناه يمدح رجلاً ويهجو عثمان هذا :

عثمان لا تلهج بذكر محمد يرضيك طول المجد عنك وعرضه

بذلك كله امساكه ويفوت بسطك في المسكارم قبضه

وكان عرضك في السهولة وجهه وكان وجهك في الحزونة عرضه

وقال أبو الشعمق :

صلابة الوجه سلاح الفتى ورقة الوجه من الحرفه

من كان صلباً وجهه محكماً فانت منه الدهر في طرفه

ومن أنجل ما قاله محدث قول ابن طباطبا الأصبهاني يخاطب غلامه :

إجعل الزوج من مراجك فردا واقصد يا غلام والقصد أجدى

ان يكنُ فقدك الضياء رديئاً فاقصادي للزر أردى وأزدي
وقد غير هذا البيت في وجوه الأبيات المقولة في البخل .

ومن أملح ما قيل في مخالفة ظاهر الرجل باطنه قول بعضهم :
إذا ما جئتَ أحمدَ مستيحاً فلا يفررك من ظره الأثيقُ
لهُ خلقٌ وليسَ عليه خلقٌ كبارقة تروق ولا تريق
ومن ملح في الدعوة رزين العروضي :

لقد جئت يا ابنَ أبي تبّع بأمِّ الدّواهي لدى المجمع
حلفت بأنك^(١) من حميرٍ وليس اليمين على المدعى
وملح أيضاً في قوله :

ان فخرَ الناسُ بآبائهم أتيتهم بالعجب العاجب
قلت وأرغمت أباً خاملاً أنا ابنَ أخت الحسن الحاجب
ومن أملح ما قيل في إفشاء السر قول بعضهم :

أودعته السرُّ فالفيتهُ أنمَّ من كأسٍ على راح
وقال السري :

ثنى عنك فاستشعرت هجراً خلالٌ فيك لست لها براض
وانك كلما استودعت سرّاً أنمَّ من النسيم على الرّياض
وقد أحسن كعب بن زهير غاية الاحسان في قوله :

ولا تمسك بالعهد الذي عهدتُ إلا كما يمسك الماء الغرايل
وأخذه الخطيئة فقال :

أغر بالاً إذا استودعت سرّاً وكانوا على المتحدّثينا
والكانون : الرجل الثقيل ، قال الشاعر :

ليت الكوانين في زبل معلقة تحت الثريا بجبل ثم ينقطع

(١) في الأصل «حلفت بآبائك» .

وقد مر فيا تقدم بيت الحطيثة .

ومدح ابن الرومي ابن المدبر ^(١) فردمديحه فقال فيه :

رَدَدْتُ عَلَى مَدْحِي بَعْدَ مَظَلٍ وَقَدْ دَنَسْتُ مَلْبَسَهُ الْجَدِيدَا

وَقَلْتُ اَمْدَحُ بِهِ مِنْ شُدَّتْ غَيْرِي وَمَنْ ذَا يَقْبَلُ الْمَدْحَ الرَّدِيدَا

وَلَا سِيَا وَقَدْ أَعْلَقْتُ ^(٢) فِيهِ مَخَازِيكَ الْوَاتِي لَنْ تَبِيدَا

ثم أخنى عليه بالهجاء حتى قال فيه وقد ضربه الريح بالأهواز ضربة في وجهه مدحه بها البحتري مدحاً كثيراً فمن ذلك قوله :

وَوَجْهُهُ ضِمَانُ الْبَشَرِ فِيهِ مَوْقِفٌ عَلَى النَّجْحِ وَالْحَاجَاتُ تُتْرَى عِجَالَهَا

بِهِ مِنْ صَفِيحِ الْهِنْدِ وَشَمُّهُ تَبِينُهُ صَفِيحُهُ وَضَاحُ يَرْوِقِ جِوَالَهَا

مَتَى رِبْدَتُهَا عِزَّةٌ أَوْ حَفِيفَةٌ أُعِيدُ إِلَيْهَا بِالسَّوَالِ صَقَالَهَا

مَتَى تَرَاهَا يَوْمًا عَلَيْهَا دَلِيلُهَا تَعْجَبُكَ مِنْ شَمْسٍ عَلَيْهَا هَلَالُهَا

وذكرها ابن الرومي فأفحش في قوله :

بُوجُهُ أَبِي اسْحَقَ صَدْعٌ كَعَرَضَةٍ لَهُ قِصَّةٌ غَيْرُ الَّذِي هُوَ يَظْهَرُ

يُخْبِرُ عَنْهُ أَنَّهُ أَثَرُ ضَرْبَةٍ بِيَعُضِ سَيْوْفِ الزَّانِجِ حِينَ يُخْبِرُ

وَمَضْرِبَتُهُ الزَّانِجُ فِي الْوَجْهِ بَلْ رَأَى أَبُورَهُمْ فَاَنْشَقَّ فِي وَجْهِهِ حُرٌّ

فِي آيَاتٍ سَخِيفَةٍ فَطَلَبَهُ ابْنُ الْمَدْبَرِ أَشَدَّ الطَّلَبِ فَلَمَّا ظَفَرَ بِهِ وَأَرَادَ قَتْلَهُ أَنْشَأَ يَقُولُ :

حَقَّقَ الصَّفْحُ عَنْ ذُنُوبِي وَحَقَّى أَنَّ قَتْلِي مُحْمَلٌّ لَكَ طَلْقُ

فَاعْفُ عَنْ عَبْدِكَ الْمُسِيءِ وَلَا تَبْطُلْ بِمَا يَسْتَحِقُّ مَا تَسْتَحِقُّ

فمعا عنه وأجازه . وقال يهجو بخيلاً :

نَعْمَاكَ عِنْدِي الَّتِي أَقْرُّ بِهَا أَنْكَ أَصْبَحْتَ لِي مِنَ الْغَيْرِ

وَحَبْلُكَ الذَّمُّ لَا تَقْ بَكَ مَا أَشْبَهَ خَطْمَ الْخَنْزِيرِ بِالْقَدْرِ

أَبْدَيْتَ فِي أَوْلِيَايَ لَوْ مَكَ مَا قَدَرْتَ فِي أَخْرِيَاتِهِ الْآخِرِ

(١) في دائرة المعارف للبستاني (ابن المهدي) . (٢) في الأصل (أعبت) .

كالقطران الذى يرى أبداً فى رأسه ماقتنى من العكر
وهو من قول الناس أول الدن دردى . وقالت العلماء البلاغة أن تجعل المعنى الدنى
رفيعاً والمعنى الرفيع ضيعاً . ومثل قول ابن الرومى قول الديلمى :
فى أوانِ الشبابِ عاجلى الشيبِـبُ وهذا من أوّل الدنّ دردى
وليس هذا بالختار لا بتدال لفظه . وقلت فى بخيل :

قفّع البردُ ضيفَ عمرٍ وفأضحى مثلَ من فيه ياأخى زمانه
بات للبرد فى طهارةٍ سوءٍ ومن الجوع والطوى فى بطانه
وهو قدماً للضيف جوعٌ وقرّةٌ ولمولاهُ ذِلّةٌ ومهانـه
جمع الرأس بين رأسه ورجلى فكأنى فى يتيه أرسانه ؟
وقلت : ضفت عمراً فجاءنى برغيف زادنى أكله على الجوع جوما
ثمّ ولى يقولُ وهو كئيبٌ لهف نفسى على رغيف أضيعا
كان خداعةَ الضيوفِ ولكنْ ربّما أصبحَ الخدوعُ خديعا
كنتُ أنزلته محلاً رفيعاً ففدا ذلك الرفيعُ وضيعا
عجباً منه إذ أتيجَ هجاءُ كيفَ لم يمتنع وكان منيعا
(اتفاق الأسماء والألقاب وتباعدها بينها فى الأخلاق)

قال الأوّل فى ذلك :

يزيد الخير إنَّ يزيد قومى سميكَ لايزيدُ ولايزيد
يقودُ عصاةً وتقودُ أخرى فيرزق من يقودُ ومن تقودُ
شبيهِك فى الولادة والتسمي ولكن لايجودُ كما تجود
ومثله : علىَّ وعبدُ اللهَ بينهما أبٌ وشتانَ ما بين الطباع والفعل
ألم ترَ عبدَ الله يلحى على الندى عليّاً ويلعاهُ علىَّ على البخل
ومثله : فإن يك مجرّانا إلى جمع نسبة فى رأى والأخلاق مختلفان
ومأنت مثلى فى مقام أقومهُ لدى البأس إلا أننا أخوان

آخر: لئن وصلتْ أُوْتُنَا انتساباً لقد قطعتْ مرارتنا العقولُ
 أبوكَ أبى وأنتَ أخى ولـكنْ تباينت الطبائِمُ والشكولُ
 أخبرنا أبو أحمد عن الصولى قال قال لنا المكتفى بالله يوماً ما أهلك بيت
 من الشعر وأفجر قائلُ أتعرفونه؟ فقال يحيى بن على المنجم قول أبى نواس:
 ألا فاسقنى خراً وقلْ لى هى الخبرُ ولا تسقنى سرّاً إذا أمكن الجهرُ
 فقلت له ان المأمون أمر أن يخطب بهذا البيت على منابر خراسان وقال من
 عيوب محمد أنه استجلس رجلاً يقول ألا اسقنى خراً، ولكن الحسين بن الضحاك
 الخليل قد قال ما هو أهلك من هذا قال وما هو؟ فأنشدته:

أتبعْتُ مُسْكراً بسكرٍ وابتعْتُ خـمراً بـقمرٍ

فقال هذا لعمري أهلك من ذاك. قال أبو هلال رحمه الله تعالى: وأبلغ
 الهجاء ما يكون بسبب الصفات المستحسنة التي تخص النفس من الحلم والعلم والعقل
 وما يجرى مجرى ذلك، وليس الهجاء بقبح الوجه وضؤولة الجسم وقصر القامة
 وما في معنى ذلك بليغاً مرضياً، وينبغي أيضاً أن يتضمن الهجاء والمدح من نعوت
 المهجو والمدح وأسمائهما وصفاتهما ما هما مشهوران به فاذا ذكر لم يخفيا.

خبرنا أبو أحمد عن أبي بكر بن دريد عن أبي عثمان^(١) عن التوزي عن أبي عبيدة
 قال مدح مصعب بن عمير الليثي عاصم بن عمرو بن عثمان بن عفان فحرمه فقال^(٢):

سـيروا فقد جن الظلام عليكم
 فبئس امرؤ يرجو القرى عند عاصم
 دفننا إليه وهو كل ربح خاطباً^(٣) فشدَّ على أكبـادنا بالعائم
 ومالَى من ذنبٍ إليه علمتهُ سوى أنى قد جئتهُ غير صائم
 فلولا يدُ الفأروق عندى رميتهُ بقافيةٍ يحدى بها في المواسم

(١) (أبي عثمان) غير موجودة في الأصل فردناها اعتماداً على ماورد في أسانيد
 الكتاب في غير هذا الموضع. (٢) ذكر صاحب الاغانى ثلاثة أبيات منها منسوبة
 للعزيرين باختلاف في بعض الألفاظ. (٣) في الاغانى « كالتييس طاعماً ».

فليتك من جرم بن زبآن أو بنى نعيم أو النوكى أبان بن دارم
أناس إذا ما الضيف حل بدارهم غدا جائعاً غرثان ليس بناءم
فلما بلغ ذلك عاصماً قال ما أكثر من يسمى عاصماً حتى يقول : عاصم بن عمرو بن
عثمان بن عفان فبلغه ذلك فقال :

جنبتها عاصماً من أن تلم به أغنى ابن عمرو بن عثمان بن عفان
إذا أناخت به الضيفان طارقة جاءت بنوه إلى الضيفان ضيفان
فبلغه ذلك فقال : الآن طوقى بها طوق الحمامة لعنه الله تعالى . وقال بعضهم :
أرى ضيفك في الدار وكرُب الموت يغشاه على خبزك مكتوب سيكفيكم الله
وقال بشار^(١) :

وضيف عمرو وعمرو يسهران معاً عمرو لبطنته والضيف للجوع
آخر : نوالك دونه خراط القتاد وخبزك كالثرى في البعاد
ولو أبصرت ضيفاً في المنام حرمت المنام إلى التناد
أرى عمر الرغيف يطول جدّاً لديك كأنه من قوم عاد
وما أهجوك أنك كف شعري ولكنى هجوتك للتكساد
وقال آخر : رأى الصيف مكتوباً فظن لبخله وتصحيفه ضيفاً فقام بوائبه
ورأيت في ألفاظ هذا البيت زيادة فقلت :

قد كان للمال ربا فصار في البخل عبده وصحف الصيف ضيفاً فقام بلطم خده
وقال أبو نواس : * على خبز إسماعيل واقية البخل * أخبرنا أبو أحمد أخبرنا
أحمد بن عماد أخبرنا ابن حدثي محمد بن عمران بن مطر الشامي حدثني خالي الحسن
ابن محمد قال نصب إسماعيل بن أبي سهل في صحن داره فاصطحبنا أربعين يوماً
ومعنا أبو نواس فبلغت نفقته أربعين ألف درهم فقال أبو نواس بعد ذلك فيه :

خبز إسماعيل كالوشى إذا ماشق يرفا

(١) من المولدين ، كان رقيقاً ضريباً ، اتهم بالزندقة فضرب حتى مات .

عجباً من أثر الصنعة فيه كيف يخفى
 إن رفاك هذا ألطف^(١) الأمة كفا
 فإذا ألصق بالنصف من الحروف نصفاً^(٢)
 ألطف الصنعة حتى ماترى مطعن أشفى^(٣)
 مثل ماجاء من التنـور ما غادر حرفا
 وله في الماء أيضاً عملٌ أبدع ظرفا
 مزجه العذب بماء الـبـر كى يزداد ضعفا
 فهو لا يسقيك منه مثل ما يشرب^(٤) صرفا

فلم يسبق أبو نواس إلى هذه المعاني وهي كما تراها غاية . قال وقال فيه أيضا :
 على خبز إسماعيل واقية البخل فقد حلّ في دار الأمان من الأكل
 وما خبزُهُ إلا كهنقاء مغرب تصورُ في بسط الملوك وفي المثل
 يحدث عنها الناس من غير رؤية سوى صورة ما ان تمر ولا تحلى
 وما خبزُهُ إلا كأوى يرى ابنه ولم يراوى في الحزون وفي السهل^(٥)
 وما خبزهُ الا كليب بن وائل ليالى يحمى^(٦) عزه منبت البقل
 وإذا هو لا يستب خصان عنده ولا الصوت مرفوعٌ بجدي ولا هزل
 فان خبزُ إسماعيل حلّ به الذى أصاب كليباً لم يكن ذاك عن ذلّ
 ولكن قضاء ليس يسطاع ردهُ بجلة ذى مكر ولادهى ذى عقل
 وكان الجاحظ يفضل قوله * وإذا هو لا يستب خصان عنده * على قول مهلهل
 * واستب بعدك يا كليب المنزل * وغير ذلك قال ابن الرومي :

- (١) في ديوان أبي نواس « أحذق الامة » . (٢) في الديوان « وإذا قابل
 بالنصف من الجردق نصفاً » والجردق: الرغيف . (٣) في الديوان (مغرزا شفى) .
 والاشفى بالكسر: المثقب . (٤) في النسخ (يشرب) مكان (يسقيك) وبالعكس .
 (٥) في ديوان أبي نواس « في حزون ولا سهل » . (٦) في الديوان « ومن كان يحمى » .

وقينة أبرد من ثلجة تظلُّ منها النفسُ في ضجة
 كأنها من ننتها ثومةً لكنها في اللونِ أترجّه
 تفاوتت خلقتها فاغتدت لكل من عطل محتجّه^(١)
 كأنها والوشم في جلدها زرينخة شبيت بليلنجه
 خرّاجة للفسق دخاله تعجبها الدخلة والخرجه
 كأنما فقمحتها خمسة فت عليها عابث ثلجه

وهي أبيات سخيفة تركت أكثرها لسخفه . ونقل قوله * فهي لمن عطل محتجّه *

إلى موضع آخر فقال في اسماعيل بن بلبل :

لأستيت نعمي تسربلتها كم حجة فيها لزندق
 وقد أبدع أبو نواس في قوله يهجو جعفر بن يحيى :

قالوا امتدحت فإذا اعتضت قلت لهم خرق النعال وإخلاق السراويل^(٢)
 ذاك الأمير الذي طالت علاوته كأنه ناظر في السيف بالطول
 وكان جعفر طويل الوجه واللقا . وقال فيه أيضا * قفا ملك يقضي الهموم على ثقب *

وقلت : سوداء يذرف دمعها مثل الاتون إذا وكف
 وكأنها من قبورها سلح العليل على الخرف

وقال أبو تمام :

فأشهد^(٣) ماجست على إلا وزيد الخيل دونك في الشجاعة
 ووجهك إذ رضيت به ندima فأنت نسيج وحدك في القناعة
 ولو بدلت وجهاً إذا لم أصل به نهراً في جماعه

ومن أعجب ما قيل في كبر الأنف قول كشاجم :

لقد مرَّ عبد الله في السوق راكباً له حاجب من أنفه وهو مطرق
 رعت له من جانب السوق مخرطة توهمت أن السوق منها سيفرق

(١) في الأصل « فهي لمن عطل محتجّه » . (٢) في ديوان أبي نواس

« إبلاء السراويل » . (٣) في ديوان أبي تمام « فأقسم » .

فأقندر به أنفأ وأقندر برُّه على وجهه منه كنيفٌ معلقٌ
وقال غيره: أنت في البيت وعريـسـك في البيت بطوفٌ

ومن أقبح ماجاء في قبح الاسنان قول جرير :

إذا ضحكت شبت أنيابها العلى خفافس سودا في صراة قلب
وأما خص الأنياب العلى دون السفلى لأنها تبدو في التبسّم والتكلم وعند
التثاؤب ، وهو كقول الآخر :

إذا كان يهدى برد أنيابها العلى لا فقرَ منى اننى لفقيرٌ
فشبه أسنانها بالخفافس وسعة فيها بالقلب ، والصراة : الماء الفاسد فشبه به فساد
نكمتها . وأخبرنا أبو أحمد عن أبي بكر عن الرياشي عن ابن سلام قال دخلت ديباجة
المدنيّة على امرأة فقبل لها كيف رأيتها قالت لعنها الله كأن بطنها قرية وكان
نديها دبة وكان استها رقعة وكان وجهها وجه ديك قد نفش عرفه يقا تل ديكاً .

ومن بديع الهجاء بالتبزق والتمخط والبخر قول ابن الرومي :

تحسبُ مزكوماً وان لم تزككم من سدة في أنفك المورّم
محشرج الصدر بر طلى بلغم إن لم تنزع مرّة تنخم
نخامة كالضفدع الموشم دكنا رقطاء بقيق أودم
ممتخطاً بالكوع أو بالمصم تضرط من أنف وتفسوم فم
ذانكهة من لم تمته يصدم حتى دعاك الملاء ارحم ترحم

وقال جحظة^(١) في البخر :

تنفس في وجهي فكدت أموت وأعرض عني جانباً فحييتُ
ونسى ؟ حتى حسبتُ بأنني وربكما يا صاحبي خريتُ
وقال بعضهم في سرعة الكلام :

كأنّ بني را لان إذ جاء جمعهم فراريجُ يلقي بينهم سويقُ

(١) هو أحمد بن جعفر البرمكي ، لقبه عبد الله بن المعتز بجحظة .

وقال دعبل في قصر الشعر :

فـوهـاءُ شـوهـاءُ لها شـعـرةٌ كأنها خـلٌ على مسح

وقال ابن المعتز في أمر دينتف :

وَخـدُهُ مُشـوْكٌ مـزـوَرٌ التـلـوـيـزُ كأنهُ فـرـيـةٌ كـثـيـرةُ الشـوـنـيـزِ
وأنفهُ كـسـتـرةٌ مـشـتـرِـقُ الأـفـرـيـزِ^(١) تحسبه اذابدا سـاجـةُ النـورـوزِ
وقلت : لـعبَ الزَّمانُ بـحـسـنِ وِجـهِ مـحـمـدٍ لعبَ الصبا بالرَّبعِ حـتى أـقـفـرا
قـد كـانَ مـعـرُوفَ الجـالِ فـلـم يـزَلْ يـنـتـابُه^(٢) الحـدـثـانِ حـتى أنـكـرا
عـهـدى بـهِ مـتـكـفـرٌ مـتـعـصـفـرٌ ثم اغتدى متصنـداً مـتـزـعـفـرا
وكانما صـدغاهُ في وِجـنـاتِه جـعـلان يـنـتابان سـلـحاً أـصـفـرا

وقال ابن الرومي في غير هذا المعنى يحكى عن امرأة :

أنا كـعبـةُ النـبـكِ الـتى نـصـبْتُ لـهُ فـتـلقِ مِنى^(٣) حـيـثُ شـئْتُ و كـبـرِ
فـنـيـتُ بـيـنَ مـقـابـلٍ و مـدائـرٍ مـثـلَ الطـرـيـقِ لـمـقـبـلٍ أومـدـيرِ^(٤)
كأجـيرى المـنـشـارِ يـجـتـذـبـانـه مـتـنازـعـيـنِ في فـلـيـجِ صـنـوبـرِ
ولا أعرفه سـبـق الى هـذا المـعنى و هو من أظرف مـعنى وأعـجـبه .

وقال أيضاً وهو من ظريف المعانى :

رأيتُ في دار حـسـيـنِ مـشـرعه و امـرأةٌ قـاعـدةٌ مـرـبـعةٌ
لها بـظـورٌ في اسـتـها مـجـمعه كأنها أترجةٌ مـقـمعه

وقال في خصى أراد أن يتزوج بامرأة :

قـل لـنـجـحَ أـخـطـأتُ بـابَ النـجـاحِ إذ نـعـاطـيـتـه^(٥) بـلا مـفـتـاحِ
لـستُ بـالسـابـحِ المـجـيـدِ فـدع عـنـك رـكـوبَ البـخـارِ لـلـسـابـحِ

(١) في ديوان ابن المعتز المطبوع (تحشى من الافريز) . (٢) في الأصل مبهمـة من

النقط . (٣) في ديوان ابن الرومي (فتلق منها) . (٤) في الديوان (ولمدبر) .

(٥) في ديوان بن الرومي المخطوط (بل تعاطيته) .

فقطع الحب بالخصي كما يقطع - فقد المردى بالملاح
 ليت شعري بما تظنك تصبي قلب ودان يا كسير النجاح
 أبوجه كأنه وجهه قد حائل اللون جامد المصباح
 نمشة فوق صفرة قتره كونيم الذئباب في اللقاح
 إنما أنتم فقاح فمهلاً ماغناء الققاح في الأحرار
 إن من يعشق النساء بلا أبـر كمثل الغازي بغير سلاح
 لن يكون الطعان إلا برمح فدعوا^(١) الطعن للطوال الرماح
 ثم قال: معشراً شبهوا القروود ولكن خالفوها في خفة الأرواح
 وهي طويلة. ومن أعجب ما قيل في البحر قول الخالدي في رجل حلق سبالة بعد أن أطاله:

حلفت سبالك جهلاً بما يوارى من النكرات القباح
 فعذبت صحبك حتى المساء وعذبت عرسك حتى الصباح
 فلا أبعد الله ذاك السبال فقد كان سترًا على مستراح

وقال ابن السكن:

رجل يعلو الكأس كل عشية ويعاقب المسواك كل صباح
 وقلت: قال لي صاحبي وقد صفقته نفحات الكروس من في وصفه
 لعن الله ليلة بت فيها مع رفيقي كأننا في الكنيف
 وقد أبدع ابن الرومي في قوله:

فسا على القوم فقالوا له إن لم تقم من بيننا قمنا
 فقال لا عدت فقالوا له من ينف فيه ذا كما كنا
 وقال أيضاً يذكر قينة:

مسمومة^(٢) الرقيق إذا قبلت صحت التقييل تقيلاً

(١) في ديوان ابن الرومي (فاتر كوا).

(٢) في الاصل «مسخوقة» والتصحيح من ديوان ابن الرومي المخطوط.

قبلها جلود عرارة يحسنُ للبخراءِ تقييلا
 فاحشةُ النقصانِ لكنها قد كملتُ بالبطرِ تكميلا
 أزرى بها اللهُ فلم يعطها إلا بطولِ البطرِ تفضيلا
 إذا بدا الفيلُ وخرطومُهُ قلنا أمارتُ بظرها الفيلا
 غول بيت الشرب من قبها يرون في النوم التهاويلا
 ما أحسن الأرقم طوقاً لها وأحسن الأسود اكليلا
 قد عذّب اللهُ أمراً نالها طورين تعجيلاً وتأجيلا
 لها ضراطٌ ريحه عاصفٌ يطفئ في الليل القناديلا
 حلت سراويل على واسع ما خلته إلا سراويلا
 أحلت تنكيلى ياب استها فكان للتنكيل تنكيلا
 لورامت التوبة لم تستطع لسنة الشيطان تبديلا
 يابسة العود وقد ذلت قطوفها للنيل تذليلا
 وهى طويلة عجيبة ليس لأحد في ملاحظتها وعلو جودتها وكثرة معانيها شيء .

ومما قيل في طول اللحية قول ابن الرومي :

ولحية لو شاء ذو المعارج أغنى بها كواسد النواسج^(١)
 بنسج مسحين لخان الدارج^(٢) وفرّق الباقي على الكواسج

ومن ذلك قول بعضهم وهو مشهور :

ألم تر أنّ الله أعطاك لحيةً كأنك منها قاعدٌ في جوالق
 وقال الآخر : ألم تر أنّ الله أعطاك لحيةً كأنك منها بين تيسين قاعدٌ

وكان العوفي إذا كتب كتاباً أخذ لحيته تحت إبطه وإذا كمله انسان من
 الجانب الآخر التفت إليه فخالصت لحيته من تحت إبطه فمرت على الكتاب

(١) سقط من النسخ « كواسد النواسج » وكذلك في شعر ابن الرومي نقص
 كثير في الأصل استكملناه من الديوان المخطوط . (٢) في الديوان (الديبج) .

فطمست جميع ما كتبه فيقول اللهم غفرا ، فقال فيه بعضهم أوفى غيره :
 لحية قاضي القضاة لوجهته مجهودها لم تكن كمنفقته
 إذا أراد السكرى توسدّها فقد كفته مكان مرفقته
 وقال رقة بن مصقلة لأبي شيبة القاضي : لو كانت لحيتك هذه من الذنوب
 لكانت من الكبائر . وقد قيل من تدلت لحيته فقد تقلص عقله .
 وقلت : قل للمدلّ بلحية موفورة وسما ولحية كلّ الحى جهله
 لا يمجبنك طول نبذك إنّ من طال لحيته تكوسج عقله
 وقد أجاد ابن الرومي وأبلغ وجمع في أبيات من المعاني ما لم يجمعه أحد في
 هذا الباب وهو قوله :

ان تطلّ لحيةً عليك وتعرض	فالحالى معروفةٌ للحمير
علق الله في عذاريك محلا	ة ولكنها بغير شمير
لو غدا حكمها على لطارت	في مهبّ الرياح كلّ مطير
ارع منها موسى فانك منها	شهد الله في أنام كبير
أيمّا كوسج رآها فيلقى	ربّه بعدها صحيح الضمير
هو آخرى بأن يشكّ ويفرى	باتهام الحكيم في التقدير
ما تلقاك كوسج قطّ إلا	جور الله أيمّا تجوير
لحية أهملت فطالت وفاضت	فاليها تشير كف المشير
مارأتها عين امرئ مارأتها	قطّ إلا أهلّ بالتكبير
روعة تستخفه لم يرعها	من رأى وجه منكرونيكبر
فاتق الله ذا الجلال وغير	منكرّا منك ممكن التغيير
أوقفصر منها فحسبك منها	قيد شبر علامة التذكير
لو رآها النبي يوماً لأنّ	في لحي الناس سنة التقصير
واستحبّ ألاحفاء فيهنّ والخلق	مكان الاعفاء والتوفير

أراد قول النبي ﷺ « أَحْفُوا السَّوَارِبَ وَأَعْفُوا عَنِ الْإِجْيِ »^(١).

وقلت : ان أبا عمرو له لحيةٌ بعيدةُ البعض من البعض
مضى الى السوق وعُثْنُونَهُ أَقَامَ فِي الْبَيْتِ فَلَمْ يَمْضِ
وهو إذا ما مرَّ في سكةٍ يَمْلَأُهَا بِالطَّوْلِ وَالْعَرْضِ
يَدُوسُهَا النَّاسُ بِأَقْدَامِهِمْ كَانَهَا أَرْضٌ عَلَى الْأَرْضِ

وأخبرنا أبو أحمد عن أبيه قال قال الجمار كان لبعض أصحابنا في الظاهرة تل
تراب فأتاه غلامه برجل يضرب له اللين وقد حمل في عنقه قالباً وإذا لحيته ملء
القالب فقلت له ليس في قالبك فضل يدخل فيه الطين مع لحيته فقال إني سأخرجها
من القالب قبل ضرب اللين وإنما أردت أن أدفعها فيه قليلاً ، قال فلما رأيت حقه
قلت يحتاج أن يضرب في كل يوم ألف لبنة . قال خريم أنا أقدر على ذلك .
وقال الناجم : لابن شاهين لحيةٌ طويلةٌ شطراً طولها
فهو الدهر كله عائرٌ في فضولها

ولولا القصد لجمع أعيان المعاني والشرط المتقدم لتكرت التشنيع المفوظ من
المنظوم والمنثور على أن العلماء لو تركوا رواية سخييف الشعر لسقطت عنهم فوائد
كثيرة ومحاسن جمة موفورة في مثل شعر الفرزدق وجريز والبعيث والأخطل
 وغيرهم ولو لم يصلح ذكر الفروج بتصريح أسمائها لكان تسمية أهل اللغة
إياها بذلك خطأ وهذا محال^(٢).

ومما قيل في الذمامة وقصر القامة ما ينسب لأبي نواس وهو لغيره^(٣) :

إذا استنَّ في قوهية متبخترا فقل جردٌ يستنُّ في لبنٍ محض

(١) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي وغيرهم بألفاظ مختلفة - كما في
كشف الخفا . (٢) ونسب لـ الكناية محاسن ، وفي معنى الحديث الشريف
ان الله يكره الفحاش البذيء اللسان . (٣) نسبها القالي في الامالي لرجل من
أهل الكوفة : وفيها : إذا راح في قبضية متأزراً فقل جمل يستن في لبن محض

فأقسم لو خرت من استك بيضة^١ لما انكسرت من قرب بعضك من بعض
 وقال غيره: ألا يا بندق الشطرنج في القيمة والقامه
 وقال آخر: يعثر الناس في الطريق من دمامته؟
 وقال آخر: فقام إلى الغلام أسي وغيظاً بقدر لم يزد فيه القيام^٢
 وقال ابن الرومي: أنت تشتم عرسي وأنت في طول أبري
 وقال الناجم: ينقص الأحرار من شأنه وهو أخو القلة والنقص
 كأنه البرغوث لم يخطه في صغر الجثام والقرص
 وقال: وعازب الرأي ضعيف مغرور مكائر في العلم وهو مكشور

في جسم عصفور وحلم عصفور

وقال آخر: كأنهم كلي غم الأضاحي إذا قاموا حسبته^٣م قعودا
 وفي غير هذا المعنى قول الآخر:
 إذا لبس البياض فعدل قطن وأن لبس السواد فعدل فخم
 وقال ابن الرومي في القبح والسواد:
 وجهك يا جعفر من قبحه أولى من العورة بالستر
 كأنما تأوى إليه الدجى إذا هي انقضت عن الفجر
 وقال ابن طباطبا في مجذور:

ذو جُدَرِيٍّ وجهه يحكيه جلد السمكه
 أو جلد أفعى ساخت أو قطعة من شبكه
 أو حلق الدرع اذا أبصرتها مشتبهه
 أ. سفر محجب أو كرش منفركة
 أو منظر أو عرض رقعته منهته
 أو حجر الحما كم من وسخ قد دلكه
 أو كور زنبور اذا فرخ فيه تركه

أو كدر الماء إذا ظهر فيه حبكه
أو سلحة جامدة تنقر فيها الديكة
ييفضه من قبحه كل طريق سلكه

وقد أبدع ابن الرومي :

جَدَرِيٌّ ما شأنها وهي شينٌ كلُّ أثر في ذلك الوجه نقشٌ
بدلت من صفائر وقرون^(١) حمل أنف فيه لفرخين عشٌ

وقلت في غير هذا المعنى :

قد حسن ظاهره وباطنه وأمر مخبره ومنظره
شعره تجدد في عوارضه مثل المسكا الرطب تسفره

وقال ابن طباطبا في أسودين : أخبرنا أبو بكر أحمد أخبرني عبد الله بن أبي
عامر قال كان أبو الحسن العلوي المعروف بابن طباطبا قصد يوماً أبا علي بن رستم
فصادف على بابهِ عثمانين أسودين كالفتح متعممين بعمامتين حراوين فامتحنهما

فوجدتهما من الأدب خالين فدخل مجلس ابن رستم وكتب في درج :

رأيتُ يباب الدَّارِ أسودَينِ دَوَى عمامتينِ حمراً أوَّينِ

كجمرتينِ فوقَ فخمتينِ قد غادرَ الروضَ قرير العينِ

جَدُّ كما عُمانُ ذو النُّورينِ فإلهُ أنسلَ ظلمتينِ

يا قبحَ شينٍ صادرٍ عن زَيْنٍ حدائدُ تطبعُ من لجينِ

ما أتما إلا غراباً بَيْنَ طيرا فقد وقعما

ردا ذوى ا في المصرين المظهرين الحبَّ للشيخينِ

وخليا الشيعةَ للسبطينِ لا تبرما إبرامَ رَبِّ الدينِ

ستمطيانِ في مدى عامينِ صكاً بخفينِ الى حنينِ

وقال أبو تمام يهجو عياشاً بعد ما مات :

(١) في ديوان ابن الرومي المخطوط (عوضت من ذوائب وقرون)

كُرت على اللّؤم ^(١) بما سادَه وساءه كُرتك الخامسة .
 أسهرت عين اللّؤم منذ انطوت عليك أثوابك بالساهرة .
 قد كانت الدنيا شفت لوعتي منك ولكن أذنت بالآخره .
 يا أسد الموت تخلصته من بين لحي أسد القاهره .
 أبارك المكروه من مثله فاقرة فنجت من فاقره .
 وقال فيه : وتصور القبر الذى ضمته ^(٢) حتى ظننا أنه المقبور
 فأتيج لأبى تمام مغلخ الموصلى فهجاء بعد موته فقال :

سقى حمارك بإطائي غادته من المنى وقطمان من الكمر
 حر الحلاق وبرد الشعر اتلفه فجاءه الموت من حر ومن حصر
 وبما قيل فى البرد أيضاً قول بعضهم فى المبرد :

ويوم كنار الشوق فى القلب والحشا على أنه منها أحر وأومد ^(٣)
 ظللت به عند المبرد قائلا فما زلت فى ألفاظه أتبرد
 وفلج أحد الشعراء فسئل عنه رجل فقيل له ما كان سبب فالجه ؟ قال أكل يتين
 من شعره . ومن جيد ما قيل فى برد الغناء قول بعضهم :

كاد من برده يجمد روجى ضرب الله شقه بغنائه
 وقال غيره : غنى لنا نصر قلنا له مصعب جراك على السبع
 وحرّك العود بأطرافه فكان يحتاج الى الصنع
 فقت من مجلسه هارباً أدعو على كفيه بالقطع
 وقال كشاجم : ومغن بارد النفسمة مختلّ الدين
 مارآه أحد فى دار قوم مرتين
 صوته أقطع لذات من صيحة بين

(١) فى ديوان أبى تمام (على البخل) . (٢) فى الديوان (الذى أسكنته) .

(٣) الومد : الحر الشديد مع سكون الريح .

وقلت : قد أسمعنا غناء لا خلاق به
حتى إذا ارتفعت في الصوت لا ارتفعت
وكلمنا انخفضت فيه مرزومة
لا تحد عنه بأبواب مصبغة
وقال ابن الرومي :

وإذا غنت ترى في حلقها
وقال الناجم : وقية شتمها قنوت
مفقودة الكل غير بطن
وقال غيره : كأن أبا الحسين اذا تغنى
يلوك لسانه طوراً وطوراً
وقال المصيصي : وتحسب الندمان في حلقه
ماعجي منه ولكنني
وقلت في عواد : يقول لنا غير ما يضرب
ككيسان يكتب غير الذي
فيكتب غير الذي قاله
فصمتاً إذا شئت اطربنا
ولا ناسي ؟ إذا جئتني
وقلت : تغنى لنا فجعلنا عليه
جعلنا اللطام لهالمة

ومن جيد ما قيل في تغير وجوه الاحداث عند خروج الحي قول البسامي :

قالوا تغير عن ملاحظته
يا زهرة ومحاسناً مسخت
قد كانت الأبصار تجرحه
قلت الزمان يريكم العبرا
ماذا لحاه الشعر لو شعرا
واليوم يجرحها إذا حصرا

وقال سعيد بن حميد :

فَلَا تَحِينَ بَدَتْ بِجَدِّكَ لَحِيَّةً ذَهَبَتْ بِمَلْحَكٍ مَلءَ كَفَّ الْقَابِضِ

وقال ابن طباطبا : يامن يزيل خلقه الرحن عما خلقت

تب وخف الله على كفك مما اجتاحت

هل لك عنده إذا الوحش حشرت

بلحية ان سُئِلَتْ بأى ذنب تنفت

وقلت : حصلت فى سى ذا غلظة كأننى مشطُ ابن منصور

يا لحيّة هتك أستارها بأصبع منه وأظفور

فخذ من سح ؟ تارة وتارة من قشر بلور

فتارة كالسك فى لونه وتارة فى لون كافور

يمجبه المرد فىحكيمهم حكاية زور من الزور

يقول ما أحسن رب الورى إذ غرس الظلمة فى النور

وقلت : من شقوة المرد أن تبدوشواربهم مسودة قبل أن تبدوا عوارضهم

ياويحهم من لحي جدت مناقشهم فيهن أو لعبت فيها مقارضهم

قد أتيت فى هذا الفصل على ما فيه مقنع وبالله التوفيق .

﴿ الفصل الثالث فى الاعتذار ﴾

الاعتذار أيدك الله ذلة ولا بد منه لأن الاصرار على الذنب فيما بينك وبين خالقك هلكة وفيما بينك وبين صديقك فرقة وعند سائر الناس مثلبة وهجنة فعليك به إذا واقعت الذنب وقارفت الجرم ولا تستنكف من خضوعك وتذلل في فرما استشير العز من تحت الذلة واجتنى الشرف من شجرة الندلة ورب محبوب فى مكروه * والمجد شهد يجتنى من حنظل * ومما خص به الاعتذار ان الحق لا يثبت لباطله والحقيقة لا تقوم مع تخيله وتمويهه وان رده لا يسمع مع الكذب اللائح فى

صفحاته ، وقالوا المعاذير مكاذب ، ويقولون مع ذلك لا عذر في رد الاعتذار والمعتذر من الذنب كمن لا ذنب له . وهذه خصلة لا يشركه فيها غيره ، ولم يرو عن أحد قبل النابغة الذي أتى في الاعتذار شعريه أجود منه ، ومما نرويه له فيه قوله حين سعى به المنخل اليشكري إلى النعمان وزعم أنه غشى المتجردة حظية النعمان وذلك حين وصفها النابغة فقال :

وإذا لمستَ لمستَ أختم^(١) جاثماً متحيزاً^(٢) بمكانه ملءَ اليد
وإذا طعنتَ طعنتَ في مستهدفٍ رابى المجسَّةَ بالعبيرِ مقرمد
وإذا نزعْتَ نزعْتَ عن مستحصفٍ نزعَ الحزَّورَ بالرشاءِ المحصد

فقال المنخل للنعمان هذا وصف من ذاقها . فوقر في نفس النعمان ثم وفد عليه رهط من بنى سعد بن زيد مناة من بنى قريع فأبلغوه أن النابغة ما زال يذكرها ويصف منها فأجمع النعمان على الإيقاع بالنابغة فعرفه ذلك عصام حاجب النعمان وهو الذي قيل فيه * نفس عصام سودت عصاما * فصار يتمثل به فيقال عصامي وليس بعظامي إذا كان يكسب المآثر لنفسه ولا يتكل على مآثر الأموات من أسلافه ، ويقولون كمن عصامياً لأعظامياً . فانطلق النابغة إلى آل غسان وكانوا قتلوا المنذر ولد النعمان فزادهم لحاق النابغة بهم حشمة ثم اتصلت به كثرة مدائح النابغة لهم فحسدهم عليه فأمنه وراسله في المصير إليه فصار إليه وجعل يمتذر مما عرف به ومن مدحه لآل غسان في قوله :

حلفتُ فلم أتركْ لنفسك ربيَّةً وليس وراءَ الله للمرءَ مذهبُ
لئن كنتَ قد بُلغتَ عنى خيَّانةً لمبلفُك الواشى أغشُ وأكذبُ
ولستَ بمستبقٍ أخاً لآلهةٍ على شعثٍ أيُّ الرجالِ المهذبُ
وقد ذكرنا هذا في أول الكتاب ، وقوله :

وعيدُ أبي قابوسَ في غيرِ كُنْهه أتاني ودوني راكسٌ فالضواجع^(٣)

(١) في الاصل «أجتم» . (٢) في الاصل (متحيزاً) .

(٣) راكس : واد ، والضواجع : موضع .

فبتُ كَأَنِّي ساورتني ضئيلةٌ من الرُّقش في أنيابها السَّمُّ نافعٌ
أَتَانِي أَيْتَ اللَّعْنِ أَنْكَ لَمَتْنِي وتلك التي تستك منها المسماعُ
إلى أن قال :

فان كنت لاذوا الضغن عني مكذبٌ ولا حِلْفِي على البراءة نافعٌ
ولا أنا مأْمُونٌ بشيءٍ أقولهُ وأنت بأمرٍ لا محالةٍ واقعٌ
فأنك كالليل الذي هو مدركي وان خِلْتُ أن المتأني عنك واسع
وقال : أنبتُ أن أبا قابوس أو عدِي ولا قرار^(١) على زأرٍ من الأسد
مهلاً فداءً لك الأتقوام كلهم وما أئمرُ من مالٍ ومن ولد
لا تقذفنني بركنٍ لا كفاءَ له وان تأثَّعَكَ الأعداء بالرفد^(٢)
ما قلت من سيءٍ مما أتيت به إذاً فلا رفعتُ سوطي إلى يدي
ها إن ذى عذرةٍ إلّا تكن نفعتُ فأن صاحبها قد تاه في البلد^(٣)

فخلع عليه النعمان خلع الرضا وكن حبرات خضرا مطرفة بالجواهر، وقد ذكرنا
الحديث بطوله فيما تقدم . وما سلك أحد طريقته هذه فأحسن فيها كاحسان
البحترى : أخبرنا أبو أحمد أخبرنا الصولي سمعت عبد الله بن المعتز يقول :
لوم يكن للبحترى إلا قصيدته السينية في وصف إيوان كسرى فليس للعرب مثلاً
وقصيدته في صفة البركة * ميلوا إلى الدار من ليلى نحيبها * واعتذاراته في قصائده
إلى الفتح التي ليس للعرب بعد اعتذارات النابغة مثلاً ، وقصيدته في دينار التي
وصف فيها ما لم يصفه أحد قبله وهي التي أولها * ألم تر تغليس الربيع المبكر *
وصفة حرب المراكب في البحر لكان أشعر الناس في زمانه فكيف وقد انضاف
إلى هذا صفاء مدحه ورقة تشبيهه في قصائده . فن اعتذاراته قوله في قصيدته التي
أولها * لوت بالسلام بنانا خضيبا * فقال فيها :

(١) في ديوان النابغة (ولامقام) . (٢) أي احتوشوك فصاروا حولك كالأنافى ،
والرفد جمع رفدة وهي العصبة (٣) في ديوان النابغة (فان صاحبها مشارك النسكد) .

فدَيْنَاكَ مِنْ أَيْ خُطْبِ عَرَا
وَإِنْ كَانَ رَأْيُكَ قَدْ حَالَ فِيَّ
يُرِيدُنِي الشَّيْءُ تَأْتِي بِهِ
وَأَكْرَهُ أَنْ أَتِمَادِيَ عَلَى
أَكْذَابِ نَفْسِي بَأَنْ قَدْ جَنَيْتَ^(٢)
وَلَوْ لَمْ تَكُنْ سَاخِطًا لَمْ أَكُنْ
أَيَصْبَحُ وَرَدَى فِي سَاحَتِكَ
وَمَا كَانَ سَخَطُكَ إِلَّا الْفِرَاقُ
وَلَوْ كُنْتُ أَعْرِفُ ذَنْبًا لَمَّا
سَاصَبْتُ حَتَّى أَلَا فِي رِضَاكَ
أُرَاقِبُ رَأْيَكَ حَتَّى يَصِحَّ
وَقَوْلُهُ : عَذِيرِي مِنَ الْإِيَّامِ رَنْقَنَ مَشْرِبِي
وَكَسَبْنِي سَخَطَ امْرِئٍ بَتُّ مُوَهَّنًا
تَبْلُجُ عَنْ بَعْضِ الرِّضَا وَانْطَوَى عَلَى
إِذَا قُلْتُ يَوْمًا قَدْ تَجَاوَزَ حَدِّهَا
وَأَصِيدُ إِنْ نَازَعْتَهُ الْطَرَفُ^(٣) رَدَّهُ
ثَنَاءَ الْعَدَى عَنِّي فَأَصْبَحَ مَعْرُضًا
وَقَدْ كَانَ سَهْلًا وَاضِحًا فَتَوَعَّرْتُ
أَمْتَحِذُهُ عِنْدِي الْإِسَاءَةَ مُحْسِنًا
وَمَكْتَسِبًا فِي الْمَلَامَةِ مَاجِدًا
يَخُوفُنِي مِنْ سُوءِ رَأْيِكَ مَعِشَرًا

وَنَائِبَةً أَوْشَكَتْ أَنْ تَنْوَبَا
فَلَقَيْتَنِي^(١) بَعْدَ بَشَرٍ قَطُوبَا
وَأَكْبَرُ قَدْرُكَ أَنْ أَسْتَرِيحَا
سَبِيلَ اغْتِرَارٍ فَالْتَقَى شَعُوبَا
وَمَا كُنْتُ أَعْهَدُ ظَنِّي كَذُوبَا
أَذْمُ الزَّمَانَ وَأَشْكُو الْخَطُوبَا
طَرَقًا وَمَرْعَاً مُحَلًّا جَدِيدَا
أَفَاضَ الدُّمُوعَ وَأَشْجَى الْقُلُوبَا
تَخَالَجَنِي الشُّكُّ فِي أَنْ أَتُوبَا
إِمَّا بَعِيدًا وَإِمَّا قَرِيبَا
وَأَنْظُرُ عَطْفُكَ حَتَّى يَشُوبَا
وَلَقَيْتَنِي نَحْسًا مِنَ الطَّيْرِ أَشْمَا
أَرَى سَخَطَهُ لَيْلًا مَعَ اللَّيْلِ مُظْلَمًا
بَقِيَّةَ عَتَبٍ شَارَفَتْ أَنْ تَصْرَمَا
تَلَبَّثَ فِي أَعْقَابِهَا وَتَلَوَّمَا
كَلِيلًا وَإِنْ رَاجَعْتَهُ الْقَوْلَ جَمْعِمَا
وَأَوْهَمَهُ الْوَاشُونَ حَتَّى تَوْهَمَا
رُبَاهُ وَطَلَقًا ضَاحِكًا فَتَجَمَّعِمَا
وَمَنْتَقِمٌ مِنِّي أَمْرٌ كَانَ مِنْعِمَا
يَرَى الْحَمْدَ غَنَمًا وَالْمَلَاةَ مَغْرَمَا
وَلَا خَوْفَ إِلَّا أَنْ تَجُورَ وَتَظْلَمَا

(١) فِي الْأَصْلِ (فَأُولَيْتَنِي) (٢) فِي دِيْوَانِ الْبَحْتَرِيِّ (أَكْذَبَ ظَنِّي بَأَنْ قَدْ سَخَطْتَ) .

(٣) فِي دِيْوَانِ الْبَحْتَرِيِّ (نَازَعْتَهُ اللَّحْظُ) .

أعينك أن أخشاك من غير حادث تبين أو جرم اليك تقدما
أست الموالى فيك نظم^(١) قصائد هي الأنجم اقتادت مع الليل أنجما
أعد نظراً فيما تسخط هل ترى مقالاً دينياً أو فعلاً مذمماً
رأيت العراق ناكرتنى وأقسمت على صروف الدهر أن أتشأما
وكان رجائي أن أووب مملكا فصار رجائي أن أووب مسلماً
حياء فلم يذهب بي الغي مذهباً بعيداً ولم أركب من الأمر معظماً
ولم أعرف الذنب الذى سؤتى له فأقتل نفسى حسرة وتندماً
ولو كان ما خبرته أو ظننته لا كان غرواً أن ألوم وتكرماً
أذكر العهد الذى ليس سؤدداً تناسيه والود الصريح المسلماً
وما حمل الركب ان شرقاً ومغرباً وأنجد في أعلى البلاد وأنهما
أقر بما لم أجنه متصلاً اليك على أنى أخالك ألوما
لى الذنب معروفاً وان كنت جاهلاً به فلك العتي على وأنما
ومثلك من أبدي الفعال أعادة وان صنع المعروف زاد وتما
ونحن نقول ان لكل شيء ثمناً وثماناً وخضوع المعتذر قبوله . وكتبت: وسيلتى
اليك الثقة بكرم أخلاقك وشرف أعراقك وقد طلبت المسامحة منك بك وجعلت
كرمك أقوى أسبابي اليك وقد خفضت لك جناح الذل في التنصل مما فرط
فتفضل على بالقبول لئلا يلحقني هجتان هجئة تذلى لك وأخرى ردك لى . وقد
قيل: ارض لطالب الخضوع ذنباً مذلة الاعتذار . وفي هذا المعنى ما كتب بعضهم:
لما تعذر على العذر جعلت معولى على فضلك أبلغ عذراً قدمه وأقوى سبباً أو كده .
وأخبرنا أبو أحمد عن أبي روق عن السكرى عن ابراهيم الندى قال قلت لرجل:
ما حملك على بذلك وجهك في حوائج الناس؟ قال انى لم أسمع شيئاً أحسن من بناء
حسن على رجل أحسن ومن شكر حر وشفاعة شفيع لطالب شاكر ولا أنى لا أبلغ

المجهود ولا أسأل من لا يجود وليس صدق العذر عندى بدون أنجاز الوعد ولا
اكداء السائل بأغلاظ من الاجحاف ، بالمسؤول ولا أرى السر أغبالى بالمسألة بحسن
ظنه بى أوجب حقاً على من المرغوب اليه الذى يتحمله من لدى والعرب تقول ان
مع الهيثية الخبيثة والفرصة خلسة فثب عند صدور الأمور ولا تتبع اعجازها . وقال
ابن المعتز العذر مع التعذر واجب . ومن أعجب الاعتذار فى التقاضى قول بعضهم :

هَزَزْتُكَ لِأَنِّي ظَنَنْتُكَ نَاسِيًا لَوْ عَدَّ وَلَا أَنِّي أَرَدْتُ التَّقَاضِيَا

ولكن رأيتُ السيفَ في حالِ سَلِهِ إلى الهزِّ محتاجاً وإن كان ماضياً

ومن مليح ما يجرى فى هذا الباب ما أخبرنا به أبو أحمد عن ابن دريد عن أبى
حاتم عن العتيبي عن أبيه عن شيخ من قریش قال قال رجل لسليمان بن عبد الملك :
ان القدرة تمنع الحفيظة وأنت تجل عن العقوبة وان تعف فأهل ذلك أنت وان تعاقب
فأهل ذلك أنا ، فمعا عنه ، فأخذه بعض المحدثين فقال :

فَإِنْ حَاقَبْتَنِي فَبِسْوَءٍ فَعَلِي وَمَا ظَلَمْتُ عَقُوبَةً مُسْتَفِيدٍ

وَأَنْ تَغْفِرَ فَأَحْسَنُ جَدِيدٍ دَعَوْتَ بِهِ إِلَى شُكْرِ جَدِيدٍ

تم الباب والحمد لله وحده .

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم عونك . جمع الله شملك ووصل حبلك ومتعك بأحبتك وأعطاك مأمولك
فى نفسك وأعزتك وأعذك من قطيعة أحبابك وجنبك تجنب أودائك ولا جعل
للهمجر عليك سبيلا ولا للفراق عليك دليلاً لينعم باللذة جسمك ويعمر بالسرور قلبك
فتعيش فى ضمان الفرح ويؤوء حاسدك بأعباء الترح انه حميد مجيد فعال لما يريد .
العشق أدام الله توفيقك من شرائف أخلاق الفتيان وكرائم سجايا الشبان

يطلق لسان العبيّ ويفتق حيلة البليد ويبعث على السخاء بما تسمح به نفس الكريم
وينحردون بذله اللئيم ويدعو الى استعمال الفتوة و اظهار المروءة في تنظيف اللباس
وتحسين الرياش ويجدد حب المساعدة والائتلاف وكراهة التباين والاختلاف
إلى غير ذلك من محمود الحال وممدوح الخصال وإذا رزقت منه نصيباً جزلاً فوفه
حقه واسلك به طريقه وتأمل ما أهديت اليك فيه فانه يعينك عليه ويحسن أسبابه لك
ويكبت لأمنك فيه ويكون جلاء لناظرِك وشجداً لناظرِك إن شاء الله سبحانه وتعالى .

﴿ هذا كتاب المبالغة ﴾

(في التشبّه وأوصاف الحسان وما يجري مع ذلك وهو)

﴿ الباب الرابع من كتاب ديوان المعاني ﴾

قالوا أرق بيت قالته العرب قول امرئ القيس :

وما ذرّفت عيناك إلا لتضربي بسهميك في أعشار قلب مقتل
يقول ما بكيت إلا لتجرحي قلباً معشراً أي مكسراً ، يقال برمة أعشار اذا
كانت مشعوبة ، يريد أن قلبه عليل وأنت تزيدينه علة بسهميك يعني عينيها ، والمقتل
الذل . ومثله قول الشاعر :

رمتك ابنة البكري عن فرع ضالة وهنّ بنا خوص يخلنّ نعامنا
ولم نسمع للاعشار بواحد . وأخبرنا أبو أحمد قال حكى لي عن ابن سلام
أنه قال أنسب بيت قالته العرب :

ولما التقى الحيّان ألقى العصا ومات الهوى لما أصيبت مقاتله
وقالوا أنسب بيت قالته العرب قول الآخر :

إذا قلت إني مُشتفٍ بلقائها فخم التلاقي بيننا زادنا سقما

وأبلغ من هذا قول أبي نواس :
 ما يرجع الطرف عنها حين أبصرها حتى يعود إليها القلب مُشتاقا
 وقد أحسن ابن الرومي ولا أعرف في معناه أبلغ منه :
 أعانقها والنفس بعد مشوقة إليها وهل بعد العناق تداني
 وألثم فاها كي تموت حزازي فيشتد ما ألقى من الهيجان
 وما كان مقدار الذي بي من الجوى ليشفيه ما ترشف الشفتان
 فان فؤادي ليس يشفي ريسه سوى أن ترى الروحان تمتزجان
 ومن البليغ في الاشتياق ما أنشدنا أبو أحمد عن الصولي عن الحسين بن اسماعيل :
 هبت شمالاً فقال من بلد أنت به طاب ذلك البلد
 وقبّل الريح من صبابته ما قبّل الريح قبله أحد
 وأبلغ ما قيل في شدة الحب قول بعضهم وقد قيل له ما بلغ من حبك فلانة ؟
 قال اني أرى الشمس على حيطانها أحسن منها على حيطان جيرانها . وقال نصر بن
 الحجاج لامرأة أحبك حباً لو كان فوقك لا ظلك أو كان تحتك لا قلك ، أخذه بشار فقال :
 إني لا أكرم في الحشى حباً لها لو كان أصبح فوقها لا ظلها
 ويبيت بين جوانحي وجد بها لو بات تحت فراشها لا قلكها
 وقلت : أحبك يا شبيهة الشمس حباً تفرد بالتمام فلا تمام
 فلو ألقىته ما بين ماء ونار كان بينهما التمام
 وقال ابن الرومي في اجتماع الأهواء على محبوبه :
 سالة نور ليس يدركها^(١) اللمس إذا ما بدا أغضى له البدر والشمس
 به^(٢) أمست الأهواء يجمعها هوى كأن نفوس الناس في حبه نفس
 وقال بشار :

(١) في ديوان ابن الرومي المخطوط (يدركه) . (٢) (به) سقطت من الأصل فاستدركناها من الديوان ، وفي الأبيات تصحيف صححناه منه .

ولستُ بناسٍ من يكونُ كلامُهُ بأذنى وانْ غُيبتُ قرطاً معلقا

ومن ظريف التشبُّب أيضاً قول ابن المعتز :

كذبتَ يا من لحاني في مودِّته ما صورة البدر الا دون صورته

ياربَّ ان لم يكن في وصله طمع ولم يكن فرج من طول جفونه

فاشف السقام الذي في لحظ مقلته واستر ملاحه خدَّيه بلحيته

ومن الظريف قول كشاجم :

كانَّ الشفاء اللبس منها خواتم من التبر مخنوم بهنَّ على الدرِّ

ولأعرف في وصف الفم أحسن من هذا .

وأحسن ما قيل في حث الشوق من قديم الشعر قول عمرو بن شاس الأسدي :

إذا نحن أدلجنا وأنت امامنا كفى لمطايانا بذكرك حاديا ^(١)

أليس يزبن ^(٢) العيس خفة أذرع وان كنَّ حسرى ان تكون اماميا

وآتم من ذلك شرحاً قول الآخر :

إذا عقلت خبت وإن هي خلت لترتفع لم ترتفع بأذنى المراتع

كانَّ لديها سائقاً يستحثها كفى سائقاً بالشوق بين الأضالع

ومن جيد ما قيل في ازدياد الشوق على القرب قول الآخر :

صَبَّ يَحْتُ مطاياهُ بذكركم وليس ينساكم ان حلَّ أوسارا

برجو النجاة من البلوى بقر بكم والقلب يلهب في أحشائه نارا

ومن ظرف الاعرابي قوله أنشد المبرد :

وعود قليل الذنب عاودت ضربه إذا عاد قلبي في معاهدها ذكر

وقلت له ولقاء ويحك سببت لك الضرب فاصبر إن عادتك الصبر

ونحوه قول الآخر :

قد قطع الأحرار أغناق الابل فهي تسير سيرة مشتاق عجل

(١) في الأغاني « بوجهك هاديا » . (٢) في الاصل « يزبن » وفي الأغاني (يزيد) .

وقول الآخر وقد ألغز:

إنَّ لها لسائقاً خـدجاً لم يُدَلِّج الليـلَةَ فيمن أدجـا
وفي خلاف ذلك يقول العباس بن الأحنف:

أيام يقتلُ شوقها زيارتي كلنا يقتل برده عطش الصدى
فأما أجود ما قيل في التذكُّر على البعد فقول بعضهم:

اذكر أخانا تولى اللهُ صحبتهُ أنى وإن كنتُ لالقاءه ألقاه
اللهُ يعلم أنى لستُ أذكره وكيف يذكره من ليس ينساه
وقلت: ذكرتهم والنوى بيني وبينهم ذكرى الشباب الذى قد كان عاصانى
بل كيف أذكر عهداً لست ناسيه هل يعرض الذكر إلا بعد نسيان
ونحوه يقول البصرى:

غضبان ينسانى وأذكره وينام عن ليلى وأسهره
وبجوده ماضٍ مورقه حظى وحظَّ سواى مشعره
وكفى الهوى لو كان مكتفياً مارحت أضمره وأظهره
لم يقتسم فى العاشقين أسى إلا وحظى منه أوفره
فأصيح فى نفس أصعده وأعوم فى دمع أجده

ومن مליح ذلك قول بشار:

ولستُ بناس من يكون كلامه بأذنى وإن غبت قرطاً معلقاً

أجود ما قيل فى إخفاء الحركة عند زيارة المعشوق من الشعر القديم قول امرئ القيس:

سموت إليها بدماء نام أهيا سمو حباب الماء حالاً على حال

وأحسن من هذا وأظرف قول وضاح اليمنى^(١):

واسقط علينا كسقوط الندى ليللة لانا ولا زاجر

(١) غلب عليه هذا اللقب لبهائه ، واسمه عبد الرحمن بن اسماعيل ، شاعر عجيب

فى تشبيهه ، قتله الوليد بن عبد الملك لتشبيهه بزوجته .

وهذا أبلغ أيضاً لأن سقوط الندى أخفى من سمو حباب الماء لأن لسو حباب الماء صوتاً خفياً ليس ذلك لسقوط الندى وهو من آيات ظريفة أولها :

قالتُ ألا لا تلجن دارنا إن أبانا رجلٌ غائرٌ
أما رأيتَ البابَ من دوننا قلتُ فاني وائبٌ ظافرٌ
قالتُ فانَّ القصرَ من دوننا قلتُ فاني فوقهُ ظاهرٌ
قالتُ فانَّ الليثَ عاد به قلتُ فسيني مُرهفٌ باترٌ
قالتُ فهذا البحرُ ما بيننا قلتُ فاني سابحٌ ماهرٌ
قالتُ أليسَ اللهُ من فوقنا قلتُ بلى وهو لنا غافرٌ
قالتُ فأما كنتَ أعيتنا فأت إذا ما هجمَ السامرُ
واسقط علينا كسقوط الندى ليلةً لانهٍ ولا زاجرُ

ومن مליح ماجاء في هذا المعنى قول المؤمل :

وطارقات طرقتني رسلاً والليل كالطيلسانِ مُعتكِرُ
فقلنَ جئنا إليك عن ثقةٍ من عند ضوءٍ كأنها قمرُ
هل لك في غادةٍ مُنعميةٍ يحار فيها من حسنِها النظرُ
في الجيد منها طولٌ إذا التفتت وفي خطاها إذا مشت قصرُ
فقممتُ أسعى الى مُحجَّبةٍ تضيء منها البيوتُ والحجرُ
فقلتُ لما بدا تخفها جودى ولا يمنعك الخفرُ
قالتُ توقَّرْ ودع مقالِكَ ذا أنت امرؤٌ بالقبيحِ مشتهرُ
والله لا نلتَ ما تطالب أو ينبت في بطن راحتي شَعَرُ
لا أنت لى قيمٌ فتخبرني ولا أميرٌ على مؤتمرُ
قلتُ ولكنَّ ضيفٌ أذاك به تحتَ الظلامِ القضاءُ والقدرُ
فاحتسبي الأجرَ في إلهٍ فاحتسبي الأجرَ في إلهٍ
قالتُ فقد جئتَ تبغى عملاً تكادُ منه السماءُ تنفطرُ

فقلت لما رأيته حرجت وغشيتها الهموم والفكر
 لا عاقب الله في الصبا أبداً أنثي ولكن يعاقب الذَّكر
 قالت لقد جئنا بمتدع وقد أتتنا بغيره النذر
 قد بين الله في الكتاب فلا وازرة غير وزرها تزر
 قلت دعى سورة لهجت بها لا نحرمن لذاتنا السور
 وجهك وجهه تمت محاسنه لا وأنى لا يمشه سقر

ومثل هذا أصعب ما يرام من الشعر ولا يكاد يوجد في هذا المعنى أحسن من
 هاتين المقطوعتين . ومن أحسن ما عذر به المعشوق في سوء فعله قول كشاجم:

تستدفع الأعين عن حسنهما بعوذة من سوء^(١) أفعالها
 وهي من آيات قليلة النظير :

هل حاكم يعدى على ظبية ظالمة في كل أفعالها^(٢)
 دائمة الأعراض عني فما يخطر لي ذكره على بالها
 صغيرة عظمها حُبُّها عندي وأغراني باجلالها
 تستدفع الأعين عن حسنهما بعوذة من سوء أفعالها
 لم أطعم العذال فيها وقد أصفى إلى أقوال عذالها
 تمضى بليل فاذا أقبلت أقبلت الشمس بأقبالها
 قلت وقد أبصرتها حاسراً عن ساقها فاضل سربالها
 لو لم يكن من برد ساقها لاحترفت من نار خلخالها

وأحسن في هذا المعنى ولا أظنه سبق إليه .

وقد أحسن ابن الرومي في ذكر الخلخال والساق أيضاً وهو قوله :

وإذا لبس خلخالاً كذب أسماء الخلاخل

يقول لا تخلخل الخلاخل في سوقهن أى لا تتحرك فقد كذبه أسماءها ، وذلك أن

(١) في ديوان كشاجم (من قبج) . (٢) في الديوان (جائرة في كل أحوالها) .

اشتقاقها من التخلخل وهو التحرك . وفي نحو ما تقدم قول كشاجم :

وكانَّ الشمسَ نيط بها قمرٌ يمناهُ والقدرُ
صدَّ إذ مازحتهُ غضباً ما على الأحياء إذ مزحوا
وهو لا يدري لنخوته أننا في النوم نصطلح
ثمَّ لا أنسى مقاتته « أطفيلٌ » ويقترح

ومن أفراد المعاني قول الشاعر :

وإني لأغضى الطرفَ عنها تستراً ولي نظراً لولا الحياءُ شديدُ
وسها قالتُ لقد نلت ودَّه وما ضرَّني بخلٌ فكيف أجودُ
وقالوا أنسب بيت قاتله العرب قول الآخر :

سبقني لها في مُضمرِ القلبِ والحشا سريرةٌ ودَّ يومَ تبلى السرائرُ
ومن أجود ما قيل في حسن الحبيب في عين المحبوب قول عمر بن أبي ربيعة :
خرَّجتُ غداةَ النحرِ أعترض الدُّمى فلم أرَ أحلى منك في العينِ والقلبِ
فوالله ما أدري أحسنًا رزقه أم الحبُّ يعنى مثل ما قيل في الحبِّ
وهو من قول النبي ﷺ « حُبُّكَ الشَّيْءَ يَعْنِي وَيَصْمُ (١) » وأنشدني أبو
أحمد عن الصولي عن أحمد بن سعيد الشامي عن الزبير بن بكار لعمر بن أبي ربيعة :

زعموها سألتُ جاريتها وتعرَّتْ يومَ حرٍّ تبتدرُ
أكلما ينعتني تبصرنني عمر كنَّ الله أم لا يقتصد
فتضاحكنَ وقد قلنَ لها حسنٌ في كلِّ عينٍ من تودَّ
حسدًا حملتهُ من أجاها وقديماً كان في الناسِ الحسدُ

وأنشدنا عنه قال أنشدنا اسحق لرجل :

حلفت بصحراء الخجون وناقني لها بين قاعِ الأخشين حنينُ
غموساً لقد فضلت في الحسدِ بطة على الناسِ أوبى من هواك جنون

(١) رواه أبو داود والامام أحمد وغيرهما .

وأنكر بعض المحدثين أن يكون استحسانه لحبيبه لا فراط حبه أو لجنونه له فيه
فقال وأحسن :

حسنٌ لله في عيني وفي كلِّ العيون
قينةٌ بيضاء سوداء القرون
لم يصبها سقمٌ قطُّ سوى سقمِ العيون
لم أصفها بجمال لهوى أم لجنون
بل لحسنٍ وجمال قول حقٍّ ويقين

وقد أبدع الآخر في قوله في المعنى الأول :

يا مَنْ يلوِّمُ عليه أنظر بعيني إليه
فلست تبرح حتى تصيرَ ملكَ يديه

وقد جمع القائل جمعاً حسناً في قوله * وفي أربع منى حكّت منك أربع *
أجود ما قيل في صفة النساء من الشعر القديم ما أخبرنا به أبو أحمد قال قال
ابن سلام أحسن ما قيل في صفة النساء :

كَأَنَّ بَيْضَ نَعَامٍ فِي مَلَا حِفْهَا إِذَا اجْتَلَاهُنَّ قَيْظَ لَيْلِهِ وَمَدَّ

وتشبيه النساء ببيض النعام تشبيه قديم وهو كثير مشتهر .

قالوا أحسن ما قيل في اوجه من الشعر القديم قول قيس بن الخطيم :

تَبَدَّتْ لَنَا كَالشَّمْسِ تَحْتَ غَمَامَةٍ بِدَا حَاجِبٌ مِنْهَا وَضُنْتُ بِحَاجِبٍ (١)
مأخوذ من قول النمر بن تولب :

فَصَدَّتْ كَأَنَّ الشَّمْسَ تَحْتَ قَنَاعِهَا بِدَا حَاجِبٌ مِنْهَا وَضُنْتُ بِحَاجِبٍ

وهو أحسن ما قيل في إعراض المرأة ، ونقله قيس إلى موضع آخر وزاد فيه فقال :

كَانَ الْمَنَى بِلِقَائِهَا فَلَقَيْتُهَا وَلَهَوْتُ مِنْ لَهْوِ امْرِئٍ مَكْذُوبٍ
فَرَأَيْتُ مِثْلَ الشَّمْسِ عِنْدَ طُلُوعِهَا فِي الْحَسَنِ أَوْ كَدْنُوَّهَا لَغُروبِ

(١) في منتهى الطلب من أشعار العرب « وضننت بحاجب »

أراد في وقتين يمكن الناظر النظر إلى الشمس فيها . ونحو ذلك قول زهير :

لو كنت من شيء سوى بشر كنت المنور ليلة القدر

وفضلها كثير على الشمس فقال وأحسن :

بأبي وأمي أنت من معشوقة^(١) طين^(٢) العدو لها فغير حالها

وسعى إلى بعب^(٣) عزّة نسوة^(٤) جعل الآله^(٥) خدودهن نعالها

ولو أن عزّة خاضت شمس الضحى في الحسن عند موقف^(٥) لقضى لها

قوله عند موقف غاية ما يكون من الاحسان .

ومن أحسن ما قيل في حسن الوجه قول عمر بن أبي ربيعة :

فلما تواقفنا وسلمت أقبلت^(٦) وجوه زهاها الحسن أن تتقنعا

تباهن بالعرفان لما رأيتني وقلن امرؤ باغ أكل وأوضعا

وقرّبن أسباب الهوى لتيمن يقيس ذراعاً كلما قسن أصبعا

فذكر أنهم لم يتقنعن لحسن وجوههن ، أخذه من قول الشماخ :

لها شرق من زعفران وعنبر أطارت من الحسن الرداء المحبر

ثم تصرف المحدثون في تشبيهه أى الوجه بالشمس فقال ابن الرومي

* كالشمس غابت في حرة الشفق * وزاد أبو نواس فقال في الأمين قبل الخلافة :

تتبه الشمس والقمر المنير اذا قلنا كأنهما الأمير

فان يك أشبها منه قليلا فقد أخطأها شبه كثير

لأن الشمس تغرب حين تمشى وأن البدر ينقصه المسير

ونور محمد أبداً تمام على وضح الطريقة لا يحور

وقد أحسن الآخر وقد جعل في البدر مشابهة من وجه المرأة فقال :

(١) في أمالي القالي (من مظلومة) . (٢) أى فطن ، وفى الاصل غير منقوطة .

(٣) في الامالى « بصرم عزّة » . (٤) في الامالى (جعل المليك) .

(٥) في الامالى (موقف) . (٦) في الأغاني « أشرق » .

يأبدر إنك قد كسيت مشابهاً
وأراك تمصح في الحاق وحسناها
وقال العباس بن الأحنف :

قالت ظلوم وما جارت وما ظلمت
البدر ليس له عينٌ مُكحلةٌ
وقال النظام : يامشرقاً ملأ العيو
أوفى على شمس الضحى
إن الذي قد أسمى بالبيد قد ظلما
ولا محاسن لفظ يبعث السقما
ن وطرفها ما يستقل
حتى كأن الليل ظل

وزاد آخر على هؤلاء كلهم فقال :

إذا عبتها شبهتها البدر طالعا
وحسبك من عيب لها شبه البدر
ومن أبلغ ما قيل في حسن الوجه من طريقة أخرى قول أبي نواس :
يزيدك وجهه حسنا إذا مازدته نظرا

فذكر أن حسنه يزاد على تكرار النظر والمعهود في كل شيء نقصانه على
كثرة التأمل ولا يكاد الشيء الرائع يروعك إذا اعتدته . وقريب منه قول كشاجم :
بيضاء يحضر طيب العيش ما حضرت وإن نأت عنك غاب اللهو والفرح
كل اللباس عليها معرض حسن وكل ما تغنى فهو مقترح
والمعارضة تتخير للجوارى على حسب ألوانهن فالبيضاء تبرز في المعرض الأحمر
والأسود والأزرق والسوداء في الأصفر فذكر أن هذه تحسن في كل معرض
فهو غاية . وقريب من المعنى الأول قول كشاجم أيضاً :

منعمة يُقرَّبهما هواها وإن نزحت بمنزلها البلاد
يعاد حديثها فيزيد حسناً وقد يُستقبح الشيء المعاد

وقال الخافي :

إذا كنت لم أفقد الغائبين وإن غبت كنت فريداً وحيدا
تباعد نفس إذا ما بعدت فليس تعاود حتى تعاودا

وهو من قول أبي نواس :

أشبهك الشيءَ مُحسنًا فما أعمُّ ذلك حتى تزيدا

وقال بعضهم : وكلما عدت فيه يكون في العودِ أحمد
وأخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن أبي العيناء عن الأضمعي قال أحسن ما قيل
في اللون قول ابن أبي ربيعة :

وهي مكنونةٌ تحير منها في أديم الخدين ماء الشباب
قال وما أعرف أحداً أخذه فأحسن فيه مثل أحمد بن إبراهيم بن اسمعيل فإنه قال :

باتَ يعنى يمالج السهرا وراح نشوان يقسم النظرا

أغيد ماءُ الشباب يرغد في خديه لولا أديمه قطرا

وقال ابن الأحنف :

وقد ملئت ماءَ الشبابِ كأنها قضيبتُ من الرِّيحانِ رَيَّانِ أخضر
وقال السري : ومخطف يهتز عن ماء الصبا كأنما يهتز عن ماء العنب
وقلت : ووجهٌ تشربَّ ماء النعيم فلو عصرَ الحسنُ منه انعصر
يمرُّ فأمنحه ناظري فينشر ورداً عليه الخفر
تمتعت العينُ في نفسه فما جفلتُ بطلوع القمر
وقال ابن المعتز : يحرك الدَّلَّ في أنوابه غصنا ويطلعُ الحسنُ من أزواره قمر
وقال ابن الرومي : تمتعت وجهك في بديهتها جدُّ وفي أعقابها آخرُ
وقوله : مخففة منقطة تراها كأن لم يعد نصفها الغذاء
إذا الاغياب جدَّدَ حسنَ شيءٍ من الأشياء جدَّدَها اللقاء
ومثله قوله : لا شيءَ إلا وفيه أحسنه فالعينُ منه اليه تنتقل
فوائد العين منه طارقة كأنما أخرياتها الأول

وقد أطرف أبو نواس في قوله :

إنَّ اسمَ حسن لوجهها صفةٌ ولا أرى ذا غيرها اجتماعا

فهي إذا سميت فقد وصفت قد يجمع^(١) اللفظ معنيين معا
وقد بالغ ذو الرمة في قوله :

فيا لك من خدّ أسيل ومنطقٍ رخيم ومن خلقٍ تعلل جادبه
إلا أنه ذكر خلقها أجمع ، والجادب : العائب ، هو يقول ان الذي يعيبها لا يجد
عيباً فهو يتعلل . وهو في خبر حسن : أخبرنا به أبو أحمد عن العبشمي عن
المبرد حدثنا عمر بن شبة^(٢) حدثني اسحق بن ابراهيم الموصلي حدثني أبو صالح
الفراري قال ذكر ذو الرمة في مجلس فيه عدة من الاعراب فقال عصمة بن مالك
- شيخ منهم كان قد بلغ مائة وعشرين سنة - إياي فاسألوا عنه كان من أطرف بني
آدم خفيف العارضين حسن الضحك حلو المنطق وكان اذا أنشد بربر وحبس صوته
فاذا راجعك لم تسأم حديثه وكلامه ، وكان له أخوة يقولون الشعر : منهم مسعود
وحرفاس وهو أوفى وهشام وكانوا يقولون القصيدة فيزدون فيها الأبيات فيغلب عليها ،
فجهمني وإياهم مريع فأنا في يوماً وقال لي يا عصمة إن ميا منقرية وبنو منقر أخبث حي وأقوفه
لا أثر وأبصره في نظر فهل عندك من ناقة زردار عليها ميا فقلت اى والله إن عندى
للجؤذر قال على بها فركناها جميعاً وخرجنا حتى نشرف على بيوت الحبي فاذا هم خلوف
وإذا بيت مية خلوف فعرف النساء ذا الرمة فقمن إلى بيت ميا وجئن حتى
أتخنا وسلمنا وقعدنا نتحدث واذا ميا جارية المود؟ واردة الشعر صفراء فيها عسر
وإذا عليها سب أصفر وكان أخضر فتحدثن ملياً ثم قلن له أنشدنا يا ذا الرمة فقال
نشدهن يا عصمة فأنشدهن قوله :

نظرتُ الى أظمان ميا كأنها ذرى النخل أوائل^(٣) تميل ذوائبه
فأوشكت العينان^(٤) والصدركاتم بمغرورقٍ نمت عليه سواكه

(١) في ديوان أبي نواس (ويجمع اللفظ). (٢) في الاصل (شعبة) وكذلك في بعض
ألفاظ الخبر تصحيف صححنا أكثره من مصارع العشاق والاثمالي وغيرهما .
(٣) في ديوان ذى الرمة المخطوط «مولية ميس تميل ذوائبه» . (٤) في ديوان

بكى وامق^(١) جاء الفراق ولم تجل جوائلها أسرارها ومعاتبه
 فقالت ظريفة منهن لكن الآن فليجل فنظرت اليهامى ، ثم مضيت في القصيدة الى قوله :
 اذا سرحت من حب مي سوارح^{هـ} عن القلب اتته جميعاً عوازيه
 فقالت الظريفة قتلتها قتلك الله فقالت مى ما أصحبه وهنيئلاً فتنفس ذوارمة تنفسه
 كاد حرها يطير شعر وجهه ، ومضيت حتى انتهيت الى قوله :

وقد حلفت بالله مية ما الذى أقول بها إلا الذى أنا كاذبه
 اذا فرمانى الله من حيث لأرى ولا زال فى أرضى عدو أحرابه
 فقالت الظريفة قتلتها قتلك الله فقالت مى خف عواقب الله يا غيلان ، ثم مضيت
 حتى انتهيت إلى قوله :

اذا راجعتك^(٢) القول مية أوبدا لك الوجه منها أو نضال الدرع سالبه
 فيالك من خد أسيل ومنطق رخم ومن خلق^(٣) تملل جادبه
 فقالت الظريفة للنساء ان لهنين لساناً فقمين بنا فقمين وقمت معهن فجلست فى
 بيت أراها منه فسمعتها قالت له كذبت والله وما أدرى ما قال لها وما كذبتة ، فلبث
 قليلاً ثم جاءنى ومعه قارورة فيها دهن وقلائد فقال طيب أتحفنتابه مى وهذه قلائد
 للجؤذر ولوالله لأقلدن بغيراً وشدهن بذؤابة سيفه ثم انصرفنا فكان يختلف
 اليها حتى تقضى الربيع ودعا الناس الصيف فأتانى فقال يا عصمة قدرحت مى ولم
 يبق إلا الآثار والنظر الى الديار فاذهب بنا ننظر فى ديارها ونقفوا آثارها فخر جناحى
 أتينا منزلها فوقف ينظر ثم قال :

ألا فاسلمى يا دارمى على البلى ولا زال منهالاً بجرعائك القطر
 قال عصمة فما ملك عينيه فقلت مه فانتبه وقال إني لجلد وان كان منى ماترى .

ذى الرمة « فأبديت من عبنى » وفي المصارع والامالى (فأسبلت العينان والقلب
 كاتم) . (١) فى ديوان ذى الرمة (هوى الف جاء الفراق ولم تجل) .
 (٢) فى الديوان والمصارع (إذا نازعتك) . (٣) فى الامالى « ومن وجه » .

قال فإرايت أحداً كان أشد منه صباية ولا أحسن عزاءً وصبراً ثم انصرفنا وتفرقنا

وكان آخر العهد به . ومن بديع ما قيل في حسن الوجه قول الصويري :

الم قلبي ناره وماشعر دبت إليه عقرب وقت السحر

دبت إلى ظبي بعينه حور ديب لوطي نواري وانتشر

فظفرت لاظفرت أي ظفر وهكذا العقرب للقمير

أحسن ما قيل في العيون : أخبرنا أبو أحمد أخبرنا أبو بكر بن دريد عن أبي حاتم عن الأصمعي

قال قال أبو عمرو لأصحابه : ما أحسن ما قيل في العيون ؟ قال بعضهم قول جرير :

إن العيون التي في طرفها حور قتلنا ثم لم يُحيين قتلانا

يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به وهن أضعف خلق الله أركاناً

وقال آخر قول ذي الرمة :

وعينان قال الله كونا فكائنا فعولان بالآباب ماتفعل الحز

وقال آخر بل قوله :

يدكرني ميا من الظبي عينه مراراً وفاها الاقحوان المنور

(مراراً) حشوا ليجتاح اليه ، فقال أبو عمرو أحسن من هذا كله قول عدي بن الرقاع^(١) :

وكأنها بين النساء أطارها عينيه أحور من جاذر جاسم

وسنان أقصده النعاس فرفقت في عينه سنة وليس بناثم

أخذ بعض المحدثين قول جرير وهن أضعف خلق الله أركاناً فقال :

كأنما ازدادت قوى أجفانها ضعفاً تقوين على ضعف القوى

ومثله أيضاً قول الناشي . :

لا شيء أعجب في جفنيه أنهما لا يضعفان القوى إلا إذا ضعفا

وقد أحسن ذو الرمة في قوله :

(١) الرقاع هو جد جده وعرف بالنسبة اليه لشهرته ، كان شاعراً مقدماً عند بني

أمية مداحاً لهم خاصاً بالوليد بن عبد الملك ، يعد في الطبقة الثالثة من شعراء الاسلام .

إذا عرضت بالرمل أو ماء عوهج لنا قلت هذا عين ميّ وجيدها

ومن التمثيل القليل النظير قول ابن المعتز :

ويجرح أحشائي بعين مريضة كما لأن متين السيف والحدّ قاطع

ومن أحسن ما قيل في النظر قول ابن الرومي :

نظرت فأفصدت الفؤادَ بسهمها ثمّ اثنت عنه فكادَ بهم

وبلاه إن نظرت وإن هي أعرضت وقع السهام ونزعهنّ أليم

ومن البديع النادر الغريب في ذلك قول بعضهم :

جعل الفتور بعينه كحلا فحفظته وحسن بها المسرة ؟

وقول الآخر :

ينظرن من خلل السجوف كأنما يمحطّ أحشاء الكريم نبالا

ومن أظرف ما سمعناه في هذا المعنى قول محمد بن أبي الموج :

لله ما صنعت بنا تلك المحاجر في المعاجر

أمضى وأنفذ في القلوب من الحناجر في الحناجر^(١)

وقلت : فأرعى تحت حاشية الدّياجي شقائق وجنة سقيت مدا

إذا اكرت لواحظ مقلتيه حسبت قلوبنا مطرت سهام

وإن مالت بعطفه شمول سقانا من شمائله سقاما

(١) دخل أعرابي على ثعلب الراوية فقال أنت الذي تزعم الناس أنك أروى

لشعر العرب ؟ قال كذا يزعمون ، قال أنشدني أغزل بيت قبل في العيون فأنشده

يتى جرير * ان العيون التي في طرفها حور * فقال لا هذا شعر غث قد لا كنه السفلة

بألسنتها هات غيره ، فقال ثعلب أفدنا فقال الاعرابي :

نبارز أبطال الوغى فبيدها ويقتلنا في السن لحظ الكواعب

وليست سيوف الهند تقى نفوسنا ولكن سهام فوقت بالحواجب

فحن ثعلب استحسن ألقاها وقال اكتبوها ولو بالحناجر على الحناجر - كما في هامش الأصل .

وقال ابن الرومي :

تقسمها نصفان نصف مؤنث^١ ونصف كخوط الخيزران مذكر^٢
تعبد من شاءت بعين كأنها وإن سقيت ريامن النوم تسهر^٣
وقلت : راحت تيمس^٤ وحولها خرد^٥ كالبدري بين كواكب شهب^٦
فلأت^٧ طرفي من محاسنها ونسيت^٨ ما يجني على الصب^٩
عين لعل السيف لحظتها أصبحت آمنها على قلبي

وقال ابن المعتز :

كم ليلة عانقت^{١٠} فيها يده حتى الصباح موسداً كفيه^{١١}
فسكرت^{١٢} لا أدري أمن سكر الهوى أم كأسه^(١) أم فيه أم عينيه^{١٣}
وغدا قتم^{١٤} عليه عسده^{١٥} أثر من التقبيل في شفنيه^{١٦}
وسقام عين لم تذق طعم الكرى بدعو العوائد في الصباح اليه^{١٧}
وقلت : إذا ما جاءني الأخذ^{١٨} غنى تشاغل طرفه بالأخذ مني^{١٩}

وقال البحتري :

أجد النار تستعار^{٢٠} من النا روينشام^{٢١} من سقم عينيك سقمي^{٢٢}
وقلت : يسمي^{٢٣} إلى مفرطق^{٢٤} في كفه كأس^{٢٥} وبين جفونه كاسان^{٢٦}
وقد أطرف البحتري في قوله :

والذي صير الملاحه في عي^{٢٧} --- ضنيه وفقاً والسحر في أجفانه^{٢٨}
لا أطعت^{٢٩} العذول فيه وإن أس^{٣٠} --- رف في ظله وفي عدوانه^{٣١}
فدعا اللوم في التصابي فاني لأرى في السلو^{٣٢} ماتريانه^{٣٣}
وقلت : ومقلة كحميا الكأس مسكرة وحاجب كلال الشهر مقرون^{٣٤}
وقلت أيضاً :

ونسقيك في ليل^{٣٥} شبيه^{٣٦} بفرعها شبيهاً^{٣٧} بعينها وشكلاً^{٣٨} بجدها^{٣٩}

(١) في نسخة « كفه » مكان (كأسه) .

فتسكرو من عين وكأس ووجنة تحييك أعتاب السكؤوس بوردها
وقالوا أجود ما قيل في الثغر من شعر المتقدمين قول جرير :
تجبري السواك على أغر كأنه برد تهدر من ممتون غمام
وقالوا بيت النابغة :

تجلو بقادمتي حمامة أيكة برداً أسف لثاته بالائمسد
كالأقوحان غداة غب سمانه جفت أعالیه وأسفله ندى
شبه الشفتين لرقهما بقادمتي حمامة . وقالوا بيت بشر بن أبي خازم :
يفلج الشفاء عن اقحوان^(١) جلاء غب سارية^(٢) قطار
ومن أحسن ما جاء في ذلك قول البحتري :

ولما التقينا والتقى موعده لنا تبين رامي الدُر منا ولاقطه
فن برد تجلوه عند ابتسامها ومن لؤلؤ عند الحديث تساقطه
وهذا أحسن من قول الأول ومنه أخذ البحتري :

إذا هن ساقطن الأحاديث بالضحى سقاط حصي المرجان من كف ناظم
ومن أحسن ما قيل في بياض الثغر قول البحتري أيضاً :
ويرجع الليل مبيضاً إذا ضحكت عن أبيض خضل السمطين وضاح
فجعله يجلو الظلام لبياضه ، وذكر كثرة الريق فقال خضل لأن قلة الريق
تورث تغير الفم ، وذكر حسن تنضيد الثغر فجعله سمطين . فلا يرى في هذا المعنى
أجمع من هذا البيت . وقد أحسن ابن طباطبا :

نقره عند سرده كالغراب المزرد
مثل در منظم بين در منضد^(٣)

وقد أحسن البحتري وأبلغ في قوله :

(١) في الأصل «عن اخوان» والتصحيح من «منتهى الطلب من أشعار العرب» .
(٢) في الأصل (سائرة) . (٣) (منضد) غير موجودة في الأصل .

وأرتنا خدّاً يراح له الور دُ ويشتمه جـنى التفاح
 وشتيتاً يفضُّ من لؤلؤ النظم مـ ويُرَى على شتيت الأفاحي
 فأضاءت تحت الدُّجّة للشر ب وكادت تضيئُ للمصباح
 وأشارت إلى الغناء بالحال ظِـ مرض من التصابي صحاح
 فطربنا لمن قبل المثاني وسكرنا منهم قبل الراح
 وتدير^(١) الجفون من عدم الألبـ باب مالا يدور في الأقداح
 وقلت : مخضبة الأطراف تحسب أنها أساريـ في أفواههن عقيقُ
 دها في منها نرجس يـ رشح الحشا وهل نرجس يـ بالرجال رشوق
 ومبتسم عذب المذاقة موقـ تجمع فيه لؤلؤ ورحيقُ
 وقلت لبعض البغداديين ما أحسن ما قيل في طيب النكهة والريق وحسن
 الثغر ؟ فقال قول ابن الرومي :

وقبلت أفواهاً عذاباً كأنها يـ نايـم خـر خضبت لؤلؤ البحر
 فقلت إلا أن قوله (لؤلؤ البحر) فضل لا يحتاج إليه لأن اللؤلؤ لا يكون إلا في
 البحر ولو كان في غير البحر لؤلؤ فليس لنسبته إليه فائدة .

وقد أحسن ابن الرومي في وصف طيب النكهة فقال :

وما نعتريها آفة بشرية من النوم إلا أنها تتخترُ
 كذلك أنفاس الرّياض بسحرة تطيبُ وأنفاس الأنام تغيرُ
 هذا التمثيل مليح جداً . وأجود ما قيل في الريق أيضاً قوله :

يارب ريق بات بدر الدجى يـ مجّه بين نايـكا
 يروى ولا ينهاك عن شربه والماء يرويك وينهاك
 ولا أعرف لهذا البيت نظيراً في معناه . وقد سبق ابن الرومي إلى قوله :

سفته ابنة العمرى من خر عينها ووجنتها كأساً يـميت ويدنفُ

فقال امزجها بالرّضاب لعلّه يسكن من خمر الهوى ويخفف
فصدت ملياً ثم جادت بريقة فراح بضعف سكره من مزاجها
فهل من مزاج زاد في سكر شارب
وقال : مزجت خمره عينها بريقتها
فاشتد إسكارها إياي إذ مزجت
وأخبرنا أبو أحمد عن يحيى عن الرياشي قال قال الاصمعي أحسن ما قيل
في الثغر قول ذى الرمة :

وتجلى بفرع من أراك كأنه من العنبر الهندي والمسك ينفح
ذرى أقحوان واجه الليل وارتقى إليه الندى غاديه والمتروح
وقد أحسن ديك الجن في قوله :
وقهوة كوكبها يزهر ينفح منها المسك والعنبر
وردية لمحدها ؟ كأنها من خده تعصر
مهفّف لم يتسم ضاحكا مذكّان إلا كنيذ الجواهر ؟
وقد جمع كشاجم فأحسن في قوله :
البدر لا يغنيك عنها إذا غابت وتغنيك عن البدر
في فها مسك ومشولة صرف ومنظوم من الدرّ
فالمسك للنكهة والخمر للبريق واللؤلؤ للثغر
جمع ثم قسم تقسيماً صحيحاً ولم يترك مزيداً . ومن البارع المشهور في هذا المعنى
قول الصنوبري :

تلك الثنايا من عقدها نظمت أم نظم العقد من ثناياها
وقال غيره وأحسن التقسيم :
وثنايا وريقة كغدير وعقار وروضة من أفاح

قال ابن المعتز : شرب عذب مشارعه جامد في خمره برد
 وقال : قلت للكأيس وهو يكرع منها ذقت منه والله أطيب منك
 وقال : ياسر إن أنكرتني فلكم ليل رأيتك معي كواكبه
 بأبي حبيب كنت أعهد عبق الكلام بمسكة نفحت
 من فيه ترضى من يعاتبه وقد أحسن أبو تمام في قوله :

تعطيك منطقة فتعلم أنه بجنى عذوبته يمر بغرها
 وهو من قول بشار :

يا أطيب الناس ريقاً غير مختبر إلا شهادة أطراف المساويك
 وقول بشار من قول قيس :

كان على أثوابها الخمر بماء الندى من آخر الليل غابق
 وما ذقتـه إلا بعيني تفرساً كما شيم من أعلى السحابة بارق
 ومثله قول الآخر : وتبسم عن ألى اللثام مفلج خليق الثنايا بالعذوبة والبرد
 وقال ابن الرومي :

بدا لي وميض مؤذن أن صوبه عريض وما عندي سوى ذاك مخبر
 وما ذقتـه إلا لشيم ابتسامها فكم مخبر بيديه للعين منظر
 وقال عمار بن عقيل (١) :

كان على أنيابها مبيت الكرى وقبعه يردى تهلل في تعب؟
 تأمل عين لا تقيل إذا ارتأت وقلب وما أنباك أشعر من قلب
 وقال آخر وأحسن : بأبي فم شهد المحب له قبل المذاق بأنه عذب
 كشهادة لله خالصة قبل أعيان بأنه رب
 وقلت في معنى الأول : أقول للملاح من خدره والليل يرخي الفضل من ستره

(١) شاعر مقدم فصيح ، كان يسكن بادية البصرة ، والنحويون فيها يأخذون عنه اللغة.

أبدره أحسن من وجهه أم وجهه أحسن من بديره
 قد مات الرقة في شطره ومات الغلظة في شطره
 فأزره غصت بأردافه ووشحه جالت على خصره
 أصبحت لأدري وإن لم يكن في الأرض شيء أنا لم أدريه
 أشعره أحسن من وجهه أم وجهه أحسن من شعره
 ودره يؤخذ من لفظه أم لفظه يؤخذ من دره
 وثره ينظم من عقده أم عقده ينظم من ثره
 فن عذير الصب من صده ومن يجير القلب من هجره
 ياليت يعرف حبي له عساه يجزيني على قدره

أحسن ما قيل في حديث النساء قول القطامي :

فهنَّ يبنذن من قولٍ يصبن به مواقع الماء من ذى الغلة الصادى
 وقد أحسن القائل :

هى الدُّرُّ مشوراً إذا ما تكلمت وكالدُّرُّ منظوماً إذا لم تكلم
 تعبداً أحرار القلوب بذلها وتملأ عين الناظر المتوسم
 وقد أحسن ابن المعتز غاية الاحسان في قوله :

لعمرك ما أجدى هواء سوى المني على وما ألقاك إلا كما أخلو
 ثم قال : وشر أحاديث عذاب لوانها جنى النحل لم يمجج حلاوتها النحل
 الناس كلهم شبهوا حلاوة الحديث بحلاوة العسل وزاد ابن المعتز هذه الزيادة فأحسن .
 وعندى ان أحسن ما قيل في وصف حديثهن قول بعض المحدثين وهو ابن الرومى :
 وحديثها السحر الحلال لوانه لم يجن قتيل المسلم ^(١) المتحرز
 ان طال لم يمل وان هى أوجزت ودَّ المحدث أنها لم توجز
 شرك القلوب وفتنة ^(٢) مامثلها للمطمئن وعقلة المستوفز

(١) في من غاب عنه المطرب (العاشق) . (٢) فى الأملالى (ونزهة)

ومن جيد ما قيل في الحديث ومشهوره قول ابن الرومي :

ولقد سئمت مآربي فكأنَّ أطيها خبيث
إلا الحديثَ فإنه مثل اسمه أبداً حديث

وقلت: وحديث كأنه عقدُ ربا بتُّ أرويه للرجال وتروى
وحديث الرجال روضة أنس باتَ يرعاه أهل نبل وسرو

ومن جيد ما قيل في الحياء ما أخبرني به عم أبي قال قال أبو العباس الفضل
ابن محمد اليزيدي قال قال الهيثم قال لنا صالح بن حسان يوماً هل تعرفون بيتاً
شريعاً في امرأة خفرة ؟ قلنا نعم بيت حاتم إذ يقول :

يضيءُ بها البيتُ القليلُ خصاصه إذا هي ليلاً حاواتُ أن تبسما
قال لم يصف شيئاً ، قلنا فبيت الأعشى :

كانَ مشيتها من بيتِ جارِتها مرُّ السحابة لارِثٌ ولا عجل
قال قد جمعها خرجت وهذا ضد الخفر ، قلنا فهات ما عندك قال قول أبي
قيس بن الاسلم^(١) :

وبكرٍ مُهما جاراتها فيزُرُنها وتعلُّ عن إتيانهنَّ فتمتذر
أجود ما قيل في العناق قول بكر بن خازم^(٢) :

أني رأيتك في نومٍ تعانقني كما تعانقُ لأمُ الكاتبِ الألفا
وهذا من المقلوب لأن الألف تعانق اللام ، ويجوز أن يحتاج له بأن يقال
الألف لاتعانق اللام إلا واللام معانقة لها . ومن أطرف ما قيل في ذلك قول ابن المعتز :

كأنني عانقتُ ريحانةً تنفستُ في ليلها الباردِ
فلو ترانا في قميص الدُّجى حسبتنا من جسدٍ واحد

وقلت في نحو ذلك :

(١) من شعراء الجاهلية ، كانت الأوس قد أسندت إليه حربها وجعلته رئيساً
عليها فساد . (٢) كان وراقاً ضيق العيش ، طيب الشعر مطبوعاً .

ونحن نظم في الهوى واحد^{هـ} كأننا عِقدان في نحر

وقال التنوخي :

لله أيام^{هـ} مَضِينَ قطعنها وطوالها بالقاصراتِ قصار^{هـ}
أخلو النهار على النهار وانى والشمسُ لى دونَ الشعارِ شعار^{هـ}
خدا^{هـ} وَرَدَّ والنواظرُ نرجس^{هـ} والثغر سوسن^{هـ} والرضابُ عُقار^{هـ}
حتى إذا ما الليلُ أقبَلَ ضمنا مُدونَ الأزارِ من العناقِ إزار^{هـ}
فعلى النجورِ من النحورِ قلادة^{هـ} وعلى الخلودِ من الخلودِ خمار^{هـ}

وقد أحسن وطرف إلا أنه أخذ قوله «من العناق إزار» من قول ابن الرومي :

طالما التفتُ الى الصب---ح لنا ساق^{هـ} بساق

في قناع من^{هـ} لثام وإزار من^{هـ} عناق

وأنشد أبو أحمد عن الصولي عن أحمد بن سعيد لابن عبيد كأنه الكاتب :

وكلانا مُرتدٍ صاحبه^{هـ} كارتداءِ السيف في يوم الوغى

بمخدودِ شافياتٍ من جوى وشفاهِ مُروياتٍ من ظما

نتساقى الريقَ فيما بيننا زَا امات القطا زغب القطا

أحسن ما قيل في الشعور من الشعر القديم قول الأعرشي :

فأنضيت منها الى جنفٍ تدلّتْ على^{هـ} عناقيدُها

ليس لأشعار المتقدمين نظير ، وكان بشار يتعجب من حسنه ويقدمه على جميع

ما قيل في الشعر . وقد أحسن القائل :

بيضاء تسحبُ من قيام فرعها ونعيبُ فيه^{هـ} وهو جثل^(١) أسحم

وكانها فيه نهار^{هـ} ساطع^{هـ} وكأنه ليل^{هـ} عليها مظلم

أخذه بعضهم فقال وأحسن :

(١) في الأصل غير منقوطة والتصحيح من (من غاب عنه المطرب)

وفي الامالى «وحف^{هـ} أسحم» .

نشرت على ذوائباً من شعرها حذر الكواشح والمدو المحنق
فكأنني وكأنها وكأنه صبحان باتا تحت ليل مطبق
وقد أحسن السرى القول في سواد الشعر مع أوصاف آخر وهو قوله :

مصقولة بسنى الصباح وجوها (١) مصبوعة بدجى الظلام طرارها
أغصان بان أبدعت (٢) في حملها ففرائب الورد الجنى ثمارها
طالت ليالى الحب بعد فراقها وأحبهن الى الحب قصارها
ولرب ليالات بهن تفرجت أسدانها وتأرجت أسحارها
ماكان ذاك العيش إلا سكرة رحلت لمذاقتها وحل خمارها
وقال ديك الجن :

أنظر الى شمس القصور وبدرها والى خزامها (٣) وبهجة زهرها
لم نبل عينك أيضاً في أسود جمع الجمال كوجهها في شعرها
وقال أبو تمام :

يضاء تسحب شعرها من وجهها فى حسنه أووجهها من شعرها
وقال أبو نواس :

وسالت من عقبصتها سلاسل كسرت حلقا
وقال آخر : سيقرب منك الردى عنوة اذا مانأت عنك أحماله
فهل أنت بالك على اثره وهل تشجينك أطلاله
سيكثر من بعد ترحاله توجع صب وإعواله
بنفسى الذى قلقه وشحه وضاق بما فيه خلخاله
يريك الخنادس إدباره ويبدى لك الصبح أقباله
مليح الدلال قليل النوال جميل وان قل أجماله
وقلت : رخيتم فاطر اللحظ رشيق مخطف الخصر

(١) في ديوان السرى (جباها). (٢) في الديوان (أغربت). (٣) في الاصل (حدامها).

وقد مُعِمَ بالليل وقد قنع بالفجر
وما ينفعني حسنك يا أحسن من بدر
إذا كان نصبي منك طول البين والهجر
وقال كشاجم :

بالله يامتفرداً في حسنه ^(١) ومقلتا هروت بين محاجره
ومحكما أردافه في خصره ومصافحاً خلخاله بضفائره
وبكاتم الاسرار حتى إنه ليصونها من أن تتمر بخاطره
لاتعصين على قى يرضى بما أوليته ولو انتقلت بناظره
أخذ قوله * ومصافحاً خلخاله بضفائره * من قول أبي نواس :

باتوا وفيهم شمس دجن ينعل أقدامها القرون
تعوم أعجازهن عوماً وتلثي فوقها المتون
غريب شكل بديع حسن أفرده ^(٢) المثل والقرين
بانوا بروحى فصرت ^(٣) وفقاً لا بى حراك ولا سكون

وقال نصر بن أحمد :

سلسل الشعر فوق وجه فحاكى ظلمة الليل فوق ضوء الصباح
وقال السرى :

قصرت ليلة الخورنق حسناً واللبالى الطوال فيه قصار
إذ وجوه الانام فيه رياض ومياه السرور فيه غمار
وجنات تحير الورد فيها وتغور جرت عليها المقار
فضحاه من الذوائب ليل ودجاء من الخلود نهار
وقال : ومالت غصون طوقتها مناطق ولاحت شمس توجتها حنادس

(١) في ديوان كشاجم (بالله يامتفرداً بجماله) . (٢) في ديوان أبي نواس

(أعوزه المثل والقرين) . (٣) في الديوان (فصرت شخصاً)

وقلت : وذى غنج يأوى إلى فرعه الدجى
ففيه ظلام بالصباح معمم
يروق سليماً منك جعد مسلسل
وفرعك من صبغ الشباب ممسك
ووجهك مثل الروض يغسله الحيا
أبلغ ما قيل في صفة الاصدغ والعدار : فمن بديع ما قيل في الصدغ قول ابن المعتز :

له ظمرة كجنح الغداف
وفي عطفة الصدغ خال له
وقوله : وكانَّ عقربَ صدغه وقفت
وقوله : غلالة خدّه وردّ جنّ
وقلت : وكانَّ دارة صدغه وعذاره
وقال ديك الجن :

فقام مختلفاً كالبدر مطلقاً
رقت غلالة خديه فلو رميا
كانَّ لآما أدبرت فوق وجنته
وقلت : إذا التوى الصدغ فوق وجنته
وقلت : الغيم بين ممسك ومكفر
فإذا شربت فمن رحيق سلسل
من ريق أهيف كالقضب مخضرا
فاذا جلا لك غرة في طرة
فانظر عناق ممسك لمكفر
وإذا تعانق خدّه وعذاره
وقال آخر : عجبي لخضرة زعفران عذاره
والخشف ملته فتأ والغصن منقطفا
باللحظ أو ماها بأن يكفا
واختطَّ كاتبها من تحتها ألفا
رأيت نقاحة بها عضه
والروض بين مجدد ومدبج
وإذا رشفت فمن شتيت أفلج
أو كف أباج كالصباح الأبلج
أوى بقلبك أبلج في أدعج
يجلوه حسن مفلج ومضرج
فانظر عناق عقائق وبنفسج
ومن العجائب زعفران أخضر

وقال ابن المعتز :

من كفَّ ريم تبتى مناطقه على هضم الكشحين ممشوق
يعطيك ماشاء من معانقة مقفلة من وراء معشوق
مسطر الخدِّ بالعدار ولا يحسنُ غصنٌ الا بتوريق
وقلت : له وجنتا ورْد وعينا غزالةٍ وغرَّة اصباح وطُرة غيبِ
وصدغٌ يناجى الاذن وهو مُعقرب وطوراً يناغى الخدَّ غير مُعقرب
له من ظلام الليل أحسنُ ملبس وفوق ضياء الصبح أحسن ملعب

وقال الصنوبري :

تلك طرارٌ عليك أم حلقٌ زانك صدغان أم هما زرْد
وقلت : يفتنُّ القلب بخدِّ لم يدع للورد قدرا
مثلهما تكتبُ بالمسك على الكافور سطرًا
وعذار يسحرُ الصبَّ وما يعرفُ سحرا
وبصدغ دارَ في الخدِّ كما تعقدُ عثمرا
كلما أظلم (ليلي) ^(١) كان (لى) وجهك فجرا

وقال ابن المعتز :

لعمرك ما أزرَّتْ بيوسفَ حيةٌ ولكنه قد زاد حسناً وأضعفا
فلا تعتذر من حبه في التحائه فما يحسنُ الدينارُ إلا مسيفا
وقال في خضرة الشارب :

تبسم إذ ما زحمتُه فكأتما تكشف عن دُرِّ حجاب زبرجد ^(٢)
وقال بعض المتأخرين وأحسن :
ومُعذرين كأنَّ نبتَ خدودهم أقلامُ مسك تستمدُّ خلقا
قرفوا البنفسج بالشقيق ونظموها تحت الزبرجد لؤلؤاً وعقيقا

(١) ما بين القوسين غير موجود في الأصل . (٢) في ديوان ابن المعتز (زمرد) .

وَقُلْتُ : وَعَافَقْتُ خَلْفَ مَنْ صَدَغَهُ خَلْفًا كَالْعَيْنِ فِي الْعَيْنِ وَكَالْجِيمِ فِي الْجِيمِ ؟

وَقُلْتُ وَلَيْسَ مِنْ هَذَا الْبَابِ :

كَأَنَّما النُّورُ مُضْحِكٌ يَقُقُ وَعَظْفَةُ الْغَصَنِ شَارِبٌ خَضِرُ

وَقُلْتُ : وَتَرَى النُّورَ مِثْلَ مُضْحِكٍ خَوْدٍ وَتَرَى الْغَصْنَ مِثْلَ شَارِبٍ أَمْرَدٍ

وَلَعَبْدُ الرَّحْمَنِ السَّيْلِيُّ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ خِرَاسَانَ :

وَشَادَنَ سَائِقَاتِ الشَّعْرِ قَدْ سَلَكْتُ فِي عَارِضِيهِ عَلَى جَهْدٍ بِهَا طَرَقًا

هَذَا الْبَيْتَ مُتَكَلِّفٌ جَدًّا :

لَمَّا رَأَتْ أَنَّهَا قَدْ أَخْطَأَتْ وَجَعَتْ وَلَّتْ تَعُودُ فِدَارَتْ كُلُّهَا حَلَقًا

وَهُوَ مَأْخُوذٌ مِنْ قَوْلِ كِشَاجِمٍ :

عَلِمَ الشَّعْرَ الَّذِي عَاجَلَهُ أَنَّهُ جَارٌ عَلَيْهِ فَوَقَفَ

فَقَالَ هَذَا (وَقَفَ) وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ (دَارَتْ حَلَقًا) الْفَرْقُ بَيْنَهُمَا هَذَا :

وَقُلْتُ : لَا وَالَّذِي دَارَ مِنْ صَدْغِيكَ وَأَنْعَطَفَا وَصَارَ نَوْنًا إِذَا صِيرْتَهُ أَلْفًا

مَا كُنْتُ إِذْ خَنَنْتِي إِلَّا أَخَائِقِي لَمْ تَسْتَعْضُ مِنْهُ إِذْ ضَعِيعَتُهُ خَلْفًا

لَمْ أَسْبِقْ لِمَعْنَى الْبَيْتِ الْأَوَّلِ . وَقُلْتُ :

قَدْ التَّوَيْ ضَدَّغَهُ وَاخْتَطَّ عَارِضُهُ كَأَنَّهُ أَلْفٌ مِنْ فَوْقِهِ نُونٌ

وَقُلْتُ أَيْضًا وَلَمْ أَسْبِقْ إِلَى مَعْنَاهُ :

وَمُفَنِّجٌ قَالَ الْكَمَالُ لَوَجْهِهِ كُنْ مَجْمَعًا لِلطَّيْبَاتِ فَكَانَهُ

زَعَمَ الْبَنْفَسِجُ أَنَّهُ كَمْدَارِيهِ حَسَنًا فَسَلَوْا مِنْ قَفَاهُ لِسَانَهُ

أَعْنَى الْهِنَةَ النَّابِتَةَ تَحْتَ وَرَقَةِ الْبَنْفَسِجِ : وَقُلْتُ :

بَنْفَسِجٌ عَارِضُهُ يَنْثَنِي إِلَى حَمْرَةٍ مِنْ وَجْنِيهِ

فَيَجْعَلُ قَلْبِي فِي كَفِهِ يَسِيءُ إِلَيْهِ وَيَمْدُو عَلَيْهِ

وَقَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِ :

وَالصَّدْغُ فَوْقَ الْعَذَارِ مِنْكَسِرٌ كَصَوْلِ جَائِبٍ يَرُدُّ ضَرْبَهُ

وقال * وصدغه كالصولجان المنكسر *

أجود ما قيل في حسن القد ورقة الخصر وكبر العجيزة : أخبرنا أبو أحمد
أخبرنا أبي عن عسل بن ذكوان ، وأخبرنا به أبو علي بن أبي حفص عن جعفر
ابن محمد العسكري عن بعض رجاله قال قال أبو عمرو بن العلاء لأصحابه أنشدوني
أحسن ما قيل في حسن القد وعظم العجيزة فأنشدته بعضهم قول علقمة :

صفر الوشاحين ملء الدرع بهنكة ^(١) كأنها رشاً في البيت ملزوم
قال لم تأت بشيء ، فأنشديت ذى الرمة :

ترى خلفها نصفاً قناة قويمة ونصفاً نقاً يرتج أو يتمرمر
وأنشديت الأعمش :

صفر الوشاحين ملء الدرع بهنكة ^(٢) إذا عشت يكاد الخصر ينحول ^(٣)
وأنشديت ذى الرمة :

عجزاء ممكورة ^(٤) خصانة قلق ^(٥) عنها الوشاح وتم الجسم والقصب ^(٦)
فقال أحسن من هذا كله قول الحارث :

غرثان سمط وشاحها قلق شبعان من أردافها المرط
قال أبو هلال أخذه عبد الله بن عبد الله بن طاهر فقال :

سلمى وتسلمى تفوق المتى ؟ والوصف أنواعاً وألواناً
وشاحها يحسد خلخالها كجائع يحسد شعباناً
نقله إلى وصف السلو ، وأخذه ابن المعتز بلفظه ومعناه فقال :

وظباء ^(٧) غرائر مشعبات المآزر

ومن البديع قول أبي نواس :

وربان من ماء الشباب كأنه ^(٨) يظأ من ضمير الحشا ويجماع

(١) في ديوان علقمة (خربة) . (٢) في ديوان الأعمش (ينخزل) .

(٣) قلق وشاحها لضمور بطنها : والقصب : العظام التي بها المخ .

أخذه الآخر فقال :

ظبيٌّ كأنَّ بخصره من ضميره ظمأ وجوعاً
وقلت : وقد بعصن أوفاناً كشامات كفور
وقد شدَّت زنانيراً على مثل الزنابير

وقد أحسن ابن المعتز حيث يقول :

وتحت زنانير شدة عقودها زنانير عكان معاقدها السرر
وقال مؤمل وأفرط :

من رأى مثل حبيتي تشبه البدر إذ بدا

تدخل اليوم ثم تدخل أردافها غدا

وأنشد أبو أحمد قال أنشدني أبو بكر بن دريد ^(١) :

قد قلت لما مرَّ يخطو ماشياً ^(٢) والرِّدفُ يُجذبُ خصره من خلفه

يا من يُسلمُ خصره من ردفه سلم فؤاد محبيه من طرفه

وقد أحسن القائل في وصف لين القوام والسرغ ؟

ممن له حسن الرقيق وطيبه ومزاج شاربه ومشى نريه

وقلت : لاوالظباء الانسات إذا رنت فاقن حسن عيونهن فتونا

ان لحن لحن كواكباً ونحن نحن لظناً أو ملن ملن غصونا

وبدرن من مقل اليك فواتر يكسين قلبك بالفتور فتونا

ماخنت عهد هوى عليك وقفته وأخو المروءة لا يكون خؤونا

وقبل هذا : مترجرج الاردا ف مضطمر الحشا لدن القوام يكاد بمقد ايننا

داب النعيم له فأنمر صدره ثمراً إذا حلت الثمار حلينا

يقال حلا الشيء في الفم وحل في القلب . وكتبت في فصل لي : والله يعلم أني

أخدمه بالضمير خدمة لو تصورت له لراها الراي روضاً مطوراً وشياً مثبوراً

(١) نسب البيتان في ذيل الأملى لخالد الكاتب . (٢) في الذيل (لما أن بدا متبخترا)

ولؤلؤاً منظوماً ومنشوراً بل لاُبصر أعطاف الغتيان تتثنى تنى الأغصان في قراطق
الحبيرة ومن ررات الديباج والحرير وقد اطلعت أزراهم بواهر الأتقار مطرقة
بمقارب الاصداع وحلق الاطرار فأقبلوا يسفرون عن غرة الصباح ويسمون
عن حباب الراح ويمزجون الدلال بنجمل أساء فيهم الوصال فاذا حضروا وكلوا
الابصار وإذا غابوا استوهبوا القلوب والافكار فهم الداء والدواء ومنهم السقم والشفاء .
ومن الافراط في ذكر الغيد وهو لين القامة قول ماني ^(١) :

أتمنى الذى إذا أنا أوماً ت إليه بطرف عيني تجنى
أهيف كلقضيب لو أن رجماً حرّكت هذب ثوبه لثنى

وأجود ما قيل في النهود وعظم المعجزة قول الأعرابي : بيضاء جمدة لايمس
الثوب منها إلا مشاسنه كتفها وحلمتى ثديها . أخذه الشاعر فقال أو أخذه الاعرابي
من الشاعر :

أبت الرّوادفُ والتدىُّ لقمصها مَسَّ البطون وان تمسَّ ظهورا
وإذا الرّياحُ مع العشيِّ تناوحتُ نَبَنَ حاسِدةً وهجنَ غيورا
وقلت : تمشي بأردافِ أبين قعودها بينَ النساءِ كما أبينَ قيامها
وقال ابن المعتز في النهود :

يا عُصْنًا ان هزّه مشيهُ خَشِيتُ أن يَسْقَطَ رُمَّانُهُ
إرحم ملىكاً صارَ مستعبداً قد ذلَّ في حبك سلطانُهُ

وأخبرنا أبو أحمد عن أبي بكر بن دريد عن العكلى عن ابن خالد عن الهيثم
ابن عدى قال قعد اعرابي إلى جانب دار إسماعيل بن علي بالكوفة فخرجت جارية
فطفق الاعرابي ينظر إليها فقال له رجل ما نظرك إلى شيء غيرك أقبل على شأنك
واصبر ، والجارية تسمع - فقال الاعرابي ربلات تصطك وغصن بهتز وتدى يحرق
أهابه وتقول اصطبر، فضحكت الجارية وقالت والله ما مدحتنى أحد مثل ما مدحتنى

به . فقال بأبي أنت وأمي أن الهوى يظهر جيد القول ويبدى المستتر الكامن وإنك لما بما يكنى عنه الربلات مجامع الفخذين ؟ . وقلت :

أيا وَرداً على غصن بكرَّ اللحظ يلقطه
ورماناً على قنن يكادُ المشي يسقطه
أتى والبدرُ يحسدهُ وشمسُ الدجْن تغبطه
وخوفُ الناس يقبضهُ وحبُّ الوصل يبسطه

وأحسن ما قيل في الثدي :

قبيحٌ بمثلِكَ أن تهجرى وأقبح من ذاك أن تهجرى
أفانلتى بفتورِ الجفونِ ورَّما تينِ على منبر
كحقين من لبِّ كافورةٍ برأسيهما نقطتا عنبر

والناس يستحسنون قول مسلم بن الوليد :

فأقسمت أنسي الدأعيات إلى الصبا وقد فاجأتها العينُ والستر واقع
فقطت بكفيتها (١) ثمارَ نخورها كأيدى الأسارى أثقلتها (٢) الجوامع

وهو حسن جداً ومثله قول النميري :

أعيرُ كيفَ بحاجةٍ طلبت إلى صمِّ الصخور
لله دَرُّ عداكم كيفَ انتسبنَ إلى الغرور
ولقد تبیتُ أنا ملي تجنينَ رمانَ الصدور

وقال علي بن الجهم :

شاخص في الصدر غضبان على قُب البطن وطى العكن
يملاً الكفَّ ولا يفضلهُ وإذا أثنيته لا يثني

وقد طرف ابن الرومي في قوله :

صدورٌ فوقهنَّ حقائق عاج وحلى زانه حسنُ اتساق

(١) في ديوان الصريع « فقطت بأيديها » . (٢) في الإصطل « أثقلتها » .

يقول القائلون إذا رأوها أهذا الخلى من هذى الخفاق
أجود ما قيل في الخضاب بأنامل المرأة من قديم الشعر قول الأسود بن يعفر :
يسمى بها ذوؤمئتين مقرطق^(١) قَتَاتُ أَنَامِلُهُ مِنَ الْفَرْصَادِ
فأخذ المحدثون ذلك وتصرفوا فيه فمن أحسن ذلك قول أبي نواس :
يا قمرًا أبصرتُ في مآتم يندبُ شجواً بين أترابِ
يبكي فيلقى الدرّ من نرجسٍ ويلطمُ الومردُ بعنابِ
وقال ديك الجن :

ودعتها الغراق فاشتكت كبدى وشبكت يدها من لوعة يدي
وحاذرت أعين الواشين وانصرقت تعضُّ من غيظها العنّاب بالبرد
فكان أوّل عهد العين يوم نأت بالدّمع آخر عهد القلب بالجلد
ومن البديع في هذا المعنى قول الآخر :

قالوا الرّحيل فأسرّعت أطرافها في خدّها وقد اكتسبن خضابا
فاخضرّ موضعُ كفها فكأنما غرّست بأرض بنفسج عنابا
وقال النّاشيء وهو أحسن الواصفين لهذا المعنى :

من كفّ جارية كأنّ بنانها من فضة قد طرّفت عنابا
وكانّ يمناها اذا نطقت به يلقي على يدها الشّمال حسابا
وقال أيضاً : لناقنة ترنو بناظرتين بما في قلوب النّاس عالمين
تخال تطاريف الخضاب بكفها فصوص عقيق فوق قضب لجين
وقال : متعاشقان مكثمان هواهما قد نام بينهما العتاب فطابا
يتناقلان اللحظ من جفنيهما فكأنما يتدارسان كتابا
واذا هدّت عين الرّقيب تخالست كفهاها جلس السلام سلابا
بأنامل منه يلوح مدادها وأنامل منها كسين خضابا

(١) في الأصل «كأنما» وفي منتهى الطلب من أشعار العرب (مقرطق) .

فكأنما يجنى لها من كفه عنباً وتجنيه له عنابا
 يذكر أثر المداد بأنامله وأثر الخضاب بأناملها. وقلت:
 انظر الى النقش من أطرافها البضة مثل البنفسج منشوراً على فضه
 أو خلتها أخذت أطراف جرمة فنضدته على جمارة غصه
 ومن غريب ما قيل في نظم حليهن قول النمر بن تواب:
 كعاب عليها لؤلؤ وزبرجد ونظم كأجوان الجراد مفصل
 قوله «كأجوان الجراد» غريب بديع لم يسبق اليه ولا أعرف أحداً أخذه منه.
 ومن البديع قول الدمشقي:

بدر بدا والشمس في كفه وأنجم الليل عليه رعاث
 وهو من الليل ومن طرفه وشعره في ظلمات ثلاث
 أحسن ما قيل في صفة الدمع إذا امتزج بالدم قول أبي الشيبس:
 لهوت عن الأحزان إذا سفر الضحى وفي كبدى من حرهن حريق
 مزجت دماً بالدمع حتى كأنما يذاب عليها لؤلؤ وعقيق
 وقول أبي تمام: نثرت فريد مدام لم تنظم والدمع يحمل ببض ثقل المغرم^(١)
 وصلت نجيباً بالدموع^(٢) فخذها في مثل حاشية الرداء المعلم
 وقال: أبيت أراعى أنجم الليل بعدكم فيا ليت شعري هل تراعونها بعدى
 ودمع نثرت دُرّه وعقيقه كأنى حلت العقد من طرف العقد
 ومن أجود ما قيل في بياض الدمع على حمرة الخدما أنشدناه أبو أحمد عن الصولي:
 لو كنت يوم الوداع حاضراً وهن يطفئن لوعة الوجد
 لم تر إلا الدموع جارية تسقط من مقلة على خد
 كأن تلك الدموع قطر ندى يقطر من نرجس على ورد
 ونحوه قول ابن الرومي:

(١) في ديوان أبي تمام (شجو المغرم). (٢) في الديوان (وصلات دموعاً بالنجم)

لَمَّا دَنَا الْبَيْنُ وَرَاحَ الدَّلُّ وَدَعَّتْهَا وَدَمَعَهَا مُنْهَلٌ
وَحَدَّهَا مِنْ قَطْرِهِ مُخْضَلٌ كَأَنَّهُ وَرَدُّهُ عَلَيْهِ طَلٌّ

وَمِنْ أَجْمَعِ بَيْتٍ قِيلَ قَوْلُ الْمُحَدِّثِينَ :

فَأَسْلَبَتْ لَوْلُؤًا مِنْ نَرْجَسٍ وَسَقَتْ وَرَدًّا وَعَضَّتْ عَلَى الْعُنَابِ بِالْبَرَدِ
لَيْسَ لِهَذَا الْبَيْتِ نَظِيرٌ . وَقُلْتُ :

يَبْكِي فَيَسْقِي الدَّمْعُ وَجَّتَهُ كَمَا يَسْقِي الطَّلُ وَرْدَةَ غَضِهِ؟

وَمِنْ الْمَشْهُورِ قَوْلُ بَعْضِهِمْ وَهُوَ حَسَنٌ :

كَأَنَّ الدُّمُوعَ عَلَى حَدِّهَا بَقِيَّةُ طَلٍّ عَلَى جِلْمَارٍ
وَنَحْوَهُ مَا أَنْشَدَنَاهُ أَبُو أَحْمَدَ فِي الْعَرَقِ :

يَحْدَرُ مِنْ أَرْجَاءِ صُورَةٍ وَجْهَهُ مِنْ الْغَمِّ سَحَابٌ فِي الْجَبِينِ وَفِي الْخَدِّ
فِرَادَى وَمِثْنَى يَسْتَبِينُ كَأَنَّهُ سَقِطٌ نَدَى وَفِي عَلَى وَرَقِ الْوَرْدِ
وَمِثْلُهُ مَا قُلْتُ :

أَخْرَجَهُ الْحَمَامُ كَأَنَّهُ يَحْسُدُ مِنْهُ بَعْضُهُ بَعْضَهُ
كَأَنَّمَا الْمَاءُ عَلَى جَسَمِهِ طَلٌّ عَلَى سَوَسْنَةٍ غَضِهِ
وَفِي صِفَةِ الدَّمْعِ :

تَوْرِيدُ دَمْعِي مِنْ خَدِّكَ مُخْتَلِسٌ وَسَقَمُ جَسَمِي مِنْ عَيْنِكَ مُسْتَرْقٌ
لَمْ يَبْقَ لِي رَمَقٌ أَشْكُوهُوَ أَشْكُوهُوَ وَإِنَّمَا يَتَشَكَّى مِنْ بِهِ رَمَقٌ
وَأَبْلَغُ مَا قِيلَ فِي امْتِلَاءِ الْعَيْنِ مِنَ الدَّمْعِ قَوْلُ بَعْضِ الْأَعْرَابِ أَظْنَهُ :
فَظَلْتُ كَأَنِّي مِنْ وَرَاءِ زَجَاجَةٍ إِلَى الدَّارِ مِنْ فَرْطِ الصَّبَابَةِ أَنْظُرُ
وَقَوْلُ الْبَحْتَرِيِّ فِي مَعْنَاهُ :

وَيَحْسُنُ دَلُّهَا وَالْمَوْتُ فِيهِ وَقَدْ يَسْتَحْسِنُ الْمَوْتُ الصَّقِيلُ
وَقَفْنَا وَالْعَيُونُ مُشْغَلَاتٌ يَمَاجُ دَمْعُهَا طَرَفٌ قَلِيلٌ ^(١)

(١) فِي أَمَالِي الْقَالِي (بِفَالٍ دَمْعُهَا نَظَرٌ كَلِيلٌ) .

نَهْتُهُ رَقَبَةُ الْوَاشِينَ حَتَّى تَمْلُقَ لَا يَفِضُ وَلَا يَسِيلُ
قوله «يحسن دلها والموت فيه» أحسن ما قيل في الدلال .

ومن أعجب ما قيل في الدمع قول بعضهم ونسب إلى السرى ولا أظنه له :
بِنَفْسِي مِنْ رَدِّ التَّحِيَّةِ ضَاحِكًا فَنَجَّدَ بَعْدَ الْيَأْسِ فِي الْوَصْلِ مَطْمَعِي
إِذَا مَا بَدَأَ أَبْدَى الْغُرَامُ سِرَائِرِي وَأَظْهَرَ لِلْعَذَالِ مَا بَيْنَ أَضْغَعِي
وَحَالَتْ دُمُوعُ الْعَيْنِ يَدِي وَيَدَهُ كَأَنَّ دُمُوعَ الْعَيْنِ تَعِشْقُهُ مَعِي
وهذا معنى ظريف حسن جداً .

ومن حسن الاستعارة في صفة الدمع ما أنشدناه أبو أحمد عن الصولي :
قَدْ كَانَتْ فِي طَوْلِ الْبَكَاءِ رَاحَةٌ وَعَنَّانُ سَرِّي فِي يَدِ الْكَمَانِ
حَتَّى إِذَا الْإِعْلَانُ نَبَهَ وَاشْيَا رَقَاتُ دُمُوعِي خَشْيَةَ الْإِعْلَانِ
ومن البديع في ذلك قول بشار وهو مشهور :

مَاءُ الصَّبَابَةِ نَارُ الشَّوْقِ تَحْذَرُهُ فَهَلْ سَمِعْتُمْ بِمَاءٍ خَافَ مِنْ نَارِ
وَقُلْتُ : أَشْكُو الْهَوَى بِدُمُوعِ قَادِهَا قَلِقَ حَتَّى عَلِقَنَ بِجَنَنِ رَدِّهَا الْغُرُقَ
فَفِي فَوَادِي سَبِيلٍ لِلْأَمِيِّ جَدُّ وَفِي الْجَفُونِ مَقِيلٌ لِلْكَرِيِّ قَلْقُ
لَهَيْبٍ قَلْبِي أَفْضَلَ الدَّمْعِ مِنْ بَصَرِي وَالْعُودُ يَقْطُرُ مَاءً حِينَ يَحْتَرِقُ
ولا أظنني سبقت إلى هذا التمثيل . وقال ابن المعتز :

وَالطَّمَةُ خَدٌّ يَجْعَلُ الْوَرْدَ دَخْرًا وَتَنْثَرُ دَمْعًا لَا يَبِيعُ بِأَثْمَانِ
ونظير المصراع الأول قول صاحب مصر :

وَاللَّهُ لَوْلَا أَنْ يُقَالَ تَغْيِرَا وَصَبَا وَإِنْ كَانَ التَّصَابِي أَجْدَرَا
لَأَعَادَ تَفَاجَ الْخُلُودِ بِنَفْسِجَا لَثْمِي وَكَافُورَ التَّرَائِبِ عَنِّي
وأخبرنا أبو أحمد عن الصولي قال أنشد الحسن بن رجاء عن المبرد يومًا بيت ذى الرمة :
لَعَلَّ انْحِدَارَ الدَّمْعِ يُعْقِبُ رَاحَةً مِنْ الْوَجْدِ أَوْ يَشْفِي نَجْمِيَّ الْبَلَابِلِ
وقال له من قال في مثله ؟ فقال قد ملح الحسن بن وهب في قوله :

إبك فما أكثر نفع البكا والحبُّ إشفاقٌ وتعليل
إفزع إليه في ازدحام الجوى ففيه مسلاةٌ وتسهيل
وهو إذا أنتَ تأملتَهُ حزنٌ على الخلدَيْنِ محلول

وقد ملح العباس بن الاحنف :

إني لأجحدُ حبكم وأسرهُ والدَّمعُ معترفٌ به لم يجحد
والدَّمعُ يشهدُ أنني لك عاشقٌ والناسُ قد علموا وإن لم يشهد
وقال : طالَ عهدي بها فلما رأني نظمتُ لؤلؤاً على تفاح
وقد أحسن الآخر في قوله :

إذ لأجوابٍ لمفحم متحير إلا الدَّموعُ تصانُ بالاطراف
قوله « تصان بالاطراف » عبارة صحيحة جيدة . وقال آخر :

تقول غداةَ البين عندَ وداعها لك الكبد الحزني فسر ولك الصبر
وقد سبقتها عـبرةٌ فدموعها على خدَّها يـبـيضُ وفي نحرها حمر
معناه إذا انحدرت إلى نحرها إنصبغت بلون الطيب والزعفران بها .
ومن غريب المعنى قول الآخر :

عَدَتْ بأحبتى طولُ المطايا فبانَ النومُ وامتنعَ القرار
وكان الدَّمعُ لي ذخراً معدّاً فأنفقتُ الذَّخيرةَ يومَ ساروا

أجود ما قيل في طيب عرف المرأة : جميع ما مر بي من الشعر في هذا الفن متقارب في المعنى لا يفضل بعضه بعضاً إلا في القليل ، ومنه ما هو جيد المعنى حلو المعرض فتركته لأن الشرط قد تقدم بإيراد الجيد لفظاً ومعنى ورصفاً وذلك قليل ليس يقع إلا بعد التصفح الطويل والتعب الكثير :

فن أجود ما قيل في ذلك من قديم الشعر قول الأعشى :

ماروضةٌ من رياض الحزن معشبة خضراء جاد عليها مسبلٌ هطل
بضاحك الشمس منها كوكبٌ مشرقٌ وُزِّرَ بعيمِ النبتِ مكتهل

يوماً بأطيب منها نشر رائحة ولا بأحسن منها إذ ذنا الأصل
وقول القطامي وهو جيد النظم متضمن لماء الطلاوة :

وماريجُ قاعِ ذى مُخزَأمى وحنوة له أرجُ من طيبِ النبتِ طازب
بأطيب من مَيِّ إذا ما تقلبتُ من الليلِ وسنى جانباً بعد جانب^(١)

إلا أنه جاء بالمعنى في بيتين. ومما هو مضطرب الرصف جيد المعنى قول ابن الطثرية:
خود يكون بها القليل يمسه من طبعها عبقا يطيب ويكثر
هذا البيت على غاية اضطراب الرصف :

شكر الكرامة جلدها فصفا لها إنَّ القبيحةَ جلدها لا يشكر

قوله (شكر الكرامة جلدها) فى غاية من الحسن . أخذه ابن الرومى فقال :

ألوف عطر تذكي وهى ذاكية إذا أساءت جوارَ العطر أبدان

نعيم كل نهار من مجامرِها ويشمسُ الليل منها فهو ضحيان

كأنها وعشان الندى يشمها شمسُ عليها ضباباتٌ وادخان

وأخذ ابن المعتز قول القطامي ببعض لفظه إلا أنه زاد زيادة حسنة وجاء بالفاظ

بديعة وهو قوله :

وماريجُ قاعِ زاهرٍ مست الندى وروض من الرِّيحان سحت سحائبه

فجاء سحيراً بين يوم وليلة كما جرَّ من ذيل الغلالة صاحبه

بأطيب من أنوابِ شمر موهبا إذا الليلُ أدجى دابر كئائبه

إذا رغبت عن جانب من فراشها تضوَّع مسكاً أين مالت جوانبه

وقد طرف ابن الاحنف فى قوله :

ذكرتك بالرِّيحان لما شمته وبالرَّاح لما قابلت أوجه الشرب

(١) الذى فى ديوان القطامى :

وماريجُ رَوْضِ ذى أقاح وحنوة وذى نفل من قلة الحزن طازب

بأطيب من ليلى إذا ما تمايلت من الليلِ وسنى جانباً بعد جانب

تذكرت بالرمح^(١) منك روائح^(٢) وبالراح طعماً من مقبلك العذب
 وأنشدني أبو أحمد عن الصولي قال أنشدني عبيد الله بن عبد الله لنفسه :
 تطيرت أيام اجتنابك أن ترى مكانك عيني لا خلا منك خاليا
 فأسكنته نوراً كريك طيبه يذكرك في منك الذي لست ناسيا
 وقد أحسن وحسنه قليل . وقيل لأعرابي أبة رائحة أطيب؟ قال رائحة بدن
 تحبه أو ولد تربه فقال ابن الرومي * ريحه ريح طيب الاولاد * وقلت :
 يمر بي وفد الصبا والليل يقضي نحيبه
 مر بروض زاهر ذر عليه عشبه
 فخاته من طيبه نشوة من أحبه
 ومن البليغ قول سحيم^(٣) :
 فما زال بردى طيباً من ثيابها إلى الحول حتى أنهج البرد باليا
 وأبلغ من ذلك وصفهم طيب المواضع التي وطنها الحبيب ، وأول من قال
 ذلك النميري^(٤) :

تضوع مسكاً بطن نعمان إذ مشت به زينب في نسوة خفرات
 ومن أحسنه وأرشقه قول جميل :
 ألا أيها الربع الذي غير البلا عفا وخلا من بعد ما كان لا يخلو
 تداءب ربح المسك فيه وإنما به المسك إذ جرّت به ذيلها جمل
 وقوله : وأنت الذي حبيت سعيماً إلى بدا إلى وأوطاني بلاد سواها
 حلت بهذي مرة ثم مرة بهذي فطاب الوادبان كلاهما

(١) في ديوانه (بالتفاح) في الموضعين . (٢) في ديوانه (سوالفا) . (٣) هو عبد بنى
 الحسحاس ، كان أسود حلو الشعر رقيق الحواشي . (٤) « النميري » ساقطة من الاصل
 فاستدر كذاها من الاغاني حيث ذكر البيت في أخبار النميري وهو محمد بن عبد الله
 شاعر غزل . ولد من شعراء الدولة الأموية ، وفيه « غطرات » بدل (خفرات) .

وقال الآخر :

أرى كل أرض يعمتها^(١) وإن مضت لها حجج^ث يزاد طيباً ترابها وقد طرف ابن الأحنف في قوله :

وجد الناس ساطع المسك من دجلة قد أوسع المشارب طيباً
فهم ينكرون ذاك وما يدرون أن قد حلت منها قريبا
وقال البحرى: فكان^(٢) العبير بها واشياً
وقلت: تأملت منها غزالاً ريبيا
جلت لك عن خضل واضح
وهزت لنا بسرّة الكثيب
عشية راحت وأترابها
كواكب ليل إذا مارأت
وأقمار روض قمرن^(٣) العقول
إذا زدتها نظراً زدتنى
رحلن العشية من ذى الغضا
وقد أحسن القائل في قوله :

جارية أطيب من طيبها والطيبُ فيها المسك والعنبر
 ووجهها أحسن من حلبيها والحلي فيها الدرُّ والجوهر
 ولو قيل إن هذا أحسن ما قاله محدث في ذلك لم يكن بعيداً. ومما هو غاية قول
 مريء القيس :

وَأَلَمْ تَرَ أَنَّى جَاءَتْ طَارِقًا وَجَدَتْ بِهَا طَيِّبًا وَإِنَّ لَمْ تَطِيبْ
وَقَدْ طَرَفَ الْقَائِلُ :

(١) في الأصل (دمتها). (٢) في الديوان (فصان) (٣) في هامش الأصل : ما عليه
لو قال «عقلن العقول» ليطابق الجنس كما قال «قلبن القلوب» فكان أوقع في النفوس .

أتأها بمطرٍ أهلها فتضاكتُ وقالتُ وهل يحتاج عطرٌ إلى عطر
وقد أجاد البحتري :

لنا من ريقه راح ومن رياه ديمان
وأنشدنا أبو أحمد في طيب الريح إلا أنه وصف رجل :
سقى لأيام مضتُ وكان معها حلوم
أيام يقى لي ويفنى رهطه الرجل العريم
إذ لا دليل على في برد الضحى إلا النسيم
أجود ما قيل في حب الصغار من شعر المتقدمين قول نصيب ^(١) :
ولولا أن يقال صبا نصيبٌ لقلت بنفسى النشء الصغار
بروحى كل مهضوم حشاها إذا ظلمت فليس لها انتصارُ
إذا ما للذل ضاعفن الحشايا كفاها ان يلاث لها الأزارُ
ومن مليح ذلك قول عوف بن محم ^(٢) :

وصغيرة علقتهما كانت من القن الكبار
كالبدر إلا أنها تبقى على ضوء النهار
وأنشدني أبو أحمد عن الصولى قال أنشدني عبد الله بن الحسن وقد ملح وطرف :
جارية أذهلها اللعبُ عما يقاسى الهائمُ الصبُ
شكوتُ ما لقاها من حبها فأقبلتُ تسألُ ما الحبُ
ومن مليح ذلك ما روى أن عبد الملك بن مروان عرضت عليه جارية فقال لها
أبكر أنت أم ثيب ؟ فقالت بل ثيب فأنشد عبد الملك :

قالوا عشقت صغيرةً فأجبتهم خيرُ المطي لدى ما لم يركب
كم بين حبة لؤلؤ مثقوبة لبستُ وحية لؤلؤ لم تثقب

(١) هو نصيب بن رباح الشاعر الفحل المتقدم في المديح والنسيب .

(٢) الخراعى الشاعر العالم الأديب الراوى صاحب البيت المشهور (إن الثمانين) :

فقاتل الجارية: إن المطايا لا يلذُّ ركوبها ما لم تذللْ بالزمام وتركب
والدرُّ ليسَ بِنافع أربابه ما لم يؤلف في النظام ويثقب
قد أحسننا جميعاً إلا أن وجه الكلام أن يقال يثقب ويؤلف في النظام .
أصدق ما قيل في صفة الحب قول العباس بن الأحنف :

من كان يزعم أن يدارى في الهوى حتى يشكك فيه فهو كذوب
الحبُّ أملاك للفؤادِ بقهره من أن يرى للسرِّ فيه نصيب
وقلت : آفة السرِّ من جفو نِ دوامِ دوام
كيف يخفى مع الدمو ع الهوى في الهوام
مارأينا أخا هوى سره غير ذائع
أن نيرانَ حبه باديات الطوالع

من أظرف ما قيل في ذكر الشركة في الهوى ما أنشدنيه أبو أحمد :

مالي جفيتُ وكنت لأجفئ وعلامةُ الهجرانِ لا تخفى
وأراك تمزجني وتشريني ولقد عهدتك شاربى صرفا

وقد أحسن العباس بن الأحنف في هذا المعنى وهو قوله :

يا فور لم أهرجركمُ للمللة منى واللقالِ واشِ حاسد
لكننى جربتكم فوجدتكم لا تصبرون على طعام واحد

وقد جاء أبو نواس بهذا المعنى إلا أن قول العباس أطبع ، قال أبو نواس :

أتيت فؤادها أشكو إليه فلم أخلص إليه من الزحام
فيامنُ ليس يكفيها محبٌّ ولألفا محبٌّ كلَّ عام
أظنك من بقية آل موسى فهم لا يصبرون على طعام

دما سبق به العباس الشعراء كلهم قوله :

أحرم منكم بما أقولُ وقد نال به العاشقون من عشقوا
صرتُ كائنٍ ذبالةً نصبتُ تضییء للناسِ وهى تحترق

وأول من ذكر هذا المعنى صاحب كيلة ودمنة . وإلى معنى قول البيت الأول
يوميء قول البحري :

قصائد ماتنفاك فيها غرائب تألق في أضعافها وبدائع
مكرمة الانساب فيها وسائل^ه إلى غير من يحبي بها وذرائع
ومما سبقت إليه من المعاني ما قلته :

رفع الستر فانتفى غصن بانٍ يتجلى الهلال في معناه
ليس لي أن أنال ما أتمنى من جنى وصلة اللذيق جناه
فلو أني كنت في بعض شعري فاذا ماشدها قببت فاه

ومن أبلغ ما قيل في بخل المعشوق من قديم الشعر ما أنشدناه أبو أحمد عن أبي
بكر بن دريد عن عبد الرحمن عن عمه :

وما نطفة^ه كانت سلاله بارقٍ تمت عن طريق الناس ثم استظلت
بأطيب من أثياب تلتهم بعدما حدا الليل أعقاب النجوم فولت
وقد بخلت حتى لو أني سألتها قذى العين من ضاحي التراب لضنت

ومن أحسن ما قيل في وقوف النظر على المعشوق قول بعضهم (قيد الحسن
الحدقا) وهو من قول امرئ القيس « قيد الأوابد » وقد أحسن الآخر في قوله :
ظبي^ه له من قلوب الناس نابتة^ه من المودة تجني أطيب الثمر
إذا بدا رمت الأبصار وجنته دمعاً فلم تختلف عينان في نظر
ونحوه قول المتنبي :

وخصر تثبت الأبصار فيه كأن عليه من حدق نطاقا
ومن أجود ما قيل في كمال الحسن ما أنشدناه أبو أحمد :

كل شيء من محاسنها كامن في حصنه مثلاً
ليس فيها ما يقال له كملت لو أن ذا كمالا

وقال أبو نواس * لومني الحسن ما تعداها * أخذه أبو تمام فقال :

معتدل لم يعتدل عدله في عاشق طال به خبله
 أطرقه أحسن أم طرفه وحسنه أكمل أم عقله
 انظر فما عاينت في غيره من حسن فهو له كله
 لو قيل للحسن تمنّ المنى إذا تمنى أنه مثله
 أي خصال حازها سيدي لو لم يكدر صفوها مطله
 وقال أبو نواس: تمت وتم الحسن في وجهها فكل شيء ما خلاها محال
 للناس في الشهر هلال ولي من وجهها كل صباح هلال
 وقال: متائنه بجباله صلف لا استطاع كلامه نيبها
 لو كانت الأشياء صورته حتى إذا كملت تاهت على التيهها
 وقال: ألاحظ حسن وجنته فتجرحني وأجرحها
 وقال غيره: شكوت إلى شبيهك إذ تجلي هو اك فلم يزل شكوى الحزين
 وكان كأنك إشرافاً وحسناً وقلة رحمة المستكين

أحسن ما قيل في إعراض الحبيب قول النمر بن تولب :
 قصدت كأن الشمس تحت قناعها بداحاجب منها وضفت بحاجب
 وقد مر قبل . ومن ظريف ما جاء في ذلك قول ابن الرومي :
 ماساء في إعراضه غنى ولكن سرقي
 سالفناه عروض عن كل شيء حسن
 وقال الآخر وأحسن :

صدّ عنى محمد بن سعيد أحسن العالمين ثاني جيد
 صدّ عنى من غير جرم إليه ليس إلا لحسنه في الصدود
 والفرد الذي لا شبيه له في كثرة اعتلال المعشوق على العاشق وكثرة تجنبه عليه قول بعضهم :
 شكوت فقالت كل هذا تبرما بحبي أراح الله قلبك من حبي
 فلما كتمت الحب قالت لشرما صبرت وما هذا بفعل الشجي الصب

وأذنو فتقصيني فأبعد طالباً
فشكواى تؤذيها وصبرى يسوءها
وقريب منه قول مسلم :

ويخطى عذرى وجه جرمى عندها
إذا أذنبت أعددتُ عذراً لذنبها
بذكرك مات اليبس في حضرة المنى
قد أصاب صفة العاشق . وقلت :

صبابة نفس لا ترى الهجرَ حالياً
نزلتُ على حكم الصبابة والهوى
ولولا الهوى ما كنتُ أملُ باخلا
ومن شأنه أنى إذا ما ذكرته
على أننى أنأى فأذنو تذكراً
ويعجبني حبي له وصبابى
فلو ظننى أسلوه لم أكُ هاجراً
ولكن عشتى في ضمان جفونه
ومن أصاب وصف العاشق الصادق

إذا قربتُ داره كلفتُ وإن نأتُ
وإن وعدتُ زاد الهوى لانتظارها
ففى كلِّ حال لا محالة فرحة
ومثله قول الآخر :

وما فى الأرض أشقى من محبٍ
تراه باكيًا فى كلِّ حين
فيسكى إن نأوا شوقاً إليهم
وان وجدَّ الهوى حلوَ المذاق
مخافةً فرقة أولاشتياق
ويسكى إن دنوا خوف الفات

رضاها فتعتدُّ التباعدَ من ذنبى
وتجزع من بعدى وتنفرُ من قربى

فأجنى إليها الذنبَ من حيثُ لا أدرى
فإن سخطتُ كان اعتذارى من العذر
وإن كنتُ لم أذكركُ إلا على ذكر

وصبوة قلب ما ترى القلبَ شافياً
فصرتُ أرى للخلِّ ما لا يرى ليا
أرحم ظلاماً وأذكرُ ناسياً
جفانى وسمانى إذا غبتُ جافياً
ولستُ كنُ يدنو فينأى تناسياً
اليه وإمساكى عليه ودادياً
ولو خالنى أنساه لم يكُ نائياً
فيأمن سلوانى ويرجو غرامياً

أسفتُ فلا للقرب أسلو ولا البعد
وإن بخلتُ بالوعد متُّ على الوعد
وحبك ما فيه سوى محكم الجهد

فتسخن عينه عند التناهي وتبرد^(١) عينه عند التلاقي
ووصفه الهوى بالحلاوة مع هذه الصفات وصف بديع غريب . ومثله قول ابن الاحنف :
إذا رضيت لم يهنئ ذلك الرضا لصحة علمي أن سيبه عتب^(٢)
وأبكي إذا ما أذنبت خوف عتبتها^(٣) فأسألها مرضاتها ولها الذنب
وصالك صرم وحبكم قلى وعطفكم صد وسلمكم حرب
ومثل البيت الأول قول سعيد بن حميد و يروى لفضل الشاعرة :

ما كنت أيام كنت راضية عنى بذاك الرضا بمفتيط
علماً بأن الرضا سيبه منك التجنى وكثرة السخط
فكل ما ساءنى فمن خلق منك وما سرنى فمن غلط

ومن البديع فى طلب نيل المعشوق قول الآخر :

عدينا موعداً ثم اجحدينا فكم من مبطل حقاً بجحد
وإلا فابذل من غير وعد فقد تكف السماء بغير وعد

وقلت فى نحو ذلك :

تسي على بعد الديار تنائياً وخلفك عند القرب من عصب البعد
كثير سرورى فى قليل وفائه وعند ابتسام البرق قهقهة الرعد

ومن أبلغ ما قيل فى الرضا عن المعشوق بالقليل قول جميل :

أقلب طرفى فى السماء لعله يوافق طرفى طرفها حين تنظر

ومثله قول ابن المعلوط :

أليس الليل يلبس أم عمرو وإيانا فذاك لنا تدان
بلى وأرى السماء كما تراها ويعلوها النهار كما علانى

وأنشدنى أبو أحمد عن ابن الأنبارى لجميل^(٤) :

(١) فى الأصل (تسخن). (٢) فى ديوان ابن الاحنف (لعملى بأن سوف يتبعه العتب)

(٣) فى ديوان ابن الاحنف (خوف صدها). (٤) هو جميل بن معمر البدرى

وإني لأرضى من بشينة بالذى لو استيقن الواشى لقرت بلابله
 بلا وبالا استطيع وبالمنى وبالأمل المكذوب^(١) قد خاب آمله
 وبالنظرة العجلى وبالحول تنقضى أو آخره لا للستي وأوائله
 وكان جميل يصدق في حبه وكثير يكذب . ومن ردىء هذا الباب قول بعضهم :
 وما نلت منها محرماً غير أننى إذا هى بالت بلت حيث تبول
 وعفة هذا كمفة المتنبي في قوله :

انى على شغفى بما فى خمرها لأعف عما فى سراويلاتها
 سمعت بعض الشيوخ يقول من الفجور ما هو أحسن من هذه العفة إذ عبر
 عنها بهذا اللفظ . وأخبرنا أبو أحمد أخبرنا الجوهري عن عمر بن شبة قال حدثنى
 أبو يحيى الزهرى عن رجل ذكره قال قيل لكثير ما أنسب بيت قاله العرب ؟
 قال الناس يقولون :

أريد أنسى ذكراها فكأنما تمثلى لى لى بكل سبيل
 وأنسب عندى منه :

وقل أم عمر وداؤه ودواؤه لديها ورياها الطيب الموافق
 وهذا البيت جيد المعنى ردىء الرصف . وأبلغ ما قيل فى شدة الحب ما أنشدناه قدامة :
 يودُّ بأن يمسى سقيماً لعلها إذا سمعت منه بشكوى ترأسله
 ويهتر للمعروف فى طلب العلى لتحمد يوماً عند سلمى شمائله
 وقلت فى معناه :

وقلت عساها إن مرضت تعودنى فأجبت لو أتى غدوت مريضاً
 وزدت اتساعاً فى المكارم والعلل ليصبح جاهي عندهن عريضاً
 ومن الشعر المختار فى النسب قول أبى المطاع :

كان كثير راوية جميل وجميل راوية هدية وهدية راوية الحطيئة والحطيئة راوية
 زهير بن أبى سلمى . (١) فى وقفات الاعيان (وبالأمل المرجو) .

أفدى الذى زرته والسيفُ يخفرنى ولحظُ عينيه أمضى من مضاربِهِ
فما خلعت نجاداً في العناقِ لَهُ حتى لبستُ نجاداً من ذوائبِهِ
فباتَ أنعمنا بالآ بصاحبِهِ من كان في الحبِّ أشقانا لصاحبِهِ

وقلت في معنى البيت الآخر :

بقدرِ الصبابةِ عندَ المغيبِ تكونُ المسرَّةُ عندَ الحضورِ
وأطيب ما كان برُدِّ الثغورِ إذا هو صادفَ حرَّ الصدرِ

ومن المختار في صفة العذار :

وقلت الشعرُ يسلينى هواهُ ولم أعلم بأنَّ الشعرَ حينى
فظلتُ لشقوتى أفدى وأمى سوادَ عذارهِ بسوادِ عينى

ومن أعجب ما قيل في التهلك في الحب ونهاية التقرب الى المعشوق قول ديك الجن :

بانوا فصارَ الجسمُ من بعدهم ماتصنعُ الشمسُ لَهُ فياً
بأىَّ وجهٍ أتلقاهمُ إذا راوَى بعدهمُ حياً

ومن أبدع ما قيل في عدم السلو قول ابن الرومى :

أسماءُ أىُّ الواعدينَ ترينهُ أشدَّ كما مطالاً فأنى لا أدرى
أأنتِ بنيلِ منك يبردُ غلتى أم النفس بالسلوانِ عنك وبالصبرِ

لم يقل في بعد الحبيب أحسن من قول ابن الاحنف : أخبرنا أبو أحمد عن الصولى

عن هارون بن عبد الله المهلبى قال كنا عند دعبل فذكر العباس بن الأحنف فقال

جيده قليل ولا أعرف أحسن من شعره في الشعر :

هى الشمسُ مسكنها في السماء فعرَّ الفؤادَ عزاءً جميلاً
فلن تستطيعَ إليها الصعودَ ولن تستطيعَ إليك النزولاً

ومن البديع القليل النظيرِ قوله أيضاً يذكر كلام الناس فيه وفي معشوقه :

قد سحِبَ الناسُ أذيالَ الظنونِ بنا وفرَّقَ الناسُ فينا قولهم فرقا

فكاذب^(١) قد رمى بالظن غيركم وصادق^٢ ليس يدرى أنه صدقا
وهذا معنى غريب بديع ما أظنه سبق إليه .

ومما هو في معنى قوله * هي الشمس مسكنها في السماء * الخ قول الآخر :
شكوت^٣ إلى بدرٍ هوأى فقال لي ألت ترى بدرَ السماء الذي يسرى
فقلت^٤ بلى قالَ التمسهُ فأنه نظيرى ومثلى في علوِّ وفي قدر
فإن نلتَهُ فاعلم بأنك نائلي وإن لم تنله فابغِ أمراً سوى أمرى
فكان كلا البدرين صعباً مرامه^(٢) فويلي من بدرِ السماء ومن بدرى
ومن الغريب البديع في مدح الفراق لمكان القبلة والاعتناق قول محمد بن
عبد الله بن طاهر :

ليسَ عندي شحطُ النوى بعظيم فيه غمٌ وفيه كشفُ غموم
من يكنْ يكرهُ الفراقَ فاني أشتيه لموضع التسليم
إنَّ فيه اعتناقة لوداع وانتظار اعتناقه لقدوم
فلكم قبلةٌ وغيبة شهر (هي) خيرٌ من امتناع مقيم
وأخبرنا أبو أحمد عن ابن المسيب لابن الرومي :

فاذا كانَ في الفراق عناقٌ جعل اللهُ كلَّ يوم فراقا
أجود ما قيل في خفقان القلب قول قيس بن ذريح^(٣) :

كأنَّ القلبَ ليلةٌ قيل يفتدى بليلى العامرية أو يراح
قطاةٌ عزها^(٤) شركٌ فباتت تجاذبه وقد علقَ الجناح

فلولا التضمين الذي فيه لكان غاية . ومن الغريب في ذلك قول ديك الجن :
ومملوء من الحزن يعالج سورة الأرق

(١) في ديوان ابن الأحنف « فجاهل^٥ » . (٢) في الاصل (صعباً فراقه) .

(٣) الكنتاني من شعراء العصر الأموي من سكان المدينة شعره على الطبقة في التشبيب
والحنين . (٤) كذا في الأملاني ، وفي الأصل « غزها » وفي الصناعتين « غرها »

تَكَادُ غُرُوبُ مُقْلَتِهِ تَعْمُ الْأَرْضَ بِالْفَرْقِ
كَأَنَّ فُؤَادَهُ قَلَقَا لِسَانُ الْحَيَةِ الْفَرْقِ

وقد أحسن في قوله أيضا :

عَلِمْتُ قَلْبِي وَجِيئًا لَسْتُ أَعْرِفُهُ مَا أَنْكَرَ الْقَلْبَ إِلَّا كَمَا خَفِقَا
يَاشُوقُ إِلَيْنِ حَالُ الْبَيْنِ بَيْنَهُمَا فَمَا فَصَّاهُ عَلَى التَّوْدِيْعِ فَاعْتَنَقَا
لَوْ كُنْتُ أَمْلِكُ عَيْنِي مَا بَكَيْتُ بِهَا تَطِيرًا مِنْ بَكَائِي بَعْدَهُمْ شَفَقَا

وقد أحسن القائل وجاء بما في نفس العاشق :

وَلَوْ دَاوَاكَ كُلُّ طَيِّبٍ (رَكْب) بَغِيرِ كَلَامٍ لَيْلِي مَا شَفَاكَ
وَلَوْ أَصْبَحْتَ تَمْلِكُ كُلَّ شَيْءٍ سِوَى لَيْلِي عَنَيْتُ عَلَى غَنَاكَ
وَمَنْ أَعْجَبَ مَا قِيلَ فِي الشَّفَقَةِ عَلَى الْمَشُوقِ قَوْلُ أَبِي دَاوُدَ الْعَجَلِي :
أَحْبَبُكَ يَا جَبَانَ وَأَنْتَ مَنِي مَكَانَ الرُّوحِ مِنْ جَسَدِ الْجَبَانَ
وَلَوْ أَنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ نَفْسِي نَخَفْتُ عَلَيْكَ بَادِرَةَ الطَّعَامِ
لَا قَدَامِي إِذَا مَا الْخَلِيلُ جَالَتْ وَهَابَ شَجَاعُهَا وَقَعَ الطَّعَامِ

خص الجبان لأنه أشد شفقة على نفسه من الشجاع وهذا من جيد الاستطراد.
ومن يبلغ ما قيل في الحب مع الشجاعة ومن أجود ما قيل في اليأس عن الوصل
قول مجنون ليلي أو غيره :

خَرَجْتُ فَلَمْ أَظْفِرْ وَعَدْتُ فَلَمْ أَفْزِ بَنِيْلُ كَلَا الْيَوْمَيْنِ يَوْمَ بَلَاءِ
فِيَا حَسْرَتِي مَا أَشْبَهَ الْيَأْسَ بِالْغَتَى وَإِنْ لَمْ يَكُنَا عِنْدَنَا بِسِوَاءِ
وَقَالَ : وَقَدْ أَقْبَنْتُ نَفْسِي بِأَنْ حِيلَ بَيْنَهَا وَيَنْتَ لَوْ يَأْتِي بِيَأْسُ يَقِينَهَا
أَرَى النَّفْسَ عَنْ لَيْلِي تَعَانِي بِلَاعِنَا وَقَدْ جُنَّ مِنْ وَجْدِي بِلَيْلِي جُنُونَهَا
وَمِثْلُ ذَلِكَ : فَإِنْ يَكُ عَنْ لَيْلِي غَتَى وَتَجَلَّدُ فَرُبَّ غَنَى نَفْسٍ قَرِيبٌ مِنَ الْفَقْرِ

ومن أطرف ما قيل في النحول ما أنشدنيهِ أَبُو أَحْمَد :

إِذَا (يَوْمًا) بَلَيْتُ وَذَابَ جِسْمِي لَمْ يَلَّ الرِّيحَ تَحْمِلُنِي إِلَيْهِ

وقال ابن المعتز :

ماذا ترى في مدنف يشكوك طول سقمه
أضنيه فما يطبق ضعفه^(١) حل اسمه
فلا يراك تائداً إلا بعين وهمه

وقال كشاجم :

وما زال يرى أعظم الجسم حبها وينقصها حتى لطفن عن النقص
وقد ذُبتُ حتى صرتُ إن أنا زرتها أمنتُ عليها أن يرى أهلها شخصي
وقال ديك الجن وبالغ :

أنحلَّ الوجدُ جسمه والحنين وبرَّاهُ الهوى فما يستبين
لم نرس أنه جليدٌ ولكن دقَّ جداً فما تراهُ العيون
وقال نصر بن أحمد :

قد كان لي فيما مضى خاتمٌ فاليوم لو شئتُ تمنطقُ به
وذُبتُ حتى صرتُ لوزجٍ في في مُقلَّةِ النائم لم ينتبه
الحسن بن وهب^(٢) :

أبليتُ جسماً من بعد جدته فما تكادُ العيون تبصره
كأنه رسمٌ منزل خلق تعرفه العين ثم تنكره

ومما لا أظن أن له شبيهاً قول بعض الحول وليس في هذا المعنى :

حمدتُ إلهي إذ بليتُ بحبها على حَوْلٍ يغني عن النظرِ الشرر
نظرتُ إليها والريبُ يظنني نظرتُ إليه فاسترحتُ من العذر
ومن فصيح ما قيل في إفشاء الهوى صاحب ؟ قول بعض نساء الأعراب :
ألا قاتل الله الهوى ما أشده وأصرعه للمرء وهو جليدٌ

(١) في ديوان ابن المعتز المطبوع (فلم يطبق من ضعفه)

(٢) هو الكاتب الشاعر الوجيه صاحب الاخبار مع أبي تمام ، رثاه البحري لمات .

دعاني الهوى من نحوها فأجبتُهُ فأصبح بي حيثُ يريدُ
وقال كشاجم وأحسن في قوله وليس من هذا المعنى :

أقبلتُ ثمَّ عرَّجتُ ليتها لم تُعرج
في حدادٍ كأنها وردةٌ في بنفسج

ومن أحسن ما قيل في مجيء الفراق بعد التلاق قوله أيضاً :

لم أستتمَّ عناقهُ لقدمه حتى بدأتُ عناقهُ لوداعه
فمضى وأبقى في فؤادي حسرةً تركته موقوفاً على أوجاعه

وأنشدني أبو أحمد قال أنشدني الصولي أنشدني الحسين بن يحيى أنشدني

الحسين بن الضحاك لنفسه :

بأبي زورٍ تلفت له فتنفستُ عليه الصعدا

بينما أضحك مسروراً به إذ تقطعتُ عليه كدا

وأنشدنا عنه لأبي العميث (١) :

أقيمتُ ابنةَ السهمي زينبَ عن عُفْرٍ ونحن حرامٌ مسمىَ عاشرة العشر (٢)

فكلما نلتينِ كالثلجِ منهما وأخرى على لوحٍ أحرَّ من الجمر

الأولى تسليم اللقاء فهي باردة طيبة والأخرى تسليم الوداع .

ومن جيد ما قيل في تجدد الشوق على قرب الديار قول بعض العرب :

ويزدادُ في قرب الديار صبايةً ويبعدُ من فرطِ اشتياق طريقها

وما ينفع الحرَّ أن ذا اللوع أن يرى حياضَ القرى مملوءةً لا يذوقها

ومن جيد ما قيل في رد العذول :

(١) هو عبد الله بن خليل ، كان كاتب عبد الله بن ظاهر وشاعره ، كان
مكثراً من نقل اللغة عارفاً بها ، شاعراً مجيداً . (٢) في البيت تصحيف صححناه
من الأمل ، وفيه : عن عُفْر : عن بعد أي بعد حين ، ونحن حرام : أي محرمون ،
ومسمىَ عاشرة العشر يعني أنه أقيمتها بعرفات عشية عرفة وهو مسمى عاشرة العشر .

إذا أمرتني العاذلاتُ بهجرها هفتُ كبدٌ مما يقلنَ صديع
وكيفَ أطيعُ العاذلاتِ ووجهها بؤرقتي والعاذلاتُ هجوع
ومن جيد ما قيل في رياضة النفس على الهجر ما أنشده أبو اسحق الموصلي :
واني لا أستحيى كثيراً وأتقى عيوباً وأستبقى المودةَ بالهجر
وأندرُ بالهجرانِ نفسي أروضا لأعلمَ عندَ الهجرِ هل لي من صبر
وقال غلام من فزارة :

وأعرض حتى يحسب الناسُ أنما هي الهجرُ لا والله ما لي لك الهجرُ
ولسكن أروضُ النفسَ أنظر هل لها إذا فارقتُ يوماً أحبَّتها صبرُ
وزاد العباس بن الأحنف فقال :

أروضُ على الهجرانِ نفسي لعلها تمسك لي أسبابها حينَ تهجر
والزيادة في قوله :

وأعلمُ أنَّ النفسَ تكذبُ وعدها إذا صدقَ الهجرانَ يوماً وتغدر
وما عرَّضتُ لي نظرةً مذ عرفتها فأنظر إلا مثلتُ حينَ أنظر
وهذا من قول جميل :

أريدُ لأنسى ذكراً فكأنها تمثُلُ لي ليلي بكلِّ سبيل
وذكر بعضهم أنه بهجرها مخافة العين تصيب وصلها : أنشدناه أبو أحمد عن
الصولي عن أحمد بن يحيى ، وأحمد بن سعيد الدمشقي عن الزبير :

خشيتُ عليها العينَ من طول وصلها فهاجرتها يومين خوفاً من الهجر
وما كانَ هجراني لها من ملالةٍ ولكنني جرَّبتُ نفسي على الصبر
ومن فصيح الشعر الداخل في هذا الباب قول إبراهيم بن العباس أنشدناه أبو
أحمد عن الصولي عن ثعلب وأبي ذكوان قالاً أنشدنا إبراهيم بن العباس لنفسه :

يمرُّ الصبا صفاً حساً كن ذى الغضا فيصدعُ قلبي أن يهبَّ هبوبها
قريبةٌ عهدٍ بالحبيب وإنما هوى كلِّ نفسٍ أين حلَّ حبيبها

تطلع من نفسى اليك طوالم عوارف أن اليأس منك نصيبها
 وإنما أغار إبراهيم بن العباس على ذى الرمة حيث يقول:
 إذا هبت الأرواح من نحو جانب^(١) به أهل ميّ زاد شوقي^(٢) هبوبها
 هوى تنرف العنان منه وإنما هوى كل نفس أين^(٣) حلّ جيبها
 مو قال العباس بن الأحنف في غير هذا المعنى :

متى تبصرني يا ظلوم تبيني شمائل بادي البث منصدع القلب
 بريثاً غنى الذنب لما هجرته^(٤) لكما يقال الهجر^(٥) من سبب الذنب
 وقد كنت أشكو عتبتها وعتابها فقد فجعنتى بالعتاب وبالعتب
 أشفق عليها من أن تهجره بغير ذنب فيقال إنها ملول فيلحقها هجنة .
 ومن أجود ما قيل في الوقوف على الديار قول امرئ القيس * قفا نبك من
 ذكرى حبيب ومنزل * وقف واستوقف وبكى واستبكى وذكر الحبيب والمنزل في
 مصراع فليس له شبيه في جميع أشعارهم . وأحسن ما قيل في وصف الديار وبلاها
 ما أنشدناه أبو أحمد عن المبرمان عن أبي جعفر عن أبيه :

ولم يترك الأرواح والقطر والندى من الدار إلا ما يشف وبشفق
 وقلت : قد عريت أنما حين اكتست أردية الريح عشيّاً وضحى
 لم يبق فيها غير ما يدكى الجوى ويصرف النوم ويبعث البكى
 وأنشدنا أبو القاسم :

ألا حى من أجل الحبيب المغانيا لبسن البلى مما لبسن اللياليا
 ولا عرابي : طللان طال عليهما الأبد دثرا فلا علم ولا نصد
 لبسا البلى فكأنما وجدا بعد الأوبة مثل ما أجد

(١) في ديوان ذى الرمة (من كل جانب) . (٢) في الديوان (هاج شوقي)

(٣) في الديوان (حيث حل) . (٤) في ديوان العباس المطبوع (صرته)

(٥) في الديوان (الصرم) .

وهذا مثل قول جرير * أحب لحب فاطمة الديارا * والذي أورد من أنواع هذه المعاني إنما هو إشارة إلى جمهورها وتنبيه على معظمها ولو اتبعت كل ما فيه أمثاله وعلقت عليه أشكاله لكثرت واتصلت وتوفرت حتى أملت وأضجرت وتجاوز الحد في القول من هذه فيه وهجنة على قائله؟ ومن أجود ما قيل في حب السودان : أحب النساء السود من حب تكتم ومن أجلها أحببت من كان أسودا فجنني بمثل المسك أطيب نفحة وجنني بمثل الليل أطيب مرقد البيت الثاني على غاية الجودة وحسن التمثيل . وقلت :

سرفت وددى إلى السودان من هجر وما (أميل) إلى روم ولا خزر
أصبحت أعشق من وجه ومن بدن ما يعشق الناس من عين ومن شعر
فان حسبت سواد الجليل منقصة فانظر الى سعة في وجنة القمر
وروى للجاحظ :

يكون الخال في وجهه مليح فيكسوه الملاحة والجالا
ولست تمل من نظره اليه فكيف إذا رأيت الوجه خالا
وقد ملح بعضهم في خلاف ذلك :
إن الذي يعشق من لا
وإن من يعشق زنجية كالذي ذلك في الظامة

أجود ما قيل في الخيال من قديم الشعر قول قيس بن الخطيم :
أنى سريت وكنت غير سرور وتقرب الاحلام غير قريب
ما تمنى يقضى فقد تؤتته في النوم غير مكدر^(١) محسوب
كأن المنى بلقائها فلقيتها ولهوت من هو امرىء مكذوب
وقول عمرو بن قميئة^(٢) :

(١) في ديوان قيس (غير مصرد) . (٢) من قدماء الشعراء في الجاهلية ، يقال إنه أول من قال الشعر من نزار وهو أقدم من امرىء القيس ، وهو شاعر خل .

نأتِكَ إمامة إلا سؤالا وإلا خيالاً يوافي خيالاً
خيالى يخيل لى نيلها ولو قدرت لم تخيل نوالا
وهذا من معانى القدماء غريب وهو أبلغ ما قيل فى بخل المشوق ، ومن هاتين القطعتين
أخذ المحدثون أكثر معانيهم فى الخيال ، ومن البارع الفصيح فى هذا المعنى قول البعيث^(١) :
أزارتك ليلي والركاب خواضع وقد بهر الليل النجوم الطوالع
فأعطتك آيات المنى غير أنها كواذب إن حصلتها وخوادم
على حين ضم الليل من كل جانب جناحيه وانقضت نجوم ضواجم
وأعجلها عن زورة لم أفر بها من الصبح حاد يزعج الليل ساطع
وأحسن النميرى حيث يقول :
عجباً لطيفك أنه يشكو الجوى وهو الجوى

أخذه مسلم فقال :

طيف الخيال عهدنا منك إماما داويت سقماً وقد هيجت أسقاما
ومن اللفظ الغريب قوله : * ز الكرى طيفها وهنا خيالى *
لأعرف أنه سبق الى هذا اللفظ . وقال أبو تمام :
استزارتك فكرتى فى المنام فأتاه فى خيفة^(٢) واكتتام
يا لها ليلة تزاورت^(٣) الأُر واح فيها سرّاً من الأجسام
مجلس لم يكن لنا فيه عيب غير أنا فى دعوة الأحلام
وهذه معان إلا أنه ليس لألفاظها طلاوة . ومن غريب المعانى فى هذا قول دعبل :
سرى طيف لى حين حان هبوب وقضيت شوقى حين كاد يؤوب
ولم أر مطروقاً يحل بطارق ولا طارق يقرى المنى وبثيب

(١) هو خدش بن بشر من بنى مجاشع ، كان أخطب بنى تميم وسمى البعيث بقوله :

تبعت منى ماتبعث بعدما استمر فؤادى واستمر عزيمى

(٢) فى ديوان أبى تمام « فأتانى فى خيفة » . (٣) فى الديوان (تنزهت) .

يقول ان العادة أن يقرى الطارق المطروق والخيال طارق يقرى المطروق .
ومن الغريب الدقيق قول ابن الرومي :

طرقنا فأنالت نائلا شكره لو كان في النبة الجحود
ثم قالت وأحست عجبى من سراها حيث لا تسرى الأسود
لا تعجب من سر أنا فالسرى عادة الأقمار والناس هجود
فأريت في هذه الأبيات زيادة وتضميناً فقلت :

رقت غفلة الرقيب فزارت تحت ليل مطر ز بهار
ففعجت من سراها فقالت غير مستطرف سرى الأقمار
ثم مالت بكأسها فسقتنى جلنارية على جلنار
آخر : فإليت طيفاً خيلته لى المنى وإن زادنى شوقاً إليك يعود
أكلف نفسى عنك صبراً وسلوة وتكليف مالا يستطيع شديد
الجيد أن يقول (تكلف مالا يستطيع) وأما تكليفه في الحقيقة فغير شديد على المكلف
وأما جعل هذا التكليف مكان التكلف وهو ردى . وقال الحمدوني :

لم الله فلتسه بالامانى فى منامى سراً من الهجران
واصل الحلم بيننا بعد هجر فاجتمعنا ونحن مقترنان
وكان الارواح خافت رقيقاً فطوت سرها عن الأبدان
منظره كان نزهة العين إلا أنه ناظره بنير عيان

وقال ابن المعتز :

لا فرج الله عن عيني برويته ان كنت أبصرت شيئاً بعده حسنا
إلا خيالاً عسى ان نمت يطرقى وكيف يحلم من لا يعرف الوسنا
وقال : كلامه أخذ من لحظه ووعد كذب من طيفه
وليس لأحد في الخيال ما للبحترى كثرة فمنه قوله :

بعينيك اعوالى وطول شهبى وإخفاق عيني من كرى وخفوق

على أن تهويماً إذا عارض أطبي^(١) سرى طارقاً في غير وقت طروق
فبات يعاطيني على رقبة العدى ويمزج ريقاً من جناه بريقي
وبت أهاب المسك منه وأتقى رداع عير صائك وخلق
أرى كذب الاحلام صدقاً وكم صفت إلى خبر أذناى غير صدوق
وما كان من حق وبطل فقد شفى حرارة متبول وخبل مشوق
وقلت في خلاف ذلك:

طرق الخيال فزار منه خيالاً فسرى يغازل في الرقاد غزالاً
يا كشفه للكرب إلا أنه ولى على دبر الظلام فزالاً
فعدا التيم وهو أكبر صبوة وأشدّ بلبالاً وأكسف بالاً
وما قيل في الامتزاج والاختلاط مثل قول الخريبي^(٢):

ليالى أرعى فى جنابك روضةً وآوى إلى حصن منيع مراتبه
وإذ أنت لى كالحمر والشهد ضعفاً بماء لصف ضعفته جنائبه
وقال بشار:

لقد كان ما بينى زماناً وبينها كما بين ربح المسك والعنبر الورد
أجود ما قيل في صفة الركب: أخبرنا أبو أحمد أخبرنا الصولى حدثنا محمد بن
سعيد عن عمر بن شبة قال كان الناس يقدمون قول أبى النجم ويتمجبون من حسنه:
كأن تحت درعها المنعطف ضخم القذال حسن الخط
وقد بدا منها الذى تغطي كأنما قط على مقط
شطاً رميت فوقه بشط كهامة الشيخ البياضى الشط
لم يعمل فى البطن ولم ينحط

حتى قال بشار:

(١) فى الاصل (اطأى) (٢) هو اسحق بن حسان ، اتصل بمحمد بن منصور بن زياد كاتب البرامكة ، وله فيه مدائح جياذ ، عى بعد ما أسن ، وقال فى ذلك شعراً .

عجزاء من سرب بني مالك لها حرٌّ من بطنها أرفع
 زينَ أعلاه بأشرافه وانضمَّ من أسفله المشرع
 قال أبو هلال رحمه الله تعالى أول من أتى بهذا المعنى النابغة حيث يقول :
 وإذا طعنت طعنت في مستهدفٍ رابى المجسة بالعبير مقرر مد
 وإذا نزع نزع عن مستحصفٍ نزع الحزور بالرشاء المحصد
 يصف ضيقه ويقول إن النازع منه يتعب من نزع كما يتعب الحزور - وهو
 الغلام - إذا استقي من البئر .

وأحسن ابن الرومي في وصف الضيق والحرارة حيث يقول :
 لها هن تستعيرُ وقده من قاب صبٍّ وصدر ذى حنق
 كأنما حرُّه لخايره ما أوقدت في حشاه من حرق
 يزداد ضيقاً على المراس كما تزداد ضيقاً أنشوطه الوهق
 وقال في سخته :

بسع السبعة الاقاليم طراً وهو في أصبعين من إقليم
 كضمير الفؤاد يلتهم الدنيا وتحويه دفنا حيزوم
 ومن النادر قول الناجم :

إن ردف الفتاة عجنة خبا زٍ وقد أمها من الأدم جنبه
 وقال المفضل بن غيلان ^(١) :

ومركب كبيضة الأذجي كأن نبت الشعر المطلى
 عليه شونيزٌ على فرقى

ومما يجرى مع ذلك قول بعضهم :

أقول والقوم تعادى بهم الى الوغى مضمرة قرح
 استحمل الله على مركبٍ يحث بالسير ولا يبرح

(١) هو والد عبد الصمد بن المفضل الشاعر المشهور .

وهو مثل قول مسلم :

ما مركب من ركوب الخيل يعجبني
ومثل الأول : فبات يسرى ليله ولم ينم
وقال الفرزدق : ثم اتقتني بجهم لاسلاح له
كأن رمانه في جوفه انفجرت
وأبلغ ما قيل في كبره قول الفرزدق :

إذا بطحت فوق الأثافي رفعها
يقول إنها إذا بطحت على وجهها لم يمس الأرض منها شيء لان نهود نديها وكبر
ركبها مثل أثافي القدر لبدنها ، وهذا أبلغ من قول بشار الذي اختاره الأصمعي .
وقال الرازي في وصف الضيق :

كأن هجماً^(١) شديداً أبهره يدارك المصّ ولا يفتره

ومما قيل في حب الكبار قول المجنون :

وعهدى بليلي وهي ذات موصد
فشبّ بنو لبلى وشبّ بنوا بنها
ابن المعتز : من معيني على السهر
وابلائي من شادن
ومن البديع قول ابن الأحنف :

لعمري لقد كذب الزاعمون بأنّ القلوب تحاذي القلوبا
ولو كان حقاً كما يزعمون لما كان يشكو محبّ حبيباً

ومما يلحق بالفصل الأول ما أخبرنا به أبو أحمد عن الصولي عن البلعي عن أبي
حاتم قال سمعت الأصمعي يقول سمعت الرشيد يقول قلب العاشق عليه مع مشوقه
نلت له هذا يأيها المؤمن أحسن من قول عروة بن حزام العذري^(٢) في آخر

(١) في نسخة (هماً) (٢) شاعر اسلامي من المتيمين .

أبياته التي أنشدتها :

أراني تعرفوني لذكرائك رعدة^(١) لها بين جلدى والعظام ديب
وما هو إلا أن أراها فجاءة فأبته حتى ما أكاد أجيب
وأصرف^(٢) عن رأبي الذي كنت أرثى ويعزب عني ذكره ويغيب^(٣)
ويضمر قلبي عذرها ويعينها على فمالي في الفؤاد نصيب
فقال الرشيد من قال هذا وهما فاني أقوله علماً والله درك يا أصمعي فاني أجد عندك
ما يضل عنه العلماء ، فأخذه محدث فقال :

يؤازره قلبي على وليس لي يدان بمن قلبي على يؤازره
وأخذه سهل بن هرون فقال :

أعان طرفي على جسمي وأعضائي بنظرة وقفت جسمي على دائي
وكنت غراً بما تحبني على يدي لاعلم لي أن بعضي بعض أعدائي
وهذا شعر فيه تكلف ، أخذه البحترى :

ولست أعجب من عصيان قلبك لي عمداً إذا كان قلبي فيك يعصيني
وقال ابن الأحنف :

قلبي الى ما ضرني داعي يكثر أسقامي وأوجاعي
كيف احترازي من عدوي إذا كان عدوي بين أضلاعي

ومن جيد ما قيل في قرب الدار مع تباعد القلوب قول النظار الفقعسي :

يقولون هذي أم عمرو قريبة دنت بك أرض نحوها وسما
الإنما بعد الحبيب وقربه إذا هو لم يوصل إليه سواء
وفي خلافة : وإني زوار لمن لا يزورني إذا لم يكن في وده بمريب
يقرب لي دار الحبيب وإن نأت وما دار من أبغضته بقريب

(١) في الأغاني (وإني لتغشاني لذكرائك هزة) (٢) في الأغاني (وأصدف)

وهما بمعنى . (٣) في الأغاني (وأنسى الذي أزمعت حين تغيب) .

ومن ظريف الشكاية قول ابراهيم بن العباس :

فدعنى راغماً أشقى بوجدى وخذ قلبي إليك بغير حمد
سقام لا يرقُّ علىَّ منه ووجد لا يكافئهُ بودٌ
وقد أصفيتها ودّى بجهدى فعارضَ في الجفاء بمثل جهدى

ومن جيد مامدح به الفراق قول بعض الكتاب : في الفراق مصافحة التسليم
ورجاء الأوبة والسلامة من الملال وعمارة القلب بالشوق والدلالة على فضل
المواصلة واللقاء . وقال الشاعر :

جزى الله يومَ البينِ خيراً فإنه أرانا على علاته أم ثابت
وكتب بعضهم في معنى قول الشاعر * وما في الأرض أشقى من محب * وقد تقدم :
تفكرى في مرارة البين يمنعنى من التمتع بحلاوة الصبر وتكره عيني أن تقر بك مخافة
أن تسخن يبعدك فى عندا لاجتماع كبد ترجف وعند التناهى مقلة تكف . ومثله :
لا الذى بيده السلامة بروح دارك وبعد مزارك ما زادنى اللقاء إلا صباة وأسفاً والاجتماع
إلا نزاها وكلفا لأنى منقسم القلب بين رجاء يمدنى بقربك وحذر يوعدنى يبعدك وإذا
قربت دارك كلفت وإن نأت أسفت فلا فى القرب أسلو ولا البعد .
وسمعت لماتى الموسوس ^(١) معنى أظنه ابتكره وهو :

بكت عيني غداة البين دمعاً وأخرى بالبكى بخلت علينا
نعتقت التى بخلت علينا بأن غمضتها يومَ التقينا
وسبكه البيت الأول ورصفه ردىء جداً لا خير فيه وإنما استغربت المعنى
فأوردته . وقد أخذه ابن الرومي فشرحه وزاد فيه وهو من قوله :

ولقد يؤلفنا اللقاء بلبلة جعلت لنا حتى الصباح نظاما
نجزى العيون جزاءهن عن البكى وعن السهاد فلا نصيبُ اثاما
فنبيحهن مُرادهن يردنه فيما ادعين ملاحه ووساما

(١) هو أبو الحسين محمد المصرى ، شاعر لين الشعر رقيقه ، لم يقل غير الغزل .

ونكافي الأذنان وهي حقيقةٌ إذ لا نزال تكابدُ اللواما
 فنثيبهنَّ من الحديثِ مشوبةً تشفى الغليل وتكشفُ الأسقاما
 ونكافي الأفواه عن كتمانها إذ لا يزالُ لها الصماتُ الجاما
 فنبيحهنَّ ملائماً ومراشفاً ماضراً أن لا تكونَ مدا
 نجزي الثلاثة أنصباء ثلاثة مقسومة آناؤها أقساما

وخلال ذلك كاتب معنى يلحق بما تقدم وهو قوله :

بكيتُ دماً حتى بكيتُ بلا دم بكاءً قى فرد على شجن فرد
 أبكى الذي فارقتُ بالدمع وحدهُ لقد جلَّ قدرُ الدمع فيه إذا عندي
 وكتبت في فصل لي : قد جل شوقي إليك ووجدى بك عن أن يرد نارهما
 ويسكن أوارهما دمع ينصب على مثله فتحسبه درأً يتكسر على در ويمتزج بالدم
 فتخاله شذور عقيق في نظام فريد .

ومما يلحق بما تقدم أيضاً قول سعيد بن حميد ^(١) :

وما كنَّ حبيبها لأوَّلِ نظرةٍ ولا غمرة من بعدها فتجلتِ
 ولكنها الدنيا تولتُ فما الذي يسلى عن الدنيا إذا ماتولتِ
 وقال أعرابي :

أعللُ أصحابي بجدِّي وباطلي وأسماء جدَّ القلب منى وباطله
 ومن بديع المعاني قول ابن أبي فتن :
 أدمنتُ بالألحاظِ وجنتُهُ فاقتصَّ ناظرُهُ من القلبِ
 أخذه على بن عاصم فقال :

ضربتُ إلغى يدي خانَ يميني جلدِي
 فاقتصَّ لما اغرورقتُ مقلتهُ من كبدي
 فلا أقلتُ بعدها سوطي من الأرضِ يدي

(١) هو الشاعر الكاتب المترسل ، كان حسن الكلام فصيحاً ، وكان والده شاعراً

ومن أجود ما قيل في تكافؤ الحسن قول الراجز وكان ينبغي أن يقدم :
 جاءت تهض الأرض أى هضَّ يدفعُ منها بعضها من بعض
 يقول يتحير الناظر فيها ولا تقف عينه على واحدة فيصيدها بعين لأن بعضها
 يشغل عن بعض . ومن بديع المعاني قول بعض الشعراء :

قصاراك منى الودّ مادمت حيةً وودّك ماء المزن غير مشوب
 وآخر شيء أنت في كل مضجع وأوّل شيء أنت عند هبوب
 ومن جيد القول في الفراق قول أبي محلم :

وما خفتُ وشكّ البين حتى رأيتهم معض ؟ أنما ط لهم وقطوع
 لعمرك ماشيً مرّيتُ بذكره كآخر يأتي بغتةً فيروع
 ومما لا أعرف في معناه أجود منه قول بعضهم :

ما بينَ بابِ الوزير والمسجدِ الجا مع ظبيٍّ كالظباء في جيده
 أطاره رَمَّةٌ فقد ضاعَ لا ضاعَ وضاعَ التميّزُ في بلده
 ليسَ له ناقدٌ فيعرفه وَاَقَّةُ التبرِ ضعفُ منتقده
 وفي خلاف ذلك قول صاحب البصرة :

ولستُ بواصفٍ أبداً حبيباً أعرضه لأهواءِ الرّجال
 تراني آمنَ الشركاءِ فيه وآمنَ فيه أحداثِ الليالي
 معنى آخر :

وقائلة متى يفنى هواهُ فقلتُ لها إذا فنى المـلاح
 معنى آخر : وإذا أتيتك زائراً متشوقاً قصرَ الطريقُ وطالَ عند رجوعي
 معنى آخر : إذا طلعت شمس النهار فأنها أمارَةُ تسليبي عليك فسلمى
 آخر التشبيب والحمد لله وحده وصلى الله وسلم على من لا نبي بعده .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي قال فأبلغ وأنعم فأسبغ ، أحل الملاذ ومنح لينهم
عباده في العاجل ويدل على ما أعد لمحسنهم في الآجل فقال (يَا أَيُّهَا النَّاسُ
كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا) وقال (يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ
واعْمَلُوا صَالِحًا) وقال تعالى (قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ
وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ) وله الحمد على كمال بره وتمام لطفه والصلاة على خير خلقه
محمد النبي وآله .

﴿ هذا كتاب المبالغة ﴾

(في صفات النار والطبخ وألوان الطعام ، وفي ذكر الشراب
وما يجرى مع ذلك - ثلاثة فصول وهو :)

﴿ الباب الخامس من كتاب ديوان المعاني ﴾

﴿ الفصل الأول في ذكر النار ﴾

فأول ما نذكر فيها قول الله تعالى (أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ) الى
قوله (نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذَكُّرًا وَمَتَاعًا لِلْمُقْسِيْنَ) فذكر منفعتها وحسن
عائدها في الدنيا والدين فأما منفعتها في الدين فانها تذكر ما أعد الله تعالى لعصاته
منها في دار العذاب فيكون ذلك مزجرة لمن تذكر ومنهاة لمن تبصر ، وأما منافعتها
في الدنيا وكثرة مرافقتها فغير مجهولة وقد خص الانسان بخيرها دون سائر الحيوان

فليس يحتاج إليها شيء سواء وليس به عنها غنى في حال من الأحوال ولهذا عظمها
المجوس وقالوا إنها قد أفردتنا بنفعها فينبغي أن نفردها بتعظيمنا على أنهم يعظمون
جميع ما فيه نعمة على العباد فلا يدفنون موتاهم في الأرض ولا يستنجون في الأنهار،
رؤى على عهد كسرى رجل يقتسل في دجلة فضربت رقبتة ، وكانت العرب إذا
تحالفت تحالفت على النار ويدعون على من يهدروا وينقض العهد بجرمان منافعها . وقد أحكمنا
ذلك في كتاب الاوائل . ومن عجيب التشبيه في النار قول الأول :

كَأَنَّ الرِّيحَ تَقْطَعُ مِنْ سَنَاها بَنَائِقَ حَبَّةٍ مِنْ أَرْجوان
وقول ابن المعتز :

وموقدات بن^(١) يضرم من اللهب^١ يشبعنه من فحم ومن حطب^٢
يرفعن نيراناً كأشجار الذهب^٣

وقال آخر : كأن نيراننا في جنب قلعتهن مصبغات على ارسان قصار
وقول أبي تمام في إحراق الافشين :

نارٌ يساورُ جسمه من حرِّها لهبٌ كما عصفت شقٌّ إزار
صلى لها حياً وكان وقودها ميتاً ويدخلها مع الفجار

أخبرنا أبو أحمد عن الصولي حدثنا أحمد بن اسمعيل حدثني جعفر بن علي بن
الرشيد فقال أنشدنا المعتصم قول بعض الهاشميين في فتحه هرقة :

ريمت هرقة لما أن رأت عجباً جو السما^(٢) ترتمي بالنفط والقار
كأن نيراننا في جنب قلعتهن مصبغات^(٣) على ارسان قصار

فقال لابن داود وقد أنشدنا شاعر طائي أوصلته الى في حرق القادر أفشين شيئاً من
هذا الجنس استحسنته فقال أحمد ما أحفظه وإنما أحضر الشاعر فقال بعض أولاد
الحجاب أنا أحفظ القصيدة والموضع فقال هات فأنشد :

ما زال سرُّ الكفر بين ضلوعه حتى اصطلى سرُّ الزناد الواري

(١) في الأصل غير منقوطة. (٢) في الأصل (جوائمًا) (٣) في الأصل (مصقلات)

ناراً يساورُ جسمه من حرّها لهبٌ كما عصفت شقّ إزار
طارَتْ لها شررٌ (١) يهدمُ لفحها أركانهُ هدماً بغيرِ منار (٢)
ففصلنَ منه كلّ مجمع مفصل وفعلنَ فاقرةً بكلّ فقار
رمقوا أعالى جذعه فكأنما رمقوا هلالَ عشية الإفطار
كروا وراحوا في متون ضوامرٍ قيدتْ لهم من مربط النجار
لا ينزلون (٣) ومن رآهم خالهم أبداً على سفيرٍ من الأسفار
فقال المعتصم أحسن ما شاء قد أمرت له بعشرة آلاف درهم ولهذا الذي حفظها
بنصفها ، قال فتعجبنا من فطنة المعتصم ومن رزق هؤلاء على غير طالب ولا أمل
قال فلم يبق في العسكر أحد إلا حفظ قصيدة أبي تمام . وقلت :

أوقدتُ بعدَ الهدو ناراً لها على الطارقين عَيْنُ
شرارها إن علا نضارُ لكنّه إن هوى لجين
دعتهنّهم فأنثى اليها محبهم قرة رأين ؟
إلى كريم الفعّالِ سمح عطاؤه للكرم زين
يقضى ديونَ الملا ببذلٍ إذ ليس يقضى لهنّ دين

وقال ابن المعتز :

وقد تعلّى شررُ الكانون كأنه تشارُ ياسمين
وقلت : نار تلعب بالشقوق كأنها مُحللٌ مشققةٌ على حبسان
رَدَّتْ عليها الريحُ فضلَ دخانها فأنتَ به سيجاً على عصان
فالجوُّ يضحك في أبيضاض شرائر منها ويعبس في أسوداد دخان
وقال أبو فضلة :

اشربْ على النار في السكوانين إذ ذهبَتْ دولةُ الرّياحين

(١) في ديوان أبي تمام (شعل) . (٢) في الديوان (بغير غبار) .

(٣) في ديوان أبي تمام (لا يرحون) .

بَدَّتْ لَنَا وَالرَّمَادُ يَحْجِبُهَا كَجَلَنَارٍ مِنْ تَحْتِ نَسْرِينَ
وَقَلْتُ فِي مَعْنَاهُ :

قَصُرْتُ بَدَ الشَّتَاءِ بِحَرِّ جَرٍ وَأَخْتُ الْجَرِّ صَافِيَةُ الرَّحْبِقِ
تَرَى نَبْدَ الرَّمَادِ بَوْجَنْتِيهِ كَكَاغُورٍ يَنْذُرُ عَلَى خَلُوقِ
وَقَات : تَحَرَّكَتِ الشَّمَالُ مُفَقَّرًا لَيْلَى فَهَاتِ الرِّيحَ مِنْ أَيْدِي الْمَلَاخِ
جَرَادُ الْجَرِّ يَسْتَرُهُ رَمَادُهُ كَمَثَلِ الْوَرْدِ يَسْتَرُهُ الْأَفَاقِي
وَأَنْفَاسُ الرِّيَاضِ مَعْطَرَاتُ تَطِيرُ مِنْهُنَّ أَنْفَاسُ الرِّيَّاحِ
وَأُرْدِيَةُ الظَّلَامِ مَسْكَاةُ مَطَرَرَّةُ الْخَوَاشِي كَالصَّبَاحِ
وَقَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِ فِي سَقُوطِ الشَّرَرِ عَلَى الثِّيَابِ وَالْبَسْطِ :

فَتَرَكَ الْبَسَاطَ بَعْدَ الْحَدِّ ذَا نَقْطِ سَوْدٍ كَجِلْدِ الْفَهْدِ
وَقَالَ أَيْضًا * وَصِيرَتْ جِبَابُهُمْ مَنَاخِلًا * وَقَلْتُ :

كَأَنَّمَا النَّارُ بَيْنَهُ ذَهَبٌ وَالْجَرُّ مِنْ تَحْتِهِ يَوَاقِيتُ
وَمِنْ بَدِيعِ مَا قِيلَ فِي الْقَدُورِ عَلَى النَّارِ قَوْلُ بَعْضِ الْعَرَبِ :
كَأَنَّ صَوْتَ غَلِيهِ الْمُسْتَعْجِلِ قَصْدُ الشَّبُوحِ لِلشَّيْخِ الْجَهْلِ
وَقَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِ :

وَالسَّيْفُ رَاعِي إِبِلِي فِي الْحَلِي يَسْلُمُهَا ^(١) إِلَى قَدُورٍ تَغْلِي
تَرْقُلُ فِيهَا بِالْوَقُودِ الْجَزْلِ أَرْقَا لَهَا فِي السَّيْرِ تَحْتَ الرَّحْلِ
وَقَالُوا أَحْسَنَ مَا قِيلَ فِي الْأَثَانِي وَالرَّمَادِ قَوْلُ ابْنِ هَرْمَةَ ^(٢) :

نَبِكِي عَلَى زَمَنِ وَتَوَيَّ هَامِدُ وَجِوَالِمِ سَقْعِ الْخُدُودِ رَوَاكِدُ
عَرِينٍ مِنْ عَمَدِ الْقَدُورِ وَأَهْلِهَا فَعَكْفَنَ بَعْدَهُمْ بِهَابٍ لَا بَدُ
فَوْقَيْنِهِ عِبْثَ الصَّبَا فَكَأَنَّهُ دَنْفُ يَرِنُ الدَّمْعَ بَيْنَ عَوَائِدِ ؟

(١) فِي دِيْوَانِ ابْنِ الْمُعْتَزِ (يَسُوقُهَا) . (٢) إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَلِيِّ الْكِنَانِيِّ

الْقُرَشِيُّ ، مِنْ سُكَّانِ الْمَدِينَةِ ، مَدَحَ الْوَلِيدَ الْأُمَوِيَّ بِدَمَشْقٍ فَأَجَازَهُ .

وقال أبو تمام : أناف كالخلدودِ لطنَ حزنًا ونزىً مثل ما انقصم السوارُ
ومما يجري مع ذلك القول في الشمعة ، ومن أجود ما قيل فيها قول السرى
* شفاؤها ان مرضت ضرب العنق * وقول الآخر * موقوف بين حريق وغرق *

وقلت : كم قد جنيتُ اللهو من غصنه ما بين أنوارٍ ونوار
من روضة بللَ أعطافها سقيطُ أنداءٍ وأمطار
وأوجه تحسبها أشمساً في ليل أصداعٍ وأطرار
وشققتُ عنها ستورَ الدُّجى نارٌ على نارٍ على نار

وقلت في السراج :

وحيةٌ في رأسها دُرَّةٌ تعملُ في وجه الدُّجى غرَّة
وجنتها أكبرُ من رأسها فهي إذا أبصرتها عبره
كم من مريبٍ أهتكت ستره وصيرته في الورى شهره
يردفها أصفرُ في أصفر يقدمها أسودُ في حمرة

وقال السرى في الكانون :

وكأتما الكانونُ ألهبَ جمره أحداق أسدٍ يدرين أسودا
يكسو خدود الشرب من نفحاتها قبل الكؤوس وحسنها توريدا

وقلت في الكانون :

وبركةٌ مترعة الأرجاء فارغةٌ من سبل الأنواء
يفسل فيها حلة الظلماء أقامت النارَ مقامَ الماء
نارٌ كوجه غادة حسناء ترقصُ في مبدعة صفراء
والجرُّ في حلتِه الحمراء مثل بنانٍ عل بالحناء
وأسهم تصبغ بالحناء فيها كها ريحانة الشتاء
واشربُ عليها حلب الصهباء فشربُ صهباءَ على شقراء

يطرف عين البؤس والضراء

ومن أجود ما قيل في الفحم قول بعضهم :
فحمٌ كيوم الفراقِ تشعله نارٌ كنارِ الفراقِ في السكبد
أسود قد صارَ تحت حررتها مثلَ العيونِ اكتحلنَ بالرمد

﴿ الفصل الثاني من الباب الخامس ﴾

(في ذكر ألوان الطعام)

العرب تشبه البر بقراصة الذهب وبمناكير النفران ، والنفران جمع نفرة ^(١) وهي عصفورة : أخبرنا أبو أحمد عن ابن دريد عن أبي حاتم عن الأصبغى قال قال شيخ من أهل البادية ضفت فلاناً فأنا في بخبرة من حنطة كأنها مناقير النفران قد انتفخت في الملة حتى رأيت الحجر يتحدر منها تحدر الحشو من البطان وتراها حين غمرت بالسمن يجول فيها المثراد كما يجول الضبعان في الضفرة ، ثم أتاها بتمر كأنه أعناق الورلان يدخل فيها الفرس . الحشوصغار الابل ، والضفرة الرمل المتعقد . وأخبرنا أبو أحمد عن الجلودى عن عبد الله بن محمد القرشى عن المثني بن معاذ العنبري عن بشر بن المفضل عن عقبة الراسبي قال دخلت على الحسن وهو يأكل خبزاً ولحماً فقال لي هلم إلى طعام الأحرار . والعرب تدعو الخبز أم جابر .

وأخبرنا أبو أحمد حدثنا الجلودى حدثني محمد بن زكريا حدثني مهدي بن سابق حدثنا شبيب قال استأذن خالد بن صفوان على يزيد بن المهلب فأذن له فوجده يتغدى فقال يا ابن صفوان أذن فكل فقال أصلح الله الأمير لقد أكلت أكلة لست ناسيها قال وما أكلت؟ فوصف ما أكل ثم قال أتيت بخبز أرز كأنه قطع العقيق وكأنما تجري عليه سبائك الذهب ثم أتيت بينافى بيض البطون زرق العيون سود المتون حذب الظهور مقفعات الأذنان صغار الرؤوس غلاظ القصر عراض السرر مع بصل

نظيف كأنه قطع الزند وخل ثقيف مري حريف ، قال أبو هلال ما سمعت في وصف السمك أحسن من هذا ولا أتم .

وقريب منه ما أخبرنا به أبو خليفة عن ابن سلام عن محمد بن القاسم قال قال الأعشى لجليس له أما تشتهي بناني زرق العيون بيض البطون سود الظهور وأرغفة باردة لينة وخلا حاذقا ؟ قال بلى قال فانهض بنا قال الرجل فنهضت معه فدخل منزله وقال خذ تلك السلة فكشفها فاذا فيها رغيفان يابسان وسكرجة كامخ وشبت قال فجعل يأكل وقال لي تعال كل قلت فأين السمك فقال ما عندي سمك وإنما قلت أتشتهيه وأنا والله أشتهيه . أخبرنا أبو أحمد عن الجلودى عن المغيرة بن محمد عن أبي عثمان المازني عن الأصمعي قال قال أبو صوارة ^(١) وكان بمكة مثل الأشعب بالمدينة في شهوة الأكل : يا أبا سعيد الأرز الأبيض بالبين الحليب بالسكر السلياني بالسمن السلي ليس من طعام أهل الدنيا . ومن أحسن ما قيل في الرقاق قول ابن الرومى :

مانس لا أنس خبازاً مررتُ به يدحو الرقاقة وشك الملح بالبصر
ما بين رؤيتها في كفه كرة وبين رؤيتها قوراء كالقمر
وقلت : وخبز بأيدى الخايزين كأنه ترأس تعاطيها الجنود جنود
وأطعمة حلتُ بساحتها المنى إذا جاء من أرداحين يريد
وضمتُ إلى الخلاء فيه فواكهة عليهن أهواء النفوس وفود
وقال الصنوبرى في رقاق ورووس :

غير ماراج من رقاق رقيق فوق هام على عداد الهام
ذاك كلام ذى الحباب وهاتيك عليه كطير ماء نيام
بالأقيالهن وما يبين من مضر شديد الضرام
كأناس يؤشحون مناديل إذا خرجوا من الحمام
ورصف هذه الأبيات غير مختار عندي ولكني أوردتها لجودة معانيها

(١) (أبو صوارة) غير موجودة في الأصل فاستدركناها من العقد الفريد .

وإصابة التشبيهات فيها، وقوله (غير مارج) فإن الرواج لفظ عامي لا يستعمله الفصحاء.

وقال ابن الرومي :

هَامٌ وَأَرْغَفَةٌ وَضَاءٌ فَخْمَةٌ قد أخرجت من جاحم فَوَّارٍ
كوجودِ أهل الجنة ابتسمت لنا مقرونةً بوجودِ أهل النار
وقال غيره في :

وقادم من جاحم فَوَّارٍ محلل الشقشق والأُنوار
ملبساً حُلَّةَ جِلْمَارٍ يقسر منه جلده النضار

عن بدن أبيض كالخمار

ومن النادر البديع في هذا المعنى ما أخبرنا به أبو أحمد عن الجلودى عن محمد بن زكريا عن عبد الله بن الضحاك عن هشام بن محمد قال كان عوانة يكثر أكل الرؤوس فقليل له إنها متخمة فقال إنها فاكهة اللحم . وأخبرنا عن محمد بن زكريا عن الأصمعي قال قيل لأعرابي كيف تأكل الرؤوس قال أفك لحبيبه وأبخص عينيه وأفقص أذنيه وأخديه وأرمنى بالدماغ الى من هو أحوج منى اليه فقليل له إنك لا تحق من ريع قال وما حق ريع إنه ليتجنب العدوى ويتبع المرعى ويراج بين الأطباء فاحقه ياه لاء^(١) وقيل لأحدهم ما أحب الفاكهة إليك قال أما الرطب فالحلم وأما الياض فالتقيد . وقلت في صفة اللحم :

تركتُ سمينَ اللحم يبيضُ بعضه ويحمرُّ بعض خلطك الدرَّ بالتبر
وأعرضتُ عن حلواء شق فنونها فبيضٌ الى حمرٍ وحمرٌ الى صفر
الى نردةٍ رقطاعٍ قطع فوقها مقفعةٌ خضراءُ في ورق خضر

وحاجة الانسان إلى الطعام إنما هي من أجل ما يأخذ الهواء من جسده فيحدث فيه خلل فاذا أكل اللحم فقد رم الجسد بما هو من جنسه فسكأنه رقع الديباج بالديباج فاذا أكل غير اللحم فسكأنه رقع الديباج بالكرباس، وفي الحديث «مَنْ

(١) في أمثال الميداني (وما حق الريع والله إنه ليتجنب العدوى ويتبع أمه في المرعى

ويراج بين الأطباء ويعلم أن حنينها له دعاء فأين حقه) .

ترك اللحم أربعين يوماً ساء خلقه .

وأحسن ما سمعت في جل مشوى قول السرى :

أنتمه معصفر البردين أبيض صافي حمرة الجنين
خلف شهرين على خلفين ثم رعى بعدهما شهرين
نجسه شبران في شبرين يا حسنه وهو صريع الحين
بمرفة مرهفة الحدين بكف شاو عطر الكفمين
كسارق حد من الدين ذو طرف يستوقف العينين
يريك مرأة من اللجين مذهبة المقبض والوجهين
شق حشاه عن شقيقتين أختين في القد شبيبتين
كما قرئت بين كاتين أو كرتى مسك لطيفتين^(١)
ان شين ذورقين ناجمين فانه زين بغير شين

ومن المشهور قول ابن الرومى فى دجاجة مشوية :

وسميطة صفراء دينارية ثمناً ولونا زفها لك حزور
طفقت تجول بذربها حوذاية فأقى لباب اللوز فيها السكر
ظلنا نقشر جلدها عن لحمها فكان تبراً عن لجين يقشر
يا حسنها فوق الخوان وبنتها قدأما بصبرها تنغرغر
وتقدمها قبل ذاك ثرائد مثل الرياض بمثلهن يصدر
ومدقات كلهن مزخرف بالبيض منها ملبس ومدنر
وأنت قطائف بمداك لطائف ترضى اللهأ بها ويرضى الخنجر
ضحك الوجوه من الطبرزد فوقها دمع العيون من الدهان تعصر
وقلت فى سكباجة :

سكباجة طيبة نشرها كأنها عود على مجمر

(١) سقط هذا العجز من الاصل فاستدركناه من ديوان السرى المخطوط .

يا حسنها في القدر إذ أقبلتُ
ويستنيرُ الشحمُ في لحمها
يا حسن باذنجانها إذ بدا
كأنه ماء خلوق جرى
وهي نحاكي سفظَ الجواهر
كغرة في فرس أشقر
أسمر وسط المرق الأحمر
وجال فيه قطع الغنبر

وقال ابن الرومي في دجاجة :

عظيمة الزورُ بصدرٍ نهـد
مرهفة ذات شباٍ وحدٍ
أجريتُ منها في مجال العقد
لغير ما دخل وغير حقد
بل رغبة فيها شبه الزهد

وقلت في قدور على نار :

كتبتُ أستعجل النـدامى
وقد أنا في الغلامُ يسمي
والنارُ تستعجل القدورا
بأرغف تشبه البدورا
وعندنا قهوة شمولُ
لو قطعتُ صيرتُ شذورا
تكونُ قبل المزاج ناراً
فانقلبتُ بالمزاج نورا
فانهض إلى سرعة إلينا
ننثر على نفسك السرورا

وقال الشعبي ما رأيت فارسياً أحسن من زبد على تمر ، وأنشد لبعض الاعراب :

ألا ليت لي خبزاً تسربلَ رائباً
وخيلاً من البرني فرسانها زبد

ومن عجيب ما روى عن الاعراب في شهوة الطعام ما أخبرنا به أبو أحمد عن
أبي بكر عن أبي حاتم عن الأصمعي عن جعفر بن سليمان قال لقيت اعرابياً فقلت
هل لك في ثردة ؟ فتنفس الصعداء ثم قال :

واهاً على محبومة وصحفة مكتومة
بالدسم مؤسومة واللحم مغنومة
قد كملت عراقا وألحفت رقاقا
منقوشة الحواشي بطيب التماشي

بفلـ فل وحص فكل هنيئاً وارقص

فأخذت بيده وذهبت إلى المنزل فأمرتهم فصنعوا نردة كما وصف فلدا قدمتها
ارتعش طرباً ثم قال أي بأبي والله هذه المرقصة ثم وثب على رجله فرقص ساعة
وجلس فأكل أربعة أرغفة في نردة وستة ثم قبل رأسى وقال بأبي أنت وأمي
لك حاجة في بدونا؟ قلت تمضى ، ثم قال أي والنردة والله ما دخلت الحضر إلا في
طلبها ثم أنشأ يقول :

عمرتُ بطناً لم يزل مصفراً لم يعرف الرشفَ ولا المزدرا

حتى لقد أوجعت والله ترى ما صنعت كفاى في جنب القرى

وقال ابن خلاد في خبز الأرز والملح :

إذا الطابقُ المنصوبُ ألقى ثيابهُ وقدت جيوبُ الخبز شبرين في شبر

رغيف بملح طيب النشر خلطة خوارجه تغنيك عن أرج القطر

عليه من الشونيز آثارُ كاتب وجلبابُ ورَّاق ينقطُ بالخبز

ومن سسم قد زعفرُوهُ كأنه قراضةُ تبرٍ في الجينية غر

وقال في الباقلاء :

فلا تنسَ فضـلَ الباقلاءِ فانه من المرق قدوافى به الفضل في الزبر

إذا جعلوا فيه سذاباً ونعناً وجزءاً من الزيت المقدس في الذكر

فما صدف العاج المغشى ظواهرأ بطاشى أفرندٍ معقدة الخضر

بأحسن من مخضرة الغصن إذ بدت بواكرُ منها في الجاسد والازر

تم قال : وإياك بأذنجانة سابرية جلاها نسيمُ الليل نائرة الفجر

فجاءتْ بأبواب الحداد مدلهما بأذناها العم المعقفة الخضر

وأكرم بها نياً إذا بز ثوبها فأبدت لناعن واضح الكشح والصدر

فنجملها شطرين نلقمُ شطرها وتنبعهُ قبلَ الاساعةِ بالشطر

وقال ابن الرومي في الهريسة :

أياهنتاه هل لك في هريس
أمل الليل صانعها بضرب
وبين يديك من مرى عتيق
أرانا حول صحفتها^(١) بروكا
فيا لله من لقم هنا كم
تجاذب بالشجيح وبالغيط

وقال مسكين الدارمي في قدور على النار :

كأنَّ قدورَ قومي كلَّ يوم
كأنَّ الموقدين لها جمال
بأيديهم مغارف من حديد
وقلت في هريسة :

هريسة بيضاء كافورية
للرء فيها حمة مسكية
تأور في مبيضة فضيه
ومن عجيب ما قيل في قلة الطعام على المائدة ما أنشدناه أبو أحمد قال أنشدني

نصر بن أحمد لنفسه :

من حديثي أن ابن بكر دعاني
غرقي منه منظر ولباس
مجلس كالجنان حسناً ولكن
فلمعري كان الخوان ولكن
وجفان مثل الجواني ولكن
وغضار الألوان جاءت ولكن
فاذا ما أدرت فيها بندي
لشقاى فليتة مادعاني
وأناث ومجلس وأواف
قبح الجوع حسن تلك الجنان
لم يكن ما يكون فوق الخوان
ليس فيهن ما يرى بالعيان
ليس فيها روائح الألوان
لم أجد ما أمسه بيناني

(١) في ديوان ابن الرومي المخطوط « فنبرك فوق صحفتها بروكا » .

إننى ماضغٌ على غير شئ غير صكِّ الأسنانِ بالأسنان
ترجعُ الكفُّ وهى أفرغُ منها عندَ مدِّى لها فدأبى وشانى
لو ترائى والجوعُ بضحكى منى عندَ غسلِ يديَّ بالاشنان
زادَ فى السفرِ مسرفاً مثلها أسـرفَ عندَ الطعامِ بالنقصان
والغضاراتُ فارغاتُ أتتنا وسقانا بالمترع المـلآن
سكرة فوقَ جوعةٍ تركتني راحماً كلَّ جائع سكران
وقلت فى قريب منه :

أتدعونى وتطعمنى يسيراً وتسقيني الكثيرَ على اليسير
فأصبح منك فى يومٍ عسيرٍ فلا ينفكُ فى يومٍ عسير
ها حراًن من جوعٍ وسكرٍ فيالك من سـعيرٍ فى سـعير
أقولُ وفي غضائره عظامٌ أعرق من قدور أم قبور

ومن جيد ما قيل أيضاً فى ذم الدعوة قول أبى الحسن بن طباطبا ^(١) وقد
دعاه الكراريسى فقرب إليه مائدة عليها خيار وفى وسطها جامات عليها قطر ولم
يصحبها بوارد فسمها مسيحية لأنها أشبهت موائد النصارى ، وقدم سكباجة بعظام
عارية فسمها شطرنجية ، ثم قدم مضيرة فى غضارة يضاء فسمها معقدة ^(٢) لأن البياض
لبس المعقد وهى لاتمس الدهن والطيب ، ثم قدم زير باجة بأطراف جدى صفراء
لقلة زعفرانها فسمها عابدة لأن ألوان العباد صفر ثم قدم لوناً بقضبان محولة فسمها
قنبية ثم قدم لوناً بزبيب أسود فسمها موكبية ثم قلية بعظام الأضلاع فسمها
حسكية لتشجيع لحمها ثم قرب زعفرانية فسمها سلحية صفراء ثم قرب فالودجة قليلة
الزعفران والحلاوة فسمها صابونية ثم اعتل على الجماعة بأن ابنه عليل فحولهم من
منزله إلى بستان قد طبق بالسكرات وأحضرهم جرة مثقلة يمزجون منها شرابهم

(١) هو محمد بن إسماعيل العلوى الشاعر الملقب العالم المحقق ، من أهل خراسان.

(٢) فى معجم الأدياء لياقوت (معتدة) .

وإذا ضرب أحدهم الغائط نقلها معه وربط الاكار^(١) بحذائهم عجلة تخور عليهم
خواراً شبيهاً بغناء فاطمة وكان اسمها فاطمة فقال :

يادعوة مغبرة قائمة كأنها من سفر قادمة
قد قدموا فيها مسيحية أضحت على أسلافها^(٢) نادمة
ثم بشطرنجية لم تزل أيدٍ وأيدٍ حولها حائمة
فلم تزل في لعبها ساعة ثم نفضناها^(٣) على قائمه
وبعدها معتدة^(٤) أختها عابدة قائمة صائمه
في حجرها أطراف موودة قد قتلها أمها ظالمة
والقنبيات فلا تنسها فحيرتى في وصفها دائمة
أقنب ما امتد في أصبعي أم حية في وسطها نائمة
والحسكيات فلا تنس في خندقها أوتادها قائمه
والموكيات بسلطانها قد تركت آنا فنا راغمة
والسلحة الصفراء فاعجب بها إذ سلحتها أنفس هائمة
وجام صابونية بعدها فانخر بها إذ كانت الخاتمة
ظل الكرايسى مستعبراً من عصبة في داره طاعمة
وقال إن ابني عليل ولى قيامة من أجله قائمه
وولدت داباته حوله فليس إلا عبرة ساجمه
وليس هذا لسوى كسرة تكسر ما زالت له سالمه
وقد أكلناها فكم هيجت من لاطم خدًا ومن لاطمه
ثم هربنا نحو بستانه خوفاً من المنية العازمه
ظلنا لدى الكراث نلهوبه فياله من زهرة قائمه

(١) أى الحراث . (٢) كذا فى الاصل ومعجم الأدباء لياقوت ، وفى نسخة

(إسلامها) . (٣) فى الاصل (ثم تقضيها) . (٤) فى الاصل (مقيدة) .

وغاية اللطفِ ففني جرّةً محطومة صارت لنا حاطمه
نبولُ فيها ثم نسقى بها يالك من عارضة لأئمه
وعجلة تشدو بالخانها وكانت الكية الخازمه
فكان فيما أنشدت أذشدت من لى من بعدك يافاطمه
نشتم من أسمعننا صوتها وهى لنا من بعده شامه
ظلت تبكي شجوناً فما أبصرت من أربابه عالمه
فلو ترانا وترى زادنا حياؤفت منا نعماً سائمه؟

فلما سمعها الكراريسى حلف لا يدخل أبا الحسن ولا أحداً من أصحابه داره واتخذ
دعوة ودعا قوماً من الشطرنجيين فقال أبو الحسن انما دعاهم لينظروا في الشطرنجية
التي كنا نفضنها على قائمة هل يمكن فيها من حيلة ، وكتب إليه من وقته أيأنا تمناها :
طعمت يا أحق في قمرها لو أمكن القمر قمرناها
فان أقاموها فما ذنبنا كنا على ذاك نفضناها

ثم كتب إليه أبو الحسن :

يامن دعاني أطال الله عمرك لى ولاعدمتك من داع ومحتفل
ما أنس لا أنس حتى الحشر مائدة ظلنا لديك بها في أشغل الشغل
اذ أقبل الجدى مكشوفاً ترائبه كأنه متمطٍ دائم الكسل
قد مدّ كلتا يديه لى فذكرنى بيتاً تمثلته من أحسن المثل
كأنه عاشق قد مدّ بسطته يوم الفراق الى توديع مرتحل
وقد تمدى بأطوار الرقاق لنا مثل الفقير اذا ملاح في سمل
فليت شعرى ماذا كان أنحله فصار إيمانه قولاً بلا عمل
مددت كفى فلم ترجع بفائدة كأنما وقعت منه على طلل

وأخذ أبو الحسن قوله شطرنجية من قول جحظة أظنه :

قدّم لى أعظم حولة قد طبخت بالماء فى برمته

فلم أزل زلت به نعلهُ ألبُ بالشطرنج في قصعته
ومن جيد الوصف قول أبي الفضل بن العميد في وسط: أنشدنا أبو أحمد أنشدنا
أبو الفضل بن العميد لنفسه :

ودونك وسطاً أجاد الصناعاتُ تلفيفَ شطريه بالهندمة
فمن صدر فائقة قد نوت ومن عجز ناهضة ملقمة
ودنر بالجوز أجوازه ودَرهم بالوز ما دَرهمه
وقابل زيتونها والجبن صفائح من بيضة مدغمة
فمن أسطر فيه مشكولة بملح ومن أسطر معجمة
وطرّز بالبقل أعطافه فوافي كحاشية معلمة
مرشا تخال به مطرفا بديع التغايف والنمنمة
وأنشد في الشوايز (١) :

مامتعة العين من خد تورثه يزهي عليك بخال فيه مركز
مستغرق الحسن في توسيع وجنته بدائع بين تسهيم وتطريز
يوفي على القمر الموفى إذا اتصلت يسراه بالكأس أو يميناه بالكوز
انهى اليك من الشيراز إن وضحت في صحن وجنته خيلان شونيز (٢)
وقد جرى الزيت في مثنى أمرته فضارعت فضة تعلّى بأبريز
وقال ابن خلاد :

وسوف يزورك شيرازها فتقسم بالله ان تكرمه
يميس بشونيزة كالعروس تخطر في الحلة المسهمه
وتفشي موائد قد عوليت أطايب كالبردة المعلمه
تباهى بجاماتها والغضار كواكب في الليلة المظلمه

وأول من ذكر الفاوذا أبو الصلت جاهلي يذكر عبد الله بن جدعان :

(١) جمع شيراز وهو اللبن الرائب المستخرج مأوه : (٢) أي الحبة السوداء .

لهُ دَاعٌ بِمَكَّةَ مُشْمَلٌ^(١) وَآخِرُ قَسْوَقٍ دَارَتَهُ^(٢) يَنَادِي
 إِلَى رُدْحٍ^(٣) مِنَ الشَّيْزِيِّ عَلَيْهَا لِبَابُ الْبَرِّ يَلْبِكُ^(٤) بِالشَّهَادِ
 لِبَابِ الْبَرِّ يَعْنِي النَّشَا^(٥) . وَكَانَ لِعَبْدِ اللَّهِ جَفْنَةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا الْقَائِمُ وَالْقَاعِدُ وَالرَّاكِبُ
 وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كُنْتُ أُسْتَظِلُّ بِجَفْنَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَدْدَانَ فِي الْهَوَاجِرِ .
 وَمِنَ النَّوَادِرِ فِي هَذَا مَا أَخْبَرَنَا بِهِ أَبُو أَحْمَدَ عَنْ رَحَالَةَ قَالَ سَأَلَ اِعْرَاجِي عَنْ رَأْيِهِ فِي
 الْفَالَوذِ فَقَالَ وَاللَّهِ لَوْ أَنَّ مُوسَى أَتَى فِرْعَوْنَ بِفَالَوذِ لَأَمَنَ بِهِ وَلَكِنَّهُ أَتَاهُ بِمِصْبَاهٍ .
 وَمِنْ مَصِيبِ التَّشْبِيهِ فِيهِ قَوْلُ بَعْضِهِمْ :

وَلَا طِفْهَ بِالْشَّهْدِ الْمُخْلَقِ وَجْهَهُ وَإِنْ كَانَ بِاللَّطَافِ غَيْرَ خَلِيقٍ
 كَأَنَّ أَصْفَرَ اللَّوْزِ فِي جَنْبَاتِهِ كَوَاكِبُ تَبَرٍّ فِي سَمَاءٍ عَفِيقٍ
 وَقُلْتُ : حَمْرَاءُ فِي بَيْضَاءَ فَضِيَّةٍ وَظَرْفُ كَافُورٍ وَحُشْوُ الْخُلُوقِ
 يَطُوفُ الدَّهْنُ بِأَرْجَائِهِ اطَافَةُ الدَّمْعِ بِجَفْنِ الْمَشْوِقِ
 كَأَنَّمَا اللَّوْزُ بِحَافَاتِهِ أَنْصَافُ دُرٍّ رَكِبَتْ فِي عَفِيقٍ
 وَمِنَ الْمَشْهُورِ قَوْلُ ابْنِ الرُّومِيِّ فِي اللَّوْزِ بِنَج :

كَأَنَّمَا قَرَّتْ جَلَابِيئُهُ مِنْ أَعْيُنِ الْقَطْرِ إِذَا قَبِيا
 مُسْتَكْنَفُ الْحُشْوِ عَلَى أَنَّهُ أَرْقُ جَسَماً مِنْ نَسِيمِ الصَّبَا
 يَدُورُ بِالنَّفْحَةِ فِي جَامِهِ دَوْرًا تَرَى الدَّهْنَ لَهُ لَوْلَا
 لَوْ أَنَّهُ قَعْرُ رُومِيَّةٍ لَكَانَ مِنْهُ الْوَاضِعُ الْإِشْنَا
 وَقُلْتُ فِي قَطَائِفِ :

كَثِيفَةُ الْحُشْوِ وَلَكِنَّهَا رَقِيقَةُ الْجِلْدِ هَوَانِيهِ
 رَشَتْ بِمَاءِ الْوَرْدِ أَعْطَافَهَا مَنشُورَةُ الطِّيِّ وَمَطْوِيهِ

(١) فِي الْأَصْلِ «وَارْتَهُ» . (٢) فِي الْأَصْلِ (لَدَى رُوحِ) (٣) اِشْمَلُ : أَشْرَفُ وَالْقَوْمُ فِي
 الطَّلَبِ بَادِرُوا فِيهِ ، وَالرَّدْحَةُ سِتْرَةٌ تَكُونُ فِي مُؤَخَّرِ الْبَيْتِ أَوْ قِطْعَةٌ تَزَادُ فِيهِ ، وَالشَّيْزِيُّ
 خَشَبٌ أَسْوَدٌ يَتَخَذُ مِنْهُ الْقَصَاعُ ، وَالْبَيْتُ الثَّانِي نَسَبٌ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ لِابْنِ الزُّبَيْرِ .

كَأَنَّهُا مِنْ طَيْبِ أَنْفَاسِهَا قَدْ سَرَقَتْ مِنْ نَشْرِ مَارِيهِ
جَاءَتْ مِنَ السَّكْرِ فَضِيَّةً وَهِيَ مِنَ الْأُدْهَانِ تَبْرِيهِ
قَدْ وَهَبَ اللَّيْلُ لَهَا بُرْدَهُ وَوَهَبَ الْخُصْبُ لَهَا زِيهِ

وقلت في ذم الباذنجان :

قَرَانَا بِقَوْلَا إِذْ أَنْخَسَا بِيَابِهِ فَأَصْبَحَ فِينَا ظَالِمًا لِلْبِهَائِمِ
وَقَفْنَا عَلَيْهِ الرَّكْبَ نَسْأَلُهُ الْقَرَى وَنَحْنُ عَلَى أَعْنَاقٍ أَغْبِرُ قَاتِمِ
فَصَامَ وَصَوْمُ اللَّيْلِ لَيْسَ بِجَائِزِ وَإِنْ جَازَ فِي فَقِهِ اللَّثَامُ الْأَشَائِمِ
أَجَازَ صِيَامَ اللَّيْلِ حِينَ اسْتَفْرَزَهُ تَعَاوَرُ ضَيْفٍ فِي دُجَى اللَّيْلِ عَائِمِ
فَبِتْنَا أَدِيمَ اللَّيْلِ نَطْوِي عَلَى الطَّوَى كَأَنَّا عَلَى غِبْرَاءَ مَنْ ظَهَرَ وَاشِمِ
وَأَطْعَمْنَا لَمَّا مَرَقْنَا مِنَ الدُّجَى دَحَارِيحَ لَا تَنْسَاقُ فِي حَلَقِ طَاعِمِ
مُدَوَّرَةً سَوْدَ الْمُتُونِ كَأَنَّهَُا خَصِي الزَّيْجِ لَا حَتَّ تَحْتَ فَيْشِ قَوَائِمِ
فَابْشَارَهَا تَحْكِي بِطُونِ عَقَارِبِ وَأَرُوسَهَا تَحْكِي أَنْوْفَ مُحَاجِمِ^(١)

وأخبرنا أبو أحمد حدثنا اسماعيل بن اسحق القاضي حدثنا نصر قال قال الأصبغى قيل للفاخرى أى التمر أجود ؟ قال الجرد الفطس الذى كأن نواه السن الطير تضع الواحدة فى فيك فتجد حلاوتها فى كعبك يعنى الصيححانى تمر العلية .
وأخبرنا أبو أحمد حدثنا اسماعيل بن أبى أويس حدثنى أبى حدثنى عبد الله بن دينار عن عبد الله بن عمر قال اجتمع أربعة رهط سروي ونجدى وحجازى وشامى فقالوا تعالوا نتناعت الطعام أىه أطيب : قال الشامى إن أطيب الطعام ثريدة موسعة زيتاً تأخذ أذناها فيضطر عليك أقصاها تسمع لها وقيماً فى الخنجره كنتنحم نبات الخاض فى الخرف ، قال السروي ان أطيب الطعام خبز ير فى يوم قر على حمر عشر موسع سمناً وعسلاً . فقال الحجازى أطيب الطعام خنس فطس باهالة خمس يغيب فيها الضرس . فقال النجدى أطيب الطعام بكر سنمة مقتبطة نفسها

غير ضمنه في غداة شبة بشفار خدمه في قدور جندمه . ثم قال الشامي دعوني أنعت
لكم الطعام إذا أكلت فابرك على ركبتيك وافتح فاك وأجحظ عينيك وامرح أصابعك
وعظم نعمتك واحتسب نفسك . قال عبد الله بن دينار ما سمعت ابن عمر حدث هذا
الحديث قط فبلغ قول الشامي « واحتسب نفسك » إلا ضحك . وقلت في عصيدة :

وعدت عَصِيدَةً شَقْرَاءَ تَحْكِي طَرَارَ الصَّبْحِ فِي ثَوْبِ الظَّلَامِ
تَرَاهَا حِينَ تَبْرُزُ فِي ظِلَامِ كَمَرِ الطَّرَفِ فِي زَمَنِ قَتَامِ
كَذَى دَلٍّ عَلَيْهِ مَعْصِرَاتُ يَدُلُّ عَلَى الْمَشُوقِ الْمُسْتَهَامِ
فَلَمَّا ابْ صَبَا قَلْبِي إِلَيْهَا وَمَدَّتْ نَحْوَهَا عَيْنَ اهْتِمَامِي
تَقَاصَرَ دُونَهَا كِفَايَ حَتَّى كَأَنَّ الدَّبْسَ عُلِقَ بِالْغَمَامِ
فَدُونَ السَّجْنِ أَطْرَافُ الْعَوَالِي وَدُونَ النَّارِ بَادِرَةُ الْحَسَامِ
أَتَلَّكَ عَصِيدَةً أَمْ طَرَفٌ سَلَمَى فَلَيْسَ يَزُورُ إِلَّا فِي الْمَنَامِ
وَقَلْتُ فِي سَمَكَةٍ طَرِيَّةٍ :

يَقْبِضُ لِلْمَكْتُوبِ مَاجِرٌ حَتْفَهُ فِجَازَ بَنَاءٍ فِي الْغِيْضِ شَرٌّ مَجَازِ
بَعَثْنَا إِلَيْهِ يَنْسِرُ الْبَازَ فَانْتَهَى إِلَيْنَا بَظْهِرٍ مِثْلُ جَوْجُوِّ بَازِ
فَاطْفَأَ نِيرَانَ الطَّاهَةِ كَأَنَّمَا سَحَابٌ يَسِجُ الْوَدْقُ فَوْقَ عَزَازِ
الْعَزَازِ : الْأَرْضُ الصَّلْبَةُ . وَقَالَ كَشَاجِمُ فِي السَّمَكِ :

وَمَحْجُوبَةٌ فِي الْبَحْرِ عَنْ كُلِّ نَاطِلٍ وَلَكِنَّهَا فِي حُجْبِهَا تَتَخَفُ
أَخَذْنَا عَلَيْهِنَّ السَّيْلَ بِأَعْيُنٍ رَوَّاصِدٍ إِلَّا أَنَّهَا لَيْسَ تَطْرُقُ
فَجَاءَ بِهَا بَيْضُ الْمَتُونِ كَأَنَّهَا خَنَاجِرُ فِي أَيْمَانِنَا تَتَمَظِفُ

أخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن محمد بن القاسم عن الأصمعي قال دخلت على الرشيد
وهو يأكل الفالوذ فقال يا أصمعي هل قالت العرب في هذا شيئاً ؟ فقال يأمر
المؤمنين وأنى لها هذا ولكن قالت فيما دونه ، قال وما قالت ؟ قال قال مُرَزُّدُ (١)

(١) في الأصل « مرز » وفي المقد الفريد طبعة بولاق « مزود أخي سماح »

ابن ضرار أخو الشماخ :

ولما غدت أُمى تزورُ بناتها أغرتُ على العكم الذى كان يمنع
خلطتُ بصاعى حنطة صاعَ عجوة إلى صاعِ سمنٍ فوقها يستريح
ودبلتُ ^(١) أمثالَ الأثافي كأنها رؤوسُ نقادٍ قُطعتْ يومَ تجمع ^(٢)
وقلتُ لبطنى أبشرى اليومَ انه حى آمناً مما تفيدُ وتجمع
فانْ تكُ مصفوراً فهذا دواؤه وانْ تكُ جوطاناً فذا يومُ تشبع
فضحك الرشيد وقال يا أصمى ما الدنيا ليس فيها مثلك حسن ، فدعوت له وفضلته
على الملوك بالعلم ، فقال يا أصمى نحن كل يوم نشبع .
ومما يجرى مع هذا القول فى الرحا : فمن أجود ما قيل فيها ما أنشدناه أبو أحمد :
عجبتُ من سائرةٍ لا تَبْرَحُ بنهاك عن ركوبها من ينصحُ
دائبةً تسمى بحيثُ تصبحُ
والحمد لله وحده .

﴿ الفصل الثالث ﴾

(فى ذكر الشراب وما يجرى معه من رقيق المعانى)

للقدماء فى صفة الخمر قول الأعشى * تريك القذى من دونها وهى دونه *
يريد أنها من صفاتها تريك القذى عالية عليها وهى فى أسفلها .
ومن أطرف ما قيل فى صفاء الخمر قول أبى نواس :
ترى حيثما كانت من البيت مشرقاً ومالم تكن فيه من البيت مغرباً

وهو تصحيف على ما فى مقدمة « القصص والامم فى التعريف بأنساب العرب
والعجم لابن عبد البر » . (١) دبل اللقمة : جمعها بأصابعه وكبرها ، وفى العقد الفريد
طبع بولاق « وذيلت » وهو تصحيف ، وفى العقد اختلاف فى بعض الألفاظ ،
(٢) كذا فى لسان العرب ، وفى الأصل « ماتجمع » .

إذا عبَّ فيها شاربُ القوم خلتُهُ يقبلُ في داج من الليل كوكبا
أخذه ابن الرومي فقال وأحسن :
ومهفّف تمت محاسنُهُ حتى تجاوزَ منيةَ النفسِ
وكأنه والكأسُ في فيه قمرٌ يقبلُ عارضَ الشمسِ
فجعل الشارب قمرًا وليس هذا في بيت أبي نواس . وقال أبو نواس يد كرصماء
الخمر ورقتها وحبايها :

فاذا ما اجتليتها فهباءُ يمنعُ الكفَّ ما يبيحُ العيونا
ثم شجبت فاستضحكت عن جان (١) لو تجمعن في يدٍ لاقتنينا (٢)
في كؤوس كأنهنَّ نجومُ دثرات (٣) بروجها أيدينا
طالعاتُ مع السقاة علينا فاذا ما غرن يغرن فينا
لو ترى الشرب حولها من بعيدٍ قلت قوم من قرة يصطلونا
وقلت في لطافة الخمر والزجاجة :

قلتُ والراحُ في أ كفِّ الندامى كنجوم تلوحُ في أبراج
أمدامًا فرطُمُ لمدام أم زجاجًا سبكتُم في زجاج
وكانَّ النجومَ والليلُ داج نقشُ حُجّ يلوحُ في سقف ساج
ومن أعجب ما قيل في صفائها قول الناصبي * فليس شيء عندها إلا القذى *
وقلت : ومشمولة دارت على كؤوسها فرحتُ كأنني في مدار الكواكب
أنازعها بدرًا مع الليل طالعًا وليس بمرودٍ مع الصبح غارب
وقد شابَ لينا بالشماس وإنما تطيبُ لك الصهباء من كف قاطب
وأنشدني أبو أحمد :

فنبهتني وساقى القوم يمزجها . فصار في البيت للمصباح مصباحُ

(١) في ديوان أبي نواس (عن لآل) . (٢) في الأصل (اضنينا) .

(٣) في الأصل « طالعات » .

قلنا على علمنا والشك يقبلنا أراحنا دارنا أم دارنا الراح
ومثله قول البحري :

فأضأت تحت الدجاجة للشر ب وكادت تضي للمصباح
وأحسن ما وصفت به كأس على فم قول ابن المعتز :
ظبي خلى من الأحزان أو دغى ما يعلم الله من حزن ومن قلق
كأنه وكان الكأس في فمه هلال أول شهر غاب في الشفق
وقول الآخر :

كأنما الكأس على ثغرها موصولة بالأتمل الخمس
ياقوته صفراء قد صيرت واسطة للبدر والشمس
قد ذهبت نفسى على نفسها وآفة النفس من النفس
وقلت : فيسقينى ويشرب من عقيق خليق أن يشبهه بالخلوق
كأن الكأس من يده وفيه عقيق في عقيق عقيق
الكأس الحمراء مثل العقيق واليد المحضوبة كالعقيق والشفة مثل العقيق في لونها. وقلت:
ودار الكأس في يد ذى دلال رشيق القد يعرف بالرشيق
يحلى بالتبسم در ثغر تخلله شواير العقيق
رأيت الكأس في يده وفيه وجنح الليل منصرف الفريق
ففي فمه هلال في غروب وفي يده الثريا في شروق
وأحسن ما قيل في الشروق وأتمه قول ابن الرومي وأتى بشيء لم يسبق إليه
وهو تشبيه الحجاب بفلق اللؤلؤ وهو على الحقيقة تشبيهه والناس قبله إنما شبهوه
بالؤلؤ الصحيح ، وهو قوله :

لها صريح كأنه ذهب ورغوة كاللؤلؤ الفائق

فشرحت ذلك وقلت :

وكأس تمتطي أطراف كف كأن بناتها من أرجوان

أنازعها على الملاتِ شرباً لهنّ مضاحكٌ من أقحوانِ
يلوحُ على مفارقتها حبابٌ كأنصافِ الفرائدِ والجنانِ
وفي هذا زيادة لأن في الحباب ما هو كبير يشبه بأنصافِ الفرائد وهي كبار
الؤلؤ ، ومنه ما هو صغير يشبه بأنصافِ الجان وهي صفار اللؤلؤ :

وطالعتي الفلامُ بها سحيراً فزاد على السكواكبِ كوكبانِ
ووافقتها بنجدٍ أرجوان وخالفها بفرع أرجواني
وأغرب ما قيل في الحباب قول أبي نواس :

فاذا علاها الماءُ ألبسها حبيباً كمثل^(١) جلاجلِ الجبلِ
حتى إذا سكنتُ جوامعها كتبتُ بمثلِ اكراع النملِ
ومن غريب ذلك وبديعه قول الأول ويقال انه ليزيد بن معاوية :

وكأُس سبأها البحرُ من أرضِ بابلِ كرقّةِ ماءِ المزنِ في الأعينِ النجلِ
إذا شجها الساقى حسبتُ حبابها عيونَ الدبا من تحت أجنحةِ النملِ
وأبدع ما قيل في الحباب قول أبي نواس :

قامت تربي وأمرُ الليلِ مجتمِعٌ صبحاً تولدَ بينَ الماءِ والذهبِ^(٢)
كأنَّ صغرى وكبرى من فواقعها حصباءُ دُرٍّ على أرضٍ من الذهبِ
وخطأه النحويون في قوله « كبرى وصغرى من فواقعها » ، أخذه ابن المعتز فقال :

يا خايلي^(٣) سقياني فقد لا حَ صباحٌ وأذنَ الناقوسُ
من كيتٍ كأنها أرضُ تبر في نواحيه لؤلؤٌ مغروسُ
وقلت : راحٌ إذا ما الليلُ مدَّ رواقه لاحَتْ تطرُّزُ حُلّةِ الظلماءِ
حتى إذا مُزجتْ أراك حبابها زهراتِ أرضٍ أو نجومِ سماءِ
وقلت في المعنى الأول :

(١) في الأصل « نمشاً كذا » وفي ديوان أبي نواس « حبيباً شبيهه » .

(٢) في الأصل « والعنب » . (٣) في ديوان ابن المعتز « يا نديمي »

تَبَيَّنَتْ لِي اللِّذَاتُ مُعْقُودَةُ الْعَرَى إِذَا مَا أَدَارَ الْكَأْسَ أَحْوَرُ عَاقِدُ
يَدْبُ الدُّجَى عَنْ وَجْهِ نَارٍ تَحْلُهُ كُؤُوسٌ لِأَعْنَاقِ اللَّيَالِي قَلَانِدُ
وقال ابن المعتز :

قد حثني بالكأسِ أوَّلَ فِجْرِهِ ساقُ علامةٍ دِينِهِ فِي خَصْرِهِ
فَكَأَنَّ حُمْرَةَ لَوْنِهَا مِنْ خَدِهِ وَكَأَنَّ طَيْبَ نَسِيمِهَا مِنْ نَشْرِهِ
حَتَّى إِذَا صَبَّ الْمَزَاجُ تَبَسَّمتْ عَنْ ثَغْرِهَا فَحَسْبَتْهُ مِنْ ثَغْرِهِ
وَقَالَ : لِلدَّاءِ فِيهَا كِتَابَةٌ عَجَبُ كَمَثَلِ نَقْشٍ فِي فَصٍّ يَاقُوتِ
وَقُلْتُ : دَارَ فِي الْكَأْسِ عَقِيقُ فِجْرِي وَاطْفَأُ الدُّرُّ عَلَيْهِ فُطْفُوحُ
نَصَبُ السَّاقِ عَلَى أَقْدَاحِهَا شَبَكَ الْفَضَّةَ تَصْطَادُ الْفَرْحُ
وقال ابن الرومي في لطافتها :

لَطْفَتْ فَقَدْ كَادَتْ تَكُونُ مُشَاعَةً فِي الْجَوْثِمِ مِثْلَ شِعَاعِهَا وَنَسِيمِهَا
وَمِنَ الْاسْتِعَارَةِ الْبَدِيعَةِ قَوْلُ ابْنِ الْمُعْتَزِّ : فَأَضْحَكَ عَنْ ثَغْرِ الْحَبَابِ فَمِ الْكَأْسِ *
وَقُلْتُ : وَشَرَابُ طَوِيِّ الزَّمَانِ فَاكِئِي نَفْسَ الْوَرْدِ رَقَّةً وَنَسِيمَا
إِنْ يَكُنْ بِالْعُقُولِ غَيْرُ رَحِيمٍ فَهُوَ بِالرُّوحِ لَا يَزَالُ رَحِيمَا
وَمِنْ أَحْسَنِ مَا قِيلَ فِي خِيَالِ الْكَأْسِ عَلَى الْيَدِ قَوْلُ بَعْضِ الْمُحَدِّثِينَ :
كَأَنَّ الْمَدِيرَ لَهَا بِالْيَمِينِ إِذَا قَامَ لِلسَّقَى أَوْ بِالْيَسَارِ
تَدْرَعُ ثَوْبًا مِنَ الْيَاسْمِينِ لَهُ فَرْدٌ كَمِنْ الْجُلْنَسَارِ
وقال السري في معناه :

وَبَكَرَ شَرِبْنَاهَا عَلَى الْوَرْدِ بِكَرَةٍ فَكَانَتْ لَنَا وَرْدًا عَلَى خَيْرِ مُوَرِّدِ
إِذَا قَامَ مَبِیْضُ الْجَبِينِ يُدِيرُهَا تَوَهَّمْتُهُ يَسْمَى بِسَكْمٍ مُوَرِّدِ
وَقَالَ الْبَحْتَرِيُّ : أَلَا رُبَّمَا كَأْسُ سَقَانِي سَلَفُهَا رَهِيْفُ الثَّنْيِ وَاضِحُ الثَّغْرِ أَشْنَبِ
إِذَا أَخَذْتُ أَطْرَافَهُ مِنْ قَنُوهَا ^(١) رَأَيْتُ الْاَلْبَجِينَ بِالْمَدَامَةِ يَذْهَبِ

(١) فِي دُبُونِ الْبَحْتَرِيِّ (إِذَا ذَكَرْتَ أَطْرَافَهُ مِنْ قَنُوهَا) .

وقلت: وقد شغلت كلنا يديه بقهوة فقلت أرى قدمين أم قدحين
 كأن خيال الكأس فوق ذراعه غشاء من العقيان فوق لجين
 وقلت أيضاً:

يسعى إلى مُقرطق في كفه كأسٌ وبين مُجنونه كأسان
 وتناست فيها بغير قرابة كفٌ المدير وجنة الندمان
 ومن أحسن ما قيل في الزجاجة ورقها وصفائها قول بعضهم:

رَقُّ الزُّجاجِ وراقتِ الخمرُ وتشابها فتقاربَ الأمرُ
 فكأنها خمرٌ ولا قدحٌ وكأنه قدحٌ ولا خمرٌ
 وقال ابن المعتز في رقة الخمر وصفائها وذكر الكأس ولطافتها:

وكأسٌ تحجبُ الأبصارُ عنها فليسَ لناظرٌ فيها طريقُ
 كأنَّ غمامةً بيضاءَ بيني وبين الرِّاحِ تَحرقها البروقُ
 وقلت: وندمان سقيت الرِّاحَ صرفاً وجنحُ الليلِ مرتفعُ السجوفِ
 صفتُ وصفتُ زجاجتها عليها لمعني دَقٌّ في ذهنٍ نصيفِ
 وليس هذا التشبيه بالختار ولو أن بعض الناس يستملحه لأنه أخرج مايرو
 بالعيان إلى ما يعرف بالفكر^(١). وقال بعضهم:

خفيتُ على شرايها فكأنهم يجدون رِياً من إناءِ فارغِ
 وقال غيره: وزنا الكأسَ فارغةً وملاى فكان الوزنُ بينهما سواءَ
 وقال ابن الرومي:

لطفُ فقد كادت تكون مُشاعةً في الجوِّ مثل شعاعها ونسيمها^(٢)
 وقلت: حملتُ بخنصرها إناءَ مدامةٍ صفراءُ تلمعُ في زجاجِ أقر
 فكأنها واللحظُ ليس يحورها شمسُ النهارِ تحتمتُ بالمشترى
 ومن أجود ما قيل في الأبريق وفضول الكأس وأنشده إسحق:

(١) لعل في الأصل نقصاً لأن الشعر المتقد ليس من قول المصنف. (٢) تقدم قريباً.

كَأَنَّ أَبَارِيقَ الْمَدَامِ لَدَيْهِمْ ظَبَاءٌ بِأَعْلَى الرَّقْمَتَيْنِ قِيَامُ
وَقَدْ شَرَبُوا حَتَّى كَأَنَّ رَقَابَهُمْ مِنْ اللَّيْلِ لَمْ يَخْلُقْ لَهُنَّ عَظَامُ
وَقَدْ أَحْسَنَ مُسْلِمٌ فِي قَوْلِهِ :

إِبْرِيقَنَا سَلَبَ الْغَزَالَةِ جِيدَهَا وَحَكَى الْمَدِيرُ بِمَقْلَتَيْهِ غَزَالَا
وَأَحْسَنَ الْآخَرُ وَيَنْسَبُ إِلَى بَشَارِ :

كَأَنَّ إِبْرِيقَنَا وَالْقَطْرُ فِي فَمِهِ طَيْرٌ تَنَاولَ يَأْقُوْتًا بِمَنْقَارِ
إِلَّا أَنْ قَوْلَهُ « طَيْرٌ » رَدِيءٌ وَالْجِيدُ طَائِرٌ ، وَأَجَازَهُ أَبُو عُبَيْدَةَ وَلَمْ يَحْزِمْهُ غَيْرُهُ .
وَقُلْتُ : تَضَحَّكَ فِي الْكَأْسِ أَبَارِيقُنَا وَحَسَبَ مَا يَضْحَكُنْ يَبْكِينَا
كَأَنَّ أَعْلَاهَا إِذَا أَسْفَرَتْ تَعْقَدُ فِي الْكَأْسِ ثَلَاثِينَا
وَأَوَّلُ مَنْ شَبِهَ الْإِبْرِيقَ بِالْأَوْزِ لَبِيدٌ ^(١) فِي قَوْلِهِ وَلَمْ يَذْكُرِ الْخَرَّ :
تُضَمُّنٌ يُضَاكِلَاوَزٌ ظُرُوفُهَا إِذَا تَأَقَّوْا أَعْنَاقَهَا وَالْحَوَاصِلَا
فَأَخَذَهُ بَعْضُهُمْ فَقَالَ :

وَيَوْمَ كَظَلَّ الرَّشْحُ قَصْرَ طَوْلِهِ دَمُ الرِّقِّ عَنَا وَاصْطَكَاكَ الْمَزَاهِرُ
كَأَنَّ أَبَارِيقَ الْمَدَامِ عَشِيَّةً إِوَزٌ بِأَعْلَى الطُّفِّ عَوَجُ الْخَنَاجِرِ
وَقَالَ أَبُو الْهِنْدِيِّ ^(٢) :

سَيَفْنَى أَبَا الْهِنْدِيِّ عَنْ وَطْبِ سَالِمٍ أَبَارِيقٌ لَمْ يَلْقَ بِهَا وَضْرُ الزَّبَدِ
مَقْدَمَةٌ قَرَأَ كَأَنَّ رَقَابَهَا رَقَبُ بَنَاتِ الْمَاءِ تَفْزَعُ لِلرَّعْدِ
وَقَوْلُهُ (تَفْزَعُ لِلرَّعْدِ) زِيَادَةٌ عَلَى مَا تَقْدَمُ .

وَأَمَّا فَضُولُ السَّكُورِ فَأَحْسَنُ مَا قِيلَ فِيهَا قَوْلُ أَبِي نَوَاسٍ :

قَرَارَتِهَا كَسْرَى وَفِي جَنْبَاتِهَا مَهَّاءٌ تَنْدْرِهَا بِالْقَسَى الْفَوَارِسُ

(١) هُوَ صَاحِبُ الْمَعْلَقَةِ الْمَشْهُورَةِ لِبَيْدِ بْنِ رَبِيعَةَ الْعَامِرِيِّ ، الشَّاعِرُ الْحَكِيمُ
الْجَوَادُ الْفَارَسُ الْفَتَاكُ الْمَعْمَرُ .

(٢) هُوَ غَالِبُ بْنُ عَبْدِ الْقَدُوسِ الشَّاعِرِ الْمَطْبُوعِ الْمُسْرِفِ فِي وَصْفِ الْخَرِّ .

فللخمر مازرت عليه جيوبهم وللماء مادارت عليه القلائس
وقال السري الموصلی :

كان الكؤوس وقد كلت
بفضلاتهن أكاليل نور
جيوب من الوشي مزرورة
يلوح عليها بياض النحور
فجئت به في بيت وقلت :

وبيض تهاوى في مزعفة صفر
وهبت لها قلبي وأخدمتها فكري
فدارت بأقداح كأن فضولها
سوالف تبدو من معصرة حمر
وقال السري أيضاً :

وصفراء من ماء الكروم شربتها
على وجه صفراء الغلائل غضة
تبدت وقضل الكأس يلمع ساطعا
كأترجة زينت بالكايل فضة
وقال الناشء : ملوك ساسان على كأسها
كانها في عز سلطانها
فخمرها من فوق أذقانها
وماؤها من فوق تيجانها
يصف كأساً نقش فيه صور ملوك ساسان .

ومن أجود ما قيل في صفة صفاء الاناء وحسنه مع صفاء الخمر قول ابن الممتز :

غدا بها صفراء كرخية
كانها في كأسها تنقد
فتحسب الماء زجاجاً جرى
وتحسب الأقداح ماء جمد

ومن أجود ما قيل في صوت الأباريق ما أنشدناه أبو أحمد :

وقد فجت الغيم السماء كأنها
يمد عليها منه ثوب ممسك
ومجلسنا في الجوّ يهوى ويرتقى
وإبريقنا في الكأس يبكي . يضحك •
ومن أحسن ما قيل في ابتداء السكر قول بعضهم :

ولها ديب بالعظام كأنه
فيض النعاس وأخذ بالفضل
عبثاً أكهفهم بها فكأنما
يتنازعون بها سخاب قرفل
وقول أبي نواس :

فأرسلت من فم الابريق صافيةً كأنما أخذها بالعين إغفاء
 وقوله: ثم لما مزجوها وثبتت وثب الجراد
 ثم لما شربوها أخذت أخذ الرقاد
 ومن شعر المتقدمين قول الأخطل^(١):

أناخوا فجرُّوا شاصياتٍ كأنها رجالٌ من السودان لم يتسر بلوا
 « لم يتسر بلوا » تتميم حسن ، والبيت من أحسن ما قيل في الزقاق :

فقلت اصبحوني لا أبا لأبيكم وما وضعوا الاثقال إلا ليفعلوا
 تدبُّ ديباً في العظام كأنه ديبٌ نمل في نقاً يتهيل

أحسن ما قيل في خروج الحر من الميزال قول أبي نواس :

وخندريسٌ باكرت حانتها فودجوا خصرها بميزال
 فسال عرقٌ على ترائبها كأنَّ مجراهُ قتلٌ خلخال

وقال ابن المعتز : تخرج من دمه وقد حدثت مثل هلالٍ بدا بتقويس

قوله « بدا بتقويس » فضل لا يحتاج اليه لأن الهلال لا يبدو إلا بتقويس . وقال :

جاءتك من يدي خمارٍ بطينتها صفراء مثل شعاع الشمس تنقد

فأرسلت من فم الابريق فانبعثت مثل اللسان بدا واستمسك الجسد

إلا أن هذا في وصفها جارية من فم الابريق ، وقال في المعنى الأول :

سعى إلى الدنِّ بالميزال يبقره ساق توشح بالمنديل حين وثب

لما واجها بدت صفراء صافية كأنَّه قد سيراً من أدبهم ذهب

وقلت : قد بزل الدنُّ فقومي انظري زنجيةً تقتلُ خلخالاً

واسقنيها واشربي واطربي وجررى في الهواء أذيالاً

تنعمي ما استطعت واستمتعي إن وراء المرء أهوالاً

(١) هو غياث بن غوث التغلبي ، يشبه من شعراء الجاهلية بالناطقة الذبياني

كان يمدح الأمويين .

أبلغ ما قيل في الكبر الذي يعتري المنتشى قول الأخطل يخاطب عبد الملك :
 إذا مانديمي على ثم على ثلاث زجاجاتٍ لهن هدير
 خرّجتُ أجرُ الذيل حتى كأني^(١) عليك أمير المؤمنين أمير
 وإنما صار ذلك أحسن من غيره لأنه خاطب به ملك الدنيا وقال أنا أمير
 عليك في ملك الحال . والأصل فيه قول حسان :

ونشربها ففتركنا ملوكاً وأسداً ما ينهينها اللقاء
 ومنه قول الأخطل :

وإذا سكرتُ فأنى ربُّ الخورنقِ والسرير
 وإذا صحوتُ فأنى ربُّ الشوبهةِ والبعير

وأجاد ابن الرومي القول في تنسيخ أمل السكران حتى يأمل ما لا يجوز وجوده وهو قوله :
 ومدامة كحشاشة النفس لطفت عن الإدراك والحس
 لنسيمها في قلب شاربها روح الرجاء وراحة النفس
 وتمدُّ في أمل ابن نشوتها حتى يؤمل مرجع الأمل
 وأجود ما قيل في صفة السكران قول عبد الله بن عبد الله بن عتبة :
 وشربك من ماء الكروم كأنه إذا مجَّ صرفاً في الاناء خضابُ
 صريع مدام والندامي يلونه وفي الشدق قى سائل ولعاب
 وقريب منه قول الآخر في حماد الراوية :

نعم الفتى لو كان يعرفُ ربَّه ويقيمُ وقتَ صلاته حمادُ
 هدلت مشافره المدام وأنفه مثل القدوم يسنها الحدادُ
 وأبيض من شرب المدامة وجهه فبياضه يوم الحساب سواد
 وأبدع ما قيل في صفة أنف السكران إذا تورم من السكر قول الآخر :
 وشربت بعد أبي ظهير وابنه سكر الدنان كأن أنفك دمل

(١) في ديوان الاخطل « جعلت أجر الذيل مني كأني » .

ومن جيد ما قيل في مبادرة الذات قول أحمد بن أبي قتيب : ^(١)

جَدِّدِ الذاتِ فالיום جديد وامض فيما تشتهي كيف تريد
انى ان أمكن يوم صالح انَّ يوم الشرب لا كان عتيب
وقال ديك الجن ^(٢) :

تمتع من الدنيا فانك فانى وإنك فى أيدى الحوادث عانى
ولا تنظرن اليوم فى لهو غد ومن لغدٍ من حادث بأمان
فانى رأيتُ الدهر يسرعُ بالغنى وينقله حالينِ يختلفان
فأما الذى يمضي فأحلامُ نائم وأما الذى يبقى له فأمانى
ونحوه قول عمران بن حطان ^(٣)

يأسفُ المرء على ما فاتهُ من لباناتٍ إذا لم يقضها
وتراهُ فرحاً مستبشراً باتى أمضى كأنَّ لم يمضها
عجباً من فرح النفس بها بعد ما قد خرجت من قبضها
أنا عندى ذاق أحلام الكرى اقرب بعضها من بعضها
وقال ابن المعتز :

وبادر بأيام السرور فانها سراعٌ وأيامُ الهموم بطاءُ
وخلَّ عتاب الحادثات لوجهها فانَّ عتاب الحادثات عناءُ
تعالوا فاستقوا أنفساً قبل موتها لىلى ما يأتى وهنٌ وراءُ
ونحوه عجير السلولى ^(٤) جملة لأصحابه وجعل يشرب معهم ويقول :

عللانى إنما الدنيا عللٌ واطركنى من عتاب وعذل
وانشالما غبراً من قدرى كما واسقياى أبعد الله الجلل

(١) فى الاصل (ففس) وهو تصحيف . (٢) نسبها فى الأمالى لسعيد بن حميد باختلاف
فى البيت الثانى . (٣) شاعر فصيح ، طال عمره فضعف عن الحرب وحضورها فاقصر
على الدعوة والتحريض بلسانه . (٤) شاعر إسلامى مقل من شعراء الدولة الإسلامية

وقال أحمد المادرائي :

هاقر الرَّاحَ ودع نمتَ الطللُ واعصِ من لأمك فيها وعذلُ
غادها واسعَ لها واغربها وإذا قيلَ نصاباً قل أجلُ
إنما دنيالك فاعلم ساعةً أنتَ فيها وسوى ذلك أمل
ولابن بسام^(١) :

واصلُ خليلك إنما الدُّنيا مواصلةُ الخليل
وانعم ولا تتعجل السُّمُكروه من قبلِ النزول
بادرُ بما تهوى فما تدري متى وقتُ الرَّحيل
وارفضْ مَقالةَ لاثم إنَّ الملامَ من الفضول

وقد أجاد ديك الجن في قوله يصف السكر ، واسمه عبد السلام بن رغبان الحمصي :

استغفرُ اللهَ لذنبي كله قاتُ إنساناً بفـيرِ حله
وانصرمَ الليلُ ولم أصله والسكرُ مفتاحُ لهذا كله
قد أوطأ إلا أنه أصاب المعنى . وقال أيضاً :

مشعشة^(٢) من كفٍّ ظبيٍّ كأنما تناولها من خدِّه فأدارها
فظلتُ بأيدينا تتعمعُ روحها وتأخذُ من أقدامنا الرَّاحُ نارها
وهذا معنى بديع حسن أخذه أبو تمام منه وكان كثير الأخذ منه فقال :

إذا اليدُ نالتها بوثرٍ توقَّدتْ على ضعفها^(٣) ثم استقادتْ من الرجل
وبيت عبد السلام أجود منه .

أحسن ما قيل في وصف الساقى إذا أخذ الكأس قول الآخر :

يمدُّ في الطبقة الخامسة من شعراء الاسلام . (١) هو أبو الحسن علي بن محمد ،

كان من أعيان الشعراء ومحاسن الظرفاء لسنّاً مطبوعاً في الهجاء ، يشبه بالخطيئة في الهجاء .

(٢) في وفيات الأعيان (موردة من كف) .

(٣) في ديوان أبي تمام (توقرت على ضعفها) .

كَأَنَّهُ وَالْكَأْسُ فِي كَفِّهِ بِدَرٍّ إِلَى جَانِبِهِ كَوَكْبٌ
 وقلت: وطاعنى الفلامُ بها سحيراً فزادَ على الكواكبِ كوكبان
 ومما يدخل في مختار هذا المعنى قول ابن الرومي * ومهفّف تمت محاسنه *
 وقدمر . ولم أسمع في هذا المعنى أجود من قول الآخر :

فكَأَنَّهُ وَكَأَنَهَا وَكَأَنَّهُمْ قَرْنٌ يَدُورُ عَلَى النُّجُومِ بِأَشْمَسِ
 ومثله في الجمع قول الآخر :

فَالْكَفُّ عَاجٌ وَالْجَبَابُ لَأَلَى وَالرَّاحُ تُبْرِئُ وَالرُّجَاجُ زُرْجَدُ
 وأجود ما قيل في قيام السقاة بين الندامي قول ابن المعتز :

بَيْنَ أَقْدَاحِهِمْ حَدِيثٌ قَصِيرٌ هُوَ سَحَرٌ وَمَسَاوَاهُ الْكَلَامُ
 وَكَأَنَّ السَّقَاةَ بَيْنَ النَّدَامَى أَلْفَاتٌ بَيْنَ السُّطُورِ قِيَامُ
 فشبهه اصطفاة الشرب جلوساً بالسطر والسقاة بينهم بالألفات فأحسن .
 ومن البارع الداخل في هذا الباب قول عنتره :

وَإِذَا سَكِرْتُ فَأَنَّى مَسْتَهْلِكُ مَالِي وَعَرْضِي وَأَفْرُغُ لَمْ يَسْكَمْ
 وَإِذَا صَحَوْتُ فَمَا أَقْصِرُ عَنْ نَدَى وَكَمَا عَلِمْتَ شِمَائِلِي وَتَكَرَّمِي
 أخذه البحترى فزاد عليه في قوله :

وَمَازَلْتُ خَلّاً لِلنَّدَامَى إِذَا انْتَشَوَا وَرَاحُوا بِدُورٍ يَسْتَحْشُونَ أَنْجِمَا
 تَكَرَّمْتُ مِنْ قَبْلِ الْكَؤُوسِ عَلَيْهِمْ فَمَا اسْطَعْنَى أَنْ يَحْدِثَنَّ فَيْكَ تَكَرُّمًا
 والزيادة أن عنتره ذكر أنه يستهلك ماله إذا سكر، والبحترى ذكر أنه تكرم
 قبل الكؤوس فيبالغ حتى لا يستطيع الكؤوس أن تزيده تكراً .

ومن أطرف ما قيل في حسن الندامي قول بعضهم :

لَقَدْ عَلَّمَ الرِّيحَانُ وَالرَّاحُ أَنْتَى عَلَى الْكَأْسِ وَالنَّدَامَانُ غَيْرَ جَهُولِ
 فَإِنْ سَاءَ قِيَامُهُمْ مَقَامُ غَفْرَتِهِ وَلَسْتُ إِلَى مَسَاءِهِمْ بِمَجُولِ
 قوله * لقد علم الريحان والراح اننى * في غاية الظرف . وشبيه البيت

الثاني قول الآخر :

ليسَ من شأنه إذا دارت الكأسُ سُ فأدرى ادمانهُ بالحلوم
 قولُ ما أسخط النديمَ وإن أسخطه عند ذاك قولُ النديم
 إلا أن في هذين البيتين عيبن أحدهما التضمين والآخر قوله (عند ذاك)
 وهي زيادة لا يحتاج إليها . وقال يحيى بن زياد^(١) :

ولستُ له في فضلة الكأسِ قائلاً لأصرفهُ عنها تحس وقد أبى
 ولكن أحبيهِ وأكرمُ وجهه وأشربُ ما أبقي وأسقيه ما شتهى
 وليسَ إذا مانام عندي بموقظ ولا سامع يقظان شيئاً من الأذى
 وهذا جامع جداً . ومن جيد ما قيل في مدح النديم قول اعرابي وقد قيل له :
 كم تشرب من النبيذ ؟ قال على قدر النديم . ومن المنظوم قول بعضهم :

ورضيع أَرْضعت في كبر السن فأضحى أخاً لدى مطام
 لم يكن بيننا رَضاعٌ ولكن صيرت بيننا المدام رَضاعاً
 وهو من قول الناصبي : المدام الرضاع الثاني . ويقولون ذِكْرُ الرجل عمره الثاني .
 وروى ابن عون عن ابن سيرين أنه قال : لا تكرم أخاك بما يشق عليه ، قالوا مغناه
 لا تسقيه من النبيذ ما لا يقوم به . وجعل آخر النديم قطب السرور في قوله :

أرى للراح حقاً لا أراه لغير الراح إلا للنديم
 هو القطب الذي دارت عليه رَحَا اللذات في الزمان القديم
 وقلت : لما تبدى وجهه كالبدر من خلل الغمام
 وكأنه ضوء الصبا ح يمس في خلع الظلام
 آثرت طاعة حبة واخترت معصية المدام
 لا أستفيد من المدام سوى منادمة الكرام
 فإذا حننت إلى النداء م فقد حننت إلى المدام

(١) هو أبو الفضل الحارثي شاعر مقل .

خلق النديم اذا صفا أغناك عن صفو المدام
 وفاخر كاتب نديماً فقال : أنا معونة وأنت مؤونة وأنا للجد وأنت للهزل وأنا
 للشدة وأنت للرخاء وأنا للحرب وأنت للسلم . فقال النديم : أنا للنعمة وأنت للخدمة
 وأنا للحظوة وأنت للمهنة تقوم وأنا جالس وتحشم وأنا مؤانس تدأب لمرضاتي ^(١)
 وتسعى لما فيه سعادتي فأنا شريك وأنت معين كأنك تابع وأنا قرين فمثله وقلت :

ما أعافُ النبيذَ خيفةً إثمٍ إنما عفتهُ لفقدِ النديم
 ليس في اللهو والمدامة حظٌ الكريم دونَ النديم الكريم
 فخير قبلَ النبيذِ نديماً ذا خلالٍ معطراتِ النسيم
 وجمالٍ إذا نظرتَ بديعٌ وضميرٍ إذا اختبرتَ سليم
 وأحسن ما قيل في احمرار لون الشارب من الشعر القديم قول الاعشى :
 وسيئة مما تعتقُ بابل كدم الذبيح سلبتها جريالها
 الجريال : اللون . وقال بعض المحدثين :

نفضت على الأيام حمرةً لونها وسرتْ بلذتها الى الأرواح
 وأخذ الناجم قول الاعشى (سلبتها جريالها) فقال :
 غفدها مشعشة قهوة تصبُّ على الليل ثوبَ النهار
 ويسلبها الخلد جريالها فتهديه للعين يومَ الخمار
 إلا أن هذا فيه زيادة وهو قوله * فتهديه للعين يوم الخمار * وهو في صفة حمرة
 العين من الخمار جيد إلا أن قوله (مشعشة قهوة) ردىء ووجه نظم اللفظ أن يقال
 قهوة مشعشة ، ألا ترى أنك تقول خمر ممزوجة ولا تقول ممزوجة خمر ، وإن كان
 جائزاً فليس كل جائز حسن فاعلم ذلك . وقلت :

شقائق كناظرِ الخمر وأقحوان كشتورِ الحور
 ونرجس كأنجم الديجور

فشبهت ما يعترى بياض العين والخالق من الحرة عند الخمار مع سواد الخدقة
بجمرة الشقائق حول سوادها. وقد أحسن أبو نواس في ذكر مراح الكأس حيث يقول:

ألا دارها بالماء حتى تلينها فلن تسكرم الصهباء حتى تهينها
أغالى بها حتى اذا ما ملكتها أدلت لا كرام الصديق مصونها
وصفراء قبل المزج بيضاء بعده كأن شعاع الشمس يلقاك دونها
ترى العين تستعفيك من لعانها وتحسر حتى ما نقل جفونها
أخذه ابن دريد فقال:

وحمرء قبل المزج صفراء بعده بدت بين ثوبى نرجس وشقائق
حكمت وجنة العشوق صر فافسلطوا عليها مزاجاً فاكتست لون عاشق
ومن أجود ما قيل في صفة القيان:

بدت في نشوة مثل الهمها أدجن إدماجا
يجاذبن من الأردا في كثناناً وأمواجا
وقضبناً من الفضلة قد أنثرت العاجا
ويسترن من الألبشا ر في الديباج ديباجا
وقد لانت من الكور على مفرقها تاجا
فلما طفن بالمجلس أفراداً وأزواجاً
تجاذبن فغنننك أرمالاً واهزجا
وحركن من الأوتا ر امسداً وادراجا
فلا لوم على قلبك إن هيج فاهتاجا
ومن جيد ما قيل في بحجة حلق المغنى قوله أيضاً:

أشهى في الغناء بحجة حلق ناعم الصوت متعب مكدود
كأنين الحب أضعفه الشو ق فضاهاى به أنين العود
لأحب الأوتار تملو كما لا أشهى الضرب لازماً للعود

وأحبُّ المجنبات كحبي للمبادئ موصولة بالمشيد
كهبوب الصبا توسط حالاً بينَ حالينِ شدة وركود
وقد أحسن ابن المعتز في صفة أنامل القينة :

وتلفظُ يمناسها إذا ضربتُ بها وتثرُ يسراها على العودِ عنايا
وقلت : وهيجتُ لى من شوقٍ ومن فرح أيدٍ نثرنَ على الأوتارِ عنايا
لا عيبَ في العيشِ إلا خوف غيتكم إنَّ السرور إذ ما غبتمُ غايا
ومن أحسن ما قيل في وصف المغنى قول ابن المعتز :

ومغنٍ ملحقٌ كلَّ نفسٍ بهواها وهو للسكر عذر
لا يمدُّ الصوت فيه نفور لا ولا يقطعنه منه بهر

وأجمع من ذلك قول ابن الرومي :

تنغى كأنها لا تنغى من سكون الأوصالِ وهي تجبد
مدَّ في شأو صوتها نفسٌ كما في كأنفاسِ عاشقها مديد
ولها الدهر لا ثمَّ مستزبد ولها الدهر سامعٌ مستعيد
وللناجم من أبيات :

مندرة في كلِّ أصواتها لا كأتى تغدُر في النذره

وقول الآخر :

إذا وقَّع بالعود زمرنا مالكؤس (له)

فأما أعجب ما قيل في ذم المغنى والتنائى من سماعه فقول ابن الرومي :
فظلتُ أشربُ بالارطال لا طرباً عليه بل طلباً للسكر والنوم
ومن أحسن ما قيل في مجالس الشرب قول أبي نواس :

في مجلسٍ ضحكك المرورُ به عن ناجذيه وحلت الخمر

وقد أحسن ديك الجن في قوله :

كأنما البيتُ بريحانه ثوبٌ من السندسِ مشقوق

ومثله قول الصنوبري :

وقد نظم الروض ممطيه من سنان نؤيق إلى زجه
 كهرجك خفتان وشى بد يياض الغلالة من فرجه
 ورأيت قوماً يستحسنون هذين البيتين وهما بالاستمجان أولى لا لرداءة
 معناهما ولكن لتكلف ألفاظهما ، وليس التكلف أن تكون الألفاظ غريبة
 وحشية، بل وقد يكون الكلام متكلفاً وإن كان ظاهر اللفظ إذا لم يوضع في موضعه
 وخولف به وجه الاستعمال . وقال السري ولا أعرف في معناه أحسن منه يدعو صديقاً له :
 ألتست ترى ركب الغمام يساقُ وأدمعه بين الرياضِ مُراقُ
 وقدرق جلاباب النسيم على الثرى ^(١) ولكن جلايبُ الغيوم صفاق
 وعندى من الریحانِ نوع تحية وكأسٌ كقراق الخلقِ دهاق
 وذو أدب جلت صنائع كفه ولكن معاني الشعر فيه دقاق
 لنا أبدأً من نثره ونظامه بدائعٌ حلّ مالهن حقاق
 وأغيدمهنّ على صحن خده غلائلٌ من صبغ الحياء رقاق
 أحاطت عيونُ العاشقين بخصره فهنّ له دون النطاق نطاق
 هذا البيت من قول المتنبي :

وخصر ثبتُ الأبصار فيه كأنَّ عليه من حديق نطاقا
 وقد مر ، ويدت السرى أجود منه سبكاً ونظماً ورصفاً :
 وقد نظم المشور فهو قلادة علينا وعقدٌ مذهبٌ وخناق
 وغرفتنا بين السحائب تلتقى لهن علينا كلة ورواق
 تقسم زوارٌ من الهند سقفها خفاف على قلب النديم رشاق ^(٢)
 وليس في هذه الأبيات عيب إلا هذا الإيطاء ، وهو من أسهل العيوب التي تعترى القوافي .
 أعاجم تلتذُّ الخصام كأنها كواعبُ زنج راعهن طلاق

(١) في ديوان السري « على الندى » . (٢) في الأصل (قلب الكريم رقاق).

أنسن بنا أنس الأمان نجبت
 مواصلة والورد في شجراته
 فزرقية برد الشراب لديهم
 وقلت : وليل ابتعت به لذة
 أصاب فيه الوصل قلب الجوى
 وقد خلطنا بنسيم الصبا
 واكؤس الرّاح نجوم إذا
 تضحك في الكأس أباريقنا
 كأن أعلاها إذا كفرت
 وقلت : هذا حبيب وصول
 وذاك شرخ شباب
 وقهوة وغناء
 فخذ نصيبك منه
 وشيئتها غدر بنا وإباق
 مفارق إلف حان منه فراق^(١)
 حميم إذا فارقتهم وغساق
 وبعث فيه العقل والدنيا
 وبات فيه الهم مسكينا
 نسيم راح ورياحينا
 لاحت بأيدينا هوت فينا
 وحسبا يضحكن يبيكنا
 يعقد الكأس ثلاثينا
 وذا رقيب صروم
 أغر وهو بهم
 وسامر ونديم
 فليس شيء يلدوم

وهذا من أجمع ما قيل في هذا الباب . وقال الصنوبري :

يوم ذبول مزنه على الثرى منسحبه
 بروقه سافرة وشمسه منتقبة
 فما سى ؟ سماء ضاحكة منتحبه
 طلبت أقصى أملى منه فنلت الطالبه
 بسيدن ارتقيا منقبة فمنتقبة
 واتفقا في كنية والتقيا في مرتبه
 نشرها عذراء قد قامت بحق الشربه
 أكرم ذخّر ذخّر من كرمه في عنيه

(١) في ديوان السري « مفارقة ان حان منه فراق » .

في مجلس أطنابه على الملا مطنبه
 أكرم به يوماً مضت ساعاته المستعذبه
 كلحظة مغلوسه وقبله مستلبه
 وقلت : عندنا طيبٌ وريحاً نٌ ونقلٌ وغناء
 ومن المشروب لونا نِ شمولٌ وطلاء
 ومن اللحم خليطاً ن طبيخٌ وشواء
 ومن الحلواء ألوا نٌ أحادٌ وثناء
 ولنا غلمانٌ صدق أدباءٌ أرباء
 أرسلوا في الصحن ماءً فكان الصحن ماءً
 واتنوا للحسن عدواً فحواشيهِ رداء
 فارشف الهمَّ غناءً أنما الهمُّ بلاء
 واغتم لذّة يوم قد تخطاهُ العناء
 فهو يطويك ويمضي ليسَ للدُّنيا بقاء

و من المشهور في صفة السكرى قول بعضهم :

مشوا إلى الرَّاح مشى الرَّخَّ وانصرفوا والرَّاحُ تمشى بهم مشى الفرازين
 غدوا إليها كأمثال السهام مَضتْ عن القسيِّ وراحوا كالعراجين
 وكانَ شربهمُ في صدرِ مجلسهم شربَ الملوك وناموا كللسا كين
 ومثل البيت الأول :

راحوا عن الرَّاح وقد بدّلوا مشى الفرازين بمشي الرَّاح
 ومما يجري مع هذا قول الآخر :

تزيد حسا الكأس السفه سفاهةً وتتركُ أخلاقَ الكريم كاهيا
 وإنَّ أَوَّلَ الناسِ عقلاً إذا انتشى أقلهمُ عقلاً إذا كانَ صاحيا
 ومن أحسن ما أنشد في الخيش ما أنشدناه أبو أحمد ولم يسم قائله ورأيتُه

بعد في ديوان السرى :

وقد نشأت بين الكؤوس غمامة من الندى إلا أنها ليس تهطل
وعلى بماء الورد خيش كأنه على جلده ثوب العروس المصنل
وقلت : ظي يروق الناظرين بأبيض وبأسود وبأخضر وبأشكال
ومقوم مثل القضيبي مهفف ومعوج كالصولجان محبل
ومفرج من خده ومكفر ومخلق من شعره ومسلسل
وبياض وجهه بالصباح مقنع وسواد فرع بالظلام مكلل
علقت أباريق المدام بكفه كالبدري يعلق بالسماك الاعزل
وعلا دخان الندى أبيض ساطعاً مثل الغمامة غير أن لم يهمل
فكأنما الكاسات في حافته شقر الخيول تجول تحت القسطل

ومن أبدع ما قيل في لذة الغناء قول الناجم :

شدو الله من ابتدا العين في اغنائها

أحلى وأشهى من منى نفس وصدق رجائها

وأجود ما قيل في الاصفاء إلى الغناء والسكوت له قول الآخر :

وأصفوا نحوها الأذان حتى كأنهم وماناموا نيام

ومن عجيب المعاني في الغناء قول أبي تمام :

حمدت لك ليلة شرفت وطابت أقام سهادها^(١) ومضى كراها

سمعت بها غناءً كان أولى بأن يقتاد نفسى من عناها

ومسمة تفوت السمع حسناً^(٢) ولم تصممه لا يصمم صداها

مرت أوتارها فشفت وشاقت ولو بسطيع حاسدا فداها^(٣)

ولم أفهم معانيها ولكن ورت كبدى فلم أجهل شجاها

(١) في ديوان أبي تمام (شكرتك ليلة حسنت وطابت أقام سرورها).

(٢) في الديوان (يحار السمع فيها). (٣) هذا البيت سقط من النسخ

فكنتُ كأننى أعمى معنى بحبِّ الفانياتِ ولا يراها
وكان ينبغى أن يقول (فداها حاسدا) وليس لقوله (فلا يستطيع حاسدا)
معنى مختار . وأول من أتى بهذا المعنى حميد بن ثور ^(١) في قوله :

عجبت لها أنى يكون غناؤها فصيحاً ولم تغفر ^(٢) بمنطقها فها
ولم أرَ محقوراً لها مثل صوتها أحس وأشجى للحرين وأكلما
ولم أرَ مثلى شاقه صوتٌ مثلها ولا عرياً شاقه صوتٌ أعجا
ومن أحسن أوصاف العود إذا احتضن تشييمهم إياه بالولد في حجر أمه
وتشبيه إصلاحه بعرك أذنه فمن أحسن ما قيل في ذلك وأجمعه قول بعضهم :
فكأنه في حجرها ولدٌ لها ضمتهُ بينَ ترائبٍ ولبان
طوراً تدغدغ بطنه فاذا هفا عركتْ له أذنًا من الآذان
ومثله قول الناجم :

إذا احتضنتْ عابثٌ عودها وناغتهُ أحسنَ أن يعربا
تدغدغُ في مهلِ بطنهُ فنسمعنا مضحكا معجبا
وذكر الضحك مع الدغدغة جيد .

ونظم كشاجم قول الحكماء إن العود مركب على الطبائع الأربع فقال :
شدتْ فجلتْ أسماءنا بمخفف يحدّثها عن سرّها وتحدّثه
مشاكله أوتاره في طباعها عناصر منها أحدث الخلق محدثه
فللنار منه الزيرُ والأرض وللريح متناهٌ وللماء مثله
وكلُّ امرئٍ يرتاحُ منه لنعمة على حسب الطبع الذى منه يبعثه
شكاً ضربَ يمانها فظلتْ يسارها تطوقهُ طوراً وطوراً ترعته
فما برحتْ حتى أرتنا مخارقا يجاذبهُ فى أحسن النقر غثته

فاستدر كناه من ديوان أبى تمام . (١) الهلالى من فحول المخضرمين والمعبرين .
(٢) أى لم تغفر .

وحتى حسبت البابلين القنا ؟ على لفظها السحر الذى فيه تنفته
 وأجود ما قيل فى اتفاق الضرب والزمير قول هرون بن على المنجم :
 غصن على دعص نقا منهاى سعى بكأسٍ مثل لمع الآل
 وفاتنات الطرفِ والدلالِ هيف الخصورِ رجج الا كفال
 يأخذن من طرائف الأرمال ومحكم الخفاف والنعال
 يجرى مع الناس بلا انفصال مثل اختلاط الخمر بالزلال
 يدعو إلى الصبوة كل سال يصرع كل فاك بطل
 ومن حرام اللهو والحلال أكرم من مصارع الأبطال
 وقال كشاجم فى وصف العود والقينة وأحسن :

تميس من الوشى فى حلة تجرر من فضل أذيالها
 وتحمل عوداً فصيح الجواب يضاهى اللحون بأشكالها
 له عنق مثل ساق الفتاة ودستانه مثل خلخالها
 فظلت تطارح أوتارَه باهزاجها وبأرمالها
 وتعمل جساً كجس العروق وتلوى الملاوى بأمثالها

وقيل لرجل أى المغنين أحذق ؟ قال ابن شريح كأنه خلق من كل قلب فهو
 يغنى لكل إنسان بما يشتهي . وأخبرنا أبو القاسم عن العقدي عن أبي جعفر
 عن المدائني قال قال المغيرة للوليد بن يزيد بن عبد الملك أنى خارج إلى
 العراق فاستهد ما أحببت فقال إهدلى بربطاً من عمل زرلى فأهدى إليه عوداً وكتب
 إليه : قد بعثت به أرسح البطن أحذب الظهر صافى الوتر رقيق الجلد وثيق الملاوى
 كهيئة طاليه وملاحة محتضنه وحسن الضارب به وطرب المستمع له .

ومن أحسن ما قيل فى حسن الضارب ما تقدم ذكره وهو قول الناشي .
 * وكان يمتاها إذا ضربت بها * وقال ابن الحاجب :

إذا هي جست حكت متطيباً يجيل يديه فى مجس عروق

وقد استحسنَ الناسَ هذا البيتَ وأجازوه وليس هو في طريقة الاختيار
لأنَّ الطيبَ يحسُّ بيدَ واحدة وكذلك الضارب فليسَ لذكر اليدين وجه .
ومن جيد ما قيل في صحة عبارة العود عن الغناء قول ابن أبي عون :
تفاجيك بالصوت أوتارهُ فتوفيك ألسنه أحرف
وأبين منه قول الناجم :

إذا نوتَ الضربَ قبلَ الغناء أنشدنا شعرها عودها
وقلت: رُبَّ ليل كسأكْ ثوبَ نعيم بينَ ساقٍ وسامرٍ ونديم
وكؤوس جرتَ وراءَ كؤوس وأعانتْ على طريق الهوم
ولنا مزهرٌ كمثل فطيم في يدي مطرب كأَمِّ الفطيم
وسموا صدرهُ بعاج وذبل فزهتْ محاسنُ التوسيم
مثل أرضٍ تحبَّتْ بأقاح أو سماء تسكَّلتْ بنجوم
ذو ملاوٍ سودِ الفروع ومُحمر مثل أطرافِ فرحةٍ ونعيم
ووسابنٍ لانيولٍ عليه كخلاخيل ماردٍ وظلوم
أحمر الزير أسود المِ أحوى هل رأيتُم جداولَ التقويم
ومن جيد ما قيل في سرعة الضرب والجلس قول كشاجم :

وترى لها عوداً تحركهُ وكلامه وكلامها وفقاً
لو لم تحركهُ أناملها كأنَّ الهواءُ يفيدُهُ نطقاً
جسته طامَّةٌ بحالته جسَّ الطيبِ لدنفٍ عرقاً
فحسبتَ يَمناها تحركهُ رعداً وخلتَ يمينها برقاً
وقال بعضهم في رقص :

عجبتُ من رجليه تتبعانه يعلوها طوراً ويعلوانه
كأنَّ أفميين تلسعانه

ومما لم يقل مثله في إزالة الحمار بمعاودة الشرب قول الأعشى :

وكأس شربت على لذة وأخرى تداويت منها بها
كل من أخذ هذا المعنى منه قصر في العبارة عنه ولا يجوز أن يؤتى بمثله ، قال
أبو نواس * وداوني بالتي كانت هي الداء * فحشا الكلام بمالا وجه له وهو قوله
كانت هي الداء ، وقال المجنون * ولا يتداوى شارب الخمر بالخمر * ولا يقع هذا مع
قول الأعشى موقفاً ، ومثله قول البحترى :

تداويت من ليلي بليلى فما اشتفى من الداء من قد بات بالداء يشفى
ومن جيد ما قيل في الدنان والزقاق قول الأخطل * أناخوا فجروا شاصيات *
وقد مر . وقد أحسن ابن المعتز في صفة الدنان :

ودنان كمثل صف رجال قد أقيموا ليرقصوا دستبندا
وقال العلوى الأصمغاني في الزق :
عجبت من حبشي لا حراك به لا يدرك الثأر إلا وهو مذبح
طور آبري وهو بين الشرب مضطجع رغو الزقاق وطوراً وهو مشبوح
وفي ألفاظ العلوى زيادة على معناه في أكثر شعره ، وأخذ البيت الأول من
قول بشار يصف ركب المرأة :

وصاحب مطرق في طول صحبته لا ينفع الدهر إلا وهو محوم
وإن كان المعنيان مختلفين إلا أن حذو الكلامين حذو واحد . وقال ابن المعتز :
إن غدا ملاّن أمسى فارغاً كأسير الرق أدى فعتق
وقال القطامي :

استودعتها رواقيداً مقيرة قد برنس بالطين
مكالحات لحر الشمس قائمة كأنهن نبيط في بساتين
وقال آخر : تحسب الزق إذا أسندته حبشياً قطعت منه الشوى

وقال العلوى الأصمغاني يصف شراباً في ظرف خرف :

مخدرة مكنونة قد تكشفت كراهية بين الحسان الأوانس

وأترابها يلبسنَ بيضَ غلائلٍ هي العرىُّ مَقرورٌ بها كلُّ لابسٍ
 مشعشة مرهاء ما خلتُ أني أرى مثلها عذراءَ في زى عانسٍ
 المعنى جيد وفي الالفاظ زيادة وليس لها حلاوة . وقال آخر في الراووق :
 كأنما للراووق^(١) وانتصابه خرطومٌ فيل سقطت أنيابه
 وفيه : سماء لا ذطرها رحيق رَحَب الذُّرى ينحط فيه الضيق
 ماء حقيق لو جرى العقيقُ حتى اذا ألهبها التصفيق
 صمنا إلى جيراننا الحريق

وأنشد أبو عثمان :

فبتُ أرى الكواكبَ دانياتٍ ينلنَ أناملَ الرِّجلِ القصيرِ
 بالكفين عني وأمسحُ عارضَ القمرِ المنيرِ
 أبو حكيم فمن حكمت كأسك فيه فاحكم له بأقالة عند العثار . ؟ في ضعف السكر :
 فديتك لو علمتَ بضعفِ سكرى لما سقيتني إلا بمسعط
 بحسبك أنَّ خماراً يجني أمرُّه يبابه فأكادُ أسقط^(٢)
 ولا بن الرومي في نبيذ حامض :
 قد لمعمرى اقتصصت من كلِّ ضررٍ كان يجني عليك في رغفانك
 قد ردَدناه فأتخذه لسكبا جك والنائبات من أدقانك
 واتخذه على خوانك خلا^(٣) فهو أولى بالخلِّ من إخوانك
 أضرسننا حوضه فيه تحكي رعدة^(٤) تعتريك من ضيفانك
 معنى آخر : إسقني بالكبير إلى كبير إنما يشربُ الصغير الصغير
 لا يفرنك يا عبيد خشوعى تحت هذا الخشوع فسق كثير

(١) الراووق : ناجود الشراب الذي يروِّق به ، والكأس بعينها .

(٢) نسبها الثعالي في النهاية لابن لئلك باختلاف في بعض الالفاظ .

(٣) في ديوان ابن الرومي (أدماً) . (٤) في ديوانه (ضجرة) .

وكان ابن عائشة ينشد :

لما رأيتُ الحظَّ حظَّ الجاهل ولم أرَ المغبونَ غيرَ العاقل
رحلتُ عنا من كروم بابل فبتُّ من عقلي على مراجل
وقال غيره في نبذ الدبس :

على أحمد من الدوشاب شربة نفضت سوادَ الشباب
لو ترائي وفي يدي قدحُ الدو شاب أبصرتَ بازياً في غراب
وقال بعضهم في كيزان الفقاع :

لستُ بناف خمار مخمور إلا بصافي الشرابِ مقرر
يطيرُ عن رأسه القناع إذا نفست عنه خناق مزور
يميلُ أعلاه وهو منتصبٌ كأنه صولجانٌ بلور
وقلت : وأبيض في أحشاء خضر كأنها قصارُ رجال في المسول قعود
وقال بعضهم في الطنبور :

مخطف الخصر أجوف جيده نصفُ سائر
أنطقتهُ يدا فتى فأن اللحظ ساهر
فحسكي عن ضميره ماجرى في خواطره

وقال آخر في المعرفة :

معلقة الأوتارِ صخابةٌ لها حنينٌ كحنينِ الغريب
مكسوةٌ أحشاؤها حلةً بيضاء من جلد غزالِ ربيب
كأنما تسمعه أوتاره نصين أشراكاً لصيد القلوب

آخر الباب والحمد لله وحده

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى جعل السماء سقفاً محفوظاً شيد بنيانها ووثق أركانها فأمنها من
التهافت وبراها من التفاوت فأرجع البصر هل ترى من فطور ثم أرجع البصر
كرتين ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسير وصير لونها أوفق الألوان لا تبصار
الناظرين وأحلاها فى أنفس المتوسمين وحبها بالنجوم وطرزها بالرجوم وبيض
أعلام صبحها وسود ذوائب ليلها وجلا غرة شمسها ومسح صفحة قمرها وقدره فى
منازله وخالف بين مناظره لتماموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك إلا بالحق .
وصلى الله على سيدنا محمد سيد الأنبياء وأكرم الأصفياء وعلى عترته وأصحابه المختارين
وسلم تسليماً كثيراً .

﴿ هذا كتاب المبالغة ﴾

(فى وصف السماء والنجوم والليل والصبح والشمس والقمر)

وما يجرى مع ذلك : وهو

الباب السادس من كتاب ديوان المعانى - ثلاثة فصول

﴿ الفصل الأول ﴾

فى ذكر النجوم

أحسن ما قيل فى النجوم من الشعر القديم قول امرئ القيس :

نظرتُ إليها والنجومُ كأنها مصاييحُ رهبان تشبُّ القفال ^(١)

(١) تشب : أى توقد ، والقفال : الراجعون من السفر .

وقول الآخر :

سرينا بليل والنجوم كأنها قلادة درّسل عنها نظامها
وقد أصاب القائل التشبيه في قوله :

ورأيت السماء كالبحر إلا أن برسوبه من الدر طافي
فيه ما يملأ العيون كبير وصغير ما بين ذلك خافي
المعنى جيد وليس للألفاظ رونق . وقال ابن طباطبا في معناه :

أحسن بها لججاً إذا التبس الدجى كانت نجوم الليل حصباءها
وأحسن من هذا كله لفظاً وسبكاً مع إصابة المعنى قول ابن المعتز :
كأن سماءها لما تجلت خلال نجومها عند الصباح
رياض بنفسج خضل نداه تفتح بينها نور الأقاحي
إلا أنه مضمن . وقلت :

لبسنا إلى الحمار والنجوم غائر غلالة ليل بالصباح مطرر
كأن بياض النجم في خضرة الدجى تفتح ورد بين رند^(١) وعبر
قلت : كم سرور زرعت بين الندامي وهموم طردت بين الكؤوس
وتلوح^(٢) النجوم في ظلمة الليل كما جيلوح في ابنوس
قلت : بليل كما ترفو الغزالة أسود على أنه من نور وجهك أبيض
كواكب زهر وصفر كأنها قبائع منها مذهب ومفضض
وفي النجوم ما هو أبيض ومنها ما هو أصفر وأحر فشبه الأبيض بقبعة
مفضضة والأصفر والأحر بالذهبة والذهب يوصف بالحبرة والصفرة ، ومثل هذا
التمييز قليل في الشعر . وقال ابن المعتز :

(١) الرند : شجر طيب الرائحة .

(٢) في هامش الأصل : ما عليه لو قال « وياض النجوم » لتم المقابلة ويخلص
من تكلف « تلوح » .

وخلت نجوم الليل في ظلم الدجى خصاصاً أرى منه النهار نقاباً
وقد أحسن الناشئ القول في اشتباك النجوم والتفافها حيث يقول :
وردت عايتها والنجوم كأنها كتائب جيش سوّمت لكتائب
وقلت : وأنجم كربرب في شهب كالشهب تجري في خلال خطب
والخور ترنو من خلال الحجب

ومن أحسن ما قيل في الثريا قول امرئ القيس :
إذا ما الثريا في السماء تعرضت تعرض أنباء الوشاح المفصل
وقد استحسن الناس هذا البيت في صفة الثريا على قديم الدهر وقدموه ، ثم
قال بعضهم وهو معيب لأن التعرض إنما هو أن يبدى لك عرضه أى جانبه قال
والثريا تشق وسط السماء شقاً . وقالوا أحسنه قول ذى الرمة :

وردت اعتسافاً والثريا كأنها على قمة الرأس ابن ماء محلق
وقالوا أحسنه قول ابن الطثرية :

إذا ما الثريا في السماء كأنها جمان وهي من سلكه فتبدداً
أنشد عبد الملك بن مروان هذا البيت فقال ما هي بمتبددة واسكنها مرصوفة .
قال أبو هلال : وإنما أرادها عند غروبها وهي متبددة عند الغروب ، وامرؤ القيس
أيضاً أرادها حين تغيب لأنها حينئذ تنحرف من وسط السماء إلى جانب ، وأحسن
الوصف ما يتضمن أكثر صفات الموصوف ، والوشاح وابن الماء إنما شبها بها من جهة
البياض فقط . وأخذ معنى ابن الاسلت بعض المحدثين فقال :

قد انقضت دولة الصيام وقد بشر سقم الهلال بالعيد
تبدو الثريا كفاغر شره يفتح فاه لاكل عنقود
والأول أجود لذكر وهذا ذكر العنقود ولم يصفه وقد يكون العنقود أسود
أو أبيض . وكان أبو عمرو بن العلاء : يقول أجود ما قيل فيها قول الآخر :

ولاحت لسا ربها الثريا كأنها على الأفق الغربي قرطٌ مسلسل
أخذه ابن الرومي فقال :

طيب طعمه^(١) اذا ذقتَ فاهُ والثريا في جانب الغربِ قرط
وقد قصر عن الأول أيضاً ، ومثله قول أبي فضلة :

وتأملتُ الثريا في طلوع ومغيب

فخبرتُ لها التشبيهَ بالمعنى المصيب

فهي كأسٌ في شروقٍ وهي قرطٌ في غروب^(٢)

وقلت : شربنا والنجومُ مغفرات تمرُّ كما تصدعت الزخوف

وقد أصفت إلى الغرب الثريا بوالد لو يسلمها الضعيف

وأجود ما قال فيها محدث عندي قول بعضهم :

كأنَّ الثريا هودجٌ فوقَ ناقةٍ يسيرُ بها حادٍ من الليل مزعج

وقد لمت بين النجوم كأنها قواريرُ فيها زئبقٌ يترجرج

وتروى لابن المعتز ، وفي ألفاظ البيتين زيادة على معناهما ، وقال مخلص الموصلي :

وترى النجوم المشرقات كأنها دررُ العصابة

وترى الثريا وسطها وكأنها زردُ الذؤابة

وزرد الذؤابة يشبه نجومها وتأليفه يشبه تأليفها فهو تشبيه مصيب . وقال ابن المعتز :

فناولنيها والثريا كأنها جنى نرجس حيا الندامى به الساقى

قالوا لو قال باقة نرجس كان أتم ، فقلت :

أراعى نجومَ الليل وهي كأنها نواظرُ تزنو (نحو) رافع سندس

كأنَّ الثريا فيه باقة نرجس وما حولها منهنَّ طاقات نرجس

(١) في ديوان ابن الرومي (طيب ريقه). (٢) في هامش الاصل : وقد وصفها

الصنوبرى على كل حال انها فقال :

في الشرق كأسٌ وفي مغاربها قرطٌ وفي أوسطِ السماء قدم

وأنشدني بعض العمال :

رُبَّ لَيْلٍ قَطَعَتْهُ بَفَنُونَ مِنْ غَنَاءٍ وَفَهْوَةٍ وَمُجُونٍ
وَالثَرِيَا كَنَسُوهُ خَفَرَاتٍ قَدْ تَجَمَّعْنَ لِلْحَدِيثِ الْمَصُونِ
وَقَدْ أَحْسَنَ وَأَطْرَفَ . وَقَدْ أَصَابَ الْقَائِلَ بَعْضَ وَصْفِهَا فِي قَوْلِهِ
كَأَنَّ الثَّرِيَا حَلَّةَ النُّورِ مَنْخَلٌ * وَقَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِ :

أَلَا فَاسْقَنِيهَا وَالظَّلَامُ مُقَوِّضٌ وَخَيْلُ الدُّجَى نَحْوَ الْمَغَارِبِ تَرْكُضُ
كَأَنَّ الثَّرِيَا فِي أَوَاخِرِ لَيْلِهَا تَفْتَحُ نَوْرًا أَوْ لَجَامًا مَفْضُضٌ
وَشَبَّهَتْ بِالْقَدَمِ ، قَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِ :

قَمٌّ يَا نَدِيمِي نَصْطَبِحُ بِسَوَادٍ قَدْ كَادَ بَبْدُو الصَّبْحِ أَوْ هُوَ بَادٍ
وَأَرَى الثَّرِيَا فِي السَّمَاءِ كَأَنَّهَا قَدَمٌ تَبَدَّتْ فِي ثِيَابِ حَدَادٍ
وَقُلْتُ : كَأَنَّ نَهْوَضَ النُّجُومِ وَالْأَفَاقِ أَخْضَرُ تَبْلُجُ تُغْرِغُ تَحْتَ خَضِرَةٍ شَارِبِ
وَقُلْتُ : تَلُوحُ الثَّرِيَا وَالظَّلَامُ مُقْطَبُ فَيَضْحَكُ مِنْهَا عَنْ أَغْرِ مَفْجِ
تَسِيرُ وَرَاءَ وَالْهَلَالُ أَمَامَهَا كَمَا أَوْمَأَتْ كَفًّا إِلَى نِصْفِ دَمَلِجٍ
وَقُلْتُ : شَمْسٌ هَوَتْ وَهَلَالٌ الْإِفْقَ يَتَّبِعُهَا كَأَنَّهَا سَافِرٌ قَدَّمَامٌ مُنْتَقِبِ
تَبْدُو الثَّرِيَا وَأَمْرُ اللَّيْلِ مُجْتَمِعِ كَأَنَّهَا عَقْرَبٌ مَقْطُوعَةٌ الذَّنْبِ

وَأَحْسَنَ مَا قِيلَ فِيهَا عِنْدَ طُلُوعِ الْفَجْرِ قَوْلُ الْآخَرِ :

وَكَأَنَّ الصَّبْحَ لَمَّا لَاحَ مِنْ تَحْتِ الثَّرِيَا
مَلَكٌ أَقْبَلَ فِي النَّاسِ جُفْدَى وَيُحْيَا
وَقُلْتُ : وَبِالثَّرِيَا أَثَرُ الْحُودِ كَالنَّارِ لَا تَسْمَعُ بِالْوَقُودِ
فِي أَنْجَمِ كَرَّ بَرْبٍ فِي يَدِ يُلُوحُ فِي التَّصَوُّبِ وَالتَّصْعِيدِ

كَشَرَفَاتِ فَدْنِ مَشِيدِ

وَقُلْتُ : قَمٌّ بَدَّ نَظْرُ دُ الْهَمُومِ بِكَأْسِ وَالثَّرِيَا لِمُفْرِقِ اللَّيْلِ تَاجُ
وَقَدْ انْجَرَّتِ الْمَجَرَّةُ فِيهِ كَسَيْبٍ يَمْدُهُ نَسَاجُ

وقال العلوى الأصفهاني في حسن الاستعارة :

رُبَّ لَيْلٍ وَهَتْ لآلِي دُمُوعِي فِيهِ حَتَّى وَهَتْ لآلِي الثُّرَيَّا
ورداء الدُّجَى لَبِيسٌ دَرِيسٌ يَدِ الصُّبْحِ وَهُوَ يَطْوِيهِ طَيَّا
وشبه أبو فراس الثريا بالفخذ من النمر وهو من المقلوب لأن أنجم الثريا بيض
والنقط على فخذ النمر سود . وقال السري :

تَرَى الثُّرَيَّا وَالْبَدْرَ فِي قَرْنٍ كَمَا يَحْيَا بَنَرَجْسٍ مَلَكٌ
أَجُودٌ مَا قِيلَ فِي الْجُوزَاءِ مِنَ الشَّعْرِ الْقَدِيمِ قَوْلَ كَمَبِ الْغَنَوَى ^(١) :
وقد ماتت الجوزاءُ حتى كأنها فساطيطُ ركبٍ بالفلاةِ نزول
ولوشبها بفساطط واحد كان أشبه . ومن شعر المحدثين قول ابن المعتز فيها وفي الثريا :
وقد هوى النجمُ والجوزاءُ تَبَعَهُ كَذَاتِ قِرْطٍ أَرَادَتْهُ وَقَدْ سَقَطَا
مع أن المصراع الأخير غير مختار الرصف ، والنجم اسم مخصوصة به الثريا .
وقال فيها وفي الشعرى العبور :

وَلَا حَتَّ الشَّعْرَى وَجُوزَاؤُهَا كَمَثَلِ رُمَحٍ جَرَّهُ رَامِحٌ
وَقُلْتُ : سَقَانِي وَالْجُوزَاءُ يَحْكِي شُرُوقَهَا طُفُوًّا غَرِيقٍ فَوْقَ مَاءٍ مَطْحَلِبٍ
وهذا وصفها عند طلوعها . وقلت فيها حين توسط السماء :

شَرِبَتْهَا وَاللَّيْلُ مُسْتَوْفِزٌ يَجْرُ فِي جَلْبَابِهِ كَوَكْبَةٍ
كَأَنَّمَا الْجُوزَاءُ رَقَاصَةٌ تَرْقُصُ فِي مَنْطِقَةِ مَذْهَبِهِ
كَأَنَّهَا الْجُوزَاءُ طَبَالَةٌ تَحْتَضِنُ الطُّبْلَ عَلَى مَرْقَبِهِ

وقلت فيها عند غروبها :

إِسْقِنِيهَا وَاللَّيْلُ فَرْعُ عُرُوسٍ زَيْنُوهُ بَدْرَةٌ وَجُجَانُهُ
وَكَأَنَّ الْجُوزَاءَ حِينَ تَهَاوَتْ فَارِسٌ مَالٌ عَنْ سَرَاةٍ ^(٢) حَصَانُهُ
وقال آخر : وَكَأَنَّ الْجُوزَاءَ وَاتَرُ قَوْمٌ أَخَذُوا وَتَرَمَ بِقَطْعِ بَدْنِهِ

(١) : من غنى ، وهو في الطبقة الثانية من شعراء الجاهلية . (٢) سرادة كل شيء : أعلاه .

وقد استحسن قول العلوى الاصفهاني فيها :

وتلوح لي الجوزاءُ سكرى كلما ناءت بها الجرباءُ كادت تنثني
ونطاقها متراصفٌ في نظمه فكأنما انتطقت بقطعة جوشن
الجرباء اسم للسماء ، وفي ألفاظها تسكاف كما ترى والمعنى جيد .

وقلت : وليل أسود الجلباب داج كفرع الخود أوعين الغزال
كان كواكب الجوزاء فيه زميلة ^(١) مفعرة السبزال
تميس بالخلي قرط الثريا إذا انخفضت وتوج بالهلل
ركبت صدوره وتركت خيلي توالى نحت أنجمه التوالى
ويخبطن الصباح إذا تبدى كما يكرعن في المساء الزلال
ومن ظريف ما قيل في الشعرى قول عبد العزيز بن عبد الله بن طاهر :
أقول لما هاج شوق الدكري واعترضت وسط السماء الشعرى
كانها ياقوته في مدري ما أطول الليل بسر مررى
وقد أكثروا من وصفها بالعبر وأخذوا ذلك من اسمها وهو العبور .

أحسن ما قيل في سهيل وبعده من السكواكب قول بعضهم :
ولاح سهيل من بعيد كأنه شهاب ينحيه عن الرشح قابس
وقال ابن المعتز :

وقد لاح للساى سهيل كأنه على كل نجم في السماء رقيب

وأجود ما قيل في خفقانه واضطرابه قول جرّان العود :

أراقب لمحاً ^(٢) من سهيل كأنه إذا ما بدا من آخر الليل مطرف ^(٣)

وقلت : وبسهيل رعدة المزوود ^(٤) وهو من الأنجم في محيد

حل محل الرجل الطريد

(١) في نسخة « زميرة » . (٢) في ديوان جرّان العود « أراقب لوحاً »

(٣) في ديوانه « بطرف » . (٤) أى المزور .

وقال ابن طباطبا في المعنى الأول :

كَأَنَّ سَهِيلًا وَالنَّجُومُ أَمَامَهُ بِمَارِضٍ رَاعٍ أَمَامَ قَطِيعٍ

أَجُودَ مَا قِيلَ فِي النَّسْرِ الْوَاقِعِ قَوْلَ الْحَمَاقِي :

وَرَكِبَ ثَلَاثَ كَلَامَاتٍ تَعَاوَرُوا دُجَى اللَّيْلِ حَتَّى أَوْ مَضَتْ سَنَةُ الْبَدْرِ

إِذَا اجْتَمَعُوا سَمِيتَهُمْ بِاسْمٍ وَاحِدٍ وَإِنْ فَرَّقُوا لَمْ يَعْرِفُوا آخَرَ الدَّهْرِ

وَهُوَ مِنَ الْغَرِّ الْمَلِيحِ . وَمَنْ جِيدَ مَا قِيلَ فِي الْفَرَقَيْنِ قَوْلَ ابْنِ الْمُعْتَزِ :

وَرَنَا إِلَى الْفَرَقْدَانِ كَمَا رَأَيْتُ زُرْقَاءُ تَنْظُرُ مِنْ تَقَابِ أَسْوَدَ

وَفِي الْحِجْرَةِ قَوْلَ بَعْضِهِمْ :

كَأَنَّ الْحِجْرَةَ جَدُولُ مَاءٍ نَوْرُ الْإِقَاحِ فِي جَانِبَيْهِ

وقال ابن طباطبا :

مَجْرَّةٌ كَلَاءٍ إِذْ تَرَقَّرَا شَقَّتْ بِهَا الظُّلُمَاءُ بَرْدًا أَزْرَقَا

لِبَاسِ ثَكْلِي وَشَيْهَا الْمَشَقَّقَا

ونقله إلى موضع آخر فقال :

كَأَنَّ الَّتِي حَوْلَ الْمَجْرَّةِ أَوْرَدَتْ لَتَكْرَعَ فِي مَاءٍ هُنَاكَ صَبِيبٌ

فَوَجَدْتَهُ مَتَكَلِّفًا جَدًّا فَقُلْتُ فِي مَعْنَاهُ :

لَيْلٌ كَمَا نَفَضَ الْغَرَابُ جَنَاحَهُ مَتَبَقِعُ الْأَعْلَى بِهِمِ الْأَسْفَلِ

تَبْدُو السُّكُوكُ بَعْضُهَا مِنْ فَنُونِ ظِلَامِهِ لَمَعَ الْأُسْنَةُ مِنْ فَنُونِ الْقَسْطِ

وَتَرَى السُّكُوكَ فِي الْمَجْرَّةِ شَرَّعًا مِثْلَ الظُّلُمَاءِ كَوَارِعًا فِي جَدُولِ

وَقُلْتُ : تَبْدُو الْمَجْرَةُ مَنَجَرُ ذَوَائِبِهَا كَلَاءٌ يَنْسَاحُ أَوْ كَلَايِمٌ يَنْسَابُ

وَزَهْرَةٌ بَازَاءُ الْبَدْرِ وَاقِفَةٌ كَأَنَّهُ غَرَضُهُ يَنْحُوهُ نَشَابُ

أَغْرَبَ مَا قِيلَ فِي صِفَةِ الْهَلَالِ مِنَ الشَّعْرِ الْقَدِيمِ قَوْلَ الْأَعْرَاجِ :

كَأَنَّ ابْنَ مَرْزُوقَةَ جَانِحًا قَسِيطٌ لَدَى الْإِفْقِ مِنْ خَنْصَرِ

أَيُّ كَأَنَّ ابْنَ مَرْزُوقَةَ وَهُوَ الْهَلَالُ لَدَى الْإِفْقِ قَسِيطٌ مِنْ خَنْصَرٍ وَالْقَسِيطُ الْقَلَامَةُ

وهذا البيت على غاية سوء الرصف . وقد أخذ ابن المعتز فحسنه في قوله :
 ولاح ضوء هلال كاذ يفضحه مثل القلامة قد قدت من الظفر
 وقال ابن طباطبا :

وقد غمض الغرب الهلال كأنما يلاحظ منه ناظر ذات أشجار
 كأن الذي أبقي لنا منه أفقه قصيص سوار أو قراضة دينار
 ولا خير في رصف قوله * كأن الذي أبقي لنا منه أفقه *

ومن غريب ما قيل فيه وعجيبه قول ابن المعتز :
 إذا الهلال فارقته ليلته بدا لمن يبصره وينعته
 كهامة الاسود شابت هامته

قد سبق إلى هذا المعنى ولم يأخذه من أحد أعرفه ، ونقله إلى موضع آخر فقال :
 وقد بدا فوق الهلال كرتة كهامة الاسود شابت لحيته
 ومن أطرف ما قيل فيه قوله أيضاً :

أهلاً بفطر قد أنار هلاله فالآن فاغد إلى المدام وبكر
 وانظر اليه كزورق من فضة قد أثقلته حولة من عنبر
 وقال : في ليلة أكل الحاق هلالها حتى تبدى مثل وقف العاج
 وقلت : لست من عاشق أضل السبيلا فسقى دمه الهطول طولاً
 برد الليل حين هبت شمالا فجمعت الصلاة فيها الشمولا
 في هلال كأنه حية الرمل أصابت على البقاع مقيلا
 بات في معصم الظلام سواراً وعلى مفرق الدجى إكليلا
 وقلت : وكؤوس إذا دجى الليل أسرت تحت سقف مرصع بالاجين
 وكأن الهلال مرآة تبر تنجلي كل ليلة أصبعين

هذا البيت يتضمن صفته من لدن هو هلال إلى أن يتم . وقلت في هلال شهر رمضان :
 جلب المجاعة ضامر بخل قد خلت فيه لضعفه سلا

طفلاً ولكنْ أمرُهُ عجبٌ قد عاد بعد كهولةٍ طفلاً
 قد كانَ حملاً، ليلتين فلم ترَ مثله طفلاً ولا حملاً
 ومن العجائب أن يعودَ فتى في سبع عشرة ليلةً كهلاً
 وقال السرى :

قم يا غلامُ فهاها في كأسها كاللنارةِ في جنى نسرين
 أومارأيت هلالَ شهرٍ قد بدا في الأفقِ مثل شعيرة السكين
 جعل الزجاج كأساً ولا يقال كأس إلا إذا كانت مملوءة ، ولا أعرفه سبق إلى هذا التشبيه . وقال بعضهم :

والجو صافٍ والهلالُ مشنفٌ بالزُّهرة الزَّهراءِ نحو المغرب
 كصحيفةٍ زرقاءَ فيها نقطةٌ من فضةٍ من تحت نون مذهب
 جعل النقطة تحت النون والعادة أن تكون فوقها .
 وقلت : والبدر زينٌ للعيون هلاله فرمقن منه حاجباً مقرونا
 يبدو ويبدو النجم فوقَ جبينه وكأنَّ جنحَ الليلِ ينقطُ نونا
 وقد استحسنت للعلوى الأصفياني قوله :

لاحَ الهلالُ فَوَيْقَ مغربه والزُّهرةُ الزَّهراءُ لم تغب
 نهوى دوين مغيها فهوتُ تبكى بدمع غيرِ منسكب
 فكأنها أسماءٌ باكية عند انفصام سوارها الذهب
 ومن البديع قول الآخر :

لم أنس دجلةَ والهوى مُتضرِّمٌ والبدرُ في أفق السماءِ مُغرَّبٌ
 فكأنها فيه رداءٌ أزرق وكأنه فيها طرازٌ مُذهبٌ
 حق الدجى ان تؤنث لأنها جمع دجية . وقلت :

كأن الهلالَ الشهرَ قطعة دملج تلوحُ على أعضاء معتكر غاس
 ترى الزهرة الزهراء نهوى وراءه كما مرَّ سهمٌ قاصدٌ نحو قرطاس

ومن أجود ما سمعته في الليلة المقمرة ما أنشدنيهِ أبو أحمد :

هل لك في ليلة بيضاء مقمرة كأنها فضةٌ ذابتُ على البلد
وقلت: كم قد تناولتُ اللذاذ من كذب والدَّهرُ مسكونُ الحوادث والنوب
في ليلةٍ قراء تحسب أنها تلقى على الآفاق أردية قصب
ومن البديع قول ابن المعتز :

ماذقت طعم النوى لوتدري كأنما جنبي على جمر
في قمر مشرق نصفه كأنه مجرفةُ العطر
فريسة للبق منهوشة قد ضعفت كفى عن النصر
وقال في ذم القمر :

وبات كما سرَّ أعداؤه إذا رام قوتا من النوم شد
تعرَّضه شرراتُ البعوض في قمرٍ مثل ظهر الجرذ

﴿ الفصل الثاني من الباب السادس ﴾

(في ذكر ظلمة الليل وطوله وقصره وما يجرى مع ذلك من سائر أوصافه)
فن أحسن ذلك قول ذى الرمة :

وليل كجلباب العروس ادرعته^(١) بأربعةٍ والشخصُ في العين واحدٌ
أحمُ علافيً وأبيض صارمٌ وأعيسُ مهريٍّ وأروع ماجد^(٢)
فأخذهُ ابن المعتز ونقلهُ إلى ماهو أطرف لفظاً منه وهو قوله :

وليل كجلباب الشباب قطعتهُ بفتيان صدقٍ يملكون الأمانيا

جلباب الشباب أطرف من جلباب العروس .

(١) في الأصل (ودعته) والتصحيح من ديوان ذى الرمة :

(٢) أحم : أسود يعنى الرجل ، علافي : منسوب الى علاف حي من العرب يعملون
الرحال ، والأعيس : الأبيض يعنى بعيره ، والمهري منسوب الى مهرة حي من اليمن .

قالوا من أبلغ ما قيل في ظلمة الليل قول مضر بن ربيعي^(١).

وليل يقولُ الناسُ من ظلماته سواءَ صحيجاتُ العيونِ وعورها
 كأنَّ لنا منه ييوئًا حصينةً مسوحاً أعاليها وساجٍ كسورها^(٢)
 وقريب من هذا قول الأعرابي : خرجنا في ليلة حندس قد ألفت على الأرض
 أكرعها فمحت صورة الأبدان فما كنا نعرف إلا بالأذان . وقلت في هذا المعنى :

وليلة كرجائي في بني زمى مسودة الوجه منسوباً إلى الفحم
 سدت على نظري الرائي منهنجه حتى تعارفَت الاشخاصُ بالكلم
 لا أسأمو الجهد فيها أن أكابده ولا ترى صاحب الحاجات ذا سأم
 أحاول النجح في أمر أزاوله والنجح في دلجات الأينقي الرسم
 ومن جيد التشبيه قول أبي تمام :

إليك هتكنا جنح ليل كأنه^(٣) قد اكتحل منه البلادُ بأثمد
 أخذه من قول أبي نواس :

أبن لي كيف صرت إلى حريمي وحنح الليل مكتحلٌ بقرار
 وقول أبي تمام أجود لأن الاكتحال بالأثمد لا بالقار، وأظرف ما قيل في ذلك
 قول مسلم بن الوليد :

أجذك ما تدرين أن رب ليلة كأن دجاها من قرونك تنشر
 صبرت لها حتى تجلت بغرة كغرة يحيى يوم يذكر جعفر
 وقد طرف القائل في قوله :

لا تدعني لصبح إن الغبوق حبيبي
 فالليل لون شبابي والصبح لون مشبي

ومن الاستعارة قول ذى الرمة :

(١) نسب البيتان في زهر الآداب إلى ابن محكان السعدي . (٢) في زهر الآداب
 (مسوحاً أعاليها وساجاً) . (٣) كذا في ديوان أبي تمام ، والذي في الأصل (كأنما) .

وَدَوَّيَّةٌ مِثْلُ السَّمَاءِ عَسَفَتْهَا وَقَدْ صَبَغَ اللَّيْلُ الْحَصَى بِسَوَادٍ^(١)
أَخَذَهُ الْبَحْتَرَى فَقَالَ وَقَصْرُ :

عَلَى بَابِ قَنْسَرِينَ وَاللَّيْلُ لَا طُخْ جَوَانِبُهُ مِنْ ظُلْمَةٍ بِمَدَادٍ
لَيْسَ الْبَيْتُ عَلَى السَّكَةِ الْمُخْتَارَةِ وَقَوْلُهُ (لَا طُخْ جَوَانِبُهُ مِنْ ظُلْمَةٍ بِمَدَادٍ) مِنْ بَعِيدِ
الِاسْتِعَارَةِ . وَأَخَذَ ابْنُ أَبِي طَاهِرٍ قَوْلَ مُسْلِمٍ * كَأَنَّ دَجَاهًا مِنْ قُرُونِكَ تَنْشُرُ * فَقَالَ :

سَقَتْنِي فِي لَيْلٍ شَبِيهِ بِشَعْرَهَا شَبِيهَةً خَدَّيْهَا بِغَيْرِ رَقِيبٍ
فَوَقَعَ بِمَعْدًا عَنْهُ وَاخْتَلَفَ فِي النِّظْمِ وَأَقْلَقَ الْقَافِيَةَ . وَقُلْتُ فِي مَعْنَاهُ :

تَسْقِيكَ فِي لَيْلٍ شَبِيهِ بِفَرْعِهَا شَبِيهًا بَعِينِهَا وَشَكْلًا بِخَدَّهَا
فَتَسْكُرُ مِنْ عَيْنٍ وَكَأْسٍ وَوَجْنَةٍ تَحْيِيكَ أَعْقَابَ الْكُؤُوسِ بِوَرْدِهَا

وَمِنْ الْبَدِيعِ فِي هَذَا الْمَعْنَى قَوْلُ ابْنِ الْمُعْتَزِ :

أَرَقْتُ لَهُ وَالرَّكْبُ مِيلَ رُؤُوسِهِمْ يَخْوَضُونَ ضَحَضَاحَ الْكَرَى وَبِهِمْ قُرْ
عَلَانُهُمْ جَلِيدُ اللَّيْلِ حَتَّى كَانَهُمْ بَزَاةٌ تَجَلَّى فِي مَرَاqِبِهَا قَمَرُ
إِلَى أَنْ تَعْرِى النِّجْمُ مِنْ حُلَّةِ الدُّجَى وَقَالَ دَلِيلُ الْقَوْمِ قَدْ نَقَبَ الْفَجْرُ
وَقَدُوا أَذِيمَ الْفَجْرِ حَتَّى تَرَفَعَتْ لَهُمْ لَيْلَةٌ أُخْرَى كَمَا حَوْمَ^(٢) النَّسْرُ
وَقَالَ دِيكُ الْجَنِّ :

سِيرَضِيكَ أَنِّي مَسْخَطُ فَيْكَ كَأَشْعَا وَمَرْتَقِبُ هَوْلَانٍ مَوْتٍ مَرْقَبُ
وَجَانِبُ لَيْلٍ لَوْ تَعَلَّقَ قِطْعَةً بِقِطْعَةٍ صَبَحَ لَا نَشْتُ وَهِيَ غَيْهَبُ
وَقُلْتُ : وَمَدَّ عَلَيْنَا اللَّيْلُ مُتَوَبًّا مَنَمَقًا وَأَشْعَلَ فِيهِ الْفَجْرُ فَهُوَ مُحْرَقُ
وَصَبَحْنَا صَبَحًا كَأَنَّ ضِيَاءَهُ تَعْلَمُ مِنَّا كَيْفَ يَبْهَى وَيَشْرِقُ
وَقَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِ :

نَخَلْتُ الدُّجَى وَاللَّيْلُ قَدْ مَدَّ خَيْطَهُ رَدَاءُ مَوْشَى بِالْكَوَاكِبِ مَعْلَمَا
وَهُوَ مِنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى (الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ)

(١) فِي الْأَصْلِ نَصْحِيفٌ صَحِيحُنَاهُ مِنْ دِيْوَانِهِ . (٢) فِي دِيْوَانِ ابْنِ الْمُعْتَزِ (حَلَقُ) .

ومن أوصاف الظلمة الذي ليس في كلام البشر مثله قول الله عز وجل
 (أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ
 سَحَابٌ مٌظْلَمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ) وقال الأصفهاني العلوي :
 وَرُبَّ لَيْلٍ بَاتَ عَسَاكِرُهُ تَحْمِلُ فِي الْجَوِّ سَوْدَ رَايَاتٍ
 لَامِعَةٍ فَوْقَهَا أَسْنَتُهَا مِثْلُ الْأَزَاهِيرِ وَسَطَرَا وَضَاتِ
 ولست أورد أكثر شعره إلا لاصابة معناه دون لفظه لأن أكثر لفظه متكاف
 وجل صنفته فاسد وهذا من العجب لانه من أكثر الناس نقداً لشعر غيره وقد
 صنف كتاب عيار الشعر فأجاده وهو إذا أراد استعمال ما ذكرناه لم يكمل له
 فهو كالمن يشحذ ولا يقطع .

ومن أحسن الاءارة في ذكر الليل قول ابن أبي فتن :

أَقُولُ وَجَنَحُ الدُّجَى مَلْبِدُ وَلَيْلٍ فِي كُلِّ فَجٍّ يَدُ
 وَنَحْنُ ضَجِيعَانِ فِي مَسْجِدٍ فَلَهُ مَا ضَمَّنَ الْمَسْجِدُ
 أَيَالِيَةَ الْوَصْلِ لَا تَنْفَدُ كَمَا لَيْلَةُ الْهَجْرِ لَا تَنْفَدُ
 وَيَاغِدُ إِنْ كُنْتُ لِي رَاحِئًا فَلَا تَدْنُ مِنْ لَيْلَتِي يَاغِدُ

وقال السري :

وَشَرَّ الصَّبْحِ عَنَا اللَّيْلِ فَاتَضَحْتُ سَطُورَهُ الْبَيْضُ فِي رَايَاتِهِ السُّودُ
 وَقُلْتُ : لَيْلٌ كَفَرَعَ الْخُودَ تَخْلُفُهُ ضَحَى زَهْرَاءُ مِثْلَ عَوَارِضِ الزَّهْرَاءِ
 عَبَقْتُ بِأَنْفَاسِ الرِّيَاضِ كَأَنَّمَا نَفْضُ الرَّقِيبِ غَلَالَةُ الدَّلَاءِ
 وَقُلْتُ : وَاللَّيْلِ يَمْشِي مَشْيَةَ الْوَيْدِ فِي الْخَضِرِ مِنْ لِبَاسِهِ وَالسُّودُ
 وَالصَّبْحُ فِي أَخْرَاهُ ثَانِي الْجِيدِ

فأما أجود ما قيل في طول الليل من الشعر القديم فقول امرئ القيس :
 وَلَيْلٌ كَوَجِّ الْبَحْرِ ^(١) أَرْخَى سِدُولَهُ عَلَى أَنْوَاعِ الْهَمُومِ لَيْتَلِي

(١) أي كوجج البحر في شدة ظلمته .

فقلتُ له لما تَمَطَّى بصلبه ^(١) وأردف أعجازاً وناء بكل كل
 ألا أيها الليلُ الطويلُ ألا انجلِ بصبح وما الاصبحُ منك بأمثل
 وهذا من أفصح الكلام وأبرعه إلا أن فيه تضييغاً يلحق به بعض العيب
 وهو من أدل شيء على شدة الحب. والهم لانه جعل الليل والنهار سواء عليه فيما
 يسكأده من الوجد والحزن وجعل النهار لا ينقصه شيء من ذلك وهذا خلاف العادة
 إلا أنه دخل في باب الغلو. والذي أخبرنا بما في العادة الطرماح في قوله:

ألا أيها الليلُ الطويلُ ألا اصبح بصبح وما الاصبحُ منك بأروح
 فهذا معنى قول امرئ القيس، ثم استدرك فقال:

على أنَّ للعينين في الصبح راحةً بطرحيهما طرفيهما كلَّ مطرح
 فجاء بما لا يشك أحد في صحته إلا أن لفظه لا يقع مع لفظ امرئ القيس
 موقعاً والتسكف في قوله * بطرحيهما طرفيهما كل مطرح * بين والسكر اهتافاً ظاهرة.
 وقال ابن الدمينه في معنى قول الطرماح:

أظللُ نهارى فيكم متعللاً ويجمعنى والهم بالليلِ جامع

وقال المجنون:

يضمُّ إلىَّ الليلُ أطفالَ حبها ^(٢) كماضمُّ أزرارَ القميصِ البنائِقُ.

جعل ما ينشأ من الهم بالليل أطفالاً، وفي هذا المعنى يقول النابغة:

كلينى لهم يا أميمة ناصب وليل أقاسيه بظى الكواكب
 تطاول حتى قلتُ ليس بمنقضٍ وليل الذي برعى النجوم ^(٣) بآيب
 وصدر أراح الليل عازب هم تضاءف فيه الحزن من كل جانب

(١) وفي رواية «بجوزه» وهو ضعيف المعنى. (٢) في الاصل

«حبكم» وفي اللسان «حبها» وقال فيه: يروى «أثناء حبها» ويروى «أبناء

حبها» وأراد بالاطفال الاحزان المتولدة عن الحب. (٣) في ديوان النابغة

«يهدي النجوم» وهو الذي يتقدمها.

فجعل الهمَّ يأوى إلى قلبه بالليل كالنعم العازبة تريحها الرعاة مع الليل إلى
أما لكنها ، وهو أول من ذكر أن الهموم تتزايد بالليل . وقلت :

وذكرنيهِ البدرُ والليلُ دونهُ فبات بحدِّ الشوق والصبر يلعب
كذكرى الحى والحى فى منعج اللوى وذكر الصبا والرأس أخلص أشيب
فأزدادُ فى جنح الظلامِ صباةً فلا صعبَ إلا وهو بالليلِ أصعبُ
وقلت: ورأيتُ الهمومَ بالليلِ أدهيَ وكذلك السرورُ بالليلِ أعذب
ومما استجدت من شعر أبى بكر الصولى فى معنى امرئ القيس قوله :

أسرَّ القلب فى هواه وسارا وتجنى على ظلماء وجارا
فتهاى أراه للبعدِ ليلاً وأرى للسهادِ ليلى نهارا
أنتَ فرقتَ بالفرقِ صبرى فأعزى لمسا عراني اصطبارا
ويستجاد هذا بالاضافة إلى جملة شعره فأما لنفاسته لنفسه فلا .

وقال إسحق الموصلى فى معنى النابغة :

إنَّ فى الصبحِ راحةً لمحَبٍّ ومع الليلِ ناشاتُ الهمومِ
وهذه اللفظة مأخوذة من قول الله تعالى (إنَّ ناشئةَ اللَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ
وَطْئاً وَأَقْوَمُ قِيلاً) وقال طاهر بن على بن سليمان :

إذا لاحَ لى صبحٌ فهمى مقسمٌ وفي الليلِ همى بالتفرُّدِ أطول
ومعنى بعض المثقلين بالدين المبتلين بالفقر دوام الليل لما يلقى النهار من الغرماء
ولما يحتاج اليه من النفقة فى كل يوم فقال :

ألا ليتَ النهارَ يعودُ ليلاً فإنَّ الصبحَ يأتى بالهمومِ
حوائج لا تطيقُ لها قضاءً ولا رداً وروحات الغريمِ
قوله « ولارداً » من التتميم الحسن . وقال التنوخى فى طول الليل :
وليلة كأنها طولُ الأملِ ظلامها كالدهر ما فيه خللُ
كأنما الاصبحُ فيها باطلُ أزهقه اللهُ لحقِّ فبطلُ

ساعاتها أطولُ من يوم النوى وليلةِ الهجرِ وساعاتِ العذل
موصدة على الورى أبوابها كالنار لا يخرج منها من دخل
وهذا يستلح وان لم يكن مختاراً من التشبيه لأن إخراج المحسوس إلى
ماليس بمحسوس في التشبيه ردىء . ومن التشبيه الغريب في ذلك قول بعض العرب :
ويوم كظلِّ الرُّمَح قصرَ طولهُ دم الزَّقِّ عنا واصطكك المزاهر
وقال البحتري :

وقاسينَ ليلاً دونَ قاسانٍ لم تكد أواخرهُ من بعد قطريه تلحق
وقال ابن المعتز في نحوه :
وحلتْ عليه ليلَةٌ أرحبُها إذا ما صفا فيها الغديرُ تكدراً
بعيدة ^(١) ما بين البياضين لم يكد يصدق فيها صباحها ^(٢) حينَ بشراً
وقال : بمخشية الاقطار حيلة الصدى معطلة الآيات محذورة القصد
كأنَّ نجومَ الليلِ في حجراته دراهمُ زيف لم يجزن على النقد
يريد أن نجومه واقفة ليست تسير فكأنها دراهم زيفت ليست تنقد . وقد
أبر بعض المحدثين على من تقدم حيث يقول في طول الليل على دناءة لفظه :
عهدي بنا ورداء الليل مُنسدل والليلُ أطولهُ كاللمح بالبصر
والآن ليلى من باتوا فديتهم ليلُ الضريرِ فصبحي غير منتظر
وهذا أبلغ معنى من قول امرئ القيس الذي تقدم إلا أنه لا يدخل في مختار
الكلام لا بتذال لفظه وزيادته على معناه وسوء صنعته ، والمعنى أن ليله ممدود
بلا انقضاء كالليل للضرير كله عند الضرير ليل . وقال على بن الخليل :
لا أظلم الليلَ ولا أدعى أنَّ نجومَ الليلِ ليست تعول
ليلى كما شاءت قصيرٌ إذا جادتْ وإن ضنت فليلى طويل
فأغار عليه ابن بسام فقال :

(١) في ديوان ابن المعتز المطبوع « طويلة » . (٢) في ديوانه (فجرها) .

لا أظلمُ الليلَ ولا أدعى أنْ نجومَ الليلِ ليستْ تغور
 ليلى كما شأَتْ فانْ لم تَزُرْ طالَ وإنْ زارتْ فليلى قصير
 إلا أن بيته الثاني أحسن تقسيماً من بيت الخليل . وسمعت كافي الكفاة يقول
 لا بُدَّ لي أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد وقد أنشده * جُلُّهمي وهمتي جُرجانُ *
 فقال هذا المصراع خطبه ، قال أبو هلال العسكري وأنا أقول إن قوله :
 ليلى كما شأَتْ خطبه . وقال سعيد بن حميد :

يا ليلُ بلْ يا أبَدُ أنا نائمٌ عنك عَندُ
 وقال ابن الرومي وأحسن التشبيه * ليست تزول ولكن تزيد * وقلت :
 غابوا فلم أدرِ ما ألقى مسٌّ من الوَجْدِ أوجنون
 ليلى لا يبتغي براحاً كأنه أدهم حَرونُ
 أجيلُ في صفحته عيناً ما تتلاقى لها جُفونُ
 وملح ابن الأحنف في قوله :

حَدَّثوني عن النهار حديثاً وِصفوه فقد نسيتُ النهارا
 وقد أنبأ بشار عن العلة التي يستطال لها الليل وهو السهر فقال :
 لم يطل ليلى ولكن لم أنمُ ونفى عنى الكرى طيفُ ألم
 ولا أرى في قلة النوم أجود من قول المجنون :

ونوم كحشر الطيرِ بتنا ننوشه على شعبِ الاكوادِ والليل غاسق
 على أن زهيراً قد قال * وكصفقة بالكف كان رقادي * والاول أفصح .
 وأنبا العجاج أيضاً عن العلة التي لها يطول الليل * تطاول الليل على من لم ينع *
 وقال بشار :

لخدَّيك من كفيك في كلِّ ليلةٍ إلى أن ترى ضوء الصباح وسادُ
 وهذا مأخوذ من قول أبي ذؤيب * نام الخلى وبت الليل مشتجراً * والاشتجار
 وضع اليد على الخد والاعتماد عليها وهو جلسة المتفكر :

نبئتُ نراعى الليلَ نرجو نفاذهُ وليس لليل العاشقينَ نفاذ
وقال : خليلي ما بال الدُّجى لا تزحزحُ وما بال ضوء الصبح لا يتوضح
كأن الدجى زادت وما زادت الدُّجى ولكن أطالَ الليلَ همُّ مبرِّح
وقال دبك الجن :

من نامَ لم يدْرِ طالَ الليلُ أم قصرا ما يعرف الليلَ إلا عاشقٌ سهر
وقد أجاد ابن طباطبا العلوى القول فى طول الليل وهو :
كأنَّ نجومَ الليل سارتْ نهارها ووافَتْ عشاءٌ وهى أنضاءُ أسفار
فخيمنَ حتى تستريحَ ركابها فلا فلكٌ جار ولا فلكٌ سارى
وذكر خالد الكاتب ^(١) أنه ليس يدري أطال ليله أم قصر لتحيروه وتبلده فقال :
لستُ أدري أطال ليلى أم لا كيف يدري بذاك من يتقلى
لو تفرَّغتُ لاستطالة ليلى ولرعى النجوم كنتُ مخلى
وتبعه أبو بكر الصولى فقال :
وطولتُ ليلى لو دريتُ بطوله ولكنه يمضى لما بى ولا أدري
وقال بشار :

طالَ هذا الليلُ بل طالَ السهر ولقد أعرفُ ليلى بالقصير
لم يطلُ حتى دهانى بالهوى نائمُ الأطراف فتانُ النظر
فكانَ الهجرَ شخصٌ مائل كلما أبصره النومُ نفر
وقلت : صيرنى البينَ عرضة الحين لا أربحَ اللهُ صفقةَ البين
قد طالَ يومي وليتقى بهمُ لما يزالا بهمُ قصيرين
كانَ قليلاً لدى مكثهما فكنتُ أدعوها الجديدين
فطال بعدَ الحبيبِ لبثهما فصرْتُ أدعوها عتيقين

(١) هو خالد بن يزيد ، من أهل بغداد ، وأصله من خراسان ، وكان أحد
كتاب الجيش فى أيام المعتصم العباسى . أ كثر شعره فى الغزل .

وقال آخر :

يا ليلة طالت على عاشقي منتظري في الصبح ميعاد
كادت تكون الحول في طولها إذا مضى أولها عاد
أجود ما قيل في قصر الليل وأشدّه اختصاراً قول إبراهيم بن العباس :
وليلة من الليالي الزهر قابلت فيها بدرها يبدري
لم تك غير شفيق وفجر حتى تولت وهي بكر الدهر
وقال غيره : وليلة فيها قصر عشاؤها مثل السحر
وهذا على غاية الاختصار . وقال العلوي الاصفهاني في قصر الليل واليوم :
ويوم دجن ذو ضمير متهم مثل سرور شابه عارض غم
صحوه وغيمه وضياءه وظلمه كأنه مستعر قد ابتسم
مازلت فيه عاكفاً على صنم مبهف الكشح لذيد الملتزم
تقاحه وقف على لثم وشم وبانه وقف على هصر وضم
يا طيبه يوم تولى وانصرم وجوده من قصر مثل العدم
وقلت : قصر العيش بأكناف الغضا وكذا العيش إذا طاب قصر
في ليل كأباهيم القطا لست تدري كيف تأني وتمر
وقلت : إذا البرق من شرقي دجلة ينبري على صفحات البارق المتأنيق
أشبهه دهرًا أغرّ محجلاً فقمنا به في ظل فينان موريق
فرّ كرجع الطرف ليس يمسه حنين إلى مخبورة المتعشق
وقد يعرض المحذور من حيث يرتجى ويمكنك المرجو من حيث تنق
أخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن محمد بن سعيد عن أبي عكرمة قال أنشدت
اعراباً قول جرير :

أبدل الليل لا تسري كواكبه أم طال حتى حسبت النجم حيرانا
فقال هذا حسن وأعوذ بالله منه ولكن أنشدك في ضده من قولي وأنشدني :

وليـل لم يقصره رقاد وقصره لنا وصل الحبيب ^(١)
 نعيم الحب أوردق فيه حتى تناولنا جناؤه من قريب
 بمجلس لذة لم نقو فيه على الشكوى ولاعد الذنوب
 بخلنا أن نقطعه بلفظ فترجت العيون عن القلوب
 فقلت له زدني فما رأيت أظرف منك شعراً ، فقال أمانن هذا فحسبك
 ولكن غيره وأنشدني :

وكنْتُ إذا علقْتُ حبالَ قوم صحبتهم وشيمتي الوفاء
 فأحسن حينَ يحسنُ محسنوهم واجتنب الاساءة إن أساؤا
 أشاء سوى مشيئتهم فأتى مشيئتهم وأترك ماأشاء
 وأنشدنا عن محمد بن يزيد :

لله ليلتنا بجو سوية والعيش غض الزمان غرير
 طابت فقصرَ طيها أيامها فكأنما فيها السنون شهور

وأنشدنا عن عون بن محمد بن إسحق الموصلي :
 ظللنا في جوار أبي الجنا ب بيوم مثل سالفة الذباب
 يقصره لنا شغف التلاقي ويوم فراقنا يوم الحساب
 وأخبرنا عنه عن محمد بن الحسن أبي الحسن العتابي عن عيسى بن اسماعيل
 قال سمعت الأصمعي يقول قرأت على خلف شعر جرير فلما بلغت إلى قوله :
 ويوم كابهام القطاة محبب إلى هواه ^(٢) غالب لي باطله
 رزقناه الصيد العزيز ولم نكن ^(٣) كمن نبه محرومة وحبائله
 فيالك يوم خيره قبل شره تغيب واشيه وأقصر عاذله

(١) في زهر الآداب « وقصر طوله وصل الحبيب » . (٢) في زهر الآداب
 « إلى صباه » . (٣) في الأصل (الصعد الغزير ولم يكن) .

فقال وبيله وما ينفعه خير يزول إلى شر؟ فقلت كذا قرأته على أبي عمرو ، قال صدقت وقال كذا قال جرير وكان قليل التنقيح مشرد الألفاظ ، وما كان أبو عمرو ليقرئك إلا كما سمع ، قلت كيف كان يجب أن يقول؟ قال الأجود له لو قال * فبالك يوماً خيره دون شره * فاروه هكذا ، وكانت الرواة قديماً تصلح من شعر القدماء ، فقلت والله لا أرويه بعدها إلا هكذا .

ومثل ذلك أن أبا الفضل بن العميد أنشد قول أبي تمام :
وكشفت لي عن صفحة الماء الذي قد كنت أعهدك كثير الطحلب
فقال إنما قال (عن جلد الماء) فقال إذا أمكن أن يصلح قصيدته بتغيير لفظة
فمن حقها وحق قائلها أن تغير . قال أبو هلال وبين الصفحة والجلدة بون بعيد .
وقال ابن طباطبا :

بأبي من نعمت فيه يوم لم يزل للسرور فيه نمو
يوم لهو قد التقي طرفاه فكان العشي فيه غدو
ومن قول إبراهيم بن العباس والناس يروونه لغيره :

ليلة كاد يلتقي طرفاها قصرأ وهي ليلة الميلاد
وقلت : وطال عمرك في دهر به قصر تعد فيه شهور العيش أياما
وقال القصاني :

ذكرتكم ليلاً فنور ذكركم دجى الليل حتى انجاب عنا دياجره
فوالله ما أدرى أضوء مسجر لذكركم أم يسجر الليل ساجره
وبت أسقى الشوق حتى كأننى صريع مدام لم ينهنه دائره
وظلت أكف الشوق لما ذكرتكم تمثّل لي منكم خيالاً أسايره
فلو كنتم أقصى البلاد لزرتكم إلى حيث يعي ورده ومصادره
أرى قصرأ بالليل حتى كأنما أوائله مما تدانى أواخره
وقد أحسن ابن المعتز في صفة ليلة طيبة فقال :

يا ليلة نسي الزمانُ بها احداثه كوني بلا فجر
 راح الصباحُ بيدرها ووشت فيها الصبا بمواقع القطر
 ثم انقضت والقلبُ يتبعها في حيث ماسقطت من الدهر
 وقلت : وصلت نعم ولكن صلة تشبه اللحظة في انتقاها
 لست أدري أتممتُ بها أم بزور الزور من خيالها
 ومضى الليلُ سريعا مثلها أنشطت دهاء من عقلمها

﴿ الفصل الثالث من الباب السادس ﴾

في ذكر الصباح والشمس والنهار وما يجري مع ذلك

أجود ما قيل في الصباح من شعر الاعراب : أخبرنا أبو أحمد أخبرنا أبو بكر
 ابن دريد عن أبي حاتم عن الأصمعي قال نزلت بقوم من عُغَي وقد جاؤوا
 قبائل من بني عامر بن صعصعة^(١) فحضرت ناديهم وهناك شيخ طويل الصمت
 عالم بالشعر^(٢) قد جعل الناس يأتونه من كل ناحية فيجلسون اليه وينشدون
 أشعارهم فإذا سمع الشعر الجيد قرع الارض بمحجنه فينفذ حكمه على من حضر منهم
 بشاة^(٣) إذا كان ذا غنم وابن مخاض ان كان ذا إبل فذبح أو نحر لأهل الوادي
 فقال حضرته يوماً والشيخ جالس فأنشده بعضهم يصف القطا :

غَدَت في رعيلى أدأوى منوطة بلباتها مربوعة^(٤) لم تمرَّ رخ^(٥)
 إذا سرَّ بسخ عطت^(٦) مجال سرائه تمطت فخطت بين أرجاء سربخ
 فقرع الشيخ الأرض بمحجنه وهو صامت ، ثم أنشده آخر يصف ليلة^(٧) :

-
- (١) في الأصل (من بني صعصعة) . (٢) في أمالى القالى زيادة (وأيام الناس)
 (٣) في الأمالى (فينفذ حكمه على من حضر بيكر للهند ، وإذا سمع مالا يعجبه
 قرع رأسه بمحجنه فينفذ حكمه عليه بشاة) . (٤) في الاصل (مدبوعة)
 (٥) تمرخ أى تسلين . (٦) السربخ : الأرض الواسعة ، وعطت : شقت .
 (٧) في الأصل (يصف إبلا) والاستدراك من الأمالى .

كَأَنَّ تَمِيْطَ الصَّبْحِ فِي أَخْرِيَاتِهَا مُسْلَاءٌ يَنْقِي مِنْ طِلَاسَةِ خُضْرٍ
تَحَالُ بَقَايَاهَا الَّتِي أَسَارَ^(١) الدُّجْبِي تَمَدُّ وَشِعْمًا^(٢) فَوْقَ أَرْدَبَةِ الْفَجْرِ
فَقَامَ الشَّيْخُ كَالْمَجْنُونِ مُصَلَّتًا سَيْفَهُ حَتَّى خَالَطَ الْبَرْكَ^(٣) فَجَعَلَ يَضْرِبُ يَمِينًا
وَشِمَالًا وَهُوَ يَقُولُ :

لَا تُفْرَغَنَّ فِي أُذُنِيَّ بَعْدَهَا مَا يَسْتَفْزُ فَارِيكَ فَقْدَهَا
إِنِّي إِذَا السَّيْفُ تَوَلَّى نَدَّهَا لَا أُسْتَطِيعُ بَعْدَ ذَلِكَ رَدَّهَا

قَالَ أَبُو هَلَالٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ عِلْمَ الشَّعْرِ وَالتَّمْيِيزَ بَيْنَ جِيْدِهِ
وَرَدِيْثِهِ كَانَ غَرِيزًا عِنْدَ أَهْلِ الْبَوَادِي وَهُمْ أَصُولُهُ وَمَنْبَعُهُ وَمَعْدَنُهُ ، وَكَانَ فِعْلُ هَذَا
الشَّيْخِ وَاسْتَفْزَازَ جِيْدِ الشَّعْرِ لَهُ قَرِيبًا مِمَّا رَوَى عَنْ مُحَمَّدِ الْآمِنِ أَنَّهُ قَالَ إِنِّي لَا أُطْرِبُ
عَلَى حَسَنِ الشَّعْرِ كَمَا أُطْرِبُ عَلَى حَسَنِ الْغَنَاءِ .

وَمِنْ غَرِيبٍ مَا قِيلَ فِي الصَّبْحِ مِنَ الشَّعْرِ الْقَدِيمِ قَوْلُ ذِي الرِّمَّةِ ، وَقَدْ أَجْمَعَ النَّاسُ
عَلَى أَنَّهُ أَحْسَنُ الْعَرَبِ تَشْبِيْهًا :

وَقَدْ لَاحَ لِلسَّارَى الَّذِي كَمَلَ الشَّرَى عَلَى أَخْرِيَاتِ اللَّيْلِ فَتَقَى مُشَهَّرٌ
كُلُونِ الْحَصَانِ الْأَنْبُطِ الْبُطْنِ قَائِمًا تَمَائِلَ عَنْهُ الْجِلْدُ وَاللَّوْنُ أَشْقَرُ
وَهَذَا أَحْسَنُ تَشْبِيْهِهَ وَأَكْمَلُهُ ، الْأَنْبُطُ : الْأَبْيَضُ الْبُطْنُ ، شَبْهُ بَيَاضِ الصَّبْحِ تَحْتَ
حَمْرَتِهِ بَيَاضُ بَطْنِ فَرَسٍ أَشْقَرُ . أَخَذَهُ ابْنُ الْمَعْتَزِ فَقَالَ :

وَمَارَاعَنَا إِلَّا الصَّبَاحُ كَأَنَّهُ جَلَالُ قِبَاطِيٍّ عَلَى فَرَسٍ وَرَدٍ
وَقَالَ أَوْ قَالَ غَيْرُهُ :

بَدَا وَالصَّبْحُ تَحْتَ اللَّيْلِ بَادٍ كَمَهْرٍ أَشْقَرٍ مَرخِي الْجَلَالِ
وَمِنْ أَغْرَبِ مَا قَالَهُ مُحَدِّثٌ فِيهِ قَوْلُ ابْنِ الْمَعْتَزِ :

(١) السُّؤْرُ : الْبَقِيَّةُ وَالْفَضْلَةُ ، يُقَالُ إِذَا شَرَبْتَ فَاسْتُرَ . (٢) الْوَشِيْعَةُ : لَفِيْفَةٌ مِنْ
غَزَلٍ ، وَتَسْمَى الْقَصْبَةُ الَّتِي يُجْعَلُ النَّسَاجُ فِيهَا لَحْمَةُ الثَّوْبِ لِلنَّسِجِ وَشِيْعَةٌ . (٣) الْبَرْكَ
إِبْلُ أَهْلِ الْحَوَاءِ بِالْعِلَّةِ مَا بَلَغَتْ ، وَقِيلَ الْبَرْكَ الْإِبْلُ الْبَرْوَكُ ، وَقِيلَ الْبَرْكَ : أَلْفُ بَعِيرٍ .

وقد رفع الفجرُ الظلامَ كأنه ظليمٌ على بيضٍ تكشفَ جانبه
وقد أبدعَ أيضاً في قوله :

قد اغتدى والليلُ في جلبابه كالجبشِ قرٌّ من أصحابه
والصبحُ قد كشفَ عن أنيابه كأنما بضحكُ من ذهابه
وقال أبو نواس :

فقتُ والليلُ يحلوهُ الصباحُ كما جلا التيسمُ عن عُزِّ الثنيات
وفي ألفاظ هذا البيت زيادة على معناه .

وقال : لما تبدى الصبحُ من حجابهِ كطلعةِ الأشمطِ من جلبابه
وهذا من قول الآخر : كطلعةِ الأشمطِ من بردِ شملٍ * وقال ابن المعتز :
ولقد قفوتُ الغيثَ ينطفُ دجنه والصبحُ ملتبسٌ كهينِ الأشملِ
وقلت : باكرتها والخيلُ في البكورِ والصبحُ بالليلِ مكوثُ النورِ
كما خلطت المسكُ بالكافورِ

وقال ابن المعتز :

أما ترى الصبحَ تحتَ ليلته كموقدٍ باتَ ينفخُ الفحما
وقال : والليلُ قد رَقَّ وأصفى نجمهُ واستوفز الصبحُ ولما ينتقب
معتزاً بفجرهِ في ليلة كفريسٍ بيضاء دهاء اللب

وقال العلوي وأجاد المعنى :

والصبحُ في صفحِ الهواءِ مورَّدٌ مثل المدامةِ في الزُّجاجِ تشعشع
وقلت : إلى أن طوبنا اليومَ إلا بقيةً يضلُّ ضياءُ الشمسِ عنها فيزلق
وجلل وجه الشمسِ بردٌ ممسك وقابلهُ للغربِ بردٌ ممشق
فلاح لنا من مشرقِ الشمسِ مغربٌ وبان لنا من مغربِ الشمسِ مشرق
ومدَّ علينا الليلُ ثوباً منمقاً وأشعل فيه الفجرُ فهو يحرق
وصبحنا صبحٌ كأنَّ ضياءه تعلم منا كيف يهوى ويشرق

وقلت : ركبت أعجاز ليالٍ مظلمةٍ مطرراتٍ بالصباح معلمة
 أخطرُ في بردتها المسهمه والروضُ في خلته المنمنمة
 قد نثر الليلُ عليه أنجمه والنبتُ قد دَنَرَهُ ودرهمه
 وقدوشى رداءهُ ورقمه

وقال بعض الاعراب :

والليلُ يطردُهُ النهارُ ولا أرى كالايلِ يطردُهُ النهارُ طريدا
 وتراهُ مثل البيتِ مالَ رواقه هتك المقوص شره الممدودا
 وهذا شعر مطبوع . وقال أبو نواس :

قد اغتدى والليلُ في حريمه معسكر في العزِّ من نجومه
 والصبحُ قد نسَم في أدبمه يدعهُ يطرُّ في حـيزومه
 دعى الوصى في قفا يتيمة

ومن الاستعارة المصيبة في صفة الصبح قول سالم بن وابصة :

على حين أننى القومُ خيراً على السرى وطارَ بأخرى الليلِ أجنحة الفجر
 والنصف الأول من قول الآخر * عند الصباح يحمد القوم السرى *
 وقال العلوى الاصفهاني :

وليل نصرمتُ النىَّ فيه على الرشد وأعديتُ فيه الهزلَ منى على الجدَّ
 وضيعتُ فيه من عناقٍ معانقٍ فظنَّ وشاقى أننى نائمٌ وحدى
 الى أن تجلى الصبحُ من خلل الدُّجى كما انخرطَ السيفُ اليمانى من النعد
 وقلت : حتى أزال الصبحُ فاضلاً ذيله كالنيل يخطرُ في نوادى يعرب
 وقد أحسن ابن المعتز في صفة النجم يبدو في حمرة الفجر حيث يقول :

قد اغتدى على الجياد الضمر والصبحُ قد أسفرَ أولم يسفر
 كأنه غرَّةُ مهرٍ أشقر حتى بدا في ثوبه المعصر
 ونجمه مثل السراج الأزهر

وقال الشمردل بن شريك^(١) :

ولاحَ ضوءُ الصبحِ فاستبيننا وقال التنوخي: والثرثيا كلدواءِ
كما أرتنا المفرق الدهينا وبدا الفجرُ كسيفٍ
خافق من فوقِ مرقب وقلت: أديرأعلى الكأس والليل راحل
في يدِ الجوزاءِ مذهب ترفع عنه منكب الليل فانجلى
وفي اثره للصبح بلق شوائل وقال التنوخي :

وبدا الصبح كالخسام علاه علق فوقَ شفرتيه متاع
وقال: أسامره والليل أسود أورك إلى أن جلا الاصباح عن أشقرورد
تبسم محمراً خلال سواده تبسم ورداً اخد في الصدغ الجعد
ومن حسن الاستعارة في الشفق قول ابن المعتز :

ساروا وقد خضعت شمسُ الاصيل لهم حتى توقدَ في جنح الدجى الشفق
لحاجة لم أضاجع دونها وسنا وربما جرَّ أسباب الكرى الأرق
وأبرع بيت قيل في الصبح من شعر المحدثين قول ابن المعتز :

والصبح يتلو المشتري فكأنه عُريانُ يمشى في الدجى بسراج
والناس يظنون أنه ابتداءً وابتكره وإنما أخذه من قول ابن هرمة في
وصف السحاب والبرق :

تؤام الودق كالزأحــــــــف يزجي خلف اطلاق

صدوق البرق كالسكران يمشى خلفه الصاحي

كأن العازف الحنى أو أصوات نواح

على أرجائه والبرق يهديه بمصباح

وهذا البيت مضطرب الرصف مضمن لاخير فيه والمعنى بارد .

(١) شاعر إسلامي من شعراء الدولة الأموية كان في أيام جرير والفرزدق .

ومن أطرف ما قيل في الليالي الطيبة قول ابن المعتز :

تلتقطُ الأنفاسُ بردَ الندى فيه فتهديه حرُّ الهوم
وقلت: وقد غدوت وصبغ الليل منتقص وغرة الصبح مصقولٌ حواشيها
وغربت أنجمُ الظلماءِ وانحدرتُ فشالَ أرجلها وأنحطَّ أيديها
فأما أجود ما قيل مما أنشدناه أبو القاسم عن عبد الوهاب عن العقدي عن أبي
جعفر عن ابن الأعرابي قديماً في صفة الشمس فقال وهو أحسن وأتم ما قالته العرب فيها :

مخبأةٌ أما إذا الليلُ جنبها فتخفي وأما بالنهار فتظهرُ
إذا انشقَّ عنها ساطعُ الفجر فانبجلى دُجى الليل وانجباب الحجاب المستر
وألبس عرض الأرض لوناً كأنه على الأفق الشرقي ثوبٌ معصر
ولون كدراع الزعفران مشبه شعاع يلوح فهو أزهرٌ أصفر
إلى أن علتُ وابتيضَ عنها اصفرارها وجالتُ كما جال المليحُ المشهر
ترى الظلَّ يطوى حين تَعْلُو وتارةً تراه إذا مالتُ إلى الأرض ينشر
وتدنف حتى ما يكاد شعاعها يبينُ إذا ولتُ لمن يتبصر
وأفنت قروناً وهي في ذلك لم تزل تموتُ وتحيا كلَّ يوم وتنشر
وأنشدناه أيضاً أبو أحمد عن الصولي عن علي بن الصباح عن ابن أبي محلم على
غير ما تقدم هنا أخذ ابن الرومي قوله * وقد جعلت في مجنح الليل تمرض *

ومن بديع ما قيل في انقلابها عند الغروب قول الراجز :

صبٌّ عليه قانصٌ لما غفل والشمسُ كالمرآة في كف الأشل
ونحوه قول أبي النجم * وصارت الشمس كمين الأحول *
ولأعرابية تذكر السحاب :

تطالعني الشمسُ من دونها طلاع فتاة تخافُ اشتهارا
تخافُ الرقيبَ على سرِّها وتحذرُ من زوجها أن يفارها

فتستّر غُرَّتْهَا بِالْخَمَارِ وَقَالَ ابْنُ الْمَعْتَزِ وَأَغْرَبَ :
 طَوْرًا وَطَوْرًا تَزِيلُ الْخَمَارَ ^(١)

تَظَلُّ الشَّمْسُ تَرْمِقُنَا بِلَحْظِ وَحَفَى مَدَنَفٍ مِنْ خَلْفِ سِتْرِ
 تَحَاوُلُ فَتَقَّ غَيْمٌ وَهُوَ يَأْبَى كَمَنِينَ يَرِيدُ نَسْكَاحَ بَكْرِ
 وَقَالَ ابْنُ طَبَاطَبَا :

وَأَقْدَيْتَ عَيْنَ شَمْسٍ فَحَكَتْ مِنْ خَلَلِ الْغَيْمِ طَرَفَ عَمَّاشِ
 وَقَلْتُ : فَيَا بَهْجَةَ الدُّنْيَا إِذَا الشَّمْسُ أَشْرَقَتْ كَمَا أَشْرَقَتْ فَوْقَ الْبَرِيَةِ زَيْنِبِ
 يَفْضُضُ مِنْهَا الْجَوُّ عِنْدَ طُلُوعِهَا وَلَكِنَّ وَجْهَ الْأَرْضِ فِيهَا مُدْهَبُ
 وَتَحْسَبُ عَيْنَ الشَّمْسِ إِذْ هِيَ رَفَعَتْ عَلَى الْإِفْقِ الْغَرْبِيِّ شَبْرًا يَذْرُبُ
 وَقَلْتُ فِي يَوْمٍ صَحْوٍ :

مَلَأَ الْعَمِيونَ غَضَارَةً وَنَضَارَةً صَحْوٌ يَطَالَعُنَا بِوَجْهِ مَوْنِقِ
 وَالشَّمْسُ وَاضِحَةٌ الْجَبِينِ كَأَنَّهَا وَجْهُ الْمَلِيحَةِ فِي الْخَمَارِ الْأَزْرَقِ
 وَكَأَنَّهَا عِنْدَ انْبِسَاطِ شِعَاعِهَا تَبَرُّهُ يَذُوبُ عَلَى فُرُوعِ الْمَشْرِقِ
 جَرَّتْ إِذَا بَكَرَتْ ذُبُولَ مَزْعَفِرٍ وَتَجَرُّهُ إِنْ رَاحَتْ ذُبُولَ مَمْشَقِ
 فَشَرِبَتْهَا عَذْرَاءٌ مِنْ يَدِ مِثَالِهَا تَحْكِي الصَّبَاحَ مَعَ الصَّبَاحِ الْمَشْرِقِ
 وَقَالَ ابْنُ طَبَاطَبَا :

وَشَمْسٌ تَجَلَّتْ فِي رِداءٍ مَعْصِفٍ كَأَسْمَاءٍ إِذْ مَدَّتْ عَلَيْهَا إِزَارَهَا
 وَقَالَ ابْنُ الْمَعْتَزِ فِيهَا عِنْدَ غُرُوبِهَا :
 حَتَّى عَلَا الطُّودُ ذَيْلَ مِنْ أَصَائِلِهِ كَمَا يَصْفَرُ فِدُودِي رَأْسَهُ الْحَرْفِ
 وَقَالَ أَبُو نَوَاسٍ :

قَدْ اغْتَدَى وَالشَّمْسُ فِي حِجَابِهَا مِثْلَ الْكَعَابِ الْخُودِ فِي نَقَابِهَا
 وَقَالَ ابْنُ الرُّومِيِّ وَهُوَ مِنَ الْمَشْهُورِ :

(١) ستأتى هذه الأبيات قريباً في أوائل الجزء الثاني .

كَأَنَّ خَبِيرَ^(١) الشَّمْسِ ثَمَّ غُرِبَ بِهَا وَقَدْ جَعَلَتْ فِي مَجْنَحِ اللَّيْلِ تَمْرُضُ
تَخَاوَسَ عَيْنَ بَيْنِ أَجْفَانِهَا الْكَرَى يَرْنَقُ^(٢) فِيهَا النَّوْمُ ثَمَّ تَغْمِضُ
وَمَنْ جِيدٍ مَاقِيلٍ فِي أَحْمَرِهَا عِنْدَ الْمَغِيبِ قَوْلُ ابْنِ الْحَاجِبِ :
وَكَأَنَّهَا عِنْدَ الْغُرُوبِ بِجُفُونِ عَيْنِ الْارْمَدِ

وَقَالَ ابْنُ الرُّومِيِّ وَهُوَ مِنَ الْمَشْهُورِ :

إِذَا رَنَقَتْ^(٣) شَمْسُ الْأَصِيلِ وَنَفَضَتْ عَلَى الْأَفْقِ الْغَرْبِيِّ وَرَسًا مَذْعَدًا^(٤)
وَوَدَّعَتْ الدُّنْيَا لَتَقْضَى نَجْمُهَا وَشَوَّلَ بَاقِيَ عَمْرِهَا وَتَشَعُّشَا
وَلَا حِظَّ النُّوَارِ وَهِيَ مَرِيضَةٌ وَقَدْ وَضَعَتْ خَدًّا عَلَى الْأَرْضِ أَضْرَعَا
كَأَنَّهَا عَوَادَةٌ^(٥) عَيْنٌ مَدْنَفٌ تَوَجَّعَ مِنْ أَوْصَابِهِ مَا تَوَجَّعَا
وَزَلَّتْ عَيُونُ الرِّوْضِ^(٦) تَخْضَلُ بِالْمَدْنَى كَمَا اغْرَوْرَقَتْ عَيْنُ الشَّجِيِّ لَتَدْمَعَا
وَبَيْنَ إِغْضَاءِ الْفِرَاقِ عَلَيْهِمَا كَأَنَّهَا خِلَا صَفَاءٍ تَوَدَّعَا

وَقَالَ الْآخَرُ :

وَالشَّمْسُ تُؤْذَنُ بِالْشُرُوقِ كَأَنَّهَا خَوْدٌ تَلَا حِظُّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ

وَقَالَ السَّرِيُّ :

وَمِنْ قِصُورِ تَلِيهِ مُشْرِفَةٌ^(٧) تَقْضَى وَاللَّيْلُ أَسْوَدُ الْحَجَبِ
يَبِضُ إِذَا الشَّمْسُ حَانَ مَغْرِبُهَا حَسِبْتَ أَطْرَافَهُنَّ مِنْ ذَهَبٍ

-
- (١) كَذَا فِي دِيْوَانِ ابْنِ الرُّومِيِّ الْمَخْطُوطِ ، وَفِي الْأَصْلِ « جَبُو » .
(٢) كَذَا فِي دِيْوَانِ ابْنِ الرُّومِيِّ الْمَخْطُوطِ ، وَفِي الْأَصْلِ (يَرْفُقُ) .
(٣) كَذَا فِي دِيْوَانِ ابْنِ الرُّومِيِّ الْمَخْطُوطِ ، وَفِي الْأَصْلِ « إِذَا أَرَفَقَتْ » .
(٤) الْوَرَسُ : نَبَاتٌ كَالسَّمْسَمِ ، وَمَذْعَدًا : مَتَفَرِّقًا .
(٥) فِي الْأَصْلِ « عَوَادَهَا » .
(٦) فِي دِيْوَانِ ابْنِ الرُّومِيِّ « عَيُونُ النُّورِ » .
(٧) كَذَا فِي دِيْوَانِ السَّرِيِّ ، وَفِي الْأَصْلِ « عَلَى مُشْرِفَةٍ » .

ومن بديع ما قيل فيها من شعر المتقدمين قول أبي ذؤيب :
سبقت إذا ما الشمسُ عادت^(١) كأنها صلاة طيبٍ ليطها واصفرارُها
ومن جيد ما قيل في النهار قول أعرابي :

فإذا أشرقَ النهارُ تراها راملات في مثل ماء زلال
وقلت : ويخبطنَ الصباح إذا تبدى كما يكرعنَ في الماء الزلال
وقلت : وعلى الصباح غلالةٌ فضيةٌ فيها طرازٌ من خيالك مُذهَّب
آخر الباب السادس والحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده
وعلى آله وصحبه أجمعين .

(انتهى الجزء الأول)

(إستدراكات وتصويبات)

الصفحة	السطر	
٥٨	١٦	هذا البيت يجب أن يكون قبل سابقه .
٦٠	١٩	يقول كان المأمون يتعصب للاوائل من الشعراء ويقول انقضى الشعر مع ملك بنى أمية ، وكان عمى الفضل بن سهل يقول الاوائل
٦٣	١٦	وقال غيره
١٥٩	١١	علمت بأن الناب ليست رزية
١٩٨	١٣	من صخر تدمر أو من وجه عثمان

(١) في ديوان أبي ذؤيب « أضت » .

﴿ فهرس الجزء الأول من ديوان المعاني ﴾

الصفحة	
٢	ترجمة المؤلف .
٦	صورة آخر النسخة الشنقيطية .
٧	مقدمة الديوان .
٨	أحسن ما قيل في وصف شعر .
١٠	النضر بن شميل والمأمون ، والكلام على « سداد » .
١٠	أحلب بيت قالته العرب .
١١	أنصف بيت قالته العرب ، أقنع بيت للعرب .
١٤	أبواب ديوان المعاني .
١٥	الباب الأول : في المديح والتهاني والافتخار .
١٥	الفصل الأول : في المديح .
٧٦	الفصل الثاني : في الافتخار .
٩١	الفصل الثالث : في التهاني .
١٠٣	الباب الثاني : في أوصاف خصال الانسان المحموده من الجود والشجاعة والعلم والحلم والحزم والعقل ، وما يجري مع ذلك .
١٥٧	الباب الثالث : في المعاتبات والهجاء والاعتذار .
١٥٧	الفصل الأول : في المعاتبات .
١٧٠	الفصل الثاني : في الهجاء .
٢١٦	الفصل الثالث : في الاعتذار .
٢٢٢	الباب الرابع : في التشبيب وأوصاف الحسان وما يجري مع ذلك .
٢٨٦	الباب الخامس : في صفات النار والطبخ وألوان الطعام ، وفي ذكر الشراب وما يجري مع ذلك .
٢٨٦	الفصل الأول : في ذكر النار .
٢٩١	الفصل الثاني : في ذكر ألوان الطعام .
٣٠٥	الفصل الثالث : في وصف الشراب .

- ٣٣٢ الباب السادس : في وصف السماء والنجوم والليل والصبح والشمس والقمر ومايجرى مع ذلك .
- ٣٣٢ الفصل الاول : في ذكر النجوم .
- ٣٤٢ الفصل الثاني : في ذكر ظلمة الليل وطوله وقصره ، وما يجرى مع ذلك من سائر أوصافه .
- ٣٥٤ الفصل الثالث : في ذكر الصباح والشمس والنهار ، ومايجرى مع ذلك .

﴿ استندراكات وتصويبات ﴾

الصفحة السطر

- ٢٠٣ ٢٠ نصب اسمعيل بن نوبخت طارمة في صحن
- ٢٠٤ ١٩ ومما قيل في قبج الحلقة وغير ذلك
- ٢١٥ ٤ لا تخدعنه بأثواب مصبغة
- ٢٣٧ ١٠ وغدا فقم عليه عند رقيه
- ٢٤١ ١١ كأن على أنيابها الخر شجها
- ٢٤٩ ١ وعانت خلق من صدغه حلقا
- ٢٦٥ ٩ لو كانت الأشياء تعرفه أجلته اجلال بارها
- لو تستطيع الأرض لاجتمعت حتى يكون جميعه فيها
- ٢٧١ ٢٣ أسر اذا بليت وذاب جسمي
- ٢٧٦ ١٥ ان الذي يعشق من لا يرى كيت من شدة الغلبة
- ٢٩٣ ٧ يقشر جلداً منه كالنضار
- ٣٠٠ ٦ ظلت تبكي شجوماً أبصرت من أمرنا وهي به عالمه
- ٣١٤ ٧ هذا الشعر للمخيل اليشكري لا للاخطل
- ٣١٥ ١٣ انها عندي وأحلام الكرى
- ٣١٩ ٥ كما أنك تابع وأنا قرين فغلبه
- ٣٢٣ ٢٢ أكرم ذخر ذخرته كرمه في عنبه
- ٣٢٤ ١١ فأت نفهم عنا

(إختلافات نسخة المتحفة البريطانية وغيرها من الروايات والتصويبات في الجزء الاول)
وأكثرها من استدراك المستشرق الأستاذ الدكتور كرككو

الصفحة السطر					
١١	١	تقول لي.. هاجعة	٣٣	٥	ليسقط عنه
١١	٥	أبو عروضة المدني	٣٣	٧	عند إتيان
١١	٨	نصرى	٣٣	١٣	المماطرة
١١	١٥	الثرة الصنى	٣٣	١٤	ومنا الشاء
١١	١٨	السوء لا	٣٤	١٦	قسطل
١٢	١	لعيس	٣٥	٧	وأنت مليح
١٢	٣	وأتمزها	٣٥	١٦	ذمارها
١٢	١٦	كالسيوف أو جههم	٣٨	٥	وفوا
١٢	١٩	اللحاء	٤٠	١٤	دماذ
١٨	١٠	السبك	٤٠	١٦	ضيف.. الخفريات
١٨	١٤	خضرا	٤١	١٢	أبى عكرمة
٢٠	١٢	حول سريره	٤٤	٩	بخفان
٢٠	١٧	أغر أروع	٤٤	١٩	٢٠٠٠ ثامل
٢٠	١٨	فانك كالليل	٤٧	٥	وبصدره
٢١	٢	كحى أدركته مقاديره	٤٧	٨	الكوماء.. تنحري
٢١	٥	مبثوثاً	٥٧	٣	من الشجاعة
٢١	٨	لا عار	٥٨	١٣	غر الرداء
٢١	١٠	فيه عار	٦٠	٢١	وأحسن منه ما
٢١	١١	سرار	٦٠	١٩	تقريباً إلى أن
٢٢	١	من أخذ	٦١	١١	مر كوز
٢٣	٢	ترنو	٦٣	٢٠	يافيض
٢٣	٧	إلى بابه	٦٥	٣	ابن حرى
٢٥	١٥	أبقى.. الصم	٦٥	٢٢	هفان.. ثوابه
٢٦	٢	بن فانك	٦٦	٤	أبو الغراف
٢٧	٧	أبو أحمد	٦٦	٩	أثلمته حوامله
٢٧	١٧	محدد	٦٦	١١	فيوم تحوط
٢٧	١٨	للممدوح	٦٦	١١	ما تغب نوافله
٢٨	٧٠٠: ٦٨٠	ابن دواد	٦٨	٥	دوارج
٣٠	٤	الفيض	٦٨	١٩	كما دعيت
٣١	١٠	أحسن لحظة	٧١	١٥	أو أزرهم
٧٢	١٢	أكشفاه	٧٢	١٢	أكشفاه
٧٤	٢	الخريمى	٧٤	٢	الخريمى
٧٨	١٧	المتألى الشاعرون	٧٨	١٧	المتألى الشاعرون
٧٩	١٠	أمون.. لحاءها	٧٩	١٠	أمون.. لحاءها
٨١	١٦	الجحاف	٨١	١٦	الجحاف
٨٢	٧	أخرانا	٨٢	٧	أخرانا
٨٥	١٧	الجماني	٨٥	١٧	الجماني
٨٥	٢١	فقري غنى	٨٥	٢١	فقري غنى
٨٦	٣	ولا يحال	٨٦	٣	ولا يحال
٨٦	٥	نبوه	٨٦	٥	نبوه
٨٧	١٨	جيينه	٨٧	١٨	جيينه
٨٧	٢٠	بالأفول	٨٧	٢٠	بالأفول
٨٧	٢٠	على الوقود	٨٧	٢٠	على الوقود
٨٨	١	واعتدلت	٨٨	١	واعتدلت
٨٨	١١	إلى الكوم	٨٨	١١	إلى الكوم
٨٩	٦	أشوى	٨٩	٦	أشوى
٨٩	١٠	أو القنان	٨٩	١٠	أو القنان
٩٠	١١	العاصمون	٩٠	١١	العاصمون
٩٠	١١	العارمون	٩٠	١١	العارمون
٩٠	١٨	ومنى	٩٠	١٨	ومنى
٩١	١٤	الفصل الثالث	٩١	١٤	الفصل الثالث
٩٢	٥	شييا بماء فعادا	٩٢	٥	شييا بماء فعادا
٩٢	١٠	تنشر أعياداً	٩٢	١٠	تنشر أعياداً
٩٢	١٣	راعيه	٩٢	١٣	راعيه
٩٢	٢٠	كهذا	٩٢	٢٠	كهذا
٩٣	١٥	بلبل	٩٣	١٥	بلبل
٩٤	١٢	أبى هفان	٩٤	١٢	أبى هفان
٩٥	١٧	يهدى للجليل	٩٥	١٧	يهدى للجليل
٩٦	١٦	عنان الفكر	٩٦	١٦	عنان الفكر
٩٦	١٧	بيديه نارها	٩٦	١٧	بيديه نارها
٩٦	٢٢	إلى من وليه	٩٦	٢٢	إلى من وليه

٩٧ ١٥	اقتفروا	١٥٣ ٤	أن يحل به	٤٩ ٩	شيمت
١٠٠ ١	ولشاؤه	١٥٣ ٦	وبادرت منه	٥٠ ٦	وما ظلم
١٠٠ ١٧	تجلى لك	١٥٥ ١٦	زفر	٥٣ ٧	ويمرع
١٠٢ ٦	من مواليه	١٥٨ ١٢	راضى سنة	٥٤ ١٠	وتدولا.وعتودا
١٠٢ ٢٠	ويليقك ثواب	١٥٩ ١٠	بجنب الستار	٥٥ ٧	مد العلاء
١٠٦ ٥	إنك	١٧٠ ١٧	بطائشة الصدور	٥٦ ١٦	٢٠ خدى
١٠٦ ٢٢	بلبال	١٧٣ ١١	دوبل .. دوبل	١٤٥ ٧	مذهبه
١٠٩ ١٠	آلف	١٧٥ ٢٢	يزقق	١٤٩ ١٨	عليم بن جناب
١١٠ ٣	يواكب	١٧٦ ٢	جذمة	١٥٠ ٢٠	سعيد بن مسلم
١١٠ ٩	تقذيتها	١٧٦ ٧	تغلب	١٩٦ ٧	بذى شكر
١١١ ١	مجدلا	١٨١ ١٦	به الدعى	١٩٦ ٨	نحوى جمية
١١١ ٢	بما لم	١٩٨ ٣	تكن لتكون	١٩٦ ١٩	فى التطير
١١١ ٣	أغشى	١٩٨ ١٠	أمين	١٩٩ ١١	وأدغمت أبا
١١١ ٧	أخم	٢٠٦ ٢	الدار يطوف	١٩٩ ١٥	ثنتنى عنك
١١١ ٢٠	مادلك	٢١٣ ١٥	غادر الرفض	٢٠١ ٦	فيه مازمان
١١٢ ١٣	الصقعب النهدي	٢١٣ ١٨	وقعتما للحين	٢٠١ ٧	ظهارة سوء
١١٢ ٢١	قدجبت جلبابه	٢١٣ ١٩	زوراذوى السنة	٢٠١ ١٧	كما تزيد
١١٣ ٦	رفيقة	٢٣٣ ١١	فيزيد فيها	٢٠٢ ١١	بسلب الصفات
١١٤ ١٨	بلعاء	٢٣٣ ١٦	أملود	٢٠٢ ١٥	عن الأشاندانى
١١٥ ١٠	يجر	٢٣٣ ١٧	سب. وطاق	٢٠٢ ١٨	كالذبيخ
١١٨ ٦	عبيد بن الأبرص	٢٣٤ ١٩	يا اسلى	٢٠٣ ١٩	ابن مهرويه
١٢٢ ٥	وأنتى غير	٢٣٧ ٨	فيها بدرها	٢٠٦ ٢٠	وتنتنى حتى
١٢٢ ١٨	دجاجة	٢٥٣ ١٤	الغزى	٢٠٨ ٢	كسير الجناح
١٢٣ ٨	ابن ميادة	٢٥٥ ١٣	يذاب بعينى	٢٠٨ ٣	خامد المصباح
١٢٦ ٥	عفى الحساب	٢٥٦ ٤	فأسبلت	٢١٠ ٦	وسهاد الحية
١٢٨ ٢٢	ألعمة الله	١٧ ٥	غضبة	٢١٢ ٣	به من دمامته
١٣١ ٩	المشقر	٤٢ ١	تكدر عيشة	٢١٣ ١	أظهر فيه
١٣١ ١٣	راوية .. ابن	٧٦ ١٤	حبث	٢١٤ ٨	غادية
١٣٢ ٣	تتعبت	٩٢ ٥	قعبان	٢١٥ ١٧	ولا تأتبنى
١٣٢ ٤	تجنب	١٢٥ ١٥	بخترى	٢١٦ ٧	فى بيتى
١٣٣ ٦	حلحلة	٢٤٩ ٤	شارب	٢٢٠ ١٨	وللقارف ذنباً
١٣٣ ٧	بوانى	٤٩ ٥	آراؤهم	٢٢١ ٢	أرى الراغب إلى
١٣٦ ٧	قول عمارة			٢٢١ ٤	الهيبة الحية
١٥١ ١٥	التضافر				
١٥٣ ٣	ويهدم صالحى				

٢٩٦ ١٥ من المن	٢٦٣ ٨ الهوامى الهوامع	٢٢٥ ١٥ دمع احدره
٢٩٦ ٤ فى السقى	٢٦٣ ٢٠ قوم موسى	٢٢٦ ١٣ عند خود
٢٩٨ ١١ أتغرف من	٢٦٤ ٨ كمت فى	٢٢٨ ٨ ونبتها قالت
٢٩٨ ١٦ المعتدة	٢٦٤ ١٤ الحسن عليه	٢٢٨ ٢٢ الحسن بسطة
٣٠٠ ٣ الكيسة الحازمة	٢٦٤ ١٧ معاً فلم	٢٢٩ ٤ يضاء كالفضة
٣٠٠ ٧ صادفت منا	٢٦٥ ٢ أظرفه	٢٣١ ٤ قاسنى بالبدرد
٣٠٠ ١٩ وقد تردى	٢٦٥ ٢٣ لشدما	٢٣٢ ١٥ حسنه .. حفلت
٣٠١ ١٠ موشى تحال	٢٦٦ ٨ الوصل شافيا	٢٣٧ ٦ عين تفل
٣٠٢ ١٧ ثغر .. الواضح	٢٦٦ ١٠ وأرحم	٢٤٠ ١٣ يحشها أحور
٣٠٤ ١٠ فدون السمن	٢٦٦ ١٤ لم يك	٢٤١ ١ مشرب عذب
٣٠٤ ١١ طيف سلمى	٢٦٩ ١٨ فى الشمس	٢٤٢ ١٤ بد لها
٣٠٤ ١٤ منسر الباز	٢٧١ ٥ فغافصاه	٢٤٤ ٤ وأثنى
٣٠٨ ١١ سباهها التجر	٢٧١ ١١ يا جنان	٢٤٤ ١٤ زق أمات
٣١٠ ١ أرى نجمين	٢٧٢ ١٠ يعش .. المنون	٢٤٤ ١٦ فأفضيت
٣١٠ ٥ ووجنة	٢٧٢ ٢٠ اقتياد .. صاحبه	٢٤٥ ١٩ قلقت وشحه
٣١٠ ١٣ ذهن لطيف	٢٧٣ ١ فى يستن	٢٤٦ ٨ تغصبن .. انتعلت
٣١٢ ١٨ وقد حجب	٢٧٦ ١٠ سفعة	٢٤٧ ٧ طرة .. طرة
٣١٥ ٣ اله ان	٢٧٧ ١٠ يشنى الجوى	٢٤٧ ١٤ أوبالمى
٣١٥ ٦ لهو آلى	٢٧٧ ١٣ زف .. خياني	٢٤٨ ٢٢ قرنوا
٣١٥ ١٧ لىأتى ما	٢٧٧ ١٨ معان جياذ	٢٤٩ ١ أو كالجم
٣١٨ ٢ فأزرى	٢٧٧ ٢٠ ولا طارقاً	٢٥٠ ١٦ وما سلمى
٣١٨ ١١ راضعت	٢٧٨ ١٥ ونحن منترقان	٢٥٠ ١٨ وصف الساق
٣١٩ ١٣ على الأجسام	٢٨١ ٥ ليلة القرر	٢٥١ ٣ نقطن أذقاناً
٣٢٠ ٢ ذكر مزاج	٢٨١ ١١ حجاماً	٢٥١ ١٣ القوام والترنح
٣٢٥ ٥ بميل	٢٨٢ ١٢ من نزوح	٢٥٢ ١٠ إلامشاشة
٣٢٦ ١٨ والارض به	٢٨٤ ٢ فنبش	٢٥٢ ٢١ يخرق
٣٢٧ ١٥ ابن سريج	٢٨٥ ٨ تنفض	٢٥٤ ٢١ خلس
٣٢٧ ١٨ عمل زلزل	٢٨٩ ١٩ وجواثم سفح	٢٥٥ ٤ أطراف خرمة
٣٢٧ ٢١ فى جس	٢٩٠ ٣ موقوفه بين	٢٥٦ ٦ كما سقى
٣٢٨ ٤ أحرفه	٢٩٠ ٢١ تصبغ بالدماء	٢٥٦ ٢١ السيف الصقيل
٣٢٩ ٤ كما يتداوى	٢٩٣ ٥ فى جودابة	٢٥٧ ١٢ فاض من
٣٢٩ ١٩ دكن الظواهر	٢٩٦ ١١ أرج العطر	٢٥٨ ١٥ كوم المطايا
٣٢٩ ٢٠ فى تباين		٢٥٩ ٦ من طيها
		٢٥٩ ١٠ يغى كل

٣٣٠	أدافعهم بالكفين	٢٠ ٣٣٩	كما أنه غرض	١٦ ٣٥٣	القصاص
٩ ٣٣١	هزور	١٢ ٣٤١	والعيد زين	٩ ٣٥٦	الاشمط .. سمل
١٤ ٣٣١	ساحرة	٣ ٣٤٢	الذاذة	٧ ٣٥٧	المقوض ستره
١٦ ٣٣٣	كما ترنو	١ ٣٤٣	قول مضرس	١٠ ٣٥٧	يدعه بطرفي
١ ٣٣٤	وألقابا	١٦ ٣٤٨	مذباناوا	١١ ٣٥٧	دع الوصي
٩ ٣٣٥	دنو الدلو	١٧ ٣٥١	نعمنابه	٥ ٣٥٩	قيل في الشمس
١٩ ٣٣٥	ترنومن براقع	١٨ ٣٥١	ليس يرده	٩ ٣٦٠	هي رنقت
١٧ ٣٣٩	من قنوق	١١ ٣٥٢	بحو سويقة	٩ ٣٦٠	تبرأ يذوب

ثم يدع ما قبله باسم سفر المتقدمين والذين هم في سبيل كمال الشمس وقت كمالها
سلامة طيبا واصفها في يوم قديم غامضا في الزمان العتيق فاذا انقضى النهار ابراهما
راملات في منامهما في ذلك الوقت من الصباح اذا انقضى كما يكون في هذا الزمان
ولمست على الصباح علامة فضية بها طائر من جنس الطيور
أخبارات السانس والمحدثين

سفر الله الرحمن الرحيم

المقدم على هذه التامة زاد في المصنفات في انشاء السحاب والجملة العبد الخ
وتحيز الباردة السحاب فيفقد العنق والجحر ويرسل في رجة للأنام ونظر الأنعام
فلا يمدوا ولا يأمر والاصلق على الله الذي يرسله المحم شاهدا ومشرقا ومها وبعث الله اليه
نادية وبراجامنا وعلى كمال الحمايين وعقود المتحسين بقدرنا العبد كل ما يجهل
في قوس الحكمه وتسهل سبلها وترج من كملها والتمساج ابراهيم ادا ما اسماها الخف محمدا و
مناولها فيعز بها كل واحد ويأخذ منها فصيل وعقود من رجاها يذوب وكنت جعلت كتابي
الوسم بديوان المعاني مشتملا على ابي عشر اليقظة ما حوالة ورقة وابت بعض الناس يتكبر
محمه ويستقل سجد فعملت كتابا بها كمالا في قد نفسه ويغير جسد ليقدر في ورسول سجد
وتسبح الهمة اليد وكبر الانشراح ثم ان شاء الله تعالى وبه التوفيق

هذا كتاب المبالغه

في صفة السحاب والمطر والبرق والحدود كالمياه والهاض والنبات والاشجار والرياحين
والثمار والسم وما يجري مع ذلك وهو الباب السابع من كتاب
ديوان المعاني وفيه ثلاث فصول الفصل الاول في صفة السحاب
والمطر والبرق والرعد والثلج والضرب اخبرنا ابو محمد عن ابي بكر بن دريد عن ابي حاتم
عن الاصمعي قال قال ابو حمزة الرعي اي قول الشعر في المطر اشعر قال قول امرئ القيس
دعته هظلا فيها وطف طوق الأرض بحرى وتدر قوله طوق الأرض غاية في وصف عموم
السحاب ابراهيم انما على الأرض بمنزلة الطوق على الأرض ولا اعرف احدا اخر فاجاده الملائكة الرومي
حيث يقول سبحانه قيست بالبلاد فالتيت غطا على اغوارها وبجودها
حدتها النفا في منقلا فالتيت نهدي في وديان سيرها كركودها قوله سيدها كركودها

(وهذه صورة صفحة من نسخة المخطوطة الزيباطية)